

أفريكا

رواية

فرانز كافكا

ترجمة

الدسوقي فهمي





برعاية السيد
وزير التعليم

الجهات المشاركة
جمعية الرعاية الكاملة المركزية
وزارة الثقافة
وزارة الإعلام
وزارة التربية والتعليم
وزارة تنمية المحلية
وزارة الشباب

التفيد
الهيئة المصرية العامة للكتاب

المشرف العام
د. ناصر الانتصاري

تصميم الغلاف
د. مدحت متولى

الإشراف الطباعي
محمود عبد المجيد

الإشراف الفني
عيسى أبو الخير
ماجدة عبد العليم
صبرى عبد الواحد

لوحة للفنان: ثروت البحر

كإضافة جديدة لمكتبة الأسرة قدمنا على غلاف كل كتاب لوحة تشكيلية لفنان مصرى معاصر من مختلف المدارس والأجيال وهذه اللوحات لا تعبر بالضرورة عن موضوع الكتاب. وتتقدم مكتبة الأسرة بالشكر لقطاع الفنون التشكيلية بوزارة الثقافة ومتحف الفن المصرى الحديث على هذا التعاون.

كافكا ، فرانز .

أمريكا/ فرانز كافكا؛ ترجمة: الدسوقي فهمى.

- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٧.

٢٧٤ ص : ٢٠ سم. (روايات الهلال).

تدمك ٩ - ٩٥٢ - ٤١٩ - ٩٧٧.

١- القصص الإنجليزية.

أ - فهمى، الدسوقي (مترجم).

ب - العنوان . ج - السلسلة.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠٠٣٦ / ٢٠٠٧

I.S.B.N 977- 419-952-9

ديوى ٨٢٣

توطئة

تعتبر القراءة منذ فجر التاريخ أول وأهم أدوات المعرفة، وعنصرًا لا غنى عنه من عناصر بناء الحضارة، فمنذ نقش حكيم مصرى قديم وصية لابنه على ورق البردى: «يا بنى ضع قلبك وراء كتبك، واحببها كما تحب أمك. فليس هناك شئ تعلو منزلته على الكتب»، ومذ أطلق د. طه حسين مقولته: «إن القراءة حق لكل إنسان، بل واجب محتوم على كل إنسان يريد أن يحيا حياة صالحة» ومذ كتب العقاد جملته الأسرة: «إنما أهوى القراءة؛ لأن عندي حياة واحدة فى هذه الدنيا، وحياة واحدة لا تكفينى»، ومذ قررت السيدة الفاضلة سوزان مبارك تحويل الحلم إلى واقع مؤكد منذ ستة عشر عاماً: «إن الحق فى المعرفة يتصدر أولويات العمل، ولا يقل عن الحقوق الصحية والاجتماعية»، ومسيرة القراءة للجميع تمضى بخطوات ثابتة وواسعة لتحقيق أهدافها فيلتف القراء حول أضخم مشروع نشر فى الوطن العربى، ويطالبون خلال السنوات السابقة باستمراره طوال العام، وها هو المشروع يقرر الاستمرار طوال العام بعد انتهاء فترة العطلة الصيفية ليتحقق شعاره بالفعل.. القراءة للحياة.

لقد استطاعت مكتبة الأسرة خلال مسيرتها تمكين الشاب والمواطن من الاطلاع على الأعمال الأدبية والإبداعية والدينية والفكرية، التى شكلت وجدانه وحضارته، وعملت على إشاعة الأفكار

التتويرية الحقيقية، التى عكست جهود التتوير للشعب المصرى فى العصر الحديث، وحرصت على تقديم أحدث الإنجازات العلمية بنشر أحدث مؤلفات العلماء التى تواكب التطور العلمى والتكنولوجيا فى العالم، وأقامت جسراً مع الحضارات الأخرى من خلال إعادة طبع كلاسيكيات ودرر العالم المترجمة، التى تعرض إنجازات الشعوب الأخرى فى المجالات الأدبية والفكرية والعلمية، وعملت على تأكيد الهوية القومية من خلال نشر التراث المستتير العربى والإسلامى، الذى مثل نقطة انطلاق مضيئة فى مسيرة الإنسانية.

لقد أعادت مكتبة الأسرة للكتاب أهميته ومكانته كمصدر مهم وخالد من مصادر المعرفة، وأحدثت عبر عطائها المتميز وبنائها الدعوب الحقيقى صحوه ثقافية بالمجتمع المصرى تؤكد لها المؤشرات العامة والأرقام، التى يتم رصدتها وتحليلها منذ بداية المشروع، فالأرقام تسجل ارتفاعاً ملحوظاً فى نصيب المواطن المصرى من القراءة، وإصدار ملايين النسخ من الكتب ونفادها الفورى من الأسواق، وازدياد العناوين المطروحة عاماً بعد عام.

لقد بلغت عناوين مكتبة الأسرة أكثر من ثلاثة آلاف وخمسمائة عنوان فيما يربو عن واحد وأربعين مليون نسخة، كنتاج فكرى وإبداعى لعدد من الكتاب والمترجمين والرسامين يزيد عن ألفى مبدع ومفكر.

وما زالت مكتبة الأسرة التى أصبح لها فى كل بيت ركن مميز تواصل تقديم إصداراتها للعام الرابع عشر على التوالى، كرافد رئيسى من روافد القراءة للجميع، وصرح شامخ فى المكتبة العربية، يفتح نوافذ جديدة كل يوم على آفاق تنشر الخير والمعرفة والجمال والحق والسلام.

مكتبة الأسرة

تقديم

«أمريكا» هى الرواية الأخيرة لفرانز كافكا، وهى الرواية المنقوصة، التى لم تكتمل، حيث انقطع كافكا عن كتابتها فظلت ناقصة، ونشرت بعد رحيله.

والرواية لم تكن تحمل عنواناً، وإن كان كافكا يشير إليها دائماً بأنها «الرواية الأمريكية» وتعد من أكثر إبداعاته تفاؤلاً، كما تمتاز ببساطة اللغة، وسهولة التركيبات، ووضوح الرؤية.

وقد استفاد كافكا فى روايته «أمريكا» من عشقه الخاص لكتب الرحلات والسير الذاتية والمذكرات الشخصية، هذا بالإضافة إلى رحلاته هو شخصياً لكثير من بقاع فرنسا وإيطاليا.

ولد فرانز كافكا فى براغ بالنمسا عام ١٨٨٣ وقد كان يعانى من صرامة والده فى طفولته بالإضافة إلى هزال واضح فى بدنه. حصل على درجة الدكتوراه فى القانون، والتحق بالعمل فى مؤسسة للتأمينات العمالية، وأصيب بالسل، لكنه كان يكتب باستشراف للمستقبل، حيث تنبأ بمجىء الدكتاتورية، التى سحقت «الفرد»، ودمرت آدميته.

وقد عاش عمره القصير «٤١ عاماً» كاتباً مغموراً، غير معروف إلا لعدد قليل من أصدقائه، وكان محبطاً لدرجة أنه أوصى أقرب أصدقائه بإعدام آثاره كلها، ولكنه نشرها بعد وفاته عام ١٩٢٤، فشكّلت هذه الآثار.. «المحاكمة»، «القضية»، «القصر»، «المسخ»، «أمريكا»، وعدد من القصص القصيرة، والرسائل واليوميات، ثورة في السرد العالمى وكانت بمثابة مدرسة لعدد كبير من الروائيين.

ترجم هذه الرواية إلى العربية، المترجم والأديب والفنان التشكيلى الدسوقي فهمى، الذى اهتم اهتماماً خاصاً بفرانز كافكا، حيث عكف على ترجمة آثاره الإبداعية كلها، ورسائله ويوميّاته.

ومكتبة الأسرة تحرص على تقديم روايته «أمريكا» ضمن إصداراتها هذا العام عن طبعتها الأولى الصادرة عام ١٩٧٠.

**** معرفتي ****

me3refaty.blogspot.com

المطشجي

عندما توقف كارل روسمان - وهو صبي بائس في السادسة عشرة -
- حملة أبواه على الرحيل الى أمريكا ، لأنه استجاب لاغراء خادمة ،
فانجبت منه طفلا - على ظهر الباخرة التي كانت تدخل ببطء ميناء
نيويورك ، بدا له كما لو كانت أشعة الشمس قد اضاءت فجأة تمثال
الحرية ، وعلى هذا فقد رآه في ضوء جديد ، مع أنه كان قد تطلع
اليه قبل وقت طويل . كانت الذراع القابضة على السيف ، قد ارتفعت
وكانها قد انفردت لتوها مرفوعة الى أعلى ، وكانت رياح الاعالي المنطلقة
تهب حول التمثال .

قال في نفسه : ما أشد ارتفاعه !

- بينما كان يقترب تدريجيا من الرصيف ، يدفعه حشد الحمالين
المتدافعين المتزايد ، لأن فكرة مغادرة الباخرة لم تكن بعد قد طرات
على باله .

وصاح به شاب كان قد تعرف عليه خلال الرحلة وهو يمر به .
« لا يبدو عليك الاهتمام كثيرا بأمر الهبوط الى الشاطئ ، اليس
كذلك ؟ » فاجابه كارل ضاحكا : « أوه ، اننى على أتم الاستعداد
لذلك ، ولما كان نشيطا ، ومنشرجا ، فقد رفع صندوقه الى كتفه ،
لكن ، بينما كانت عيناه تتعقبان ذلك الشخص ، وهو يتدافع ليشق
لنفسه طريقا الى الامام وسط الآخرين ويطوح في خفة بعكاز في يده ،
تذكر في فزع انه كان قد نسى مظلته أسفل ، في قاع الباخرة ، فأسرع
يرجو ذلك الشخص الذي يعرفه ، والذي لم يبد ارتياحا في الحقيقة
لتلبية رجائه بأن يسدى اليه جميلا بالانتظار دقيقة الى جوار الصندوق،
ثم ألقى نظرة أخرى على الزحام لكي يحسب حساب العودة ، وأسرع
بالذهاب .. وأسفل سطح الباخرة ، وجد آسفا ، ان ثمة سقالة ،
كانت قد مهدت على عجل ، للمرة الاولى طبقا لمعلوماته ، ربما للأسهام
في هبوط ذلك الحشد الهائل من المسافرين الى الشاطئ ، وكان عليه
أن يشق طريقه في جهد هابطا الدرجات الحلزونية التي لا نهاية لها ،
وعبر ممرات لاحصر لمنعطفتها ، وعبر حجرة خالية بها مائدة كتابة
عارية ، ولما كان قد مر بهذا الطريق مرة فقط از مرتين وسط حشود

الآخرين فى كلا المرتين ، شعر بضياعه تماما ، وبالحيرة تستولى عليه ، حينما لم يسعه التعرف على أحد ، ولم يعد يسمع سوى وقع الاقدام المتتابعة التى لا تهدأ ، وقع آلاف الاقدام فوقه ، وآلاف الاقدام بأبيه وقعها من بعد ، ويصله كأنه الانفاس الواهنة ، ثم الخفقات الاخسيرة للالات التى كانت قد توقفت فى النهاية ، غراح بلا وعى يدق على باب صغير كان قد تصادف وقوفه أمامه فى أثناء تجوله الذى طال فى قاع الباخرة وأجابه صوت من الداخل قائلا : « انه ليس مفقدا ! » ، ففتح كارل الباب فى ارتياح . ووجه اليه الرجل الضخم الجثة ، السؤال دون ان يكلف نفسه عناء النظر اليه : « لماذا كنت تطرق الباب كالمجنون ؟ » وخلال فتحة ما كان يتسرب ضوء النهار فى خفوت ، وكل ما كان قد تبقى بعد حاجة الادوار العليا ، كان غارقا فى ظلام تلك القمرة المتواضعة حيث كان ثمة سرير سفرى وخزانة ومقعد ، والرجل ، كانوا جميعا قد تكوموا معا ، وكانهم قد اختزنوا فى هذا المكان . قال كارل : « لقد ضللت طريقى ! » لم لاحظ في أثناء الرحلة ، ثم ان هذه الباخرة ضخمة الى حد مخيف ! فأجابه الرجل قائلا فى شيء من المفخر .

— « نعم ، انك محق فى هذا القول » ، بينما كان يعبث طوال الوقت بقفل صندوق سفرى صغير ، راح يضغط عليه بكلتا راحتيه على أمل ان يسمع صوت انفتاح القفل ، ثم استأنف حديثه قائلا : « لمأذا لاتدخل ؟ » انك لاترغب فى الوقوف مكانك هكذا خارج الحجرة ! » فقال كارل . « الا يزعجك وجودى ؟ »

— لماذا ، كيف يمكنك ان تزعجنى ؟

فسأله كارل رغبة فى المزيد من الاطمئنان : — هل انت المانى ؟ ذلك انه كان قد سمع عن الكثير من المخاطر التى يتعرض لها الوافدون الجدد الى أمريكا ، وخاصة تلك المتاعب التى يسببها الايرلنديون . . .

وأجابه الرجل قائلا : « نعم ، اننى كذلك ! » وظل كارل واقفا فى تردد ، ثم أمسك الرجل فجأة مقبض الباب ، ودفعه فانغلق فى حركة خاطفة ، دافعا كارل الى داخل القمرة .

قال : « اننى لا أحتمل النظرات التى يوجهها الى الآخرون من المرء . . ثم عاد الى مواصلة محاولاته لفتح الصندوق . « ان الناس لا يتوقفون عن المرور ، والتحديث فى داخل القمرة ، وهذا أكثر مما فى مقدور المرء ان يحتمله ! » فأجابه كارل قائلا « ولكن المرء قد خلا تماما . . كان يقف محصورا بطريقة مرهقة خلف حافة الفراش ، وقال الرجل « نعم . . خلا الان منهم ! » . . قال كارل فى نفسه :

« لكن « الان » هو ما نتحدث عنه ! ، من الصعب الحديث مع هذا الرجل ! »

قال له الرجل : « استلق فوق الفراش ، فيه متسع لك ، بدلا من المكان الضيق الذى تقف فيه ! زحف كارل الى الفراش فى جهد ، وضحك فى صوت مرتفع بعد محاولة القفز الاولى الفاشلة التى قام بها للاستقرار فوق الفراش ، ولكنه ما كاد يصبح فوقه حتى صاح .
« يا الهى .. لقد نسيت الصندوق تماما ! »

— لماذا .. اين هو ؟

— فوق .. على سطح الباخرة ، بحرسه شخص كنت قد تعرفت به ، ماهو اسمه ياترى مرة اخرى ؟ .. وأخرج بطاقة من بطاقات الزيارة من داخل جيب كانت امه قد خاطته له فى بطاقة معطفه لينتفع به فى رحلته . « باتربوم ، فرانز باتربوم ! »

— الا يمكنك ان تستغنى عن ذلك الصندوق ؟
— لا .. بالطبع !

— حسنا ، فلماذا اذن تركته فى يدى غريب ؟

— كنت قد نسيت مظلتي فى اسفل الباخرة ، فاندفعت مسرعا لاحضارها ولم ارغب فى سحب الصندوق معى .. و .. لقد ضللت طريقى فوق هذا كله !

— هل انت وحيد ، بلا اى شخص ليرعى شئونك ؟

— نعم وحيد تماما ! و .. لعلنى انضم الى هذا الرجل ، طرات الفكرة فجأة على راس كارل .

« اين عسانى ان اعثر على صديق طيب ؟ »

— و .. الان فقد فقدت الصندوق ايضا ، ولا مجال للذكر المظلة !
جلس الرجل أخيرا فوق المقعد ، وكانت مشكلة كارل قد جذبت اهتمامه فى نهاية الامر

— ولكنى اعتقد ان صندوقى لا يمكن ان يكون قد فقد !

فأجابه الرجل قائلا : « فى امكانك ان تعتقد ماشئت ! وراح يحك فى عنقه ، شعره القصير ، الكثيف ، الداكن .. على أن الاخلاق تختلف باختلاف كل ميناء جديد تدخله ، ففي هامبورج قد يقوم باتربوم الذى ذكرته بحراسة صندوقك ، بينما يبدو أنه هنا قد اختفى على الاغلب باختفاء الصندوق !

ورد كارل قائلا : يجب على اذن أن أعود الى سطح الباخرة فورا لاثبت من الامر ! ونهض ، وهو يتطلع حوله لبحث عن طريقه الى

خارج القمر . وأجابه الرجل قائلا وهو يدفعه بيده ، بينما كانت
يده الأخرى على صندوقه ، دفعة عنيفة ، سقط بسببها كارل مستلقيا
مرة أخرى على الفراش : يجب أن تبقى حيث أنت :
تساءل كارل فى حنق قائلا : ولماذا أبقي ؟

وأجابه الرجل قائلا : لانه لاجابة بك الى الذهاب ، كما اننى
سانصرف ايضا ، ويمكننا ان نمضى معا ، ان الصندوق قد سرق ،
وعلى هذا فلا حيلة لك الان فى استرداده ، وربما يكون الرجل قد
تركه حيث هو ، وفى هذه الحالة ، سنجدده فى مكانه بسهولة ، عندما
تفرغ الباخرة من المسافرين ، وينطبق الامر نفسه على مظلتك .
فساله كارل فى شك . وهل تعرف طريقك بسهولة فى ممرات الباخرة ؟
وبدت له فكرة احتمال العثور على حاجياته بسهولة فى حالة فراغ
الباخرة من ركابها ، فكرة مقنعة ، وان يكن ثمة خداع لعله ان يكون
خلف هذه الفكرة على نحو ما .

قال الرجل : وكيف لا اعرفه ، اننى عطشجى !

فصاح كارل فى اغتباط .

— انت عطشجى ، كما لو كان ذلك الامر قد فاق كل تصوراته ،
فنهض معتمدا على كوفه حتى يتمكن من تفحص الرجل اكثر عن قرب
— كانت توجد ثمة نافذة صغيرة فى مواجهة الحجرة التى كنت انام
فيها مع السلوفاك مباشرة ، وكان فى امكاننا ان ننظر من خلالها الى
غرفة الآلات !

فأجابه العطشجى قائلا : نعم .. ذلك هو المكان الذى كنت اعمل فيه !
وقال كارل متعبا تسلسل أفكاره . كان لدى دائما اهتمام بالآلات ،
وكان فى مقدورى ان اصير مهندسا ميكانيكيا فى وقت من الأوقات ،
هذا امر مؤكد .. فقط لو لم يكن على أن أرحل الى أمريكا !

— ولماذا كان يتحتم عليك أن ترحل الى أمريكا .

قال كارل : آه .. هذه الحكاية ! .. متخلصا من المسالة كلها

بطردها بيده ..

تطلع الى العطشجى بابتسامة ، كما لو كان يرجوه التجاوز عن
امتناعه عن البوح !

قال العطشجى : لابد من سبب لذلك فيما اعتقد ؟

لم يكن من السهل الفصل فيما اذا كان العطشجى يشجع كارل
بهذا القول على البوح ، او لا يشجعه .

قال كارل : يمكننى أن اصبح وقادا الان أنا أيضا ، فيستوى عند

والدى ووالدتى الحال الذى يؤول اليه امرى !
قال العطشجى . ان وظيفتى سوف تخلو !.. ولكى يؤكد ادراكه
لهذه الحقيقة ، دس يديه فى جيبى سرواله وطوح ساقيه فى داخل
سرواله الذى يكاد يشبه الجلد ، ومددهما فوق الفراش ، وكان على
كارل أن يتزحزح أكثر ناحية الحائط .

— هل ستفادر الباخرة ؟

— نعم .. لقد حصلنا اليوم على اجورنا !

— ولماذا تفادرها ، الا تحب هذا العمل ؟

— اوه .. ان الامور تجري على هواها ، ولا يتوقف الامر على حب
المرء لعمله ، او عدم حبه له ، الا انك محق تماما ، فلست احب هذا
العمل ، ولا اعتقد انك تفكر جديا فى العمل كوقاد ، الا انها الان الفرصة
المناسبة لك ، لو راق لك بالفعل ان تصبح وقادا ، ولهذا فاننى انصحك
الا تفعل ، فلو كنت ترغب فى دراسة الميكانيكا فى أوروبا ، فلمماذا
لا تدرسها هنا ؟ ان الجامعات الامريكية افضل كثيرا من جامعات أوروبا!
قال كارل : « يمكننى ان افعل ، لكننى لا اكاد املك شيئا من المال ،
لكى افكر فى الدراسة ، ولقد قرأت عن شخص ما كان يعمل طوال
النهار فى باخرة ، وكان يدرس فى اثناء الليل ، حتى صار طبيبا ، ثم
محافظا على ما اظن ، الا أن ذلك يحتاج الى كثير من المثابرة ، ألا يحتاج
الى المثابرة ؟ واخشى الا يكون لدى الاستعداد لتلك المثابرة خاصة اننى
لم اكن تلميذا مجدا ، ولم اجد عناء شديدا فى نفسى لانصرافى عن
الدراسة وربما كانت الدراسة هنا أكثر صعوبة .. فانا لا يمكننى أن
اتحدث الانجليزية مطلقا ، ومهما كان الامر ، فالناس هنا متعصبون
ضد الاجانب على ما اعتقد !

— « وعلى هذا فانت قد جئت أيضا على الرغم من هذا كله ، هل
الامر كذلك ؟ حسنا اذن ، اعتقد ان الامر كذلك تماما ، واعتقد انك
الشخص الذى أبحث عنه ، فانظر ، ان هذه الباخرة التى نحن عليها
الآن باخرة المانية ، وهى تابعة لخط « هامبورج — أمريكا » الملاحى ،
فلماذا لا يكون طاقم البحارة جميعا من الالمان ، اننى اتوجه اليك بهذا
السؤال ؟ ولماذا كان كبير المهندسين شخصا من رومانيا ، وهو رجل
يدعى شوبال ، من الصعب تصديق ذلك ، كلب مصاب بالحصبة مثله
يقودنا كالعبيد نحن الالمان الذين نعمل على باخرة المانية ، لاينبغى لك
أن تظن — وهنا خانته صوته ، فاشار بيديه — اننى اشكو لمجرد الرغبة
فى الشكوى ، اننى اعلم تماما أن لانفوذ لك ، وانك لست سوى فتى

بائسا أنت نفسك ، الا أن هذا الامر اكثر مما يمكن احتماله ! وهوى بقبضته عدة مرات على المائدة ، وعيناه لارتفعان عنها ، بينما كان يمضي في حديثه قائلا . « لقد عملت فوق العديد من هذه البواخر ، وذكر في الحال عشرين اسما ، الواحد منها بعد الآخر كما لو كانت جميعا اسما واحدا ، وقد اثار هذا ضيق كارل به للغاية .. » و .. لقد قمت بعمل على خير مايرام ، عليها جميعا ، وكنت ألتقى المديح ، واحظى بتقدير كل قبطان عملت تحت رئاسته ، ولقد كنت أقضى بالفعل فوق أى باخرة شحن من تلك البواخر عددا من السنوات ملتصقا بالباخرة كأننى جزء منها ، هذا ما فعلته ! » ثم نهض واقفا على قدميه ، كما لو كان قد فرغ من انجاز أهم عمل في حياته - وهنا فوق هذه « القصعة » حيث تجرى جميع الاعمال طبقا لقاعدة ثابتة ، ولا يضطرك الامر مطلقا الى استخدام ذكائك ، هنا لا يرضون عنى ، انا هنا شئ تحت اقدام شوبال ، وانا هنا متراخ يجب أن يلقى به خارجا ، ولا يحق له أن يتقاضى أجره ، هل يمكنك أن تفهم ذلك ؟ .. اننى لا افهمه ؟

قال كارل في تأثر : « الا يمكنك أن تتحمل ذلك ؟ » .. كان قد فقد تقريبا كل احساس بأنه مستقل في اعماق باخرة ما ، ترسو الى شاطئ قارة مجهولة ، وكان يقلب عليه الشعور بأنه في منزله هنا ، على فراش العطشجى ، « ألم تتح لك فرصة الالتقاء بالقبطان في مكان مامن هذه الباخرة ؟ ألم تطلب منه ان يتيح لك الحصول على حقه ؟

- « .. أوه .. اخرج من هنا ، هيا ، انصرف الى الخارج ، لا اريد أن أراك هنا ، انك لاتحسن الاستماع الى ما أقوله ، ثم .. توجه الى النصيحة ، كيف يمكننى الذهاب الى القبطان ؟ »

وجلس العطشجى ثانية فى تشاقل ، وأخفى وجهه بين راحتيه .

قال كارل لنفسه . « أليس فى امكانى أن اتقدم اليه بنصيحة افضل من تلك ! »

ثم دار فى رأسه أن افضل ما يمكنه أن يفعل هو الذهاب للبحث عن صندوقه ، بدلا من تقديم النصيحة التى لا تقابل الا على أنها غباء ، قال له والده عندما أعطاه الصندوق ، مازحا : « كم من الوقت يمكنك أن تظل محتفظا فيه بهذا الصندوق ؟ » .. والان ربما كان ذلك الصندوق العزيز قد فقد بالفعل ، كان عزاءه الوحيد الذى تبقى له هو أن أباه لم يكن يسهه أن يعلم بسهولة شيئا عن حالته الراهنة ، حتى لو حاول أن يتحرى عن ذلك . كل ما كان يمكن للبحارة أن يقولوه ، لا شئ سوى أنه قد وصل بسلام الى نيويورك ، الا أن كارل

قد شعر بالاسف عندما فكر فى انه لم يكد يستعمل بالمره ، جميع الاشياء التى كان الصندوق يحتويها ، فلقد كان عليه ، على سبيل المثال ، أن يغير القميص الذى يرتديه بقميص نظيف آخر منذ مدة طويلة ، ولكنه لم يفعل ، وهكذا ذهب كل تدبيره عبثا ، ولم يحدث ذلك سوى الآن ، فى بداية عهد الغربة ، حيث كان من الضرورى أن يظهر فى ملابس نظيفة ، كان مضطرا الى مواجهة الناس بالقميص القذر الذى يرتديه ، الا ان ضياع الصندوق لم يكن على هذه الدرجة من الخطورة ، ذلك ان البدلة التى كان يرتديها كانت بالفعل افضل كثيرا من تلك التى كان الصندوق يحتويها ، تلك البدلة التى كانت فى واقع الامر شيئا ينفعه فقط فى حالة الاضطرار ، كانت أمه قد أصلحتها على عجل قبل أن يرحل مباشرة ! ثم تذكر ان الصندوق كان يضم أيضا قطعة سالامى « لحم حمير » من فيرونيز ، كانت أمه قد زودته بها كأكلة شهية اضافية ، لم يكن قد أكل منها سوى قطعة ضئيلة ، لانه كان قد فقد شهيته تماما طوال الرحلة ، وكان الحساء الذى كانوا يقدمونه فى الباخرة لركاب الدفة ، يزيد عن حاجته ، لكنه كان يود الان لو كان السالامى فى متناول يده ، اذن لامكنه أن يهديه للعطشجى . ذلك لان أمثال هؤلاء الناس يهجمهم أن يهديهم الآخرون شيئا زهيدا ، كان كارل قد تعلم ذلك من والده الذى كان يدس السيجار فى جيوب صفار الموظفين الرسميين الذين كان يتعامل معهم ، فكان يكسبهم بهذا تماما . كل ما كان كارل يملكه الآن ليهدى منه ، لم يكن سوى نقوده ، ولم يكن يرغب فى أن يمسها فى هذه الآونة بالذات ، وخاصة بعد أن فقد صندوقه . . ثم تحولت افكاره ثانية الى الصندوق . . ولم يسعه أن يفهم لماذا كان حريصا على مراقبته ، مراقبة شديدة الى ذلك الحد طوال رحلته ، حتى أنه لم يكن يهنا بالنوم خوفا عليه ، كل هذا . . لكى يتركه يسرق منه فى النهاية ، بمثل هذه السهولة ، وتذكر الليالى الخمس التى قضاهما مركزا عينيه المرتابتين على فتى سلوفاكى كان سريره يقع الى اليسار ، بعد سريرين ، ذلك الفتى الذى كان يتحين الفرصة . . كان كارل واثقا من ذلك ، لكى يسطو على صندوقه ، كان ذلك الفتى السلوفاكى ينتظر فقط حتى يغلب النوم كارل ، فيستفرق فيه دقيقة واحدة ، وذلك لكى يتمكن من تدبير أمر السطو على الصندوق ، واخفائه بعيدا ، بسحبه بعضا طويلة مديبة ، كان دائما يلعب بها ، أو يتمرن عليها طوال النهار ، كانت البراءة تبدو فى اثناء النهار واضحة غاية الوضوح على وجه ذلك السلوفاكى ، ولكن

مايكاد الظلام يحل ، حتى يكثُر من النهوض في فراشه ليلقى نظرات مخبولة على صندوق كارل . لقد رأى كارل نظراته تلك في وضوح تام ، ويذكر أنه بين الحين والآخر كان أحدهم يشعل شمعة صغيرة ، مع أن ذلك كان ممنوعا حسب لائحة نظام الباخرة ، ومن ثم يحرق بقلق المهاجر في إحدى النشرات الفامضة الخاصة بواحدة من وكالات الهجرة ، فلو كانت إحدى تلك الشموع مشتعلة بالقرب منه ، لتمكن لكارل أن يغفو للحظات ، لكن لو كانت تلك الشمعة المشتعلة بعيدة عنه ، أو كان المكان مظلمًا تمامًا ، كان عليه أن يحتفظ بعينيه مفتوحتين على اتساعهما . لقد أنهكه الجهد الذي كبده آياه هذا العبء وربما كان ذلك كله قد ضاع الآن عبثًا ، آه لو أتيح له مرة أخرى أن يلتقي بياتربوم ذاك !

عندئذ ، ارتفعت ، على البعد ، في الصمت المخيم على الباخرة ، أصوات طرقات قصيرة خافتة ، شبيهة بوقع أقدام الاطفال ، وكانت تقترب ويزداد وقعها ارتفاعًا ، حتى بدت أقرب ما تكون الى وقع أقدام الرجال في أثناء سيرهم ، رجال في طابور ، وهو ما كانت تفرضه طبيعة الممر الضيق . . . و . . صوت اصطدام سواعد ، على ما يبدو ، كان من الممكن سماعه أيضًا ، فنهض كارل الذي كان على وشك أن يسترخى تمهيدا للنوم متخلصًا من كل همومه التي تتصل بالصناديق ، أو السلوفاك ، ولكز العطشجي بكوعه لكي ينبهه ، ذلك أن مقدمة الطابور كانت تبدو على وشك الوصول الى باب القمرة : قال العطشجي . « هذا هو طاقم الباخرة : لقد كانوا يلعبون هناك ، أعلى الباخرة ، ثم عادوا للتمام . . لقد خلت الباخرة الآن تمامًا ، ويمكننا أن نذهب نحن أيضًا ! هيا بنا ! » وأخذ كارل من يده وانتزع في اللحظة الأخيرة صورة للعدراء موضوعة في إطار ، من الحائط الذي يعلو الفراش ، ودسها في جيب سترته ، وأمسك صندوقه وغادر القمرة في صحبة كارل .

« اننى في طريقى الان للادارة ، لكى اوضح لهم رأى ، لقد ذهب كل الركاب ، ولا حاجة بى للتفكير فيما سوف أفعله ، ظل العطشجي يردد هذا القول ، مضيفا اليه بعض التعديلات في كل مرة ، وبينما كان يسير في طريقه ركل أحد جوانب الممر بقدمه نحو فار كان قد اعترض طريقه ، لكنه لم يفلح الا فى أن يدفعه الى الاسراع بالاخْتباء فى داخل جحره ، الذى كان قد بلفه فى اللحظة المناسبة ، كان بطيئًا فى جميع

أعماله ، ومع ان ساقيه كانتا طويلتين ، الا انها كانتا ممثلتين
ايضا للغاية .

واتخذاً طريقهما عبر جانب من المطبخ حيث كانت بعض الفتيات
اللاتى يرتدين مرايل بيضاء متسخة - كن قد الطبخها عمدا - يفسلن
أطباقا فى أحواض هائلة ، ونادى العطشجى فتاة تدعى « لينسا ،
وطوق خصرها بذراعه ، ولما قاومت أحضانه فى دلال ، جرها معه
جزءا من الطريق قائلا لها « انه يوم القبض ، ان تاتى معى ؟ فاجابته
قائلة . ولماذا اكلف نفسى مشقة الذهاب معك ، يمكنك ان تحضر لى
النقود هنا ! وعلى حين كانت تتلوى تحت ضغط ذراعه ، ثم تنطلق
مبتعدة على عجل . صاحت خلفه قائلة : من اين التقطت هذا الصبي
الجميل ؟ لكنها لم تكن تنتظر منه جوابا ، وكان فى وسعهما سماع
ضحكات الفتيات الاخريات ، اللاتى كن قد توقفن جميعا عن العمل .
وواصلتا سيرهما حتى بلغا بابا فوقه كورنيش صغير ، يركز على
عمدة رفيعة مذهبة ، منحوتة كلها على شكل جسم امرأة ، كانت
تبدو بمقارنتها الى باقى اجزاء الباخرة ، مفرطة فى الفخامة ، وأدرك
كارل أنه لم يسبق له المرور بهذا الجزء من الباخرة ، الذى ربما كان
مخصصا فى أثناء الرحلة لركاب الدرجتين الاولى والثانية .. لكن
الابواب التى كانت تفصله عن بقية اجزاء الباخرة ، كانت مفتوحة
جميعا الان على مصاريعها ، تمهيدا لعمليات تنظيف الباخرة ، حقا ،
لقد التقيا فى طريقهما ببعض الرجال الذين يحملون الكانيس فوق
اكتافهم ، وحيوا العطشجى ، وكان كارل مندهشا للحد الذى بلغه
نظام الباخرة ، ولم يكن قد لمح كراكب من ركاب المؤخرة سوى القليل
من مظاهر هذا النظام ، وكانت تمتد بطول الممرات اسلاك التركيبات
الكهربائية ، وكان ثمة جرس صغير يسمع رنينه من حين لآخر ..
قرع العطشجى الباب فى احترام ، وعندما صاح شخص ما قائلا
« ادخل » طلب فى وقاحة من كارل ان يدخل باشارة من يده ، فتقدم
كارل الى الداخل ، ولكنه ظل واقفا الى جوار الباب . وكان منظر
البحر يبدو من خلال النوافذ الثلاث التى كانت فى الغرفة . فدق قلبه
بصورة أسرع وهو يتطلع الى حركة الامواج المنعشة ، وكأنه لم يكن
يتطلع من قبل الى البحر بلا انقطاع على مدى أيام خمسة بطولها ،
كانت البواخر الهائلة تقطع خط سير بعضها البعض ، مستسلمة
لهجمات الامواج بالقدر الذى يسمح لها به ثقلها البالغ ، ولو ان المرء
ضيق حدقتى عينيه لبدت له هذه البواخر وكأنها تترنح تحت ثقل

وزنها . ومن صواربها كانت تتطاير رايات مستطيلة ضيقة ، وكانت على الرغم من توترها بسبب سرعة طيرانها ، ترفرف أحيانا وربما كان من الممكن سماع أصوات المدافع التي تنطلق فجأة دفعة واحدة من بعض البوارج الحربية . . وكانت تطلق للتحية ، ومرت سفينة حربية من نوع ما ، على مسافة غير بعيدة ، وكانت فوهات مدافعها تتألق بتأثير انعكاسات ضوء الشمس التي تسقط فوق الصلب ، وتبدو وكأنها مسنودة الى الامام بحركتها المطمئنة ، المناسبة ، مع أنها لم تكن تتحرك فوق احد الصنادل ، وكان من الممكن فقط رؤية مشهد من بعد للبواخر الاصفر حجما ، وللقوارب ، من مكان المرء عند الباب على الأقل ، وهى تندفع هناك فى جماعات خلال المسافات التى تفصل بين البواخر الهائلة ، وخلفها جميعا كانت تقوم نيويورك ، وناطحات سحابها تحرق فى كارل بمئات الآلاف من عيونها ، نعم ، فى هذا المكان كان فى وسع المرء أن يدرك أين هو !

كان ثلاثة من السادة يجلسون حول مائدة مستديرة ، احدهم كان ضابطا من ضباط الباخرة ، فى زى البحرية الأزرق اللون ، وكان الاخران اثنين من موظفى الميناء فى زى أمريكى اسود . . وكانت فوق المائدة اكوام من مختلف أنواع الاوراق ، انتهى الضابط أولا من فحصها ، وقلمه فى يده ، ملا بها حافظتى أوراقهما ، الا عندما كان الامر يلزمهم باتباع أسلوب أو آخر ، من أساليب الصرف الرسمى ، الذى كان يمليه أحدهما على زميله ، وهو يصدر أصواتا تشبه الفرقة بأسنانه ، طوال الوقت .

والى جوار النافذة الاولى كان يجلس شخص ضئيل الحجم الى منضدة ، وظهره للباب ، كان منشغلا بفحص بعض دفاتر الحسابات الضخمة التى كانت مصطفة فوق رف ضخى فى مستوى رأسه ، والى جواره كانت توجد خزانة حديدية مفتوحة ، كانت تبدو للوهلة الاولى على الأقل خاوية . وكانت النافذة الثانية خالية ، ويبدو من خلالها اكمل منظر للبحر ، لكن بالقرب من النافذة الثالثة كان يقف سيدان يتحدثان فى أصوات خافتة ، كان أحدهما مستندا الى النافذة ، وكان يرتدى زى الباخرة ، ويعبث بمقبض سيفه ، أما الرجل الذى كان الحديث موجها اليه ، فكان يعطى وجهه للنافذة ، ومن حين لآخر كانت تصدر حركة عن صف الزخرفة المفتوح فوق صدر محدثه . كان يرتدى الملابس المدنية ، ويحمل عصا رفيعة من أعواد البامبو ، كانت

تستند مع كلتا يديه على خاصرته ، على الرغم من وقفته المفرودة ،
كانه السيف .

لم يكن امام كارل متسع من الوقت لتفحص هذا كله ، ذلك لان
احد المساعدين قد تقدم نحوهما في الحال ووجه السؤال للعطشجي ،
بنظرة بدت كما لو كانت تبين له ، انه ليس ثمة ما يبرر وجوده الآن
هنا ، فما الذى يريده ، واجاب العطشجي باقصى مايمكنه من الرقة
التي تفوق الرقة التي وجه اليه بها السؤال ، انه يريد مخاطبة امين
حسابات الباخرة ، فاشار المساعد بيده اشارة تفيد الرفض ، لكنه
مضى على اطراف اصابعه في الوقت نفسه ، نحو الرجل الجالس الى
دفاتر الحسابات متفاديا الاقتراب من المائدة المستديرة ، بدورة طويلة
حولها ، وتجمد امين الحسابات تماما - وقد بدا ذلك واضحا - عند
سماعه كلمات المساعد ، لكنه دار في النهاية متجها نحو الرجل الذى
يرغب في التحدث اليه ودفعه بعيدا في عنف ، واقصى عنه المساعد
ايضا ، حتى يخلص نفسه تماما من الازعاج ، فتحرك المساعد حينئذ
بجانبه منسجبا متجها ثانية نحو العطشجي ، وقال في صوت لايفتقر
صاحبه الى نصيبه هو ايضا من الثقة بنفسه : - انصرف من هنا
فورا !

عند هذا الرد ، تحولت عينا العطشجي الى كارل ، كما لو كان
كارل هو قلبه الذى يفضى اليه بأساه . ودون ان يتوقف كارل لحظة
ليفكر فيما عساه ان يفعله دفع نفسه مباشرة عبر الحجرة ، مصطلما
بالفعل بأحد مقعدي الضابطين ، بينما راح المساعد يطارده ، ملوحا
بذراعيه المفرودتين كما لو كان يحاول الامساك بحشرة . ان كارل كان
قد سبقه الى بلوغ منضدة امين حسابات الباخرة التى تثبت بها في
عنف ، استعدادا لمحاولة المساعد ان يسجبه بعيدا عنها

واستيقظ انتباه كل من كانوا بالحجرة ، بالطبع ، في الحال ، قفز
الضابط الجالس الى المائدة واقفا على قدميه ، وتطلع موظفا الميناء
في هدوء ، ولكن بانتباه ، وتحرك السيدان اللذان يقفان امام النافذة
أكثر نحو بعضهما البعض ، اما المساعد الذى ادرك انه لم يعد من
شأنه الآن ان يتدخل ، بعد ان انتبه رؤساؤه الى الامر ، فقد تراجع
الى الخلف ، وظل العطشجي منتظرا عند الباب في توتر حتى تحين
اللحظة التى يطلب فيها منه ان يتدخل ، واستدار امين حسابات
الباخرة أخيرا دورة كاملة في مقعده

وانتزع كارل من داخل جيبه السرى الذى لم يكن يحفل بان يطلع

عليه هؤلاء الناس ، جواز سفره ، الذى فتحه ، ووضعه على المنضدة بدلا من اية محاولة اخرى لتقديم نفسه ، وبدا على امين حسابات الباخرة ، كما لو كان يظن أن جواز السفر غير صحيح ، ذلك لأنه قد دفعه جانبا فتناوله كارل عندئذ ودسه فى داخل جيبه ، كما لو كانت هذه الخطوة الاولى من الشكليات قد انتهت على ما يرام .

ثم شرع يقول : « هل تسمح لى بأن اقول ، أنه فى رأى قد حاق الظلم بصديقى العطشجى . هاهو شخص محدد استبد به شوبالفى هذه الباخرة ! ان له سجلا حافلا بالخدمة المرضية ، على عديد من البواخر ، فى امكانه ان يسرد اسماءها على مسامعك . . انه مثابر ، شغوف بعمله ، وانه لمن الصعب حقيقة أن يرى المرء لماذا على هذه الباخرة بالذات حيث لايتطلب العمل جهدا شاقا كما هو فى سفن الشحن مثلا ، لايلقى هذا الشخص سوى هذا الحظ القليل من الاهتمام . . لابد أنه محض افتراء ذلك السبب الذى ينتهى به الى تلك الحالة البائسة ويسلبه الاعتراف بالفضل الذى هو أهل له دون شك . لقد التزمت ، كما يمكنك أن ترى ذلك بنفسك ، بالاهتمام بالامور العامة ، وفى وسعه ان يعرض عليك شكاواه الصريحة بنفسه ! بهذا القول كان كارل قد خاطب السادة الحاضرين جميعا ، ذلك لأنهم فى الحقيقة ، كانوا يستمعون اليه ، ولأنه يبدو ، بعد هذا ، أنه بين كل هؤلاء على الأقل لابد من وجود شخص واحد عادل ، وفيما عدا ذلك الشخص الوحيد العادل ، يجب على امين حسابات الباخرة ان يكون عادلا ايضا ، واخفى كارل أيضا فى مراوغة حقيقة أنه لم يتعرف على العطشجى الا منذ تلك الفترة القصيرة فحسب . لكن كان فى مقدوره ان يلقي خطبة أفضل بكثير من خطبته تلك التى القاها ، لو لم يتشبث ذهنه بمواجهة ذلك الوجه الاحمر ، وجه الرجل الذى كان يمسك بالعصا البامبو ، والذى كان قد أصبح الآن فى مجال رؤيته للمرة الاولى .

كان هذا صحيحا ، كل كلمة مما قيل ! صرح العطشجى بذلك ، حتى قبل أن يسأله أى شخص عن رأيه ، ودون أن ينظر فى الحقيقة أى شخص اليه . ربما كان ذلك الحماس الزائد الذى أبداه ، خطأ شنيعا لو أن الرجل ذا الزخارف التى تنتشر على صدر ردايه ، كما بدا الآن على أنه القبطان بالطبع ، لم يكن قد وطن عزمه نهائيا ، على الاستماع الى حقيقة الامر . ذلك أنه فرد ذراعه ، وصاح فى العطشجى : « تعال هنا ، ! فى صوت قاس كالصخرة . فاصبح

كل شيء يعتمد الآن على سلوك العطشجي .. اما عن عدالة قضيته ، فلم يكن ثمة ظل من الشك يساور كارل في ذلك بحال من الاحوال . وظهر لحسن الحظ في هذه اللحظة ان العطشجي كان رجلا متمرسا بخبرة لا حد لها .

ففى هدوء يعد مثلا لرباطة الجاش سحب من داخل صندوقه ، في محاولته الاولى لفتحه ، حزمة صغيرة من الاوراق ، ومذكرة ، وتقدم بهما نحو القبطان ، كما لو كان ذلك أمرا متوقعا .. متجاهلا أمين حسابات الباخرة تماما ، ونشر مستنداته تلك على افريز النافذة . لم يكن يوجد امام أمين حسابات الباخرة ما يفعله ، فلم يجد بدا من ان يتقدم هو أيضا الى الامام وقال مفسرا : « ان هذا الرجل جعجاع خبيث ! انه يقضى في حجرة صرف الاجور ، وقتا اطول من الوقت الذى يقضيه في غرفة الآلات . لقد دفع هذا الشخص شوبال الهادى الى اليأس المذيق ، استمع الى ، وهنا استدرد الى العطشجي : « انك متشبث الى حد فظيع بدفع نفسك الى الامام . كم مرة من المرات طردت حتى الآن من حجرة صرف الاجور ؟ واعترف أيضا بوقاحتك في طلب اشياء لا حق لك في المطالبة بها بحال من الاحوال ؟ كم من المرات اندفعت مهرولا من حجرة صرف الاجور الى مكتب أمين حسابات الباخرة ؟ وكم من المرات قام الآخرون في صبر بتوضيح حقيقة ان شوبال هو رئيسك المباشر ، وانه هو الشخص الذى يتعين عليك ان تتعامل معه وحده ؟ والآن جئت ايضا الى هنا ، بينما القبطان حاضر هنا بنفسه ، لتزعجه ، بوقاحتك ، وكان ذلك كله لم يكن كافيا ، حتى تصطحب معك « لسان حال » ، ليشرح في طلاقة تلك التظلمات الملفة التى لقنتها له ، صبي لم يسبق لى ان رايته على هذه الباخرة من قبل مطلقا !

وتمالك كارل نفسه بقوة حتى لا يقفز مندفعاً الى الامام .
الا ان القبطان كان قد اشترك لحظتها في الحديث بهذه الملاحظة :
« من الافضل ان نستمع الى ما ينبغى على الرجل ان يواجه به نفسه ! ان شوبال قد اصبح في هذه الايام ، أضخم ، الى حد بعيد ، بالنسبة لفردتى حداته ! الا ان هذا لا يعنى ان اعتقد انك محق ، كانت الكلمات الاخيرة موجهة الى العطشجي ، كان طبيعيا الا يشترك القبطان في المناقشة منذ البداية ، الا ان كل شيء بدا وكأنه كان يسير في طريقه الصحيح . وبدأ العطشجي في تقرير حالته ، وتمالك نفسه منذ البداية حتى انه كان يطلق على شوبال « مستر شوبال » وشعر كارل

بالرضا الزائد ، بينما كان يقف بجوار منضدة أمين حسابات الباخرة الخاوية ، حتى أنه في غمرة اغتباطه راح يضغط على فتاحة الخطابات الى أسفل باصبعه ! لم يكن مستر شوبال عادلا ! مستر شوبال يفضل الاجانب ! أمر مستر شوبال العطشجي بمفادرة حجرة الآلات ، وأرغمه على تنظيف دورات المياه . وهي مهمة ليست من اختصاص العطشجي مطلقا ! وفي إحدى المرات كانت كفاءة « مستر شوبال » هي أيضا موضوعا للتساؤل لانه يبدو في صورة لا تتطابق مع حقيقة أمره . وعند هذا الحد ركز كارل نظراته على القبطان ، وحدث فيه في تبجيل وصين ، كما لو كانا زميلين حتى يمنعه من التحيز ضد العطشجي بسبب غلظة أسلوب الرجل في التعبير عن متاعبه . كما انه لم يد كذلك أن شيئا محددا قد تمخض عنه تدفق العطشجي في الايضاح . ومع أن القبطان ظل مستمرا في الانصات ، وهو مستغرق في أفكاره ، إلا أن عينيه كانتا تنمان عن قراره بالاستماع الى العطشجي هذه المرة الى النهاية ، وفقد باقى السادة صبرهم ، ولم يلبث صوت العطشجي أن غطى الحجرة ، فكان ذلك علامة تنذر بالسوء . وكان السيد الذى يرتدى الملابس المدنية ، هو اول من أفصح عن نفاذ صبره عندما راح يعبث بعصا البامبو ، ويقرع بها - ولو فى رقة - أرضية الحجرة .

وظل الآخرون يحدقون الى أعلى من حين لآخر ، لكن موظفى الميناء ، اللذين كانا يبدو عليهما الضيق لضياع وقتها ، اختطفأ أوراقهما ثانية ، وشرعا - ولو فى شرود الى حد ما - فى تفحصها ، أما ضابط الباخرة فقد استدار الى منضدته ، وصعد أمين حسابات الباخرة الذى ظن الآن أنه قد انتصر اليوم ، نهيدة عالية مفعمة بالاستهزاء ، ومن التشتت العام للاهتمام ، بدا أن المساعد كان هو الشخص الوحيد المحتفظ بصفائه . على نقضهم جميعا ، وهو الوحيد الذى تماطف الى حد ما مع ذلك الرجل البائس الذى لاقى الكثير ، وأوما مطرقا فى أسى نحو كارل ، كما لو كان يحاول تفسير أمر ما . بينما ، كانت الحياة فى الميناء خارج النوافذ تفيض فى طريقها . كان صندل للشحن محملا بجبل من البراميل ، التى لا بد كانت قد ربطت بصورة مثيرة للدهشة ، طالما انها لم تتدحرج . كان ذلك الصندل يفيض مبتعدا ، حاجبا ضوء النهار تماما ، وقوارب بخارية صغيرة . تمنى كارل لو اتيح له أن يتفحصها فى دقة ، لو سمح له الوقت بذلك ، كانت تنطلق مبتعدة كالمقذيفة ، لاقل حركة تبدر من

الرجل الواقف أمام العجلة . وهنا وهناك اشياء غريبة تمتاز في حرية مع حركة المياه التى لا تستقر . . اشياء كانت قد غاصت ثانية على العور ، وغمرت المياه أمام عينيه المدهوشتين ، وقوارب تابعة لخطوط عابرات المحيط كانت تجدف مبتعدة بجاراتها الذين يتصببون عرقا ، وكانت تمتلئ بالركاب الذين يجلسون فى صمت ، وترقب كما لو كانوا مرصوصين هنالك . غير ان بعضهم لم يكونوا يتوقفون عن تحريك رؤوسهم للتحديق فى المشهد المتغير . حركة بلا نهاية ، تنتقل من المعدن الذى لا يكل الى الادميين البؤساء ، ومشاغلمهم .

الا ان كل شيء كان يتطلب السرعة ، والوضوح ، والتقرير الدقيق ، وما الذى كان العطشجى يفعله ؟ لاشك انه كان مستمرا فى حديثه ، حتى لقد تصبب عرقا ، وكانت يداه ترتعشان بشدة ، حتى لم يعد فى استطاعته ان يمسك بالأوراق التى كان قد وضعها على حافة النافذة . ومن كل النقاط الفرعية كانت تنصب التظلمات التى تتناول شوبال . كانت تبدو كل منها فى ذاكرته كافية لاجبار شوبال على التسليم باستبداده وظلمه ، الا ان كل ماكان العطشجى قد تمكن من تقديمه الى القبطان ، لم يكن سوى خليط تمس ، كان كل شيء يحتشد فيه فى وقت معا ، وبلا مبرر . . وظل الرجل الذى يمسك بالعصا المصنوعة من البامبو ، فترة طويلة محدقا فى السقف بينما يصفر لنفسه ، واحتجز موظفا الميناء ، ضابط الباخرة على مائدتهما ، ولم يبد عليهما ما يدل على استعدادهما للسماح له مرة اخرى بالابتعاد . وكان أمين حسابات الباخرة قد كبت رغبته فى الصباح فقط نظرا لهدوء القبطان ، ووقف المساعد وقفة انتباه ، منتظرا فى كل لحظة ان يصدر القبطان أمرا يتعلق بالعطشجى

عند هذا الحد لم يتمكن كارل من أن يظل ساكنا ، ولهذا فقد تقدم متباطئا نحو الجمع ، وفى رأسه تجرى منطلقة فى سرعة ، كل الوسائل التى يمكنه بها أن يقبض فى براعة على زمام الأمر . كانت اللحظة ، لحظة حرجة دون شك . وكانت قد طالت بعض الشيء وربما طرد كلاهما فعلا خارج المكتب وربما كان القبطان رجلا طيبا ، وربما كانت لديه ايضا - أو هكذا بدا الامر لكارل - بعض الأسباب الخاصة التى تدفعه فى تلك اللحظة الى التظاهر بأنه سيد عادل ، لكنه قبل كل شيء قبطان لا مجرد أداة يلعب بها المرء فى طيش ، ولقد كان هذا بالضبط هو النحو الذى كان العطشجى يعامله على أساسه ، فى غمرة السخط الذى أنعم به قلبه

ولهذا قال كارل للعطشجي « يجب عليك ان تعرض الامور على نحو اكثر بساطة ، واكثر وضوحا ، ان القبطان لايمكنه ان يتخذ قرارا عادلا بناء على ماتلقيه عليه . كيف يتسنى له ان يعرف كل الميكانيكيين ، وصبيان الباخرة بأسمائهم ، فضلا عن ان يعرفهم بأسمائهم الاولى ؟ حتى تنتظر منه عندما تذكر له هذا وذاك ، ان يدرك على الفور من هم الذين تقصدهم ؟ رتب تظلماتك . واذكر أهمها أولا ، ثم بعد ذلك التي تليها في الاهمية ، ولعلك ترى انه من غير الضروري حتى ان تذكر معظمها . لقد سبق ان شرحتها لى دائما على نحو اكثر وضوحا ! » وفكر قائلا في نفسه ، على سبيل التبرير ، اذا امكن سرقة الصناديق في أمريكا ، فلا شك ان المرء يسهه ان يلقى بكذبة ، من حين لآخر ، بدوره هو ايضا !

لكن هل كانت ثمة فائدة قد اسفرت عنها نصيحته ؟ لعلها لم تكن قد جاءت بالفعل متاخرة كثيرا عن وقتها . لقد توقف العطشجي عن الكلام فورا ، عندما استمع الى الصوت الذى يالفه ، الا ان عينيه كانتا ممتلئتين بالدموع . . دموع كرامته المطعونة ، ودموع الذكرى ، وحزن الحاضر البالغ حتى انه قد تمكن بصعوبة من ان يتعرف على كارل ، فكيف يمكنه عند هذا الحد - تحقق كارل من هذا فو صمت ، وهو يواجه العطشجي الصامت أخيرا - ان يغير فجأة أسلوبه في الحديث ، عندما بدا واضحا له ، وقد قال كل مايمكنه قوله دون ان يستثير أدنى بادرة عطف ، وانه لم يكن فى الوقت نفسه قد قال شيئا على الاطلاق ، ولا يسهه ان يتوقع من هؤلاء السادة ان يستمعوا مرة أخرى الى كل ذلك اللغو ، وفى مثل هذه اللحظة كان على كارل نصيره الوحيد ان يقطع استرسال حريته بتلك النصيحة الطيبة المزعومة ، التى أوضحت ان كل شيء قد ضاع . . كل شيء !

قال كارل لنفسه : « لو اننى كنت قد تكلمت قبل ذلك بدلا من التطلع عبر النافذة ! » خافضا عينيه امام العطشجي ، ومدليا ذراعيه الى جانبيه كدليل على ان كل امل قد انتهى .

الا ان العطشجي أخطأ فهم هذه الحركة ، شاعرا بلا شك ان كارل كان يضر له نوعا من اللوم ! وفى رغبة صادقة فى ايضاح الحقيقة ، كلل العطشجي كل اخطائه الاخرى بالشروع فى مشاجرة مع كارل ، لحظتها عندما كان الرجال المجتمعون حول المائدة المستديرة قد بلغ بهم السخط مداه ، على تلك الثرثرة الفارغة التى كانت تعطل أعمالهم الهامة ، وعندما كان أمين حسابات الباخرة قد اخذ يتبين

شيئا فشيئا أن صبر القبطان ، قد أصبح امرا لا يمكن فهمه ، وعندما كان على وشك الانفجار ، وعندما كان المساعد قد تحول مرة أخرى بصورة نهائية الى صف سادته ، وراح يقيس العطشجي بنظرات وحشية ، وعندما كان الرجل الذى يمسك بالعصا المصنوعة من البامبو ، اخيرا ، ذلك الرجل الذى كان القبطان يرمقه بين الحين والآخر بنظرات ودية ، قد ضاق تماما بوجود العطشجي ، بل أصيب في الحقيقة بالقرف منه ، فأخرج مفكرة صغيرة ، وانشغل في وضوح بأفكار مختلفة تمام الاختلاف وهو ينظر في مفكرته أولا ، ثم يعود فيوجه نظراته نحو كارل .

قال كارل : « اننى اعرف ! » وكان يحاول بصعوبة أن يتفادى التيار الذى كان العطشجي يوجهه الآن نحوه ، الا انه تمكن من الاستنجاد بابتسامة ودية وجهها للعطشجي على الرغم من كل الشقاق الذى كان قد قام في نفسه .. انك على حق ، انك على حق ! اننى لم أشك في ذلك قط ! »

ولخوفه من أن ترتطم به يدا العطشجي اللتان كان يلوح له بهما ، كان كارل يود لو امكنه أن يمسك بهما ، وان كان الافضل أن يسحب الرجل الى أحد الأركان ، حتى يتمكن من أن يسر اليه بما قد يهدىء تأثيرته ويشجعه من الكلمات التى يجب ألا يسمعها الآخرون ، إلا أن العطشجي كان قد تخطى كل الحدود ، فشرع كارل بالفعل في التماس شيء من العزاء في فكرة . انه في مقدور العطشجي ، عند الاضطرار أن يواجه الرجال السبعة الذين تضمهم الحجرة بالعنف النابع من يأسه . لكن على المنضدة ، كانت هناك شبكة أجراس تمكن من رؤيتها بنظرة ، أجراس عديدة لا حصر لها ، كان مجرد الضغط عليها بيد واحدة ، كفيلا بأن يقيم الباخرة كلها ، وأن يأتى بكل الرجال العدوانيين الذين تمتلئ بهم ممراتها .

تقدم السيد الذى يمسك بالعصا المصنوعة من البامبو الآن ، على الرغم من التجائه الى التباعد لضججه البالغ ، نحو كارل ، وسأله بصوت ليس مرتفعا غاية الارتفاع ، ولكنه كان واضحا بدرجة كافية ، ومسموعا فوق ضجة هدير العطشجي : « بالمناسبة ماهو اسمك ؟ » في تلك اللحظة و .. كما لو كان شخص ما خلف الباب ينتظر توجيه هذا السؤال ، انبعثت طريقة على الباب ، فنظر المساعد عبر الحجرة الى القبطان ، وأوما القبطان ، وعلى هذا توجه المساعد نحو الباب وفتحه . كان يقف في الخارج رجل متوسط الحجم في معطف حربي

قديم ، لا يبدو عليه مطلقا ادنى صلة شبه بذلك النوع من الرجال الذين يتعاملون مع الآلات . ومع ذلك فقد كان هو شوبال . . فلو لم يكن كارل قد استنتج ذلك من تعبير الارتياح الذى اساء العيون جميعا ، حتى عيني القبطان ، فلاشك انه كان سيستنتجه من الرعب الذى سيطر على سلوك العطشجى الذى ضم قبضتيه على امتداد ذراعيه المفرودين فى حدة جعلت اطباقتهما ، تبدو اهم شىء على الاطلاق فى وجوده كله ، هاتان القبضتان اللتان كان على أتم الاستعداد لأن يضحي فى سبيلهما بأى شىء آخر فى الحياة . كانت قوته كلها مركزة فى قبضتيه ، بما فيها تلك القوة التى كانت تحمله على الوقوف منتصبا فوق قدميه .

وهكذا أصبح العدو هنا هو أيضا ، منتعشا ، ومبتهجا ، فى ملابس الشاطئ وتحت ذراعه دفتر ضخيم ، لعله ينطوى على تقرير عن ساعات العمل ، والاجور المستحقة للعطشجى ، وكان يتفحص فى جراحة وجوه الحاضرين جميعا ، وبدا كما لو كان اهتمامه الاول الذى يجب الاعتراف به فى صراحة هو : ان يكتشف فى اى جانب من جوانب الحجرة كانوا يقفون ! كان الرجال السبعة الذين تجمعهم الحجرة أصدقاءه بالفعل ، وعلى الرغم من أن القبطان كان قد أثار بعض الاعتراضات عليه قبل قليل ، أو أنه قد تظاهر بأنه يفعل ذلك ، لانه قد أحس بالأسف من أجل العطشجى ، فقد كان واضحا انه لا يجد ادنى اثر للخطا فى جانب شوبال . وان رجلا كالعطشجى ، لا يمكن أن يكون قد أهين بهذه الدرجة من القسوة ، ولو كان شوبال ليلام على شىء ، فقد كان هذا الشىء الذى يجب أن يلام عليه هو انه لم يكبح جماح العطشجى ، الميل للاعتراض دائما ، بصورة كافية طالما ان ذلك الشخص قد جرؤ على مواجهة القبطان فى نهاية الامر .

الا أنه من الممكن الاطمئنان الى أن مواجهة شوبال والعطشجى ستنتهى ، حتى ولو كانت على يد محكمة من البشر ، الى نفس النتيجة التى ترضاها العدالة السماوية ، طالما أن شوبال ، حتى ولو نجح فى التظاهر بالصلاح ، سينهار بسهولة ، فى نهاية الامر .

ان توهجا قصير الأمد لطبيعته الشريرة سوف يكشف عن طبيعته تلك لهؤلاء السادة ، وسوف يهد كارل لذلك . وان لديه بالفعل خبرة مباشرة واسعة بالمر ، وبالضعف ، وبطباع الشخصيات المختلفة التى تجمعها الحجرة ، وفى هذا المقام لن يكون الوقت الذى أنفقه بداخلها قد ضاع عبثا . لقد كان مما يؤسف له أن العطشجى كان

يفتقر افتقارا شديدا الى المهارة ، انه لا يبدو مطلقا اهلا للفعل الحاسم
فلو ان امرا دفع شوبال نحوه ، فلعلمه ان يشج جمجمة ذلك
الرجل ، الشائبة بقبضتيه . الا ان القدرة على تخطي الخطوتين
اللازميتين حتى يصبح شوبال في متناول يده . كانت فوق طاقته ،
فلماذا لم يتوقع كارل ، ما كان يبدو متوقعا على هذه الدرجة من
البساطة ، وهو ان شوبال كان سيظهر لا محالة ، حتى لو لم يكن
قد ظهر تلقائيا كما حدث ، فلا بد انه كان سيحضر بناء على طلب
القبطان ! فلماذا لم يدبر خطة محكمة للهجوم بالاشتراك مع
المطشجي ، بينما كانا في طريقهما الى هنا ، بدلا من السير في
سداجة ، ودون ادنى استعداد ، على نحو يبعث على الياس ! حتى
بلقا أحد الابواب « كما اتفق لهما ان فعلا ؟ فهل كان المطشجي قادرا
على ان يتفوه الآن بكلمة ، او الرد بنعم او لا ، كما يتحتم عليه ان يفعل
لو قدر له ان يستجوب الآن ، رغم ان الاستجواب — ولا جدال في
ذلك — كان امرا بعيد الامل في حدوثه ، اسرافا في التفاؤل ! ما هو
يقف هنالك ، ساقاه متخاذلتان ، وركبته مرتعدتان ، ورأسه ملقى
الى الخلف ، والهواء يتردد الى داخل وخارج فمه المفتوح ، كأنما
لا توجد للرجل رئتان تتحكمان في حركة الهواء .

كان كارل نفسه يشعر بمزيد من القوة ، وصفاء الذهن ، ربما
لم يسبق له ان احس بهما على هذا النحو في بيته مطلقا من قبل ،
فلو استطاع والده ووالدته فقط ان يرياه الآن ، مدافعا عن العدالة
في أرض غريبة امام رجال ذوى سلطة ، ومع انه لم ينتصر بعد ، الا
انه عازم في اقدام على ان يحوز النصر النهائي ! فهل يعيدان النظر في
فكرتهما عنه ؟ ويستبقياه الى جوارهما ، ويمجدانه ؟ انظر في عينيه
اخيرا ، اخيرا .. هاتان العينان المغممتان بالولاء لهما ؟ تساؤلات
مبهمة ، ولكن ليس الآن ، هو اوان طرحها .

— « لقد جئت الى هنا لأننى اعتقد ان هذا المطشجي قد اتهمنى
بالغش او بشئ من هذا القبيل . وقد اخبرتنى احدى فتيات المطبخ
بانها قد شاهدته يفعل ذلك ! ايها القبطان وانتم جميعا ايها السادة ،
انى على اتم الاستعداد لتقديم الالباتات التى تدحض ايا من هذه
الاتهامات . ولو شئتم ان اقدم لكم شهادات الشهود غير المنحازين ،
الذين لا تشوب نزاهتهم الشوائب ، هؤلاء الشهود الذين يقفون في
انتظار سماع شهادتهم الآن امام باب هذه الحجرة ! ،
كان هذا هو التقرير الذى تقدم به شوبال ، وقد كان للحق تقريرا ،

واضحاً جريئاً و .. ربما خيل للمرء من التعبيرات التى تبدلت على وجوه المستمعين انهم قد استمعوا لأول مرة بعد انقطاع فترة طويلة سادها الصمت الى صوت بشرى حقاً . ولاشك انهم لم ينتبهوا الى الفجوات التى كان من السهل ان يتبينها المرء فى تلك الخطبة الرائعة . لماذا مثلاً . كانت الكلمة الاولى ، المناسبة التى تهيات له هى « الغش » ؟ فهل حدث ان اتهمه احد بذلك ؟ لعله استبدل بها كلمة : التحامل على جنسية من الجنسيات ؟ كانت احدى فتيات المطبخ قد شاهدت العطشجى وهو يمضى فى طريقه الى الادارة ، فتكهن شوبال على الفور بما يعنيه ذلك ! ، فهل كان احساسه بالذنب هو الذى شحذ ادراكه ؟ ثم انه قد جمع الشهود فوراً ، ألم يفعل ذلك ؟ ومن ثم يتحول فيصفهم بأنهم غير منحازين ، ويصفهم كذلك بالنزاهة ، ربما لكى ينتفع هو بهذه الصفات ! احتيال ! ولا شئ سوى محض احتيال ! ولم ينخدع هؤلاء السادة جميعاً بذلك فقط ، بل لقد صادفت فعلته استحسانهم ايضاً !

ثم .. لماذا تعمد التأخير ، هذه الفترة الطويلة التى انقضت بين وشاية فتاة المطبخ ، وموعد حضوره الى هنا . لقد تأخر فى المجئ حتى يترك الفرصة الكافية للعطشجى حتى يرهق السادة ، وحتى يكون عزمهم على الحكم الواضح قد تبدد ! هذا الحكم الواضح الذى كان شوبال يخشاه قبل ان شئ غيره ! كما انه قد انتظر أمام الباب فترة طويلة ، لاشك فى انه قد فعل ذلك ، فهل كان قد تعمد عدم الطرق على الباب ، حتى سمع السؤال العارض الذى وجهه السيد الذى يمسك عصا البامبو . هذا السؤال الذى استند اليه . على أمل ان يكون العطشجى قد فرغ بالفعل من مهمته ؟

كان كل شئ واضحاً الآن وضوحاً كافياً ، كما ان تصرف شوبال العفوى كان يؤكد ، لكن لابد من توضيح ذلك لهؤلاء السادة بوسائل أخرى أشد فعالية . يجب ان يهتزوا فى عنف ، فاسرع اذن الآن ياكارل ، واستغل كل دقيقة تبقت أمامك ، قبل ان يشرع الشهود فى دخول الحجر ، ويقلبوا القضية بأكملها راساً على عقب !

الا ان الثقبطان كان قد اشاح فى تلك اللحظة نفسها لشوبال بيده . طالباً منه ان ينصرف ، فانتحى جانباً من فوره - وقد رأى ان تدبيره قد تأجل على ما يبدو لوقت ما - وهرع اليه المساعد ، حيث راحا يتبادلان معا حديثاً هامساً ، يتضمن نظرات جانبية عديدة موجهة نحو العطشجى و كارل . بالاضافة الى حركات واشارات لها مغزاها .

كان يبدو على شوبال ، وكأنه كان يرتب في ذهنه خطبته الرائعة القادمة !
وفي الصمت الذى ران على الحجرة ، قال القبطان ، موجها حديثه
الى السيد الذى يمسك بعضا البابو في يده : « هل ترغب في أن توجه
سؤالا ما الى هذا الصبى ، يامستر جيكون ؟ » .

فاجاب الآخر ، بانحناء خفيفة ردا على مجاملة القبطان ، ثم عاد
ثانية ، فسأل كارل : « ماهو اسمك ؟ »

فاجابه كارل الذى ظن ان مهمته الاساسية يمكن ان تتم بصورة
افضل ، لو حاز رضا ذلك الشخص الذى يلح بتساؤله .. اجابه
مسرعا ، فى اقتضاب ، دون أن يحاول تقديم نفسه - على عادته -
بواسطة جواز سفره ، الذى كان عليه أن ينتزعه ثانية من داخل جيبه :
- كارل روسمان !

- حقا !

قالها السيد الذى دعى باسم جيكون متراجعا . بابتسامة مرتابة
وكذلك ابتسم القبطان . وأمين الباخرة والضابط . وحتى المساعد
ابتسم هو أيضا ، وعلت الدهشة البالغة وجوههم جميعا عند سماعهم
اسم « كارل » كان موظفا الميناء وحدهما ، وشوبال هم الذين ظلوا
دون مبالاة .

وعاد مستر « جيكون » مرة أخرى فقال : « حقا ؟ وهو يتقدم
نحو كارل بخطوات جامدة » اذن فانا خالك جيكون ، وانت ..
ابن أختي العزيز ! لقد كنت مشتبهها في ذلك وطال الوقت ! » ، وجه
جملته الأخيرة للقبطان قبل أن يحتضن كارل الذى استسلم له في
ذهول ، وهو يقبله .

وعندما تخلص كارل من عناق خاله ساله فى لطف .. لكن فى برود
شديد محاولا بغاية ما يمكنه أن يحسب النتائج التى قد تتمخص عنها
هذه التطورات الجديدة لصالح العطشجى ، قائلا « وما عسى أن يكون
اسمك ؟ »

لم يكن ثمة ما يحتاج الى توضيح ان شوبال لم يكن يسمه فى هذه
اللحظة أن يخرج من هذا الموقف بأى شيء فى صالحه

ورد القبطان ، الذى اعتقد أن مستر جيكون قد شعر بالاهانة
لسؤال كارل ، لانه كان قد تراجع فى اتجاه النافذة ، لا شك لكى
يخفى عن الآخرين اضطرابه ، وانفعالات وجهه الذى كان يرتب عليه
بمئذيل فى يده قائلا : « ألا تدرك حظك السعيد أيها الشاب .. انه
السناتور ادوارد جيكون ، ذلك الذى صرح الآن بأنه خالك ، ان

امامك الآن مستقبلا مشرقا على عكس كل ما كنت تتوقعه من قبل ،
ويمكننى ان انبهك الى ان تحاول ادراك معنى ذلك ، وتمالك نفسك !
ورد كارل مستديرا نحو القبطان بقوله : « ان لى بالفعل خالا يدعى
جيكوب فى امريكا ، لكننى اعتقد - لو كنت على صواب - ان «جيكوب»
هو كنية هذا السيد فحسب ! »

فأجابه القبطان فى تشجيع « اجل ان الامر كذلك ! »
- « حسنا .. اذن فان اسم جيكوب الذى يطلق على خالى جيكوب ،
الذى هو شقيق والدتى هو اسمه الاول ، وكنيته لا بد بالطبع ان تكون
هى نفس كنية والدتى ، التى كان اسمها وهى بعد فتاة هو
« بنديلمير » !

صالح السناتور ، وهو يخطو الى الامام لكى يرد على كارل مبتهجا
الآن غاية الابتهاج ، بعد انسحابه الى النافذة حتى يستعيد هدوءه ،
وضحك الجميع قليلا لصيحته ، فيما عدا موظفى الميناء .. ضحك
بعضهم تأثرا وضحك الباقون لاسباب مبهمة .. صاح قائلا « ايها
السادة ! »

وفكر كارل قائلا لنفسه : « الا ان ماقلته لم يكن بالغ الحمق ! »
وعاد السناتور يقول : « ايها السادة ، لقد شاركتمونى رغما عن
ارادتى ، وعن ارادتكم فى هذا المشهد العائلى القصير وعلى هذا فلا
يسعنى سوى ان اقدم لكم تفسيراً له ، طالما ان احدا هنا ، فيما يخيل
لى - سوى القبطان - واعقبت هذه الاشارة ، انحناء متبادلة -
لا يكاد يعرف شيئا عن تفاصيل هذا الامر !

قال كارل لنفسه : « على ان انصت الآن الى كل كلمة ، وسره بنظرة
من فوق كتفه ، ان يجد ان النشاط قد عاد مرة اخرى فدب فى كيان
العطشجى .

- بسبب السنوات الطويلة التى قضيتها فى غربتى بامريكا - ولو
ان لفظ « الغربة » ليس هو مطلقا اللفظ المناسب ، الذى يجدر
بمواطن امريكى ان يستخدمه .. وانا اعد نفسى مواطنا امريكيا من
اعماق قلبى - بسبب كل تلك السنوات الطوال ، كنت قد امضيت
حياتى كلها تقريبا ، منقطع الصلة تماما بأقاربى فى اوروبا ، لاسباب
لا يعيننا ذكرها هنا من ناحية ولانه يؤلمنى مجرد ذكرها فى الحقيقة
اشد الالم من ناحية اخرى ، واننى اخشى بالفعل اللحظة التى قد
اجدنى فيها مرغما على شرحها لابن اختى العزيز ، ذلك لانها تتضمن
انتقادات صريحة أبداها والداه وأصدقائهما . انتقادات أخشى ألا

اتمكن من تجنب ذكرها له
قال كارل لنفسه . وهو يستمع اليه باهتمام : « انه خالى لا شك
فى ذلك ، وربما كان قد قام بتغيير اسمه ! »
« والآن لقد طرد ابن اختى العزيز ببساطة - ولما كان يجب علينا
ان نسمى الجاروف جاروفا ، فأننى اقول ان والديه قد قاما بطرده ،
طردها كما يمكنكم ان تطردوا قطرة الى خارج مسكنكم ، لأنها تسبب
لكم ازعاجا ما ، ولا توجد لدى مطلقا أدنى رغبة فى التهوين من شأن
ما أتاه ابن اختى حتى يستحق هذا العقاب ، الا أن خطيئته هى من
قبيل تلك الخطايا التى لا يحتاج الصفح عنها سوى مجرد اعلانها ،

قال كارل فى نفسه : « قول لا بأس به ، هذا الذى قاله .. لكن
ارجو الا يتعرض لسرد الحكاية كاملة ، وعلى كل حال ، فليس فى
استطاعته ان يعلم عنها الكثير ، ومن اين له ان يعلم ؟ »
وواصل الخال جيكون حديثه ، وهو يتطوح فى رفق ، مستندا
الى عصا البامبو التى كانت توشك ان تتقوس امامه ، وقد نجحت
هذه الحركة فى التخفيف من حدة التزمتم الذى لا معنى له ، والذى
كان - فيما عدا استناده الى عصا البامبو - قد طبع هيئته تماما
بطابعه قائلا :

- ذلك أن طبخة هى « يوهانا برومر » امرأة فى نحو الخامسة
والثلاثين من عمرها ، قد أفسدته و .. انا لا أقصد ان اتسبب فى
اثارة غضب ابن اختى باستخدامى لكلمة « الفساد » الا أنه من
الصعب ان يجد المرء كلمة أخرى مناسبة تعادلها

ادار كارل الذى كان قد تقدم حتى وقف ملاصقا لخاله ، ادار
رأسه حوله ليرى اثر هذه القصة على وجوه الحاضرين . لم يضحك
واحد من الموجودين ، كان الجميع يستمعون فى أناة واحتشام !
لا يمكن على كل حال ، ان يضحك المرء على ابن اخت سانتور ، فى
اول فرصة سانحة !

كان العطشجى قد ابتسم لكارل على نحو ما ، ولو فى وهن بالغ ،
الا أن ابتسامته تلك ، كانت كافية ، كدليل على انتعاشه من ناحية ،
وعلى أنه قد صفح عنه من ناحية أخرى .. ذلك ان كارل كان قد
حاول ، حينما كان يستلقى فوق سرير العطشجى ان يجعل من هذه
الحكاية نفسها ، التى أصبحت الآن حكاية ذائعة ، سرا منيعا !
واستأنف الخال جيكون حديثه قائلا : « ولقد أنجبت بعد ذلك

من تدعى « برومر » هذه طفلا من ابن اختى ، صبي يتمتع بصحة جيدة عمدته باسم « جيكون » وواضح انها اطلقت هذا الاسم عليه ، تيمنا بشخصى المتواضع ، ذلك ان حديث ابن اختى اليها ، الذى كان يشير فيه الى من وقت لآخر ، كان قد ترك اثرا عميقا فى نفس تلك المرأة ، و .. اسمحوالى بان اضيف ان هذا كان من حسن الطالع .. اما والدا الصبي ، فانهما لكى يتخلصا من النفقة ، ويتجنبا الفضيحة - وينبغى على ان اقر باننى اجهل جهلا تاما طبيعة القوانين التى يسرى تطبيقها فى هذا الخصوص ، واجهل كل الملابس التفصيلية وظروف هذه الحالة - اقول اذن انهما لكى يتجنبا الفضيحة ، ويتخلصا من دفع النفقة . قاما بطرد ابنيهما - ابن اختى العزيز - وأرغماه على الرحيل الى امريكا ، دون ان يكون مستعدا - ويا للعار - لمواجهة اعباء تلك الرحلة .. وهذا ما يسعكم ان تلمسوه بانفسكم !

فما عسى ان يكون الحال الذى كان سينتهى اليه مصيره ، لو لم ترسل الى تلك المرأة هذا الخطاب الذى وصلنى فى النهاية ، بعد أن تأخر طويلا ، امس الاول ، وسردت لى فيه القصة كاملة ، وكذلك اوصاف ابن اختى ، وفى حكمة بالغة ، اسم الباخرة التى رحل عليها ايضا ! فلو كان لى ان اشرع فى تسليطكم ايها السادة ، فلعلنى اقرا عليكم بضع فقرات قصيرة مما جاء فى هذا الخطاب ، ثم جذب ورقتين كبيرتين من اوراق الخطابات مملكتين بالكتابة فى خط دقيق ، ونشرها امامهم :

- « ولست اشك فى انكم ستهتمون بالانصات اليها ، ذلك أن هذا الخطاب قد كتب بأسلوب ينطوى على شئ من الدهاء المتعمد ، الساذج ، ويشيع فيه الاهتمام البالغ الذى ينم عن الحب - لوالد الطفل - الا اننى لا انوى ان امضى فى قراءة اكثر مما يلزمنى فى توضيحى لحقيقة الحال ، وحتى لا اخرج مشاعر ابن اختى منذ بداية لقائى به ، مشاعره تلك المرفهة لا تزال بلا شك ، ويمكنه ان يقرأ ذلك الخطاب لمعلوماته الخاصة فيما بعد على انفراد فى الحجرة التى تم اعدادها الآن ، فى انتظاره

الا أن كارل لم يكن يكن أية مشاعر ليوهانا برومر ، وتذكرها ثانية وهو يعود بذاكرته الى الماضى الذى تلاشى الآن .. تذكرها وهى تجلس فى مطبخها الى جوار منضدة المطبخ تعتمد بكوعها على سطحها .. كانت تتطلع اليه كلما دخل المطبخ لكى يملأ كوبا من الماء لوالده ، أو يقوم باداء طلب لوالدته . وكانت هى تجلس احيانا بلا مبالاة الى أحد

جوانب المنضدة تكتب خطابا ، او ترسم ملامح وجه كارل من مخيلتها ،
وفي احيان اخرى كانت تجلس وهي تخفى وجهها بيدها ولا تكاد تمي
شيئا مما يقال لها .. و .. كانت تركع في احيان اخرى داخل حجرتها
الضيقة الملاصقة للمطبخ مستغرقة في الابتهاال امام صليب خشبي ،
وكان كارل يشعر بالحجل عندما كان يمر بها ، أو يلحقها من خلال
فتحة الباب الموروب . و .. كانت تحدث ضوضاء مزعجة أحيانا
بداخل المطبخ . و .. تتراجع وهي تضحك كالمنبوذة ، عندما كان
كارل يقترب منها ، وفي مرات .. كانت تفلق باب المطبخ في اثر دخول
كارل وتقبض بيدها على اكرة الباب ، ولا تسمح له بالخروج حتى
يظل يتوسل اليها طالبا منها أن تسمح له بالخروج وفي اوقات اخرى
كانت تحضر له اشياء لم يكن في حاجة اليها وتدسها في يده .. في
صمت . وذات مرة نادته قائلة : «كارل» وبينما كان يقف متحيرا
في امر هذه اللفة المفاجئة ، سحبته الى غرفتها .. وكانت تنتهد ،
وتزم - في قلق - ملامح وجهها ، ثم .. أغلقت الباب خلفه ، وطوقت
عنقه بذراعيها في عنف ، حتى لاوشك على الاختناق ، وحينما كانت
تسأله ان كان عليها أن تخلع ثيابها ، كانت قد خلعت ملابسه هو بالفعل
بديها ، وأرقدته في فراشها ، كما لو كانت قد عزمت على الاتركه
لاى مخلوق آخر ، و .. علم ان تحنوعليه ، وتدلله .. الى الابد .. ثم
صاحت قائلة : «كارل .. كارل ياعزيزى.» ، وبدت عيناها وكأنهما قد
أوشكتا على افتراسه ، بينما لم تثبت عيناه على أى شىء مطلقا وكان يشعر
بالضيق ، وهو غارق في كومة الملابس التى بدا وكأنها كانت قد كومتها من
أجله هو وحده .. ثم استلقت الى جواره ، وطلبت اليه ان يسر لها
شئ ، لكنه لم يستطع ان يقول لها شيئا ، فتظاهرت بالغضب ، سواء
كان ذلك على سبيل المزاح ، أو انها كانت قد غضبت منه بالفعل ،
وراحت تهزه ، وتسمع الى دقات قلبه .. وادنت صدرها منه حتى
يتمكن من الاستماع بدوره الى خفقات قلبها ايضا ، الا أنها لم تنجح
في ان تحمله على الاستماع الى أى شئ ، ثم .. ضغلت بطنها العارية
الى جسده ، وتحسست ساقيه بأصابعها بصورة مقززة ، حتى لقد
حاول أن ينهض رافعا رأسه وعنقه عن الوسائد .. ثم ضغلت جسدها
الى جسده .. بدت كما لو كانت قد أصبحت جزءا منه ، وربما لهذا
كان قد تملكه شعور جارف بالحنين ، و .. عاد أخيرا الى فراشه ،
ودموعه تنهمر فوق خديه ، بعد محاولات متعددة قامت بها ، لتعود
به مرة اخرى الى داخل حجرتها .. و .. كان هذا هو كل ما حدث .

الا ان خاله قد استطاع ان يحيل ذلك الحادث الى اسطورة ، و ..
يبدو ان الطباخة كانت مشغولة تماما به ، وانها اخبرت خاله بوصوله،
ولقد كان هذا خير ما قامت به في سبيله ، وسوف يبحث هذا الامر
فيما بعد ، لو أمكنه ان يفعل ..

و .. صاح السناتور : - و .. الآن .. ارجو ان تخبرني بصراحة ،
عما اذا كنت خالك أم لا ..

فأجابه كارل وهو يقبل يده ويتلقى منه قبلة فوق حاجبيه قائلا -
انت خالى واننى فى غاية السعادة لعثورى عليك ، غير أنك تكون مخطئا
لو اعتقدت ان والدى ووالدتى يتحدثان عنك بالسوء وعلى اية حال
فلقد وصلتك نقاط عديدة مغلوطة فى ثنايا القصة التى بلغتك ، واعنى
ان الامر لم يحدث فى الواقع بتفاصيله كلها على ذلك النحو ،
الا انك لا تتوقع بالطبع ان تدرك على نحو بالغ الدقة امورا تجرى فى
مكان بعيد كل هذا البعد ولا يخيّل لى ان ضررا ما من الممكن ان يصيب
هؤلاء السادة اذا اتفق لهم ان استمعوا الى بعض التفاصيل الخاطئة
التى تتناثر فى ثنايا حدث لا يهمهم فى شيء !

قال السناتور - « حديث رائع » وقاد كارل نحو القبطان الذى
أبدى له عطفه فى وضوح وسأله - اليس ابن اختى رائعا .

قال القبطان - « اننى سعيد غاية السعادة » وانحنى انحناء نمت
عن دقة تدريبه العسكرى .. « بالالتقاء بابن أختك يا سيدي
السناتور ، ولقد حظيت باخرتى بشرف الاستئثار بهذا المشهد الذى
انتهى « بجمع الشمل » وتم فى داخلها الا ان الرحلة فى ذلك الجزء
الخلفى من الباخرة لم تكن رحلة طيبة بالمرّة ذلك لان مختلف أنواع
الناس بالطبع يسافرون فى ذلك المكان ونحن نبذل أقصى جهد يسعنا
ان نبذله لتوفير الراحة الممكنة لركاب هذا الجانب من الباخرة ، بصورة
تفضل كثيرا ، ما توفره الخطوط البحرية الأمريكية من
الراحة لمثل هؤلاء المسافرين .. اما عن تحويل السفر فى هذا الجزء
من باخرتنا الى متعة خالصة فشيء لم يسعنا بعد ان نحققه

قال كارل - « لم يسبب لى هذا المكان أى ضرر »

وكرر السناتور قوله ضاحكا بصوت مرتفع .. لم يسبب له هذا
المكان أى ضرر .

واكمل كارل قائلا - .. فيما عدا اننى اخشى ان اكون قد فقدت
صندوقى ، وبذلك تذكر كل مامر به وما تبقى امامه ليفعله .. وتطلع
حوله فرأى الآخرين ما زالوا يقفون فى أماكنهم صامتين تغلبهم الدهشة

وتنم نظراتهم عن التبجيل واعينهم مثبتة عليه ... موظفا الميناء وحدهما لقسوتهما ووجهيهما اللذين يقطران اعتزازا واضحا بالنفس هما اللذان اظهرا شيئا من الأسف لحضورهما في هذا الوقت غير المناسب ، وربما كانت الساعة التي استقرت امامهما على المائدة ، اكثر اهمية بالنسبة اليهما من أى شيء آخر حدث في هذه الحجرة ، او قد يحدث .

وكان اول من عبر عن شعوره بعد القبطان - وهو امر غريب - هو العطشجى ، الذى قال .. - اننى اهنتك قلبيا .. وشد على يد كارل ووشت حركته تلك ، بشيء من الاعتراف بالفضل ، لكنه عندما توجه الى السناتور بنفس كلماته التى وجهها الى كارل ، انسحب السناتور متراجعا الى الخلف ، كما لو كان العطشجى قد بالغ في تجاوز حدوده ، فعدل العطشجى في الحال عن نيته .

وادرك الآخرون الذين كانوا قد شهدوا الآن ما انتهى اليه الحال ، واجبههم فتجمعوا حول كارل والسناتور في حلقة صاخبة .. وهكذا قدر لكارل أن يتلقى بالفعل تهاني شوبال ، وتقبلها ، وشكره على مشاعره . وكان آخر المهنئين هما موظفا الميناء ، اللذان قالوا كلمتين لا اكثر بالانجليزية ، كان لهما تأثير يبعث على الضحك ..

واحس السناتور برغبته في ارتشاف آخر قطرة من المتعة التى اتاحها له الموقف ، فشرع فى تنشيط ذهنه واذهان الآخرين بالاسباب فى ذكر التفاصيل الثانوية التى تتعلق بالحادث ولم تقابل هذه التفاصيل بأى نوع من أنواع الضجر ، بل قوبلت بالطبع من الجميع بقدر كبير من الاستحسان والاهتمام وعلى هذا فقد ذكر لهم أنه كان قد خط فى مفكرته - حتى يتسع امامه المجال للبحث فى حالة الضرورة - ملامح ابن اخته ، وصفاته المميزة ، كما أوضحتها الطباخة فى خطابها ، وعندما بدا يشعر بالضيق الذى سببه له هياج العطشجى ، أخرج مفكرته ، لمجرد أن يسلى نفسه بتصفحها ، ثم راح يقارن - لمتعته الخاصة - الأوصاف التى ذكرتها الطباخة ، تلك الأوصاف التى لم يكن نصيبها من الدقة مما يرضى عنه مطلقا ، أى رجل من رجال المباحث ، واستغرق فى مقارنتها بملامح كارل عندما واجهه .. و .. هذه هى الطريقة المثلى للعثور على ابن أخت .. قالها السناتور فى زهو كما لو كان يرغب فى تلقى المزيد من التهاني ..

تسائل كارل قائلا - «ما الذى سيحدث الآن للعطشجى» ، متجاهلا ملاحظات خاله الأخيرة . كان قد تخيل فى وضعه الراهن ، ان فى امكانه

أن يقول كل ما يطرا على باله .
وأجابه السناتور قائلا : « سوف ينال العطشجي ما يستحقه من
جزاء . وهو الجزاء الذى يراه القبطان مناسبا واعتقد أننا قد نلنا
كفايتنا . بل وأكثر من الكفاية عن موضوع العطشجي .. بالإضافة
الى أن هذا هو ما لا يختلف عليه أحد من السادة الموجودين هنا
دون شك » .

وقال كارل : - « إلا أن هذا ليس هو لب الموضوع . عندما يتعلق
الأمر بالعدالة

كان كارل يقف بين خاله من ناحية وبين القبطان من الناحية
الأخرى .. ولعله كان قد أدرك دوره ، فى المكان الذى كان يقف فيه
فقد كان يحاول تحقيق شئ من التوازن بينهما .

إلا أن العطشجي كان يبدو وكأنه قد فقد الأمل .. كانت يده
مدسوستين الى منتصفهما فى حزام بنطلوته . حيث بدا حجمهما
بالإضافة الى الجزء الأسفل من السترة العازلة . الذى كان قد تهدل
فوق الحزام . كتلة ضخمة بارزة ، بصورة لافتة للنظر ،
فى أثناء انهماكه فى حملته المتهتاجة . إلا أن ذلك مما لا يؤبه
به مطلقا . لقد كشف لهم برؤسه الداخلى . فلينطلقوا الآن اذن الى
الخرق البالية التى تستر جسده أيضا ويمكنهم بعد ذلك أن يلقوا به
الى الخارج .

وكان قد استقر فى ذهنه أن شوبال سيقدم اليه هذه الخدمة الأخيرة ..
بمعونة المساعد . فقد كانا أقل الرجال الموجودين بداخل الحجرة
اهمية ، وسوف يهنا شوبال بالراحة حينئذ حيث لا يعود هناك وجود
لمن يدفعه الى « اليأس التام » على حد تعبير أمين الحسابات ..
ويصبح فى وسع القبطان أيضا أن يكدر فى باخرته حشودا من عمال
رومانيا .. وتصبح اللغة الرومانية هى اللغة السائدة ، فى الباخرة
كلها . ولعل الحال أن يصبح عندئذ على أتم ما برام .. فلن يكون
هناك عطشجي ليتسبب بعد فى ازعاج مكتب الإدارة بهيأته ! على أن
آخر ما قام به من جهود سيظل باقيا ، على الأغلب ، كذكرى ودية .
بعد أن أعلن السناتور فى وضوح . أن الضيق الذى أصابه كان هو
السبب المباشر فى تعرفه على ابن أخته . ولقد حاول ابن الأخت أكثر
من مرة أن يقدم له يد المساعدة بالفعل . وعلى هذا فقد أتاح له مقدما
لقاء خدماته جزاء يتعداه بكثير . هو مشهد هذا اللقاء ! .. ولم يفكر
العطشجي حتى فى أن يطلب شيئا آخر منه الآن ذلك أنه حتى وإن كان

ابن اخت سناتور . فقد كان لا يزال بعيدا عن أن يكون قبطانا . ولم يكن الحكم القاطع ليخرج الا من فم القبطان ! .. وبينما كان العطشجي مستغرقا في مثل هذه الأفكار . حاول جاهدا الا ينظر نحو كارل . رغم انه - لسوء حظه - لم يكن يجد شخصا آخر سواه يمكن الا تقضى عيناه لرؤيته في هذه الحجرة المليئة بالخصوم .

قال السناتور لكارل : لا تسيء فهم الموقف . فربما كانت هذه المسألة مسألة عدالة الا انها في الوقت نفسه مسألة نظام ايضا . وكلا الامرين على هذه الباخرة . وخاصة الأخير .. يتوقفان على تقدير القبطان » .

غمغم العطشجي الذي كان قد سمعه وادرك ما يعنيه قائلا وهو يتسهم في جهد .
- « هذا صحيح ! » .

- « الا اننا قد قمنا بالفعل . لفترة طويلة للغاية . بتعطيل القبطان عن أداء واجباته الرسمية التي لابد له من القيام بها الآن ، وقد وصل الى نيويورك ، وقد حان الوقت الذي يجب علينا فيه أن نسرع بمغادرة الباخرة . بدلا من اضافة خطأ آخر الى اخطائنا بالتدخل دون مبرر اطلاقا في هذا الخلاف البسيط بين اثنين من الميكانيكيين فنخلع عليه بذلك كثيرا من الاهمية ، اننى ادرك تمام الادراك وجهة نظرك يا ابن الاخت العزيز . وهذا الادراك يتطلب منى ان اسرع بابعداك فورا عن هنا ! » .

قال القبطان - « سأمر باعداد قارب لكما في الحال ! » دون ان يعترض على ما قاله السناتور مطلقا . لدهشة كارل الشديدة . حتى لقد بدا له ان خاله قد امتهن نفسه . واندفع امين حسابات الباخرة مسرعا الى منضدته وأبلغ امر القبطان الى البحارة !

وقال كارل لنفسه « لم يكذب ببقى شيء من الوقت . الا اننى لا يمكننى ان افعل شيئا دون ان اتسبب في غضب الجميع . ولا يمكننى في الحقيقة ان اترك خالى الآن في نفس اللحظة التى عثر فيها على ، ان القبطان شخص مؤدب دون شك . الا ان أدبه هذا سرعان ما يتلاشى عندما يتعلق الأمر بمسألة النظام . كما ان خالى لا شك قد قصد ما قاله . ولست أرغب في ان اتحدث الى شوبال . واننى ليؤسفنى حتى مصافحته . اما بقية الموجودين هنا فلا شأن لهم بالأمر » .
وحينما كان يفكر على هذا النحو . تقدم فى بطنه نحو العطشجي

وجذب يد الرجل اليمنى من حزامه . وضغط عليها في رفق بين راحتيه .

سأله قائلاً : « لماذا لا تقول شيئاً لماذا تراجعت عن كل محاولة » .
لم يجب العطشجى . بل عقد حاجبيه . كما لو كان يبحث عما ينبغي عليه أن يجيب به . وبينما كان مستغرقاً في ذلك . خفض عينيه . ونظر الى يده المستقرة بين راحتي كارل .

— « لقد لقيت معاملة ظالمة . لم يلحقها أى شخص آخر سواك على هذه الباخرة . اننى اعلم هذا تمام العلم ، وحرك كارل أصابعه بين أصابع العطشجى الى الخلف والى الامام . . بينما تطلع العطشجى حوله وقد تألقت عيناه . كما لو كانت نفسها قد أفعمت بسعادة غامرة . لا يملك أن يحسده عليها أحد .

— « وعليك الآن أن تتأهب للدفاع عن نفسك اجب بنعم . او بلا — والا فلن يتاح لهؤلاء الناس ادنى فكرة عن الحقيقة . عليك أن تعدنى بأنك ستفعل ما أقوله لك ، ذلك أننى أخشى ولدى من الاسباب ما يحملنى على ذلك انه لم يعد فى مقدورى أن أقدم لك بعد . يد المساعدة . . ثم انفجر كارل باكياً بعد ذلك . وقبل يد العطشجى ساحباً تلك اليد المتشققة المتراخية لحظتها فى وهن . وضغطها على خده وكأنها كنز يوشك على أن يتخلى عنه الا ان خاله السناتور كان قد أسرع الآن الى جانبه . وجذبه . مبتعداً به برفق . لكن بحزم . قال السناتور وهو يسادل القبطان نظرة خبيرة من فوق رأس كارل .

— « يبدو ان العطشجى قد ترك أثراً سحرياً فى نفسك . لقد شعرت . . بالوحدة . ثم وجدت العطشجى . . وانت مدين له بالكثير الآن . لا بأس بهذا كله . اننى أؤكد لك . لكننى أرجوك . ولو من أجلى . الا تشتط مرة اخرى على هذا النحو . وتعلم ان تدرك وضعك ! » .

ارتفع الصخب خارج الباب . كانت قد انبعثت صيحات . بدت مرتفعة كما لو كان شخص ما قد راح يفتح الباب فى عنف . ودخل بحار فى حالة مضطربة . مشعثاً . وحول وسطه تلفت مريلة فتاة . صاح قائلاً وهو يثنى كوعيه كما لو كان لا يزال يشق طريقه وسط الزحام : « يوجد حشد كبير منهم فى الخارج . . » — ثم ثاب فجأة الى رشده . وحيا القبطان . ولكنه لحظ المريلة المشدودة الى وسطه عندئذ فنزعها وطوح بها الى الارض . وصاح : لقد تجاوزوا حدودهم ،

لقد شدوا حول وسطى مريلة فتاة ، ثم دق كعبيه معا . وادى التحية للقبطان . وشرع شخص ما في الضحك . الا ان القبطان صاح في عنف : « تبدو الحال في صورة بديعة للغاية . من بالخارج ؟ » .

تقدم شوبال خطوة الى الامام قائلا « انهم شهودى أرجو عفوك ياسيدى عن سلوكهم الشائن . ان الرجال يفقدون صوابهم احيانا . عندما يصلون الى نهاية احدى الرحلات » .

فاصدر القبطان امره قائلا : « ادخلهم الى هنا » . ثم استدار ناحية السنتاتور على الفور في ادب لكن في عجلة :

« هل تفعل خيرا الآن يا سيدى السنتاتور . بان تصحب ابن شقيقتك وتتبّع ذلك الرجل . الذى سيرشدك الى القارب المعد لك . لست بحاجة الى توضيح مدى السرور والشرف . الذى حظيت به . بتعرفى بك . واود فقط . يا سيدى السنتاتور . ان انتهز اقرب فرصة لاستئناف حديثنا الذى لم يتصل عن حالة الاسطول الأمريكى . وأرجو أن يقطع حديثنا مرة أخرى أيضا . حدث آخر سار » .

ورد خال كارل قائلا وهو يضحك « يكفينى ابن اخت واحد . اؤكد لك والان تقبل تحياتى الحارة على كرمك . والى اللقاء . واضيف انه ربما لا يكون من المستبعد ان تتاح لنا فرصة طويلة للقاء . فى اثناء رحلتنا المقبلة . الى اوروبا » . بينما طوق كارل بذراعه فى حرارة .

فاجابه القبطان قائلا « سيسرنى ذلك غاية السرور » . وصافح السيدان بعضهما بعضا . ولم يكذ كارل يتمكن الا من أن يلمس يد القبطان مسرعا . فى صمت . ذلك ان انتباه الأخير . كان قد شغله بالفعل الخمسة عشر شخصا الذين اصبحوا الآن فى داخل الحجرة يقودهم شوبال ، وقد تم تعنيفهم فيما يبدو ، الا انهم لا يزالون رغم ذلك يصخبون صخبا شديدا .

وطلب البحار من السنتاتور أن يأذن له فى أن يتقدمهما . وأفسح له ولكارل ممرا خلال الجمع المحتشد . حتى تمكنا فى بسر من الخروج بين صفين من الرجال الذين انحنوا لهما .

ولقد بدت على هؤلاء الأشخاص فى وضوح الخفة التى كانوا ينظرون بها الى هذا النزاع . بين شوبال والعطشجى فلم ينظروا الى هذا النزاع الا على انه مجرد هزل . ولم يكن حتى وجود القبطان ليفلح فى فرض شيء من الجدة على سلوكهم .

ولمح كارل بينهم فتاة المطبخ التى تدعى - لينا - والتى غمزت له الآن فى خبث . بينما كانت تشد الى وسطها تلك المريلة التى كان

البحار قد قذفها الى الارض ، فقد كانت مريبتها .
وبينما كانا يتبعان البحار . تركا الممر وتحولا الى ممر صغير أدى
بهما بعد خطوتين الى باب صغير . هبط منه سلم صغير يوصل الى
القارب الذى كان فى انتظارهما . واصبح البحار الذى كان يتقدمهما
فى داخل القارب بقفزة واحدة . ونهض البحارة الذين كانوا فى القارب
واقفين وأدوا التحية .

وكان السناتور لحظتها ينبه كارل الى كيفية الهبوط الى اسفل .
عندما انخرط كارل ، الذى كان قد توقف فوق اعلى درجات السلم
فجأة فى نهضة عنيفة ، ووضع السناتور يده اليمنى تحت ذقن كارل .
وجذبه اليه . وربت عليه بيده اليسرى . وهبطا السلم فى وضعهما
هذا درجة درجة . وهما ملتصقان ببعضهما البعض . ودخلا القارب
حيث وجد السناتور مكانا مريحا لكارل يواجهه مباشرة . وبإشارة
من السناتور دفع البحارة بالقارب بعيدا عن الباخرة ، من ثم انطلقوا
فى التجديف بأقصى سرعة !

لم تكن تفصلهم سوى بضع ياردات قليلة عندما اكتشف كارل ،
على غير توقع انهم كانوا فى الجانب الذى تطل عليه نوافذ حجرة الادارة
الثلث .

كانت النوافذ الثلاث تمتلئ بشهود شوبال . الذين حيوها .
ولوحوا لهما بأيديهم فى ود بالغ ، ولوح الخال جيكوب بالفعل لهم
بيده الى الخلف وأظهر أحد بحارة القارب براعته . بأن طير بأصابعه
قبلة نحو الباخرة دون ان يخل بايقاع تجديفه المنتظم ، وبدا الآن
وكأنه لم يوجد بالفعل أى عطشجى بالمره . وتطلع كارل بامعان شديد
الى خاله الذى كانت ركبته تكاد تلمسان ركبتى كارل وخامره
الشك فى قدرة هذا الرجل على ان يملا مكان العطشجى . أزاغ خاله
بعينه . وحدق بهما فى الامواج التى كان قاربهما يهتز فوقها

الحال جيکوب

اعتاد كارل سريعا اسلوب حياته الجديدة فى منزل خاله ، وكان خاله قد استجاب فى الحقيقة لأقل رغبة من رغباته ، فلم يعد كارل مجبرا على ان يتعلم من خلال التجربة المرة التى غالبا ما ترهق المرء عند بداية تعرفه على بلد من البلدان الاجنبية .

وكانت غرفة كارل تقع فى الطابق السادس من عمارة كانت اعمال خاله تشغل طوابقها الخمسة الاخرى بالاضافة الى طوابق ثلاثة اخرى كانت تقع فى اسفل العمارة . وكانت حجرته ساطعة الضوء بناذتها وبابها الذى يفتح على احدى الشرفات ، حيث كانت الدهشة البالغة تأخذه كل صباح عندما كان يخرج الى تلك الشرفة ناهضا من فراشه الصغير !

غرفة ربما لم يكن ليحل بمثلها مطلقا لو انه كان قد نزل هذا البلد كمهاجر صغير معدم ، فضلا عن احتمال عدم التصريح له بدخول الولايات المتحدة مطلقا تبعا لتقدير خاله الذى كان على دراية بقوانين الهجرة بل انه ربما كان قد اجبر على العودة ثانية الى وطنه ، دون اعتبار مطلقا لحقيقة انه كان قد اصبح بلا وطن . كان التعاطف شيئا لا يصح لك ان تأمل فيه فى بلد كهذا وكانت امريكا تتفق فى هذا الصدد تماما مع ماكان كارل قد قرأه عنها ما عدا شيئا واحدا هو ان هؤلاء الذين واتاهم الحظ فيها كان يبدو عليهم انهم ينعمون هنا بحظهم مختالين بانفسهم بين اصدقائهم الذين لا يبالون بشيء .

كانت ثمة شرفة خارجية ضيقة تمتد بطول حجرة كارل . لكن ما هى ميزة ذلك المكان المرتفع المتميز الذى لا يتيح له رؤية اكثر من منظر شارع واحد فحسب يمتد مستقيما بين صفين من المباني التى تتخذ اشكالا مربعة ويبدو لهذا وكأنه يهرب مبتعدا الى حيث تبدى خطوط احدى الكاتدرائيات التى تبدو هائلة الحجم وسط ضباب متكاثف ! ومنذ الصباح حتى المساء ثم فى قلب الليل الحالم بعد ذلك كان ذلك الشارع يبقى دائما مجرى لتيار دائم من الحركة ، كانت تبدو له من اعلى مضطربة معقدة ، تبسدر

فيها هياكل كل الناس ، في كل لحظة هياكل مضغوطة وحولها سطوح جميع أنواع المركبات التي ترسل الى الفضاء ضجيجا آخر اشد اسرافا وتعقيدا من ضجيج حركة الشارع ، وتتصاعد الاتربة والروائح جميعا وتنتشر في فيضانات من الاضواء التي ترسلها مختلف الاشياء التي يعج بها الشارع ، ترتفع هذه الضجة كلها ، ثم تعود فتراجع لتتجمع في عنف مرة اخرى ، فترهق العين المبهورة التي ترى هذا الاختلاط كما لو كان سطحا من الزجاج يغطى أعلى الشارع ويتهشم في عنف متناثرا الى شظايا في كل لحظة

كانت عيناه مفتوحتين على كل شيء وكان خاله جيكوب قد نصحه بالآي أخذ شيئا في الوقت الحاضر مأخذ الجد ، ليتفحص كل شيء بالفعل ويأخذه في اعتباره لكن دون أن يجهد نفسه . ان الايام الاولى لاي أوروبى في أمريكا تبدو كما لو كانت ميلادا جديدا ولم يكن كارل يحاول أن يشغل نفسه كثيرا بأمر أيامه الاولى هذه دون داع ما دام المرء يعتاد على الأشياء هنا بسرعة أكبر من سرعة اعتياد الطفل القادم الى الدنيا من العالم الآخر لهذه الأشياء الا ان عليه ان يضع نصب عينيه ان الاحكام الاولى لا يعول عليها دائما ولهذا فلا يجب على المرء ان يسمح لها بالتأثير على احكامه المقبلة التي سوف تركز عليها في نهاية الامر حياته في أمريكا ، ولقد عرف هو شخصيا وافدين جددا ، منهم على سبيل المثال ، من نبذوا هذه الافتراضات الحكيمة وراحوا ينفقون أيامهم بطولها في شرفاتهم يحدقون منها نحو الشارع في أسفل كالقطعان الضالة . ربما كان استفراقه وحيدا على هذا النحو في التحديق المتبلد نحو الحياة المتشابكة لنيويورك يسبب له حيرة بالغة . . الا ان هذه الحيرة لو تملك شخصاً وفد الى أمريكا لمجرد المتعة فلعلها تملكه في حدود لا تتعداها . اما ان تملك شخصاً ينوى البقاء في هذه الولايات فلا معنى لها عندئذ سوى انها اداة تدمير فحسب ، وهو لفظ مؤثر بلا داع ، ولعله ينطوى أيضا على شيء من التهويل ، وكان الخال جيكوب في الحقيقة يكشر في ضيق كلما وجد كارل واقفا في الشرفة حين يكون في زيارة من زيارته لكارل ، تلك الزيارات التي كانت تحدث مرة في كل يوم وفي أوقات مختلفة من النهار ، وقد لاحظ كارل ذلك سريعا وكان لهذا يحرم نفسه بقدر الامكان من متعة الوقوف لفترات طويلة في الشرفة .

ومع ذلك فقد كانت هذه هي المتعة الوحيدة التي كانت في

متناول يده . وكان فى غرفته مكتب ذو تصميم رائع على الطراز الأمريكى ، نفس المكتب الذى ظل والده لسنوات طويلة يحلم بالحصول على مثله محاولا الحصول عليه بشئ رخيص من كل أنواع المزايدات دون ان يوفق مطلقا نظرا لفساآة دخله . هذا المكتب ، لم يكن يربطه بالطبع أى وجه من وجوه المقارنة بذلك الذى كان يطلق عليه مكتب أمريكى الطراز فى مزايدات أوروبا ، فهو يحتوى مثلا على ما يقرب من مائة درج من مختلف الاحجام ، حيث كان يمكن « لرئيس الولايات المتحدة » نفسه ان يجد مكانا مناسباً لكل

ملف من ملفاته الرسمية ، وكان يوجد بالاضافة الى هذا « منظم » فى احد الجوانب ، فلو أدت مقبضاً ما ، أمكنك ان تحدث وضعا لكل هذه الادراج غاية فى التعقيد ، ويمكنك ان تقوم بتبديل الادراج على سبيل التسلية ، او لكى تتناسب مع حاجتك وتغطي هذه المكعبات فى بطء لتشكل اساس مجموعة جديدة او قمة الادراج المتدرجة من أسفل الى أعلى ، وحتى بمجرد اداة المقبض مرة أخرى ، فان ترتيب كل شئ يتغير تغيراً تاماً ، ويتم التحول بصورة بطيئة ، او فى سرعة محمومة تبعاً للدرجة ضغطك على المقبض عند ادارته . لقد كان هذا المكتب اختراعاً جديداً كل الجدة وانه ليدكر كارل تماماً بمنظر الكريسماس التقليدى الذى كان يعرض على الاطفال المدهولين فى ساحة السوق فى بلده حيث يذكر نفسه أيضاً ، وقد تدثر جيداً بملابسه الشتوية ، وتوقف مستعبداً فى أغلب الاحيان ، يحاول عن كسب ان يقارن حركة المقبض الذى كان يديره رجل عجوز ، بتغير المنظر ، تقدم الملوك المقدسين الثلاثة مترنحين واشعاع النجم ، صورة المذود المقدس المتواضعة .

ولقد بدا له دائماً ان والدته عندما تقف خلفه لم تكن تتابع تفاصيل هذه المشاهد بانتباه كاف . فكان يسحبها لتلتصق به حتى يشعر بها تضغط على ظهره ويصبح بأعلى صوته ، ويظل يحدد لها كل ما يلاحظه على المناظر ، ربما ارنب برى صغير بين العشب فى مقدمة المنظر جالسا على ساقيه الخلفيتين ، ثم ظل رابضاً وكأنه يتحفز للاندفاع لثانية حتى تغلق امه فمه بيدها ثم تعود فيما يبدو الى سابق حالها من الشرود ، لم يكن المكتب قد صنع لمجرد أن يذكره دون شك بمثل هذه الاشياء لكن لا بد ان تكون قد وجدت علاقة غامضة ما فى تاريخ اختراعه شبيهة بتلك العلاقة التى انبعثت من ذاكرة كارل . ولم يكن الخال جيكوب على عكس كارل راضياً عن هذا

المكتب بالذات كان يريد ان يشتري مكتبا كامل المعدات من اجل كارل لكن كانت كل المكاتب فى هذه الايام مجهزة بتلك الاجهزة الحديثة التى تتميز ايضا بإمكان ان تتحول الى مكاتب من الطراز القديم بنفقات لا تكاد تذكر وعلى كل حال فلم ينس خاله ان ينصحه بالآلا يستعمل المنظم « مطلقا » .

وقد شفع نصيحته بالاشارة الى حساسية « المنظم » البالغة وسهولة اصابته بالعطب وارتفاع تكاليف اصلاحه ثانية ! ليس من الصعب ان يتبين المرء ان هذه الملاحظات كانت مجرد ادعاءات ومع ان الخال جيكوب كان يمكنه ان يفلق « المنظم » الا انه لم يفعل ذلك

وفى الايام القلائل الاولى التى اتيح لكارل وخاله ان يتبادلا خلالها عديدا من الاحاديث . ذكر كارل انه كان مغرما فى وطنه بالعزف على البيانو مع انه لم يمارس العزف عليه كثيرا ، ولم يتلق دراسات فى العزف عليه فيما عدا تعليمات والدته الفطرية وكان كارل واعيا تمام الوعى ان تطوعه بهذه المعلومات ، كان فى الحقيقة طلبا لبيانو ، ولهذا حذق لحظتها بعينييه فى خاله حتى اتضح له ان خاله يمكن ان يكون مسرفا الى حد ما ، ولم ينفذ هذا الاقتراح فى الحال . لكن بعد مرور حوالى ثمانية ايام ، قال خاله له كما لو كان يصرح له بموافقة يصعب عليه اعلانها . ان البيانو قد وصل الان ويمكن لكارل لو شاء ان يشرف على نقله .. ولقد كان ذلك أمرا هينا جدا وان لم يكن اهون من عملية نقل البيانو نفسها فقد كانت العمارة تحتوى على مصعد خاص لنقل العفش ، يمكن ان يتسع لحمولة عربية كبيرة ممثلة بالاثاث ، وفى داخل هذا المصعد ارتفع البيانو الى حجرة كارل . وكان فى وسع كارل ان يصعد هو ايضا مع البيانو والعمال فى نفس المصعد . لكن كان ثمة مصعد آخر عادى ، خال الى جواره تماما .

وهكذا استعمل كارل هذا المصعد الاخير فى صعوده ، محتفظا بنفسه دائما على نفس ارتفاع المصعد الاخر ، باستخدام رافعة ما ، وكان يحذق فى تركيز من خلال المربعات الزجاجية نحو الجهاز البديع ، الذى كان قد أصبح ملكا خاصا له الآن ! وعندما أصبح البيانو أخيرا فى داخل حجرته ، وعزف عليه النوتة الاولى ، كان قد بلغ به الفرح الاحمق أقصاه ، حتى انه قفز واقفا ، بدلا من مواصلة العزف ويداه على خاصرتيه وراح يحذق الى البيانو فى طرب ، على بعد عدة خطوات ، كان الصوت فى الحجرة يرن على

نحو رائع وقد تمكن من ان يزبل من نفس كارل شسموره بعدم
الارتياح الذى احس به لانه يعيش فى عمارة مبنية من الصلب ولم
يكن المرء يرى فى الحقيقة اى اثر للصلب فى داخل الحجرة نفسها
على الرغم من منظر المبنى الخارجى كما لم يكن فى وسع المرء ايضا
ان يكتشف اقل تنافر فى اثاثها لا ينسجم مع الكل .

ولقد علق كارل فى البداية آمالا كبيرة على عزفه على البيانو ،
وكان يحلم احيانا ، بلا حياء قبل ان يغلبه النوم على الاقل ،
باحتمال تأثير عزفه على البيانو تأثيرا مباشرا على حياته فى امريكا
وعندما فتح نوافذه ، ودخلت حجرته ضوءا الشارع كان من
الغريب حقا ان يسمع على البيانو اغنية قديمة من اغانى الجيش فى
بلده ، حيث يتمدد الجنود فى احدى الليالى عند نوافذ الشكنات
ويحدثون فى مربع من الضوء فى الظلام فى الخارج ، ويفنون لبعضهم
البعض من نافذة الى أخرى . . لكن الشارع يبقى كما هو دون تغيير ،
لو نظر كارل اليه بعد ذلك يبقى عبارة عن جزء صغير فى ترس هائل
لا يمكن ان تلمسه يد قبل ان يدرك المرء تماما كل القوى التى تتحكم
فى مداره ، ولقد أباح الحال جيكونب العزف على البيانو ولم يتفوه بكلمة
واحدة تعبر عن عدم ارتياحه بذلك ، وخاصة ان كارل كان يستغرق فى
العزف عليه عندما يكون وحيدا تماما ، ولقد أحضر لكارل بالفعل
نوتات بعض المارشات الامريكية ، وبينها السلام الوطنى ، الا أن حب
كارل الخالص للموسيقى لم يفلح فى أن يفسر له معنى ذلك السؤال
الذى وجهه لكارل ذات يوم عندما سأله فى جدية تامة ، ان كان
فى نيته ان يتعلم العزف على الفيولينه أو النفخ فى البوق ايضا .

وكان تعلم اللغة الانجليزية هو اول واهم واجبات كارل ، وكان
مدرس شاب فى احدى الكليات التجارية المجاورة ، يحضر فى
السابعة كل صباح الى حجرته ، فيجده عاكفا بالفعل فوق المكتب
على كراسات تمريناته ، أو سائرا بذرع الحجرة ذهابا وايابا وهو
يحفظ المفردات . وقد ادرك كارل فى وضوح انه لو أراد أن يتقن
اللغة الانجليزية فليس لديه من الوقت ما يضيعه فى غير العمل ،
وادرك ان هذه كانت أيضا افضل فرصة يمكنه ان ينتهزها ليدخل
السرور على قلب خاله ، بالتقدم السريع فى الدراسة ومع انه كان
يقصر نفسه فى البداية على استخدام أبسط التحيات ، الا انه
سرعان ما أصبح قادرا على ان يستخدم اللغة الانجليزية فى اجزاء
كبيرة ، كانت تتزايد دائما فى احاديثه مع خاله ، حينما كان حديثهما

يتناول موضوعات ودية ، وكانت القصيدة الامريكية الاولى - وهي وصف حريق - التي استطاع كارل ان يستظهرها لخاله ذات مساء قد ملأت نفس ذلك السيد بالرضا . كانا يقفان الى احدى النوافذ فى حجرة كارل ، وكان الخال جيکوب يتطلع من خلال النافذة الى السماء ، كان قد تلاشى منها الضوء لحظتها ، بينما كان يدنى راحتيه من بعضهما فى بطة وانتظام على ايقاع القصيدة ، وكان كارل قد توقف الى جواره منتصباً ، وراح يستخلص ، وعيناه مثبتتان فى الفراغ من ذاكرته سطور القصيدة الصعبة .

وكلما ازداد اتقان كارل اللغة الانجليزية ، زادت رغبة خاله فى تقديمه الى اصدقائه ، وكان حريصاً دائماً على ان يكون مدرس اللغة الانجليزية موجوداً دائماً الى جانبه فى مثل هذه المناسبات . وكان اول شخص قدم اليه كارل ذات صباح ، شاباً نحيلاً رخوا بصورة يصعب تصديقها ، جاء به خاله الى الحجرة مصحوباً بسيل من المجاملات الثقيلة . كان واضحاً انه ابن لواحد من اصحاب الملايين العديدين ، وربما كان يعد فاشلاً فى رأى والديه ، وبدا كما لو كان

يحيا حياة عنيدة من تلك الانماط الشاذة من الحياة التى لا يطيق ان يحياها رجل عادى لمدة يوم واحد على الاكثر دون ان تنهار اعصابه . وبدا كما لو كان قد عرف هذا كله او تكهن به ، وواجهه المواجهة التى تناسبه تماماً، ذلك ان ابتسامة ماء، ابتسامة تعبر عن السعادة كانت ثابتة فوق شفثيه لا تبرحهما ، وكانت الابتسامة نفسها تشع من عينيه ، وتبدو كما او كانت قد شملت كيانه كله وتشمل اى شخص يتحدث اليه ايضاً ، وتشمل العالم بأسره بعد ذلك .

وترتب بموافقة من موافقات الخال جيکوب التى لم تقف عند حد ، ان يصحب هذا الشاب الذى كان يدعى مسـتر « ماك » كارل فى الخامسة والنصف ، كل صباح ، اما الى مدرسة تعلم ركوب الخيل ، او الى الحلاء ، وتردد كارل فى البداية ، قبل ان يعلن موافقته ، لانه لم يكن قد سبق له ان اعتلى مطلقاً ظهر جواد من قبل ، وكان يود اولاً لو تعلم شيئاً عن الركوب ، لكن لما كان خاله و « ماك » قد اصرا هذا الاصرار ، ولما كانا قد قالوا بان الركوب ليس سوى متعة بالغة البساطة ، ورياضة مفيدة للصحة وانهما لا يعدانه فنا على الاطلاق ، فقد وافق فى النهاية وكان معنى هذا ، بالطبع ، انه كان عليه ان يغادر فراشه فى الرابعة

والنصف كل صباح ، وقد كان هذا مما يشق عليه بالفعل ، بما انه كان يعاني من قلة النوم ، ربما لتركيزه الشديد الذى لايفتر فى استدكار دروسه طوال النهار ، الا انه ما ان يدخل حمامه ، حتى يتوقف عن التحسر على نفسه ، فقد كانت ثمة رشاشة تغطي سقف الحمام كله ! - من من زملاء دراسته فى البلد ، مهما بلغت درجة ثراء أهله ، قد اتبع له شيء مثل هذا ، ولاستعماله الخاص أيضا ؟ - وكان فى وسع كارل أن يستلقى متمددا بداخل الحمام - كان ذلك الحمام من السعة بدرجة تسمح له بأن يفرد ذراعيه على امتدادهما - وأن يترك الماء الفاتر ، والساخن ، ثم الماء الفاتر ثانية ، وأخيرا الماء البارد كالثلج ، يتساقط فوق أى جزء من جسده لسروره البالغ ، أو فوق جسده كله فى نفس الوقت .. استلقى بداخل الحمام كما لو كان ينعم بمتعة الاستيقاظ المتكاسل من النوم ، وقد امتعه أيضا أن يتلقى بعينه القطرات الأخيرة المتباطئة ، وهى تتساقط وتفيض على وجهه الى اسفل .

وعند مدرسة الركوب ، حيث تركته عربة خاله الفارهة ، كان مدرس اللغة الانجليزية فى انتظاره ، بينما وصل ماك بعد ذلك دون مبالاة ، وكان يمكن لماك أن يتأخر ما شاء له التأخير دون أن يهتم لذلك أدنى اهتمام ، ذلك لان حركة المدرسة الفعلية لم تكن لتبدأ قبل وصوله ، وتفزع الخيول مستيقظة من اغفائها عندما دخل ، وفرقت الاسواط عاليابداخل الحجرة ، وبسدت فى الشرفة التى كانت تحيط بها فجأة اشباح اشخاص متنسائرين ، متفرجين ، وسائسى خيول ، وتلاميذ يتعلمون الركوب ، او ايا كانت حقيقتهم . ولقد انهمك كارل خلال الوقت الذى سبق وصول ماك فى التمرين قليلا على الركوب ، مع انها لم تكن سوى محاولاته التلقائية الاولى وكان ثمة رجل طويل كان يمكنه أن يلمس ظهور الجياد دون أن يرفع ذراعه على الاغلب ، وقد اعطى هذا الرجل لكارل بلا اهتمام تعليماته المقتضبة التى استغرقت ربع الساعة . ولم تكن النتائج التى استطاع كارل أن يحققها نتائج مرضية . كان قد حفظ عن ظهر قلب بعض صيحات التآلم بالانجليزية ، فكان يلهث بها الى مدرسه ، الذى كان يستند دائما الى الباب ، فى حالة من النعاس الشديد ، الا ان ضيقه بالركوب كان يتلاشى تماما بمجرد ان يظهر ماك . لقد اختفى الرجل الطويل ، ولم يكن فى الامكان سماع أى شيء فى الصالة ، التى كانت لا تزال نصف مظلمة ، الا وقع حوافر

الجياذ الراكضة ، ولم يكن من الممكن أن يرى المرء سوى ذراع ماك المرفوعة عندما كان يشير بأوامره الى كارل ، وبعد انقضاء نصف الساعة المفعمة بالمتعة ، التي تنقضي كالحلم ، كان يعلن التوقف ، وكان ماك يبدو حينئذ دائما في عجلة شديدة من أمره ، فيقول لكارل الى اللقاء ، وهو يربت على خده عدة مرات كما لو كان قد سره بالفعل أن يشاهد ركوبه ، ثم يختفى ، ثم يصعد كارل ومدرس اللغة الانجليزية الى السيارة ، ويمودان الى دروسهما ، خلال الطرق الخالية غالبا ، ذلك لانهما لو دخلا في حركة المرور التي تتحرك على امتداد الشارع الرئيسى الذى يؤدى مباشرة من مدرسة ركوب الخيل الى عمارة خاله فان معنى هذا ضياع وقت طويل ، وعلى كل حال ، فقد تولى مدرس اللغة الانجليزية اخيرا عن القيام بدور الحارس ، لان كارل الذى لام نفسه اشد اللوم لاجبار هذا الرجل المرهق دون مبرر ، على مرافقته الى مدرسة الركوب ، وخاصة عندما تبين له ان الانجليزية التي كان يستعملها في حديثه مع ماك خلال التدريب ، كانت بضع جمل غاية في البساطة ، توصل لهذا الى خاله ان يعفى الرجل من القيام بهذا الواجب ، وبعد تفكير طويل نزل خاله على رغبته .

ولقد انقضى وقت طويل قبل ان يسمح الخال جيكونب لكارل ببعض المعلومات التي تتصل بعمله ، مع ان كارل كان قد سألته طويلا من قبل ان يسمح له بشيء من ذلك . كان عمله نوعا من القومسيون « السمسرة » ، والتسهيل او ما يشبه ذلك ، على حسب أدق التخمينات التي توصل اليها كارل ، ولعل عمله كان نوعا من العمل الذى لا وجود له في أوروبا . ذلك لان العمل لم يكن يتوقف على نقل البضائع من المنتج الى المستهلك أو التاجر ، لكنه كان تداولا لكل انواع السلع الضرورية ، والمواد الخام التي تتداولها الشركات فيما بينها ، وبين الاحتكارات الصناعية . . وقد كانت

طبيعة العمل تبعا لهذا هي شكل ما من النشاط الذى يتضمن الشراء ، والتخزين ، والنقل ، والاتجار في الكميات الهائلة من البضائع ، كل ذلك في وقت معا ، ولهذا كان لابد ان تتوفر له أقصى درجات الدقة ، والاتصالات الدائمة التي لا تنقطع ، الاتصالات التليفونية والتلغرافية بكل عملائها المختلفين . ولم تكن صالة عمال التلغراف اصغر ، بل كانت أكبر كثيرا من صالة مكتب التلغراف في مدينة كارل ، التي أتيح له ذات مرة أن يلقي عليها نظرة ، بمساعدة

زميل من زملائه في المدرسة ، كان له من يعرفونه فيها ، وكان من الممكن رؤية أبواب أكشاك التليفونات وهي تفتح ، وتغلق من أى مكان اتفق للمرء أن ينظر نحوه ، بداخل صالة التليفونات ، وكانت الضجة بداخلها تكاد تدفع المرء الى الجنون . فتح خاله أول باب من هذه الابواب ، ورأى كارل تحت الضوء الكهربائي الساطع ، حاملا معزولا تماما عن كل صوت يمكن أن يصدر عن الباب . تطوق رأسه حلقة من الصلب وتضغط السماعتان على أذنيه . كانت ذراعه اليمنى موضوعة فوق منضدة صغيرة ، ويبدو كما لو كانت ثقيلة بدرجة غريبة ، وكانت الاصابع وحدها تمسك بقلم رصاص ، مستمر في الارتعاش بانتظام وسرعة لا انسانيتين وكان مقتضبا في الكلمات التي كان يقولها في « المرسل » ، وكان المرء يلاحظ غالبا ، انه رغم ما يبدو عليه من التأهب طالبا رفع الصوت أو راغبا في مزيد من الدقة في المعلومات ، فان الجملة التالية التي يسمعها كانت ترفعه على ان يخفض عينيه ، وان يمضي في الكتابة قبل ان يتمكن من تنفيذ نيته ، وعلاوة على ذلك فانه لم يكن بحاجة الى ان يقول شيئا ، كما اوضح ذلك الخال جيكوب لكارل في صوت طبع ، ذلك لان هذه المحادثة نفسها التي يقوم بها هذا العامل ، كانت تجري في نفس الوقت بواسطة عاملين آخرين ، ويمكن بمد ذلك بمقارنة التقارير المختلفة ، تجنب الاخطاء قدر المستطاع . وعندما خرج الخال جيكوب وكارل في تلك اللحظة من الكشك ، انسل ساع الى داخله ، وخرج بالمذكرات التي فرغ العامل من تدوينها لتوه ، وفي داخل القاعة كان يرتفع ضجيج متواصل يسببه الناس الذين يندفعون هنا وهناك ، لم يقل أحد الى اللقاء ، كما ان التحيات كانت ممنوعة، وكان كل واحد يقفو اثر خطوات الذي يسبقه متخذاً نفس الوجهة ، مركزاً عينيه على الارض ، التي كان عليه ان يقطعها بأسرع ما يمكنه ، أو يلقي بنظرة سريعة الى كلمة ، أو علامة هنا أو هناك على الاوراق التي يحملها في يده ، والتي يتلاعب بها الهواء في أثناء حركته المسرعة !

— « لقد حققت شيئا خارقا بالفعل ! »

قالها كارل في مرة من المرات التي قام فيها بتجولاته خلال المبنى الذي استغرقه عدة ايام ليحوس في كل اجزائه ، حتى ولو لم يكن عليه سوى ان يلتقي مجرد نظرة على كل قسم .

— « دعنى اذكر لك أيضا ، اننى بدأت في انشاء هذا كله بنفسى

منذ ثلاثين عاما ، وكان عملي محدودا في ذلك الوقت ، بالقرب من
احواض السفن ، ولو تصادف وعهد الى بتفريغ خمس هبوات في
يوم واحد ، فقد كنت اعتبره يوما عظيما ، وأعود الى المنزل منتفخا
بالزهو ، واليوم تغطي مخازني ثالث المساحات الكبيرة في الميناء
ومخزني القديم هو الان المطعم والمخزن الذي يضم حاجيات الحمالين
الذين يعملون لدى ، والذين يشكلون خمسا وستين فرقة .

قال كارل : « ان هذا مدهش في الحقيقة »

واجابه خاله منهيأ حديثه : « ان التطورات في هذا البلد سريعة
دائما »

وذات يوم ظهر خاله فجأة قبل الغداء مباشرة ، ذلك الغداء الذي
كان كارل يتوقع ان يتناوله وحيدا كعادته وطلب منه ان يرتدى
بذلته السوداء في الحال ، وان يصحبه لتناول الغداء بصحبة اثنين
آخرين من اصدقائه في العمل ، وبينما كان كارل يبدل ملابسه
في الحجرة المجاورة ، جلس خاله الى المكتب ، وتطلع الى التمرينات
الانجليزية التي كان كارل قد انتهى توا من أدائها ، ثم أنزل ذراعه
الى جانبه ، وصاح في دهشة قائلا بأعلى صوته : « مستوى من
الدرجة الاولى ، حقيقة ! »

وواصل كارل ابدال ملابسه في ارتياح لاشك فيه ، عند سماعه
هذه الكلمات التي تمتدحه ، الا انه على كل حال كان قد أصبح
الان واثقا تمام الثقة من انجليزته .

وفي حجرة طعام خاله ، التي ما زال يذكرها منذ الليلة الاولى
لوصوله ، نهض رجلان طويلان ، متينا البنيان ، واقفين ، كان
احدهما يدعى « جرين » وكان الاخر ، يدعى « بوللاندر » ، كما
اتضح من خلال الحديث اللاحق ، ذلك ان خاله لم يكن يتفوه تقريبا
بكلمة تتناول احدا من معارفه ، وكان دائما يترك الفرصة لكارل ،
حتى يكتشف من خلال ملاحظته ما السذى كان هاما ، أو مثيرا
للاهتمام في أمرهم ، وخلال تناول الغداء ، لم يدر بينهم من الحديث
سوى ما يتناول أمور العمل ، الذي كان يعنى بالنسبة لكارل
درسا ممتازا في المفردات الانجليزية التجارية ، وترك كارل وحيدا
لينشغل بأمر طعامه ، كما لو كان طفلا ، ليس عليه سوى ان يجلس
معتدلا وأن يحصر اهتمامه في افراغ طبقه ، الا ان مستر جرين
مال على المائدة نحوه ، وسأله بالانجليزية دون ان يغيب عن باله
ان ينطق كل كلمة بأقصى ما يمكنه من الوضوح ، ماذا كانت على

وجه العموم انطباعاتك الاولى عن أمريكا ؟ وبنظرات قليلة جانبية وجهها نحو خاله ، أجاب كارل تقريبا اجابة كاملة في الصمت التام الذى اعقب ذلك السؤال ، واستخدم لأرضاء نفسه ، وايضا كنوع من الامتنان عددا من تعبيرات نيويورك المتميزة . واندفع الرجال الثلاثة معا في الضحك عندما نطق باحدى الجمل ، وخشى كارل أن يكون قد ارتكب خطأ ملحوظا لكن لا ، فقد فسر له مستر « بوللاندر » انه كان قد قال بالفعل لتوه ، شيئا غاية في الظرف . وفي الحقيقة كان المستر « بوللاندر » قد بدا وكأنه قد شغف بكارل بصورة ما بالفعل ، وبينما هاد الخال جيكوب ، ومستر جرين ثانية الى التشاور في شئون أعمالهما طلب مستر « بوللاندر » من كارل أن يقترب بمقعده ، وسأله اسئلة لا حصر لها عن اسمه ، وعائلته وعن رحلته ، وأخيرا ، لكي يعطيه فرصة راح في سرعة ، وهو يضحك ، ويسعل يحكى له عن نفسه ، وعن ابنته التى يعيش معها في منزل ريفى صغير على مقربة من نيو يورك ، حيث يقضى فيه امسياته فقط ، لأنه كان مديرا لاحد البنوك ، ولأن عمله يفرض عليه التواجد طوال اليوم في نيويورك ، ولقد وجهت لكارل الدعوة بالذهاب الى المنزل الريفى في حرارة ، ذلك ان امريكا حديثا على هذا النحو ، ويفتقر كذلك الى التجربة لابد ان يكون في حاجة الى استحمام من حين لآخر من « نيو يورك » . وسأل كارل خاله في الحال ، أن يأذن له بقبول هذه الدعوة ، فسمح له خاله بذلك في سرور واضح ، وان يكن دون تحديد وقت معين أو حتى دون أن يعيرها كثيرا من الاهتمام ، كما توقع كارل ومستر « بوللاندر » .

لكن في اليوم التالى ، استدعى كارل الى احد مكاتب خاله - كان لخاله عشرة مكاتب مختلفة في هذا المبنى وحده ، حيث وجد خاله ، ومعه المستر « بوللاندر » مضطجعين تقريبا على نفس الصورة في مقعدين وثيرين .

قال له خاله : ان مستر « بوللاندر » ، الذى كان من الممكن تمييزه في ظلمة المساء التى كانت تخيم على الحجرة ، قد حضر لكى يصحبك معه الى منزله الريفى ، كما قيل بالامس . فاجاب كارل قائلا : لم أكن أعلم ان ذلك كان سيتم اليوم ، والا كنت قد اعددت نفسى لذلك .

فقال خاله : اذا لم تكن على استعداد ، فلمله من الافضل ان تؤجل هذه الزيارة الى وقت آخر .

وصاح مستر « بوللاندر » قائلا : وما هي حاجتك الى الاستعداد ، ان الشاب يجب ان يكون مستعدا دائما لاي شيء . فقال خاله مستديرا نحو ضيفه : لا يتعلق الامر به ، لكن عليه ان يصعد ثمانية الى حجرتة ، وسوف يسبب هذا تأخيرك . فقال مستر « بوللاندر » : يوجد متسع من الوقت لهذا ، لقد عملت حساب التأخير ، وغادرت مكتبي مبكرا .

فقال الخال جيكوب : هل رأيت مدى الاضطراب الذي أحدثته زيارتك الان بالفعل ؟

قال كارل : اننى فى غاية الاسف الا اننى سوف اكون هنا ثانية فى خلال دقيقة واحدة ، وأندفع خارجا .

قال مستر « بوللاندر » : لا تتعجل انك لا تسبب لى اقل ازعاج ، بل على العكس ، انه ليسرنى ان تقوم بزيارتى .

— سوف يفوتك درس الركوب غدا .. هل الفيته ؟

قال كارل : لا .. لست ادرى .. لقد بدأت هذه الزيارة التى كان يتطلع اليها ترهقه الان

وتساءل خاله : وهل تنوى الذهاب على الرغم من ذلك ؟

وتدخل مستر « بوللاندر » ، ذلك الرجل العطوف ، لمساعدة كارل ، قائلا : سوف نتوقف فى طريقنا عند مدرسة الركوب ، وندبر امر كل شيء .

قال الخال جيكوب : ثمة شيء آخر هو ان « ماك » سيستوقع ذهابك .

فقال كارل : انه لن يتوقع ذهابى لانه سوف يذهب عنى كل حال الى المدرسة .

فقال الخال جيكوب : حسنا اذن ، وكان اجابة كارل لم تكن سوى مجرد حجة واهية .

وتدخل المستر « بوللاندر » مرة اخرى لحل المشكلة ، قائلا : لكن .. كلارا .. كانت كلارا هي ابنة مستر بوللاندر ، تتوقع حضوره هي ايضا وفى هذا المساء نفسه ، ولا شك ان لها الافضلية على « ماك » .

قال الخال جيكوب : بالتأكيد .. حسنا ، اذن ، اسرع بالذهاب الى حجرتك .

وبحركة بدت كما لو كانت حركة لا ارادية ، دق عدة مرات على ذراع المقعد ، وكان كارل قد أصبح لحظتها عند الباب ، عندما

أوقفه خاله ثانية بسؤاله :

- بالطبع ، ستكون هنا ثانية ، غدا صباحا ، لتحضر درس اللغة الإنجليزية

فصاح المستر « بوللاندر » قائلا : لكن ياسيدى العزيز ، وهو يستدير مندهشا في مقعده الى الحد الذى سمحت له بها ضخامته :

- الا يمكنه ان يبقى معنا على الاقل حتى بعد الغد ؟ الا يمكننى ان احضره معى في الصباح الباكر بعد غد ؟
فرد الخال جيكوب قائلا : ليس ثمة مجال للسؤال في هذا الشأن ، فلا يمكننى ان اسمح بانقطاع دراسته على هذا النحو ، وفيما بعد ، عندما يتاح له الحصول على وظيفة ثابتة من نوع ما ، ساكون مسرورا عندما اتركه يقبل هذا النوع من الدعوات الممتدة لوقت اطول .

وفكر كارل في نفسه قائلا : « يا له من اعتراض »
واكتأب المستر « بوللاندر » قائلا : لكن فقط لمدة امسية واحدة ، ليلة واحدة ؟ انها لا تكاد في الحقيقة تستحق العناء .
قال الخال جيكوب : هذا ما اعتقده انا ايضا .

فقال المستر « بوللاندر » : على المرء ان يقبل ما يتيسر له ، ثم هاد ثانية الى الضحك ، قائلا : حسنا .. سانتظرك .. ملوفا لكارل ، الذى اسرع مبتعدا عندما لم يقل خاله شيئا اكثر من ذلك .

وعندما عاد بعد قليل ، مستعدا للرحلة ، وجد مستر « بوللاندر » وحده في الغرفة ، كان خاله قد هادرها وهز مستر « بوللاندر » يدي كارل بكلتا يديه في مرح ، كما لو كان يريد ان يؤكد لنفسه كل التاكيد ، ان كارل كان ذاهبا معه في نهاية الامر . وكان كارل لا يزال مضطربا نتيجة لتعجله ، ومع ذلك فقد ضغط يدي مستر « بوللاندر » بدوره . كان يكاد يطير فرحا لفكرة الزيارة

- « اليس خالى غاضبا المذهبى ؟ »
- « لا مطلقا .. انه لا يقصد كل ما قال جديا .. انه فقط مهتم بأمر تعليمك اهتماما شديدا »
- « هل أخبرك هو نفسه انه لا يقصد ما قاله جديا ! » ..
- « او .. نعم » ، قالها المستر « بوللاندر » ، وهو يضغط على الحروف في بطنه ، مؤكدا بهذا انه لا يمكنه ان ينطق كذبا ..

— « انه من الغريب الا يكون راغبا في ان يسمح لى بزيارتك ،
مع انك صديقه ! » ..

وعلى الرغم من ان مستر « بوللاندر » هو ايضا لم يكن يوافق على ذلك ، الا انه لم يجد تفسيراً للأمر ، وكان كلاهما ، وهما ينطلقان بعربة مستر « بوللاندر » خلال المساء الدافئ ، قد راحا يقلبان هذا الامر طويلا في راسيهما ، على الرغم من انهما قد تحدثا في امور اخرى . كانا يجلسان ملتصقين . وكان كارل متشوقا لسماع اكبر قدر ممكن عن الأنسة « كلارا » كما لو كان نفاذ صبره لطول الرحلة يمكن ان يخففه الاستماع الى القصص التى تجعل الوقت ينقضى فى سرعة . لم يسبق له من قبل ان مر فى شوارع نيويورك فى المساء ، لكن على الرغم من ازدحام الارصفة والشوارع المماة بالحركة التى يتغير اتجاهها فى كل لحظة ، كما لو كانت زوبعة ، وكان الزئير المنبعث عن حركة الشوارع ، يبدو اشبه بأصوات كائنات غريبة لا صلة لها بالبشرية مطلقا . وكان كارل وهو يجهد فى تركيز انتباهه لالتقاط كلمات مستر « بوللاندر » لم يكن يرى شيئا سوى معطف مستر « بوللاندر » الغامق ، الذى كان موثقا بسلسلة ذهبية .. وخارج الشوارع الرئيسية حيث كان رواد المسارح يصخبون لخوفهم الشديد ، من ان يكون الوقت قد تأخر بهم ، وبينما هم يسرعون فى طريقهم بخطوات مهولة ، او يمرقون فى عربات ، بأقصى سرعة ممكنة ، كانا قد وصلا بسرعة عادية الى الضواحي ، حيث تحولت سيارتهما عن طريقها بواسطة رجال البوليس الذين يركبون الجياد ، اكثر من مرة — الى الشوارع الفرعية .. ذلك لان الطريق الرئيسى كانت تملؤه مظاهرة قام بها عمال المعادن المضربون ، وكان المرور الضرورى ، يسمح له باستعمال مفترق الطرق . وعندما خرجت سيارتهما من الظلام الذى يخيم على الطرقات الضيقة ، عبرت احد هذه الشوارع الهامة ، الفسيحة التى تكاد تكون فى اتساع الميادين ، وبدا على كل من الجانبين رصيف لا ينتهى ، ممتلىء بحشود متحركة من الناس الذين يتقدمون فى بطء الى الامام ، حيث كانت اناشيدهم اكثر تجانسا من أى صوت انسانى آخر مفرد . وكان يمكن رؤية رجال البوليس على ظهور الجياد فى الشوارع العمومية التى ظلت خالية ، وهم يتحركون هنا وهناك ، أو وهم يجلسون فوق جياد ساكنة لا تاتى بأية حركة أو .. حاملى الاعلام أو الاشرطة المثلثة ببعض الكتابات ، تمتد

بعرض الشارع فوق رموس المتظاهرين ، أو .. زعيم عمالي محاط
بالزملاء والاعوان ، أو .. ترام كهربائي لم يتمكن من الفرار بسرعة
ولهذا توقف الآن مظلما ، وخاليا ، بينما السائق والكمساري
يستلقيان على الرصيف . وجماعات صغيرة من المتفرجين الفضوليين
يقفون على البعد ، يرقبون المساعدين . كانوا متسمرين في أماكنهم
على الرغم من انه لم يكن لديهم أدنى فكرة عما كان يجري .
الا ان كارل كان يضطجع الى الخلف في سمادة ، وكانت فكرة
انه سيكون الآن ضيفا عزيزا ، في منزل ريفي ساطع الضياء ، محاط
بأسوار عالية ، وتقوم على حراسته كلاب الحراسة المدربة ، كانت
هذه الفكرة قد ملأته بالرضا البالغ ، ومع انه كان قد بدا الآن
يشعر بالنعاس يفالبه ، ولم يعد قادرا على ان يلتقط تماما ما كان
مستر « بوللاندر » يوجهه اليه ، او كان يسمع اجزاء متقطعة من
حديثه على الاكثر ، فقد راح يلوم نفسه بين الحين والآخر ، ويدعك
عينيه حتى يرى ان كان مستر « بوللاندر » قد لاحظ نعاسه !
ذلك .. ان هذا كان شيئا حاول كارل ان يتجنبه بأي ثمن .

**** معرفتي ****

me3refaty.blogspot.com

الفصل الثالث

منزل ريفى بالقرب من نيويورك

« حسنا ، لقد وصلنا » ، قالها مستر « بوللاندر » فى لحظة من لحظات شرود كارل . كانت العربية قد توقفت امام منزل ، كأغلب المنازل التى يملكها الاثرياء فى ضواحي نيويورك ، منزل يتسع ، ويمتد الى أبعد مما ينبغى لمنزل ريفى أعد لسكنى أسرة واحدة فقط . ولما لم يكن يوجد أى ضوء ينبعث منه ، سوى بصيص كان ينبعث من أحد جوانب طابقه الأسفل ، فقد كان من الصعب أن يقدر المرء مدى ارتفاعه . وكانت تنبعث أمام المنزل اصوات تصدر عن حفيف اشجار جوز الهند ، وثمة - كانت البوابة قد فتحت على مصراعها عندئذ - ممر قصير يفصل المنزل عن تلك الاشجار ، ويؤدى الى درجات الباب الخارجى للمنزل . أحس كارل بالتعب عند هبوطه من العربية ، حتى لقد بدا يظن ان الرحلة كانت رحلة طويلة على نحو ما ، وسمع فى ظلام الممر الذى كانت تظله اشجار جوز الهند ، صوت فتاة الى جانبه ، تقول : « هذا اذن هو المستر جيكوب اخيرا ! » ، فقال كارل وهو يتناول اليد التى مدتها اليه تلك الفتاة التى لم يتمكن من ان يتحقق من شكلها : « ان اسمى هو روسمان ! » وقال مستر « بوللاندر » موضحا : « انه ابن اخت جيكوب فقط ، اما اسمه فهو كارل روسمان ! »

فقالت الفتاة التى لم تكن تلتفت كثيرا الى الاسماء : « لن يقلل هذا من سرورنا لرؤيته »

والح كازل هو ايضا فى التساؤل ، وهو يسير متجها نحو المنزل بين مستر « بوللاندر » ، وبين الفتاة : « هل أنت الأنسة كلارا ؟ » قالت : « نعم » ، واضاء وجهها فى هذه اللحظة شعاع ينبعث من داخل المنزل ، وكانت تميل برأسها نحو كارل ، وهى تضيف : « الا اننى لا اريد ان اقدم نفسى هنا فى الظلام » .

وفكر كارل ، وهو يفوق اكثر كلما تقدم فى السير ، قائلا فى نفسه : « هل كانت تنتظرنا بجوار البوابة ؟ » قالت كلارا : « على فكرة لدينا ضيف آخر هذه الليلة ! » فصاح « بوللاندر » منفلا : « مستحيل ! »

وقالت كلارا : « انه مستر جرین »
فتساءل كارل ، وكان الهاما قد تملكه : « متى وصل ؟ »
- « منذ دقيقة واحدة ، ألم تسمعا صوت سيارته التي كانت
تتقدم سيارتكما ؟ »

وتطلع كارل الى اعلى ، نحو مستر « بوللاندر » ، ليرى ما سيفعله
في هذا الموقف ، الا ان « بوللاندر » كان قد دس يديه في جيبى
بنطلونه ، وكانت قدماه قد تسمرتا في ارض المر :
- « لا خير في الحياة خارج نيو يورك ، فهي لا تعفيك من
الازعاج ، وسوف نحاول تدبير منزل لنا في مكان ابعد كثيرا من
هذا المكان ، حتى ولو كلفنى بلوغه ان اقود سيارتى الى منتصف
الليل ! »

وظلوا واقفين امام الدرجات المؤدية الى باب المنزل الخارجى .
قالت كلارا : « لكن وقتا طويلا قد انقضى بالفعل ، منذ زارنا
مستر جرین آخر مرة ! » ، كانت تتفق مع أبيها فيما قال ، لكنها
كانت تحاول تهدئته ، والتخفيف من ضيقه .
قال « بوللاندر » : « ولماذا جاء في هذه الليلة بالذات ؟ ! » ،
وقد تدهرجت الكلمات فوق شفته السفلى المتهذبة فى غضب ، كانت
ترتجف ، كما كان يرتجف كل جسده الثقيل المترهل فى وضوح .
قالت كلارا : « لماذا حقا ؟ »

وقال كارل ، مندهشا هو نفسه للتعاطف الذى ربطه بهذين
الشخصين اللذين كانا غريبين تماما عنه قبل يوم واحد : « ربما
لن يلبث حتى يعود ثانية من حيث اتى ! »
قالت كلارا : « اوه .. لا ، ان اعمالا هامة تربطه ببابا ، وقد
يستغرق بحثها وقتا طويلا ، فلقد هددنى فور وصوله مازحا
بقوله : « ان على ان اظل واقفة حتى الصباح ان كان قد راق لى
ان ابدو امامه فى صورة المضيضة المهذبة ! »

فصاح « بوللاندر » ، وكان شيئا لم يكن اشد سوءا مما سمع ،
قائلا : « هذه هى القشة الاخيرة .. اذن فهو ينوى البقاء طوال
الليل ؟ .. وأضاف قائلا : « اننى اشعر بشيء من الرغبة » ، ورشت
عبارته هذه بشيء من القدرة على المرح ، « اننى اشعر بالفعل
بشيء من الرغبة يا مستر روسمان ، فى ان أضـعـك ثانية فى
داخل العربة ، وأعود بك مباشرة الى خالك ! » ، لقد ضاعت هذه
الليلة الآن مقدما ، ومن يدري متى يسمح لك خالك بزيارتك لنا هنا
ثانية ، الا اننى لو عدت بك ثانية الى نيو يورك الليلة ، فلن يكون

امامه ان يرفض السماح لك بزيارتنا في المرة القادمة ! »
وامسك بيد كارل ، لكي يشرع في تنفيذ فكرته في اللحظة
نفسها ، الا ان كارل لم يتزحزح من مكانه ، ورجت كلارا اباهما
ان يتركه ، فلن يكونا هي وكارل على الاقل في حاجة الى السماح
لمستر جرين بازعاجهما مطلقا . وفي النهاية كان « بوللاندر » نفسه
بخشى ان يكون قراره قد اصبح قرارا حاسما بحيث لا يمكنه ان
يتحول عن تنفيذه ، و .. فوق ذلك - وربما كان هذا هو القرار
الحاسم فعلا - كانوا قد سمعوا فجأة مستر جرين ، يهتف من أعلى
الدرج ، الى الحديقة ، قائلا : « اين انتم بحق الجحيم ؟ »

فقال المستر « بوللاندر » : « اننا قادمون ! » ، وراح يصعد
الدرجات ، وخلفه كارل ، وكلارا اللذان تفحصا الآن بعضهما في
الضوء .

قال كارل في نفسه : « ما اشد احمرار شفتيها ؟ » ، وتذكر
شفتي مستر « بوللاندر » وكيف تحولتا الى هذه الصورة الساحرة ،
في شفتي ابنته !

قالت : « سنتوجه بعد تناول العشاء مباشرة ، الى حجرتي ،
لو رغبت في ذلك ، وهكذا يمكننا على الاقل ان نخلص من مستر
جرين ، حتى لو تحتم على بابا ان يبقى معه ، ولعلك ان تكون
لطيفا فتعزف لى على البيانو ، فقد قال لى بابا ان لك مقدرة فائقة
على العزف ، ويؤسفنى اشد الاسف ان اصرح لك باننى لا استطيع
مطلقا ، ان اتمرن على العزف ، واننى لم المس البيانو الذى
امتلكه مطلقا ، رغم حبى الشديد للموسيقى ! »

كان كارل على اتم الاستعداد لتلبية رجاء كلارا ، مع انه كان يود
لو كان في امكان المستر « بوللاندر » ان ينضم اليهما ، الا ان رؤيته
لهيئة مستر جرين العملاقة - كان كارل قد اعتاد على رؤية كرش
بوللاندر - عندما بدت لهم قامته فى أعلى الدرج ، وهم يصعدون
درجات السلم ، قد طردت كل امل كان قد تبقى لدى كارل فى انتزاع
بوللاندر بعيدا عن هذا الرجل ، فى تلك الليلة !

واستقبلهم مستر جرين فى لهفة ، وكان وقتا طويلا كان قد انقضى
بالفعل دون طائل ، تناول ذراع مستر « بوللاندر » ، ودفع كارل
وكلارا امامه نحو حجرة الطعام ، التى كانت تبسود مبهجة هاية
البهجة بالازهار التى كانت منسقة فوق المائدة ، والتى كانت تنبثق

من بين الاغصان والاوراق الخضراء ، فجعلت وجود مستر جرين شيئاً مؤسفاً على نحو مضاعف . كان كارل يحدث نفسه بهذا ، بينما كان ينتظر الى جوار المائدة حتى جلس الآخرون ، وكانت تتمسكه الرغبة في ان تظل الابواب الزجاجية التي تفتح على الحديقة مفتوحة كما كانت ، ذلك ان شذا قويا كان يهب الى داخل الحجرة وكان المرء كان يجلس تحت تمريشة زهور ، عندما نفخ مستر جرين منخاريه ، واندفع لاغلاق هذه الابواب الزجاجية نفسها ، منحنيها الى الترابيس التي في اسفلها ، ومرتفعاً على أطراف اصابع قدميه ، ماذا ذراعه الى اعلى لاغلاق الترابيس العليا ، فعل ذلك في نشاط الشباب ، حتى ان الخادم عندما اسرع اليه ، لم يجد شيئاً قد تبقى له ليقوم به ، وكان اول ما تفوه به مستر جرين عندما عاد بعد ذلك الى المائدة ، هو التعبير عن دهشته لان كارل كان قد طلب موافقة خاله على قيامه بهذه الزيارة . ودفع ملعقة سائلة بالشوربة الى فمه ، ثم ملعقة أخرى ، وراح يشرح لكلا را التي كانت تجلس الى يمينه ، ومستر « بوللاندر » الذي الى يساره ، لماذا كان مندهشاً بهذه الصورة ، وكم كان الخال جيکوب قلقاً في اهتمامه بكارل ، حتى ان عطفه عليه كان عطفاً بالغاً الى حد ابعد ما يكون عن عطف خال على ابن أخته !

وحدث كارل نفسه قائلاً : « انه ليس قانعا بتدخله غير المرغوب فيه هنا ، وانما يصر أيضا على التدخل بيني وبين خالي .. » ولم يتمكن كارل من ابتلاع قطرة واحدة من الشوربة الذهبية اللون ، لكنه راح بعد ذلك يصب الشوربة في صمت في داخل حلقه ، لانه لم يرغب في ان يظهر ما شعر به من الغضب ، واستمر تناول الوجبة في ببطء مؤلم .

ولم يظهر مستر جرين الذي كانت كلارا تعاونه في تناول وجبته ، شيئاً من الحيوية او النشاط ، وكان يطلق ضحكة عالية بين الحين والآخر كلما سنحت الفرصة ، وترك المستر « بوللاندر » نفسه يستغرق في المناقشة مرة أو مرتين ، عندما كان مستر جرين يتحدث عن الاعمال ، الا انه سرعان ما انسحب حتى من الحديث عن الاعمال هي أيضا ، وكان على مستر جرين ان يغريه على الحديث ، بالعودة اليه ثانية على غير توقع . وفوق ذلك فقد ظل مستر جرين يكرر قوله بأنه لم يكن ينوي القيام بهذه الزيارة المفاجئة .. وعندما كان مستر جرين يقول ذلك ، كان كارل يتسمع كما لو كان شخصا ما

يتهدده ، وكانت كلارا قد تشبثت به ، و . . قالت له ان اللحم المشوى موجود الى جوار مرفقه ، وقالت انه الان فى حفلة عشاء ! ويضيف جرير قائلا : ان الامر الذى جاء لمناقشته كان امرا ذا اهمية خاصة ، الا ان اهم جزء فيه كان من الممكن ان يتم بحثه فى المدينة ، فى هذا اليوم ، مع ترك التفاصيل الثانوية لاتمام بحثها فى اليوم التالى او فى اى يوم آخر فيما بعد .

ولهذا فقد استدعى بالفعل الى مكتب المستر « بوللاندر » ، قبل موعد الانصراف بوقت طويل ، الا انه لم يجد المستر « بوللاندر » فى مكتبه ، وكان عليه لهذا ان يتصل تليفونيا بمنزله ، ليخبرهم بانه لن يعود هذه الليلة ، واستقل سيارته بعد ذلك الى هنا .

فقال كارل فى صوت مرتفع ، قبل ان يجد اى شخص آخر فرصة للرد على جرير : « اذن ، فيجب على ان اعتذر اليك ، لاننى الملوم على ترك مستر بوللاندر لمكتبه مبكرا اليوم ، واننى لفي غاية الاسف ! » وحاول مستر بوللاندر ان يخفى وجهه خلف فوطة السفرة ، بينما ابتسمت له كلارا ابتسامة لم تكن تنم عن عطفها ، بل كانت تشي برغبتها فى التأثير عليه على نحو ما .
وقال مستر جرير وهو يمزق حماسة مشوية بضربات قاطعة من سكينه :

« لم يطلب أحد منك ان تعتذر ، بل اننى على عكس ذلك مغتبط جدا لقضاء الليلة فى هذه الصحبة السارة ، بدلا من تناول العشاء وحدى فى منزلى ، حيث لا يوجد لدى سوى مدبرة منزل عجوز هى التى أجدتها فى انتظارى ، وأنها عجوز جدا ، حتى ان أقصى مجهود يسعها ان تبدله هو ان تنتقل من باب المطبخ الى المائدة فحسب ، واضطجع انا فى مقعدى الى الخلف منتظرا بضع دقائق فى كل مرة ، أرقبها فيها وهى تقطع رحلتها الشاقة ، ولم تتوقف هذه الرحلة الا اخيرا عندما اقنعتها فى النهاية بأن تترك مهمة توصيل الاطباق من المطبخ حتى باب حجرة الطعام لخادمي ، الا ان الرحلة من باب حجرة الطعام حتى المائدة هى المهمة التى لا تزال تقوم الآن بأدائها على قدر ما يسعنى الاستنتاج ! »

صاحت كلارا قائلة : « يا للسماء ، ما اشد اخلاصها ! »

« نعم . . لا يزال يوجد اخلاص فى هذه الدنيا »

قالها المستر جرير ، وهو يضع شريحة من الحمامة فى داخل فمه ، حيث قام لسانه بالتقاطها فى الحال ، وتصادف ان لاحظ

كارل ذلك ، فأحس بالغثيان ، ونهض واقفا ، وامسكت به كلارا من يده وامسكه مستر بوللاندر من اليد الأخرى .
قالت كلارا : « لم يحن وقت نهوضك من على المائدة بعد » ،
وعندما جلس ثانية في مكانه ، همست له قائلة : « سوف نختفى معا بعد لحظات قليلة ، فتدرب بالصبر ! »

وكان مستر جرير في تلك الاثناء يتناول طعامه في هدوء ، كما لو كانت مهمة مستر بوللاندر وكلارا الطبيعية هي تهدئة كارل بعد ان اصابه بالغثيان .

كانت وجبة العشاء تمضي في ببطء ، مثقلة بالارهاق الذي كان يسببه تدخل مستر جرير في كل مجال ، والذي لم يمنعه من ان يدخر هجوما جديدا ، بداه في طاقة متجددة ، وقد بدأ هجومه كما لو كان قد عزم على ان يستجم من عادات مدبرة منزله المعجوز ، فراح يزجي المديح المرة بعد المرة للآنسة كلارا ، ويطري خبرتها في تدبير المنزل ، وقد ارضى هذا المديح غرورها فيما يبدو ، وكان كارل على تقيضها يحس برغبته في ايقاف هذا المديح ، وكأنه كان هجوما موجها في صورة ما ، ومع ذلك فلم يقنع مستر جرير بمهاجمة كلارا على هذا النحو ، بل أعلن أسفه عددا من المرات على شهية كارل الضعيفة - دون ان يرفع رأسه عن الطبق الذي امامه - تلك الشهية التي تبدو له ضعيفة ضعفا شديدا خلافا لما كان يتوقعه .

ودافع مستر « بوللاندر » عن شهية كارل ، على الرغم من انه كان عليه ان يشجعه على تناول المزيد من الطعام ، بما انه كان هو المضيف . كان كارل قد أصبح في غاية الحساسية بسبب الضيق الذي كان يعانيه طوال فترة تناول الطعام ، حتى لقد فسر كلمات مستر بوللاندر ، خلافا لفكرته الطيبة عنه ، على انها نوع من عدم الكرم ، وكان هذا سببا آخر لاندفاعه فجأة الى تناول الطعام في نهم وبسرعة لا تليق ، لمجرد ان يجلس مسترخيا بعد ذلك بقيسة الوقت ، تاركا سكينه وشوكته أمامه على المائدة بلا حركة ، حتى لقد احتار الرجل الذي كان يقوم بالخدمة على المائدة ، فيما كان ينبغى عليه ان يفعل بهما .

قال مستر جرير ، وهو يحاول أن يوحي بأن ما قاله من الكلمات انما تعنى رغبته في المزاح ، وذلك بأن شدد قبضته على سكينه وشوكته : « سوف اخبر خالك غدا ، كيف أنك قد تسببت في اغضاب الآنسة كلارا بعدم تناول عشاءك » ، واستأنف حديثه

قائلا وهو يداعب بأصابعه أسفل ذقن كلارا التى اسلت جفونها
وتركته يفعل ذلك : « انظر الى الفتاة .. كيف اطرقت برأسها
الى أسفل ؟ ! »

ثم صاح ، وهو يضطجع فى مقعده الى الخلف : « ابنتها الصغيرة
المسكينة ! » ، ضاحكا بتشاقل الرجل المتخم بالطعام . وحاول
كارل عبثا ان يجد سببا لسلوك مستر بوللاندر . كان يجلس ناظرا
فى طبقه ، وكأن أهم الأحداث كانت تجرى لحظتها على صفحته ،
ولم يجذب مقعد كارل قريبا منه ، وعندما بدأ يتحدث ، وجه حديثه
الى المائدة كلها ، بينما لم يوجه شيئا لكارل بصورة مباشرة ، وكان
كارل يعاني كذلك من أن جرين ذلك الخليج العتيد ، من أبناء
نيويورك ، كان قد تجرأ على أن يدل كلارا عمدا ، وأن يهينه ،
وهو ضيف مستر بوللاندر أو يعامله على الأقل ، وكأنه كان طفلا ،
وان يعضى على تلك الصورة ، فى مواصلة سلوكه البشع الذى لم
يكن كارل يدرى الى أى حد يسهه أن يحتمله . وعندما نهضوا من
على المائدة - عندما لاحظ جرين نية الجميع - كان هو اول من
نهض من عليها ، وبدا كما لو كان قد جر الآخرين الى الاقتداء به ،
تحول كارل جانبا الى احدى النوافذ الهائلة التى تحيطها اطارات
ضيقة بيضاء ، وتفتح على الشرفة ، والتى كانت فى حقيقة أمرها
عندما تطلع اليها وهو يقترب منها أبوابا حقيقية ، ترى ما الذى
طرا على كراهية مستر بوللاندر وابنته ، تلك الكراهية التى أظهرها
فى البداية نحو جرين ، والتى بدت حينذاك الى حد ما غير واضحة لكارل
الذى لم يتمكن من أن يفهم لها سببا ؟ ماذا طرا على تلك الكراهية
حتى يقف الآن مع الرجل ، ويومئ اليه ، كان الدخان يتصاعد
من سيجار مستر جرين الذى أهده له بوللاندر ، سيجار غليظ
بالصورة التى كان والد كارل قد ذكرها له فى أحيان ، على أنها
حقيقة ، ولعله لم يكن قد رآه بالفعل بعينه ! كان الدخان ينتشر
فى أنحاء الحجرة ، حاملا تأثير جرين حتى الى الأركان والزوايا التى
لم يطرقتها بنفسه ، وكان فى إمكان كارل أن يشعر من على البعد
الذى كان يقف عنده بالدخان وهو يلسع أنفه ، وبدا سلوك جرين
الذى كان كارل قد حدق فيه بلفتة سريعة من رأسه ، سلوكا مشينا
فى رأى كارل ، وبدا كارل يفكر فى أنه كان واضحا وضوحا كافيا
له الآن أن خاله كان قد عارض قيامه بهذه الزيارة ، كل تلك
المعارضة ، لانه كان يعلم فى بساطة مدى ضعف شخصية مستر

« بوللاندر » ، وتوقع لهذا ، احتمال ان يتعرض كارل للاهانة بشكل ما - ولم يكن مصيبا في هذا بالطبع - أما بخصوص الفتاة الأمريكية ، فان كارل لم يحبها هي أيضا ، على الرغم من انها كانت قريبة غاية القرب من الصورة الجميلة التي تخيلها عليها ، وكان كارل قد دهش بالفعل للتألق الغريب الذي بدا به وجهها منذ ان بدأت ملاطفات مستر جرير لها ، وخاصة التألق الذي ومضت به عينها المتيقظتان ، والثوب المحبوك على جسدها ، ذلك الثوب الذي لم ير مثله من قبل ، وبعض طيات صغيرة من النسيج الاصفر اللون ، وشت بقوة الانفعال ، الا ان كارل لم يبال بشيء من ذلك ، وكان يسره ان يتخلى عن فكرة الذهاب الى حجرتها ، لو أمكنه ان يفتح الباب الذي الى جواره - وقد وضع يده على المزلاج محاولا ان يفتحه ويقفز بداخل العربة او - لو كان السائق نائما بالفعل -

يسير على قدميه عائدا الى نيويورك . كانت الليلة الصافية بقمرها الساطع ، ملكا خالصا لكل شخص ، وبدا له الخوف من أي شيء في الخارج شيئا لا معنى له ، وتخيل - وقد بدأ يشعر بالسعادة في تلك الحجرة لأول مرة - كيف سيتمكن في صباح الغد - فليس في امكانه ان يصل الى نيويورك قبل ذلك الوقت - من ان يصيب خاله بالدهشة ، حقا ، انه لم يسبق له ان دخل حجرة نوم خاله ، ولا كان يعلم حتى أين كانت تقع من ذلك المبنى ، الا انه سرعان ما سيفلح في العثور عليها ، ثم .. يدق على الباب ، وعند الصبيحة المعهودة : « ادخل » ، يندفع داخلا الى الحجرة ، مصيبا خاله العزيز بالدهشة ، خاله الذي يعرفه حتى الآن في كامل ثيابه ، وأزراره مغلقة حتى ذقنه ، جالسا في فراشه بملابس نومه ، وعيناه المغممتان بالدهشة مثبتتان على الباب ، وقد لا تكون تلك المفاجأة ، في حد ذاتها أمرا شديدا الاثر ، الا ان المرء عليه ان يقدر النتائج التي قد تترتب عليها ، فربما أمكنه ان يتناول فطوره مع خاله لأول مرة ، وسيكون خاله في الفراش ، ويجلس هو امامه على مقعد ، ويوضع الفطور على منضدة صغيرة بينهما ، وربما أصبح هذا الفطور الذي جمعهما ، ترتيبا ثابتا فيما بعد ، وربما تمكنا خلال تناول ذلك الفطور - بالفعل - ان نتحدثا الى بعضهما في صراحة اكثر ، ولقد كان انعدام الثقة المتبادلة بينهما ، في نهاية الامر ، هو السبب في انه كان يظهر شيئا من الجموح ، أو العناد بمعنى أصح ، ولا يزال الى اليوم يبدو لخاله على هذه الصورة ، وحتى لو اضطر

الى قضاء الليلة هنا - ويبدو ان هذا هو ما سيحدث بالفعل ، لسوء الحظ ، على الرغم من انهم قد تركوه يقف وحيدا الى النافذة ، ويتسلى بالتطلع خارجها - فلعل هذه الزيارة غير الموفقة ، ان تكون هى نقطة التحول فى علاقته بخاله ، و .. ربما يكون خاله مستلقيا فى فراشه ، ومستغرقا فى هذه اللحظات نفسها فى نفس الافكار .

واستدار فى شئ من الرضا ، كانت كلارا تقف الى جواره ، وتقول له : « الا يسرك ان تشترك معنا على الاطلاق ؟ الا تحاول ان تشعر نفسك ، ولو قليلا ، انك هنا ، فى منزلك ؟ هيا .. سأقوم بمحاولة اخيرة معك ! »

قادته عبر الحجرة ، الى الباب ، وكان السيدان يجلسان الى مائدة جانبية ، يشربان فى اكواب مرتفعة ، سائلا خفيفا فوارا ، لم يكن كارل يدرى ما هو ، وكان يود لو تذوقه . وكان مرفقا المستر جرين معتمدين على المنضدة ، وكان وجهه قريبا جدا من وجه مستر بوللاندر ، ولو ان امرءا غيره لا يعرف مستر بوللاندر ، فربما ظن ان خطة اجرامية كانت تدبر بينهما ، وليس عملا مشروعا ، بينما تعقبت عينا مستر بوللاندر ، كارل ، الى الباب بنظرة ودية ، ولم يوجه مستر جرين نظرة واحدة الى كارل ، خلافا للقاعدة الثابتة ، بأن عيني المرء تتعقبان لا اراديا ما تتعقبه عينا من يتحدث اليه ، وبدا لكارل ان تصرف مستر جرين العدائى الواضح الى هذا الحد ، كان يشير الى اعتقاده ان عليهما هو وكارل ان يتقاتلا بالفعل ، وان يشتبكا بالايدي ، والى انه من المحتم ان تحسم العلاقة بينهما عن هذا الطريق الذى ينتهى فى اللحظة الحاسمة بانتصار أحدهما وانهيال الآخر .

قال كارل فى نفسه : « لو كان هذا هو ما يعتقد ، فهو أحق ، اننى - فى الحقيقة - لا اريد شيئا منه ، وعليه ان يتركنى فى سلام ! »

وما كاد يخطو الى الردهة ، حتى خطر له انه ربما كان قد بدا فظا فى سلوكه ، ذلك ان عينيه كانتا مركزتين فى جمود ، على جرين ، حتى ان كلارا كان عليها ان تسحبه الى خارج الغرفة . ومضى فى صحبتها الآن طائعا ، وعندما كانا يمران خلال الردهات ، لم يسمعه الا ان يصدق عينيه بصعوبة فى البداية ، حينما كان يرى خادما بعد كل عشرين خطوة تقريبا ، فى ملابس فاخرة ، ممسكا بشمعدان

ضخم ، له عمود في غاية الضخامة ، حتى كان الخادم يضم كلتا يديه معا ليتمكن من الإمساك به .
قالت كلارا ، وهي تحاول أن تفسر له ذلك : « ان التركيبات الكهربائية الجديدة ، قد تم تركيبها هناك في حجرة الطعام فقط ، ولقد اشترينا هذا المنزل منذ وقت قريب ، وكان علينا ان نقوم باعادة بنائه كله تقريبا ، وقد كان هذا هو اقصى ما يمكننا ان نقوم به لاعداد منزل قديم كهذا المنزل ، بكل ما فيه من الاشياء الغريبة ! » .

قال كارل : « اذن فلديكم في امريكا منازل قديمة بالفعل ، ايضا ؟ »

فقالت كلارا ضاحكة ، وهي تجلبه الى الامام : « بالطبع .. ان لديك افكارا غريبة عن امريكا ! »
قال في ضيق : « لا يجب ان تضحكى مني ! » ، فهو في النهاية يعرف أوروبا وأمريكا ، بينما لا تعرف هي سوى أمريكا !

وفي اثناء سيرهما ، دفعت كلارا احد الابواب ، فانفتح ، بدفعة خفيفة من يدها ، وقالت دون توقف : « هذا هو المكان الذي سوف تنام فيه ! »

كان كارل يريد ان يتفحص الحجرة كلها في الحال ، الا ان كلارا صاحت في نفاد صبر ، وارتفع صوتها حتى اوشك على الصراخ ، قائلة : انه سيكون امامه من الوقت ما يتسع لذلك فيما بعد ، وان عليه ان يمضي معها أولا ، ونشبت بينهما مشادة في الردهة ، حتى خطر ببال كارل انه ليس ملزما بان يفعل كل ما تأمره به كلارا ، فخلص نفسه منها ، واندفع الى داخل الحجرة . وكان الظلام الذي يبعث على الحيرة ، كثيفا خارج الشباك ، وتبين في وسط الظلام بعض الاغصان الممتدة من شجرة ضخمة كانت تتطوح في الحديقة ، وكان في مقدوره سماع تغريد الطيور ، ولم يكن يستطيع تمييز أى شيء في داخل الحجرة ، ولا حتى ان يتلمس طريقه خلالها ، ذلك ان ضوء القمر لم يكن قد دخلها بعد ! وشعر كارل بالاسف لانه لم يحضر معه بطاريته الكهربائية التي كان خاله قد اعطاها له ، ففي هذا المنزل كانت البطارية الكهربائية شيئا لا غنى عنه مطلقا ، وكان يمكن للمرء ان يرسل الخدم الى فراشهم باعطائهم واحدة من تلك البطاريات الكهربائية !

وجلس على حافة النافذة ، وحدق في الظلام ، وراح يتسمع ،

وبدا ان طائرا ما ، قد تسبب كارل فى ازعاجه ، لانه كان يصفق بجناحيه بين اوراق الشجرة العتيقة ، وكان صغير قطار من قطارات الضواحي ، ينبعث من مكان ما عبر الحقول ، وكل شيء كان ساكنا تماما فيما عدا ذلك .

ولم يمض وقت طويل حتى عادت كلارا مندفة الى داخل الحجرة ، وصاحت فى غضب ظاهر : « ما معنى ذلك ؟ » وضربت قميصها بيدها .

وقرر كارل الا يرد عليها بشيء ، حتى تظهر شيئا من الادب ، الا انها تقدمت نحوه بخطوات واسعة ، وهى تصيح فى دهشة : « حسنا .. هل ستأتى معى ، ام لا ؟ » وضربته سواء عن عمد ، او فى غمرة ارتباكها ، ضربة شديدة على صدره ، حتى لقد أوشك ان يسقط خارج النافذة ، لو لم يكن فى اللحظة الاخيرة ، قد انزلق من على حافة النافذة ، حتى لامست قدماه ارض الحجرة ! قال لها فى لوم : « ربما كنت قد وقعت خارج النافذة ! ! » - « مما يؤسف له انك لم تقع ، لماذا تبدو غيبا الى هذا الحد ؟ سوف اجذبك خارج هذه الحجرة فى المرة القادمة ! »

وامسكت به بالفعل ، وحملته تقريبا بين ساعديها المدربتين حتى النافذة ، وكانت الدهشة قد استولت عليه فلم يخلص نفسه من بين ساعديها ، ثم عاد الى نفسه ، وتملص بجذعه متخلصا من بين ذراعيها ، وامسك بها بدوره .

قالت فى الحال : « اوه .. انك تؤلمنى ! »

لكن كارل احس انه من الخطأ ان يتركها ، وسمح لها بحرية الحركة التى تتيح لها اتخاذ أية خطوات تريدها ، لكنه تبعها ، ملتصقا بها بشدة . كان من السهل ان يقبض عليها بشدة بملابسها المحبوة .

همست : « اتركنى » ، وكان وجهها المتضرج ، قريبا من وجهه ، حتى لقد كان يجهد نفسه لكى يرى وجهها : « اتركنى ، سوف اعطيك شيئا لا تتوقعه ! » .

وفكر كارل فى نفسه : « لماذا تتنهد على هذا النحو ، اننى لا اسبب لها اى ألم ، فلست أضغط عليها ، انما أمنعها فقط من الحركة ، فاننى لا أضمن ما قد تفعله ؟ » ، وظل متشبها بها ، لكن فجأة ، فى لحظة غفلة ، وبعد لحظة من السكون ، أحس مرة أخرى فجأة بقواها تصارع جسده ، ثم انطلقت متخلصة من قبضته ،

ثم شلت حركته ، بحركة من حركات المصارعة ، وضربت قدميه
بركلة بارعة من ساقها المشوكة ، حركة غريبة عليه ، ألقت به أرضا
أمامها في سيطرة مذهشة ، ثم وقفت تلهث قليلا ، بجانب الحائط ،
كانت هناك أريكة بجوار ذلك الحائط ، كان هو قد أنطرح عليها ،
وتشبث بها في سقطته ، وظلت هي على مسافة كافية من مكانه ،
وقالت : « انهض الآن لو استطعت ! » .

— « ابتها القطة .. ابتها القطة المتوحشة ! » . كان ذلك هو كل
ما استطاع كارل ان يصيح به ، في ثورة غضبه ، واحساسه بالعار :
« لابد انك معتوهة ، ابتها القطة المتوحشة ! » .

قالت له : « احذر ما تقول ! » ، ومدت يدها الى حنجرته ،
التي راحت تضغط عليها بغاية العنف حتى ان كارل لم يتمكن
من التقاط أنفاسه الابصموية ، بينما لوحت بقبضتها الاخرى الى
خده ، ولمسته كما لو كانت تجرب صفعه ، ثم اعادتھا الى الخلف
تدريجيا الى أبعد فأبعد ، على استعداد لتوجيه لكمة له في أية
لحظة .

وسالته قائلة : « ما قولك ، لو اننى هاقبتك على وقاحتك مع
آنسة بارسالك الى منزلك وقد احمرت اذنك من شدة اللطمات ؟
ربما أفادك هذا في ان تصبح شخصا طيبا طوال ما تبقى من حياتك ،
مع انه لا يبدو عليك الاستعداد لتذكر ذلك . اننى آسفة في الحقيقة
من أجلك ، فانت فتى حسن الشكل الى درجة كبيرة ، ولو انك
كنت قد تعلمت المصارعة اليابانية ، فربما كنت قد ضربتني ، وعلى
اية حال .. على اية حال ، فانى اشعر برغبة شديدة في لعن
أذنك الآن ، وانت مستلق امامي ، ولعلنى أندم لاننى لم افعل ،
لكن لو اننى فعلت ذلك ، فدمنى اقل لك اننى سافعله لاننى
لا أستطيع مقاومة رغبتى تلك ، ولن تكون لكمة واحدة بالطبع تلك
التي سأسدها لك ، بل اننى سامضى في تسديد اللطمات الى
أذنك ، ولن أتوقف حتى تغطيك الكدمات الزرقاء والأسوداء ،
وربما كنت واحدا من هؤلاء الرجال الشرفاء — يمكننى ان اصدق
ذلك بسهولة — وسيشق عليك ان تتحمل العار الذى أصابك بلطمك
على أذنك ، وستتعمد في الحال . لكن لماذا كنت فظيلا في سلوكك
معى بهذه الصورة ؟ الا تحببني ؟ الا يستحق مجيئك الى غرفتي اقل
العناء ؟ آه .. احذر ، اننى ساصفئك الآن فجأة ، ساصفئك في
التو واللحظة ، و .. لو عفوت عنك في هذه الليلة ، فاعمل على ان

تسلك سلوكا افضل في المرة القادمة . اننى لست خالك حتى احتمل
طبعك الشكس ، ومهما يكن الامر ، فدعنى اوضح لك ، اننى لو
تركتك الان فلعلك لا تحتاج الى الظن بان العار الذى يلحقك يتساوى
سواء لطمتك ، او عفوت عنك ، سوف اصفعك على وجهك بغاية
ما يسعنى العنف ، وقد لا تظن انت اننى فعلت ذلك . اننى لا ادرى
ما الذى سيقوله ماك عندما احكى له عن ذلك كله ! »

وعندما طرا ماك على بالها ، تراخت قبضتها ، واحس كارل في
انفعاله بان ماك قد انقذه ، وظل فترة قصيرة بعدها يحس بقبضة
كلارا ، وكأنها تقبض على حنجرته لا تزال ، ولهذا تلوى في مكانه
لحظة قبل ان يعود الى سكونه مرة اخرى ، مستلقيا فوق الارىكة .
وطلبت منه ان ينهض ، فلم يرد عليها ، كما انه لم يتحرك مطلقا .
واشعلت هى شمعة في مكان ما ، واضاءت الحجرة ، وظهر على
السقف شكل متعرج بتأثير ضوء الشمعة ، الا ان كارل بنى ملقبا
برأسه على الارىكة حيث تركتها كلارا ، ولم يتحرك قيد اصبع ،
وتمشيت كلارا عبر الحجرة ، وكان يسمع حفيف الثوب حول ساقيها
وهى تدرع الفرقة ، ثم بدا وكأنها قد توقفت فترة طويلة عند
النافذة .

وسمعا تساله في النهاية : « هل انتهيت من هناك ؟ » ، وتبين
كارل انه من المستحيل ان يجد الراحة في هذه الحجرة التى خصصها
له مستر بوللاندر ، ليقضى فيها ليلته ، وظلت الفتاة تتجول فى
انحاء الحجرة ، وتتوقف لتتحدث اليه بين الحين والآخر . وكان
هو قد ضاق بها من أعماقه . وكل ما كان يتطلع اليه هو ان يستغرق
فى النوم فورا ، ثم يغادر هذا المنزل بعد ذلك . لم يرغب حتى فى
ان يذهب الى الفراش ، كان يريد ان يبقى على الارىكة حيث كان ،
وكان ينتظر اللحظة التى تغادر فيها تلك الفتاة الحجرة ، حتى يقفز
الى الباب خلفها ، فيفلقه ويحكم رتاجه ، ثم يمدد نفسه ثانية فوق
الارىكة ، واحس برغبة شديدة فى ان يتمطى ويتشاءب ، الا انه لم
يحب ان يفعل ذلك فى وجود كلارا ، ولهذا بقى مستلقيا يحدق فى
السقف ، وهو يشعر بان وجهه كان يزداد ، ويزداد جمودا ، ومرت
امام عينيه بقعة لعلها كانت ذبابة ، حامت حوله دون ان يتحقق
تماما من طبيعتها .

وتقدمت كلارا نحوه ، مرة اخرى ، وانحنى امام عينيه ، فلو
لم يحرك جفونه لامكنه مع ذلك ان يراها جيدا .

قالت : « اننى ذاهبة الآن ، وربما رغبت فى ان تاتى لرؤيتى فيما بعد ، ان باب حجرى هو الرابع ، بعد باب هذه الحجرة ، فى نفس هذا الجانب من الردهة ، فاترك الابواب الثلاثة التالية ، والباب الذى يليها هو الباب المطلوب ! لن اهبط الى الطابق الاسفل ، ثانية ، بل سأبقى فى حجرى . لقد سببت لى الارهاق انا ايضا ، و . . . لن أتوقع مجيئك بالطبع ، لكن . . . لو رغبت فى المجيء ، فتعال ! وتذكر أنك قد وعدت بأن تعزف لى على البيانو ، ربما كنت تشعر بانك قد انطرحت هامدا ، وانك لا تستطيع ان تتحرك من مكانك ، حسنا اذن ، ابقى حيث انت ، وتمتع بالنوم الهادىء ، ولن اذكر لوالدى شيئا عن عراكتنا العارضة ، لا شيء فى الوقت الحاضر ، اقول ذلك الآن اذا كنت تحس بشيء من الانزعاج ! » ، وعلى الرغم من ارهاقها ، الذى كان يبدو واضحا فى حركتها ، انطلقت فى خفة الى خارج الحجرة !

وجلس كارل فى مكانه على الفور ، كان يتملص عليه مواصلة احتمال ذلك الاستلقاء ، نهض ، وتقدم نحو الباب لمجرد تحريك اطرافه ، وتطلع منه الى الردهة . كم كانت مظلمة ! وشعر بالغبطة عندما اغلق الباب ، واحكم رتاجه ، وجلس مرة أخرى على مائدته ، على ضوء الشمعة ، واستقر رايه على عدم البقاء لحظة أخرى فى هذا المنزل ، ورأى ان يهبط الى مستر بوللاندر ، وان يخبره صراحة بمعاملة كلارا له - واضعا فى اعتباره الا يهتم مطلقا لمحاولة دفعه عنها - ويطلب منه ان يسمح له ، بالعودة - لهذا العذر الكافى - سواء بالعربة ، او سيرا على الاقدام الى منزل خاله ! ولو ابدى مستر « بوللاندر » اعتراضا على عودته فى نفس الليلة ، فسيطلب منه كارل حينئذ ان يامر خادما على الاقل ، بأن يقوده الى اقرب فندق ، وربما كان من الثابت ان احدا لا يعامل ضيوفه على النحو الذى كان كارل يفكر فيه ، الا انه من النادر ايضا ان يعامل الضيوف بالاسلوب الذى عاملته به كلارا ، ولقد ظنت بالفعل انها كانت رقيقة عندما وعدته بانها لن تذكر شيئا عما حدث بينهما لمستر بوللاندر ، لقد كان ذلك فى الحقيقة أمرا شنيعا غاية السخافة . هل كان قد دعى الى مباراة للمصارعة ؟ لو كان قد دعى الى ذلك ، فانه سيكون خجلا ايضا لان فتاة يبدو انها قد انفقت الجانب الاكبر من حياتها فى تعلم المصارعة قد طرحته ارضا ، وربما كانت فوق ذلك ، قد تلقت تدريسا على يدى ماك . وفى

امكانها أن تخبر ماك بما شئت ، فماك شخص ذكى للغاية ، وكارل واثق تمام الثقة من ذكائه ، على الرغم من أن الفرصة لم تمنح له ولو لحظة واحدة ليتأكد من ذلك ، إلا أن كارل يعلم أيضا أنه لو كان قد تلقى تدريباً على يدى ماك بدوره ، فلا شك أنه كان سيبدى تفوقاً أبعد كثيراً مما أظهرته كلارا من التفوق فى المصارعة ، إذن لحضر الى هنا مرة أخرى ، فى يوم من الايام ، حتى بلا اية دعوة ، وشرع فى دراسة المعركة ، دراسة محكمة ، تدهش لها كلارا غاية الدهشة ، ثم تناول كلارا هذه نفسها ، وطرحها على نفس الأريكة التى طرحت عليها الليلة !

وكان عليه الآن أن يجد طريقه ثانية الى حجرة الطعام ، التى كان قد ترك فيها قبعته لاربابكه عندما غادرها ، فى مكان ما ، وسوف يأخذ الشمعة بالطبع فى يده ، لكن لم يكن سهلاً أن يجد المراء وجهته حتى فى ضوء الشمعة ، فلم يكن يعرف ، مثلاً ، موقع حجرته هذه بالنسبة لحجرة الطعام ، وكانت كلارا فى طريقهما الى هنا قد راحت تجذبه ، فلم تترك له اقل فرصة للتطلع حوله ، والتعرف على الطريق ، كما كان باله مشغولاً أيضاً بمستر جرين ، وبالخدم الذين كانوا يحملون الشمعدانات الضخمة ، وباختصار ، لم يكن يسهل بالفعل أن يتذكر أن كانا قد صعدا طابقاً أو طابقين ، أو أنهما لم يصعدا أى سلال على الإطلاق ، ولهذا فقد حاول أن يقنع نفسه بأنهما كانا قد ارتقيا سلماً ما ، لكنه وجد أمام الباب درجات كان عليه أن يصعدها ، فلماذا لا يكون هذا الجزء من المنزل مرتفعاً قليلاً عن مستوى ارض الحديقة هو أيضاً ؟ لو أتيح له فقط شعاع من الضوء يتسرب من أحد الابواب التى تتتابع فى تلك الردهة أو صوت يمكنه أن يسمعه على البعد ، مهما كان خافتاً ؟

كانت ساعته - التى أهداها له خاله - تشير الى الحادية عشرة ، فآخذ الشمعة ومضى الى الردهة ، وترك باب حجرته مفتوحاً ، فإذا لم يوفق فى العثور على طريقه ، فيمكنه على الأقل أن يعود ثانية الى حجرته ، ويمكنه فى حالة الضرورة القصوى أن يصل الى حجرة كلارا أيضاً ، ولكى يضمن عودته الى الحجرة ، وضع مقعداً فى فتحة الباب ، فربما انغلق من نفسه . وفى الردهة اكتشف امراً سيئاً - كان قد استدار الى اليسار ، مبتعداً بالطبع عن حجرة كلارا - فقد اندفع فى وجهه تيار هوائى ، كان من الممكن رغم أنه كان تياراً ضعيفاً أن يطفئ شمعته بسهولة ، لهذا اضطر الى

ان يحوط بيده على لهب الشمعة ، وكثيرا ما كان يتوقف حتى يعود اللهب الداوى الى التوهج من جديد ، كان يتقدم في طريقه ببطء ، وبدا ذلك وكأنه يضاعف من طول الطريق ، وكان كارل قد قطع مسافة طويلة ، بطول حائط أصم ، خال من الابواب او الفتحات ، ولم يكن في مقدور المرء ان يتخيل ماذا كان يقع خلف ذلك الحائط ، حتى بلغ بابا بعد آخر ، وتتابعت الابواب ، وحاول كارل ان يفتح بعضها ، لكنها كانت جميعا مغلقة ، وكانت الحجرات تبدو خالية ، كانت مساحة واسعة جدا ، على نحو غاية في الاسراف وفكر كارل في الحى الشرقى من نيو يورك ، ذلك الحى الذى وعده خاله بان يصحبه اليه ، حيث يقال ان عددا من الاسر كانت تعيش معا في حجرة صغيرة ، وان منزل الاسرة باكملها لم يكن سوى ركن من اركان الحجرة الواحدة ، يتكدس فيه الاطفال حول والديهم ، بينما يظل مثل هذا العدد الكبير من الحجرات الفسيحة خاويا هنا ، ويبدو ان الغرض من وجودها هو فقط ترديد الصوت عندما يرق المرء على باب كل منها . وبدا له مستر « بوللاندر » شخصا ضلله اسدقاؤه المزيفون ، وتمادى فى الهيام بابتئسه التى تسبب فى خرابه . ولا شك ان الخال جيكونب كان صائبا فى حكمه عليه ، وقد كان من مبادئ خاله الا يحاول التأثير على كارل فى حكمه بنفسه على الآخرين ، وقد كانت مبادئ خاله هذه ، هى السبب فى هذه الزيارة ، وفى كل هذا التجول الحائر خلال تلك لرددهات سوف يخبر خاله غدا بصراحة مطلقة عن هذا كله ، مدليا بأحكامه الخاصة على كل شيء ، وسوف يسمع خاله دون شك بالاستماع الى احكام ابن اخته ، حتى عليه هو نفسه ، وربما كانت مبادئ خاله هذه ، هى الحقيقة ، ربما كانت هى الشيء الحقيقى الذى يتمتع به خاله ، وربما كانت هذه المبادئ قد اساءت كارل بصورة ما ، الا ان استيائه بدا له الآن على غير اساس .

وفجأة انتهى الجدار القائم على أحد جوانب الردهة ، وظهر على امتداده درابزين ، بارد جدا ، من الرخام ، وواجه كارل الفراغ الحالك - فهل كانت هذه الردهة هى «البهو الرئيسى للمنزل» ؟ - كان من الممكن على ضوء الشمعة رؤية سقف مقبى - فلماذا لم يمرأ هو وكلارا بها ؟ وما هو الغرض من هذه الحجرة الهائلة الشديدة الارتفاع ؟ ان المرء يقف هنا كما لو كان واقفا فى بهو كنيسة من الكنائس ! واسف كارل غاية الاسف لانه لن يبقى فى هذا المنزل

حتى الصباح ، فقد كان يود لو اطلعه مستر بوللاندر على كل اجزاء المنزل في ضوء النهار ، وفسر له كل شيء .

كان الدرايزين قصيرا للغاية ، فلم يلبث كارل حتى وجد نفسه يسير بطول ردهة مغلقة ، وباستدارة مفاجئة اندفع مسرعا نحو الحائط ، وكان الحرص الشديد الذي كان يمسك به الشمعة في تشنج قد منعها من السقوط ، والانطفاء . وبدت له تلك الردهة وكأنها بلا نهاية ، ولم تكن بها نافذة واحدة ، حتى يمكنه من خلالها ان يتبين اين كان ، ولا كان يتحرك فوقه شيء في الطابق الاعلى ، ولا تحته . وبدأ كارل يدور في حلقة ، وكان لديه أمل ضعيف في انه سيتمكن من الوصول الى باب غرفته مرة أخرى ، ولكنه لم يتمكن من العودة الى الحجرة المرتفعة ، ولا الى الدرايزين ، وكان قد منع نفسه عن الصباح حتى الآن ، لانه لم يكن يرغب في اثارة ضجة في منزل غريب في مثل تلك الساعة المتأخرة ، لكنه تحقق الآن ان تجوله لن يوصله الى شيء في هذا المنزل المظلم ، وكان على وشك ان يطلق عقيرته ، صائحا بأعلى صوته : « هالو ! » ، حتى يتردد صدى صيحته بطول الردهة في الاتجاهين ، عندما لمح ضوءا خافتا يقترب خلفه ، في نفس الطريق الذي سلكه ، وامكنه الآن ان يدرك طول تلك الردهة الممتدة في استقامة ، كان ذلك المنزل عبارة عن قلعة ، لا مجرد منزل فحسب ، وكان فرحه لرؤية هذا البصيص المنقذ فرحا بالغا ، حتى لقد نسي كل حذر ، واندفع في اتجاه الضوء . وكان لا يزال ممسكا بشمعه المطفأة بعد ان خطا بضغ خطوات قليلة ، لكنه لم يعد يلقي بالا اليها الآن ، لانه لن يكون في حاجة اليها بعد ذلك ، فقد لمح خادما عجوزا يحمل فانوسا ويتقدم نحوه ، وسوف يدلّه هذا الخادم في الحال على الطريق الصحيح تساءل الخادم ، وهو يرفع فانوسه في وجه كارل ، فيضيء وجهه هو أيضا : « من انت ؟ » كان وجهه وقورا الى حد ما ، بسبب اللحية الهائلة البيضاء التي كانت تنتهي فوق صدره في حلقات دائرية . وقال كارل في نفسه : « لابد ان يكون خادما اميننا ، ما داموا قد سمحوا له باطلاق لحية كهذه » ، وكان يحرق بامعان في اللحية بطولها وعرضها ، دون حرج ، لان الرجل كان يتفحصه هو الآخر بدوره ، واجاب قائلا ، بأنه ضيف على مستر « بوللاندر » ، وانه قد ترك حجرته ذاهبا الى حجرة الطعام ، الا انه لم يجد الطريق اليها .

قال الخادم : « آه .. نعم ، اننا لم ننته من التركيبات الكهربائية بعد ،
فقال كارل : « اعلم ذلك ! » .
وسأله الخادم قائلا : « ألا تريد أن تشعل شمعتك من الفانوس ؟ ! »
فقال كارل ، وهو يشعلها : « لو سمحت ! »
وقال الخادم : « يوجد كثير من هذه التيارات الهوائية في هذه
الردهات ، والشموع تنطفئ بسهولة ، وهذا هو السبب في اننى
أفضل الفانوس عليها ! »
فقال كارل : « نعم ، ان الفانوس عملى أكثر منها : »

وقال الخادم ، وهو يرفع الفانوس الى بدلة كارل : « لماذا تطفئك
كل هذه القطرات من الشمع ؟ »
فصاح كارل في انزعاج ، قائلا : « اننى لم لاحظها مطلقا ! »
أحس بالانزعاج لانها كانت بدله السوداء التى قال خاله انها تبدو
عليه أفضل مما عداها ، وها هى قد تلوث الآن بهذه البقع ، كما
انها لم تسلم كذلك من مباراة المصارعة التى دارت بينه وبين كلارا .
تبين ذلك الآن أيضا ، وكان الخادم كريما جدا ، حتى انه قام
بتنظيف البدلة بقدر المستطاع ، وظل كارل يستدير حول نفسه ،
وهو يشير له الى بقعة هنا ، وبقعة أخرى هناك ، وكان الرجل
يزيلها جميعا فى طاعة .
وتساءل كارل عندما استأنفا طريقهما ثانية : « لكن لماذا كانت
التيارات الهوائية هنا بهذه الكثرة ؟ ! »

قال الخادم : « حسنا ، لانه لا يزال يجب اتمساع الكثير من
المبنى ، ان عملية اعادة البناء قد بدأت فقط ، فى الحقيقة ، الا انها
تسير فى بطء شديد ، وقد قام عمال البناء اخيرا باضراب ، ولعلك
تعلم ذلك ، كما أن بناء منزل بهذه الضخامة يسبب كثيرا من
المشاكل ، بالإضافة الى أن عديدا من الثغرات قد حدثت فى الجدران ، ولم
يسد أحد تلك الثغرات بعد ، ولهذا تمرح التيارات الهوائية فى كل
أنحاء المنزل ، ولو اننى لم اسد اذنائى بقطعتين من القطن ، لما كان
فى مقدورى أن احتملها ! »
فتساءل كارل قائلا : « هل يجب على اذن ان اتحدث فى صوت
أكثر ارتفاعا ؟ »

قال الخادم : « لا .. ان صوتك واضح ، لكن عند عودتك
مرة أخرى الى هذا الجانب من المنزل ، وخاصة هذا الجزء منه ،
بالقرب من المقصورة التى ستنفصل فيما بعد عن باقى المنزل ،

فسوف تجد ان التيارات قد اشتدت بصورة لن يسمعك ان تحتلمها! «
- « اذن فان الدرايزين الذى على امتداد هذه الردهة ، يؤدي
الى مقصورة ! »

- « نعم ! » .

قال كارل : « لقد ظننت ذلك منذ قليل ! »
قال الخادم : « انها مقصورة تستحق الرؤية فى الحديقة ، ولعل
مستر ماك ، لولاها ما كان قد اقدم على شراء هذا المنزل لو كان
لى ان اقول ذلك ! »

وتساءل كارل : « مستر ماك ؟ لقد ظننت ان هذا المنزل ملكا
لمستر بوللاندر ؟ ! »

قال الخادم : « نعم ، ملكه دون شك ، الا ان مستر ماك
كان هو الذى قام بشرائه ، الا تعرف المستر ماك ؟ ! »
قال كارل : « اوه .. نعم اعرفه ، لكن ما هى علاقته بمستر
بوللاندر ؟ ! »

قال الخادم : « انه خطيب السيدة الصغيرة ! »
قال كارل ، وهو يتوقف لحظة : « لم اكن اعلم ذلك بكل تأكيد ! »
وتساءل الخادم : « اترى الامر مدهشا الى هذا الحد ؟ ! »
فاجابه كارل قائلا : « اننى فقط افكر فى هذا الامر ، فلو لم
يعلم المرء جيدا حقيقة تلك العلاقات ، لكان من السهل ان يتورط
فى اشد انواع الاخطاء ! »
قال الخادم : « اما ما يدهشنى انا ، فهو انهم لم يخبروك بشيء
عن هذا : »

فقال كارل ، وهو يشعر بالارتباك : « نعم .. هذا حق ! »

وقال الخادم : « ربما ظنوا انك تعلم ، فهى تعد الان اخبارا
قديمة بالفعل ، لكن ها نحن قد وصلنا .. » وفتح بابا ، ظهرت
خلفه درجات سلم يؤدي مباشرة الى الطابق الاسفل ، ثم الى الباب
الخلفى لحجرة الطعام التى كانت مضيئة ما زالت ، كما كانت عند
وصول كارل .

وقبل ان يهبط كارل متجها نحو حجرة الطعام ، التى كان
يصدر عنها صوت مستر بوللاندر ، ومستر جرين ، وهما مستغرقان
فى حديثهما الذى لم ينقطع منذ ساعتين ، قال الخادم : « سانتظرك
هنا لو شئت ، لكى اصحبك مرة اخرى الى حجرتك ، فمن الصعب
ان يجد المرء طريقه هنا بسهولة فى الليلة الاولى ! »

فأجابه كارل الذى لم يدر لماذا أحس بالحزن الذى دفعه الى ان يدلى للخادم بهذا التصريح: «لن ترانى حجرتى هذه مرة اخرى !» وقال الخادم مبتسما فى شئ من الرقة ، وهو يرتعلى ذراع كارل:

«لن تجد صعوبة فى عودتك اليها ، كنتك الصعوبة التى لقيتها هذه المرة !» ، ولعل الخادم كان قد فسر كلمات كارل على انه كان ينوى قضاء بقية الليلة فى غرفة الطعام ، يتحدث ، ويشرب مع السيدين ، ولم يشأ كارل ان يصرح بمزيد من الاعترافات عندئذ وجمال فى خاطره أيضا ان هذا الخادم ، الذى أحبه أكثر من أى خادم آخر فى هذا المنزل ، يمكنه ان يدلّه على الطريق الى نيويورك ولهذا قال له :

- «لو انتظرتنى هنا ، فسوف يكون هذا كرما شديدا منك ، واننى أتقبله شاكرا ، وسوف أعود بعد لحظة ، على كل حال ، وأخبرك بما سوف أفعله ، واعتقد اننى قد اكون فى حاجة الى مساعدتك .»

قال الخادم : «حسنا » ، ووضع فانوسه على الأرض ، ثم جلس فوق قاعدة منخفضة لعلها كانت بعضا من آثار نرميم المنزل «سوف انتظرك هنا ، اذن ، ويمكنك ان تترك معى شمعتك أيضا !» ، قال ذلك لكارل وهو يهم بهبوط درجات السلم ممسكا بالشمعة المضاءة فى يده . .

قال كارل : «اننى لا أعى الآن ما أفعله !» ، وأعطى الشمعة الخادم الذى أوما له فحسب ، وكان من الصعب ان يقطع المراء بما اذا كانت ايماءته تلك مقصودة ، او انها كانت مجرد حركة عفوية صدرت عنه عندما راح يتحسس لحيته بيده . .

فتح كارل الباب الذى اضطرب فى صوت مرتفع رغما عنه ، فقد كان عبارة عن لوح واحد من الزجاج ، كان يوشك على ان يقفز مخلوعا من مكانه عندما يفتح فى غير احتراس ، دفعه كارل متمجلا من مقبضه ، وتركه يتأرجح خلفه فى اضطراب مزعج ، وكان كارل يريد ان يدخل الغرفة هادئا غابة الهدوء ، وأحس دون ان يستدير نحو الباب بان الخادم يقف خلفه ، كان قد نهض من جلسته فوق القاعدة وتبعه ، لكى يغلق الباب خلفه بحذر دون أن يصدر عنه أى صوت .

وجه كارل حديثه للسيدتين قائلا : «اغفرا لى ازعاجى لكما » . فنظرا اليه بوجهين مستديرين ، قد علتها الدهشة ، والتقى كارل

في هذه الأثناء بنظرة سريعة في أنحاء الحجره ، ليرى ان كانت قبعته في مكان ما ، الا انه لم يعثر عليها ، وكانت الاطباق التي فوق المائدة قد رفعت جميعا ، فظن في ضيق ان قبعته ربما كانت قد رفعت ايضا الى المطبخ مع الاطباق .

سأله مستر بوللاندر : « لكن اين تركت كلارا ؟ » . بدا ان تهجم كارل لم يسبب له اى ازعاج ، لانه كان قد اعتدل في مقعده ، وأدار وجهه ناحية كارل ، وبدا عدم الاكتراث على وجه مستر جرين الذى أخرج من جيبه كتابا من كتب الجيب ، اضمخ في الحجم وعدد الصفحات من اى كتاب آخر من نوعه ، وراح يبحث بين صفحاته عن صفحة ما ، لكنه ظل يقرأ صفحات أخرى منه في أثناء بحثه عن تلك الصفحة .

قال كارل : « لى رجاء أرجو الا تسىء فهمه ! » ، وكان قد اندفع مسرعا نحو مستر « بوللاندر » ، ثم وضع يده على ذراع مقعده ، حتى يقترب منه بقدر ما يستطيع .

وتساءل مستر « بوللاندر » : « وماعى ان يكون هذا الطلب ؟ ! » وكان ينظر الى كارل نظرة صريحة واضحة : « انه طلب اوافق عليه مقدما ! » ، ووضع ذراعه حول كارل ، وسحبه بين ركبتيه ، واستسلم كارل ، مع انه كان يشعر بأنه كان كبيرا بالنسبة لهذا التدليل ، الا ان هذه المعاملة جعلت تصريحه بطلبه مع ذلك اكثر صعوبة

وأضاف مستر « بوللاندر » متسائلا : « ما الذى أحسست به بصراحة ، بوجودك هنا ، الا ترى ان المرء يجد شيئا من الحرية عند خروجه من المدينة الى الريف ، عادة ؟ ! » ونظر بطرف عينه نحو مستر جرين ، نظرة لها معنى لا تخطئه العين ، وان كان كارل قد حجب تلك النظرة عن مستر جرين الى حد ما : « ان هذا الشعور ينتابنى عادة كل مساء ! »

وحدث كارل نفسه قائلا : « انه يتكلم ، وكأنه لا يعلم شيئا عن هذا المنزل الهائل ، وهذه الردهات التى لا حصر لها ، ولا عن المقصورة والحجرات الخالية ، او الظلام الذى يجثم فوق كل مكان ! » قال مستر « بوللاندر » : « حسنا .. وما هو طلبك ؟ » ،

وجذب كارل الذى كان يقف صامتا اليه في ود .

قال كارل : « أرجو .. » ، ولم يكن في مقدوره مهما حاول خفض صوته أن يمنع جرين الذى كان يجلس خلفه من سماع كل شيء ، وقد كان يسره لو تمكن من اخفاء هذا الطلب عنه ، هذا

الطلب الذى قد يفسر بسهولة على أنه اهانة موجهة لمستتر « بوللاندر » : « أرجو .. أن تسمح لى بالعودة الى منزلى الآن ، رغم تاخر الوقت ! » .

وما ان تفوه بأسوا ما فى طلبه ، حتى انطلقت البقية كلها بعد ذلك ، فقال دون أدنى موارد أشياء لم يكن قد فكر فيها من قبل : « اننى أريد قبل كل شيء ، أن أعود الى منزلى ، وسوف يسرنى ان ارجع ثانية الى هنا ، ويسعدنى ان اكون حيث تكون بامستربوللاندر ، لكننى لا استطيع ان أبقي هنا الليلة بالذات ، انك تعلم ان خالى لم يكن راغباً فى السماح لى بهذه الزيارة ، ولست أشك فى انه كان يملك اسباباً كافية لذلك ، كما توجد لديه دائماً اسباب كافية لكل شيء يفعله ، وقد تهيا لى من الجسارة ما جعلنى افرض عليه بالفعل ان يسمح لى بها ، على الرغم من انه كان على صواب . اننى قد قمت ببساطة باستغلال عطفه على ، اننى لم اهتم مطلقاً باعتراضاته ، لاننى أعلم تمام العلم ، ان تلك الاعتراضات لم تكن لتفضبك يا مستر « بوللاندر » ، لانك صديقه المفضل ، افضل أصدقاء خالى جميعاً ، ولا يمكن لأى شخص آخر أن يقارن بك مطلقاً من بين أصدقاء خالى ، وقد كان هذا هو العذر الوحيد لعدم طاعتي لخالى ، مع انه عذر لا يكفى ، ولعلك لا تعرف الكثير عن علاقتى بخالى ، ولهذا فساذكر لك النقاط الاساسية فى هذه العلاقة ، فالى أن تنتهى دراستى للغة الانجليزية ، وطالما لم اتحول الى الحياة العملية كلية ، فاننى اعيش معتمداً كل الاعتماد على كرم خالى الذى اقبله ، بالطبع ، لصلة القرابة التى تربطنا . ولا يجب لن نظن ان بإمكانى حتى الآن ان اكسب عيشى بسهولة ، وقد شاء الله ان يحرمنى من كل وسيلة اخرى استعين بها على مواجهة الحياة ، وأصرح بأن تعليمى لم يكن تعليماً عملياً يؤهلنى لكسب العيش ، لقد اجتزت بدرجات متوسطة أربع سنوات دراسية باحدى المدارس الثانوية بأوروبا ، الا ان هذه الدراسة لاتجدى شيئاً ، ولاتنفع المرء بالمرء فى مواجهة الحياة ، ذلك لان مدارسنا متخلفة غاية التخلف فى تدريس أساليب مواجهة الحياة ، وقد تضحك لو اننى أخبرتك بالاشياء التى تعلمتها فى تلك السنوات الأربع ، ولو أتيح لصبى مثل أن يمضى فى دراسته ، فينتهى من الدراسة الثانوية ، ثم يلتحق بالجامعة ، فربما افاده ذلك فى النهاية ، وزوده بمعرفة تامة ، تؤهله للقيام بعمل من الاعمال ، وتمنحه الثقة فى قدرته على التمسك وراء

الرزق ، لكننى - لسوء الحظ - لم اتمكن من مواصلة الدراسة المنتظمة ، ويخيل الى احيانا اننى لا اعرف شيئا بالمرّة ، وعلى اية حال ، فارقتى معلوماتى لا يمكنها ان تعيننى على مواجهة الحياة في أمريكا . لقد ادخلت حديثا بعض الاصلاحات على نظم التدريس ببعض المدارس الثانوية في بلدى ، فأصبحت تدرس اللغات الحديثة ، وقد تدرس احيانا بعض المواد التجارية ، الا ان تلك النظم الحديثة لم تكن قد وجدت بعد ، عندما انتهيت من دراستى الابتدائية ، والتحقت بالمدرسة الثانوية ، ولاشك ان والدى كان يريدنى ان اتعلم اللغة الانجليزية ، لكن لم يكن فى مقدورى ان اتنبأ وقتها بسوء حظى ، وبأننى سأحتاج الى استعمال اللغة الانجليزية في يوم من الايام ، هذا من ناحية ، ومن ناحية اخرى فقد كان على ان اتعلم في المدرسة اشياء اخرى كثيرة ، فلم يتسع وقتى لدراسة اللغة الانجليزية ، اننى اذكر هذا كله لكى اوضح لك مدى اعتمادى على خالى ، والى اى حد اعتبر نفسى مدينا له ، نتيجة لذلك . ولعلك توافقنى على ان وضعى ، نظرا لهذه الظروف ، لا يسمح لى بأن اسيئه ادنى اساءة ، او اعصى حتى اوامره التى لا يعلنها . فلو كان لى ان اكفر ولو عن نصف الغلطة التى ارتكبتها الآن بالفعل بمجئى الى هنا بغير رضاه ، فيجب على أن اعود الى المنزل فى الحال » .

خلال هذه الخطبة الطويلة التى القاها « كارل » ، كان مستر « بوللاندر » يستمع فى انتباه ، ويضغط على كارل من حين لآخر ضغطا خفيفا ، لم يكن كارل يشعر به ، وخاصة كلما كان كارل يذكر اسم (خاله جيكون) ، وكان يحرق فى جدية ، مرات عديدة ، وكأنه كان يتوقع شيئا من جرين ، الذى كان مشغولا بكتاب الجيب الذى كان يتصفحه . وكان كارل قد بدا يشعر بقلقه يزداد ، ويزداد ، كلما اتضحت له علاقته بخاله اكثر فاكثر خلال خطبته ، وحاول لا شعوريا تخليص نفسه من ذراع بوللاندر . كل شيء هنا كان يعوقه ، الطريق المؤدى الى خاله ، خلال الباب الزجاجى ، و . . هبوط الدرجات ، والسير بطول الطريق ، وعلى امتداد الطرق الريفية ، وخلال الضواحي ، الى الشارع الرئيسى العريض حيث يقوم منزل خاله ، تهيات له كلها شبكة دقيقة التنظيم ، تستلقى هنالك خاوية ، وملساء ، وممهدة ، تدعوه بأعلى صوتها . واختلطت رقة مستر « بوللاندر » ، بسماجة مستر جرين . كان

كل ما جاء يرجوه من هذه الحجرة المثلثة بالدخان هو السماح له بالعودة ؛ وأحسن بانفصاله عن مستر بوللاندر ، وبرغبته في محاربة مستر جرین ، وكان كل ما حوله عبارة عن خوف غامض ، كانت وطأته قد جعلته عاجزا عن الرؤية .

وتراجع خطوة الى الخلف ، ثم توقف على مسافة متساوية من مستر بوللاندر ، ومستر جرین .

تساءل مستر « بوللاندر » قائلا ، وهو يمسك بيد مستر جرین في توسل ، مستديرا نحوه : « اليس لديك شيئا تقوله له ؟ »

وقال مستر جرین : « لست ادري ماذا يمكنني ان ا قوله له » ، قالها مستر جرین بعد ان اخرج خطابا من بين صفحات كتاب الجيب اخيرا ، ووضع امامه على المائدة ، وأضاف قائلا : « ان رغبته في العودة الى خاله مسألة تخصه ، وبامكان المرء ان يزعم ان عودته تجلب السرور الى خاله ، ما لم يكن قد تسبب بالفعل في اغصاب خاله غضبا شديدا بعصيانه له ، ذلك العصيان الذي كان هو كل ما امكنه ان يقدمه لخاله . ولست اشك في هذه الحالة انه من الافضل له ان يبقى هنا . من الصعب ان يقطع المرء بشيء ، انا كلينا صديقان لخاله . وليس من السهل ان يقول المرء ان كانت صداقتي لخاله اوثق ، او صداقة مستر بوللاندر له ، ومع ذلك فنحن لا يمكننا ان نعرف ما الذي يفكر فيه خاله الآن خاصة بينما تفصلنا هذه المسافة التي تبلغ عدة أميال ، عن نيويورك . »

قال كارل ، وهو يقاوم نفوره ، مقتربا من مستر جرین : « يمكنني ان أفهم ما قلته انك انت أيضا ترى انه من الافضل لي ان اعود الى خالي في الحال ، »

فاجاب مستر جرین قائلا : « لم اقل شيئا من هذا ! » ، وعاد مرة اخرى الى تأمل الخطاب ، وراح يمر بأصابعه على حوافه ، ويبدو انه كان يرى ان مستر بوللاندر قد وجه اليه سؤالا ، وانه اجاب عليه ، على حين لا علاقة له بكارل على الاطلاق .

عند ذلك تقدم مستر « بوللاندر » نحو كارل ، واقتاده في رقة مبتعدا عن مستر جرین ، في اتجاه النافذة الكبيرة ، ثم قال وهو ينحنى على اذن كارل ، ويمر بمنديله على وجهه تمهيدا لما يود ان يقوله ، حتى اصطدم المنديل بأنفه ، فأفرغه مستخدما منديله : «عزيزي مستر روسمان ، لا يتبادر الى نفسك الظن بانني اريد ان استبقيك هنا على الرغم منك ، هذه مسألة لا مجال فيها للشك ،

ولا يمكننى أن اضح السيارة تحت تصرفك ، اننى اعترف بذلك ،
لأنها قد وضعت فى جراج عام يبعد مسافة غير قصيرة من هنا ، فلم
يتسع لى الوقت بعد لبناء جراج هنا ، ولا يزال أمامى أن أعيد
بناء كل شيء هنا ، كما أن السائق لا يبيت هنا أيضا ، ولكنه
ينام فى مكان ما بالقرب من ذلك الجراج ، ولست أدري أنا نفسى
بالفعل أين ينام . وعلاوة على ذلك ، فليس الوقت الآن وقت عمله ،
ولا يتوقع المرء ظهوره الا فى الوقت المناسب فقط ، فى الصباح .
مع اننى لا اعتبر هذا كله عقبات تحول دون عودتك انى خالك ،
لأنك لو صممت على ذلك ، فسوف أصحبك فى الحال الى اقرب
محطة سكة حديد ، رغم بعدها عن هذا المكان ، حيث لايمكنك أن تصل
الى خالك فى هذه الحالة ، قبل وصولك اليه فى صباح الغد ، فى
عربتى ، الا بوقت قصير ، فسوف نعود معا الى نيويورك فى
السابعة صباحا » .

قال كارل : « سوف اذهب اذن بالقطار يا مستر بوللاندر بالفعل ،
اننى لم أفكر فى استخدام القطار مطلقا ، ولقد ذكرت أنت نفسك
اننى يمكننى أن أصل بالقطار قبل وصولى معك فى صباح الغد ،
بعربتك ! »

— « لكن الفارق لن يكون ذا أهمية فى هذه الحالة ! »

قال كارل : « حتى ولو لم يكن الفارق كثيرا . . حتى لو حدث
ذلك يا مستر بوللاندر ، اننى يسرنى دائما أن أجيء ثانية الى هنا ،
ذاكرا عطفك بالطبع ، هذه هى الحقيقة ، اذا قدر لك بعد ما رأيته
من سلوكى هذه الليلة أن تدعونى لزيارتك مرة اخرى ، وربما امكننى
أن اشرح لك فى زيارتى القادمة ، على نحو اكثر وضوحا ، لماذا
كانت كل دقيقة تبعدنى عن خالى الآن ، مسألة بالغة الخطورة ! »

وأضاف قائلا ، كما لو كان قد حصل بالفعل على الاذن بالرحيل :
« لكننى أرى انه لا ضرورة لأن تصحبنى بنفسك الآن ، لا ضرورة
لذلك فى الحقيقة بالمره ، ويوجد خادم يقف الآن خارج هذه الغرفة ،
يسره أن يدلنى على الطريق الى المحطة ، والآن ينبغي على فقط أن
أبحث عن قبعتى ! » .

وبهذه الكلمات مضى عبر الحجرة ، ليلقى نظرة سريعة اخيرة ،
عسى أن تكون قبعته فى مكان ما .

قال مستر جرين : « يمكننى أن أزودك بقبعة ! » ، وأخرج
قبعة من جيبه قدمها له قائلا : « ربما نفعتك الآن هذه القبعة ! » .

وتوقف كارل مندهشا ، ثم قال : « لكننى لا يمكننى ان انتزع منك قبعتك ، ويمكننى بدلا من ذلك ان امضى حاسر الرأس ، لست فى حاجة الى اى شئ ! » .
- « خذها ، انها ليست قبعتى ! » .

قال كارل : « فى هذه الحالة ، اشكرك ! » ، وتناول القبعة متعجلا ، حتى لا يتأخر أكثر من ذلك ، وارتداها ، ولم يتمالك نفسه من الضحك ، لانها كانت تناسبه تماما ، ثم خلعها ثانية ، وتفحصها ، الا انه لم يجد بها العلامة الخاصة التى كان يبحث عنها ، كانت تبدو وكأنها قبعة جديدة للغاية ، قال : « انها تناسبنى تماما ! » .

صاح المستر جرين ، وهو يضغط على المائدة بابهامه : « اذن فالقبعة تناسبك ؟ » .

كان كارل فى طريقه الى باب الحجرة ، لبحث عن الخادم ، عندما نهض مستر جرين ، وتمطى بعد وجبته الدسمة ، وراحته الطويلة ، وضرب صدره بيده عدة ضربات مدوية ، وقال لكارل فى صوت يجمع بين النصيحة والامر :

- « يجب عليك قبل ان ترحل ان تقول وداعا للأنسة كلارا ! »

ووافقه مستر بوللاندر ، الذى كان قد نهض واقفا هو ايضا ، قائلا : « نعم ، يجب ان تفعل ذلك ! » ، ومن طريقة نطقه لهذه الكلمات ، كان يمكن للمرء ان يقول انها لم تكن قد خرجت من اعماقه ، وراح يخطط بيده فى ضعف على جانب بظلوله ، ويزور جاكته ، ثم يفك أزرارها مرة اخرى ، تلك الجاكته البالغة القصر ، والتى لم تكن تصل الى عجزه ، طبقا للموضة السائدة ، الا انها كانت رداء لا يليق برجل ضخم الجثة كمستر بوللاندر . وكان فى امكان المرء ان يلاحظ فى وضوح ، وهو يقف بجوار مستر جرين ، ان سمرة مستر بوللاندر لم تكن مظهرا من مظاهر الصحة ، كان ظهره السمين محنيا الى حد ما ، وبدا كرشه ناعما ومترهلا ، كان يبدو عبثا عليه بالفعل ، وكان وجهه السمين شاحبا ، ومهموما وربما كان مستر جرين يبدو أكثر بدانة من مستر بوللاندر ، الا انها كانت بدانة متناسقة ، ومتوازنة فى جميع اجزاء جسده ، وكان يقف بكعبيه متلاصقين ، كأنه جندي ، ويرفع رأسه فى استقامة مرحة ، كان يبدو كرياضى كبير ، او كابتن فرقة رياضية .
واستأنف مستر جرين حديثه قائلا : « عليك ان تذهب الآن أولا

الى الانسة كلارا ، فقد يترك هذا ، كما انه يتناسب تماما مع ترتيباتى الزمنية ، فلدى فى الحقيقة امرهام سوف اخبرك به قبل ان تغادر هذا المنزل ، امر لعله يحسم أيضا مسألة عودتك الى نيويورك او عدم عودتك اليها ، الا اننى مضطر لسوء الحظ ، بناء على التعليمات التى تلقيتها ، الا افشى لك شيئا مما لدى قبل منتصف الليل ، وعليك ان تدرك اننى آسف انا نفسى لذلك ، ففيه اطلاق لراحتى هذه الليلة ، لكننى سالتزم بالتعليمات التى تلقيتها ، انها الحادية عشرة والرابع الآن ، ويمكننى ان افرغ فى خلال الفترة الباقية من الوقت من مناقشة اعمالى مع مستر بوللاندر ، تلك المناقشة التى قطعتها انت ، ويمكنك انت أيضا ان تقضى وقتا ممتعا مع الانسة كلارا ، وعليك ان توافينا هنا فى تمام الثانية عشرة ، حيث انهى اليك بما يتحتم عليك ان تلم به .

فهل كان فى وسع كارل ان يرفض هذا الطلب ، الذى يفرضه عليه التأديب ، والعرفان بفضل مستر بوللاندر ، والذى توجه اليه به ، علاوة على ذلك ، رجل وقع ، فى حقيقة الامر ، ولا مبال ، بينما لم يتدخل مستر بوللاندر الذى يعنيه هذا الامر بكلمة ، ولا حتى بنظرة ؟ وماذا عساه ان تكون تلك الاخبار الهامة التى لم يكن له ان يعلمها قبل منتصف الليل ؟ ان لم تكن هذه الاخبار لتعجل بعودته فى خلال ثلاثة ارباع الساعة الباقية هذه على الاقل ، بدلا من تضيقها عليه كاملة ، فلا شك انها اخبار لا تهمه فى شيء . الا ان ما كان يحيره اكثر هو تفكيره فيما اذا كان سيجد الجراءة على زيارة كلارا اصلا ، على الرغم من عدائها له ، فلو كان معه الآن خنجر كذلك الذى اعطاه له خاله ، ليستعمله ثقلا للخطابات ! فلن تكون حجرة كلارا تلك دون شك سوى وكر خطير لا يعرف الامان . كان يستحيل عليه تماما ان يذكر شيئا سيئ الى كلارا هنا ، فلقد كانت ابنة بوللاندر ، وخطيبة مارك أيضا ، كما عرف اخيرا ، فلو كانت قد سلكت معه سلوكا مغايرا بعض الشيء ، لكان قد اعجب بها فى الحقيقة لتلك الروابط التى تربطها ببوللاندر ، ومارك . كان لا يزال مستغرقا فى كل تلك الخواطر ، عندما أدرك ان احدا لم يكن ينتظر منه ردا على الاطلاق ، ذلك ان جرين قد فتح الباب ، وقال للخادم الذى هب واقفا من فوق القاعدة التى كان يجلس عليها « اصحب هذا الشاب الى الانسة كلارا ! » .

حدث كارل نفسه ، عندما هرول الخادم ، وهو يشن لضعفه ،

واقتراده في صمت تام ، نحو حجرة كلارا : « هذا هو اذن الاسلوب الذي يتم به تنفيذ الاوامر هنا ! » ، وعندما مر كارل من امام حجرته ، التي كان بابها مفتوحا لا يزال ، سأل الخادم ان يتيسح له الفرصة لكي يدخلها للحظة ، على امل ان يجمع شتات نفسه ، الا ان الخادم لم يسمح له بذلك .

قال له : « لا .. يجب ان تاتي معي فورا الى الانسة كلارا ، لقد سمعت ذلك بنفسك ! » .

قال كارل : « ولكنني اريد دخول الحجرة لمدة دقيقة فقط ! » كان يتطلع الى الاسترخاء ، مستلقيا فترة وجيزة فوق الارصفة ، محاولا اضاءة الوقت حتى يحين منتصف الليل .

فقال الخادم : « لا تحاول ان تموقني عن أداء واجبي ! » . وحدث كارل نفسه ، قائلا : « يبدو انه يظن ان ذهابي الى الانسة كلارا هو نوع من العقاب » ، وسار بضغ خطوات قليلة ، لكنه توقف بعدها ثانية في عناد .

قال الخادم : « تقدم ايها السيد الصغير ، ما دمت لم ترحل ، انني اعلم انك ترغب في الرحيل الليلة ، الا اننا لا نحقق عادة ما نرغبه ، ولقد اخبرتك بالفعل ان رحيلك بكاد يكون مستحيلا ! » فقال كارل : « انني لا ارغب في الرحيل ، الا انني سارحل بالفعل رغم ذلك ، وانني ذاهب الى الانسة كلارا فقط ، لكي أقول لها .. الى اللقاء ! »

قال الخادم : « هل الامر كذلك ؟ ! » ، ولاحظ كارل ان الخادم لم يكن يصدق ما قال : « فلماذا اذن لا ترغب في ان تقول لها الى اللقاء ؟ .. هيا .. تعال ! » جاءهما صوت كلارا ، قائلة :

- « من الذي في الردهة ؟ » ، وشاهدها وهي تنحن وتنتطلع الى الردهة براسها ، خارج احد الابواب القريبة ، وفي يدها لمبة مكتب كبيرة لها غطاء احمر ، واسرع الخادم اليها ، وذكر لها سبب وجوده ، وتبعه كارل متباطئا . قالت كلارا : « لقد جئت متاخرا ! »

ولم يرد عليها كارل في الحال ، ولكنه قال للخادم في رفق ، لكن في لهجة آمرة فيها شيء من الحزم ، لانه كان قد فهم الآن شخصية هذا الرجل : « سوف تنتظرني امام هذا الباب » .

قالت كلارا : « لقد كنت على وشك الذهاب الى الفراش » ، ووضعت اللبة فوق المنضدة ، واغلق الخادم الباب من الخارج في

هدوء : « انها الحادية عشرة والنصف الآن تماما ! » .
فقال كارل متسائلا وكان هذا الخبر كان نذيرا له بالاسراع :
« عل تعدت الحادية عشرة والنصف ؟ » ، في هذه الحالة اذن ،
يجب على ان اقول الى اللقاء في الحال ، لاننى يجب ان اكون في
حجرة الطعام في تمام الساعة الثانية عشرة ! »
قالت كلارا : « وماهو هذا الامر الذى يدعوك الى هذه العجلة ! »
كانت تسوى في شرود طيات قميص نومها ، وكان وجهها متوردا ،
وكانت تبسم ، فرأى كارل انه لم يكن هناك ما يندر بوقوع اشتباك
في مشاجرة أخرى مع كلارا ؟ وأضافت قائلة : « هل يمكنك مع
ذلك ان تعزف لى قليلا على البيانو كما وعدنى بابا بالامس ، وكما
وعدت انت الليلة ؟ »
قال : « نعم ، ولكن اليس الوقت متأخرا لذلك الآن ! » ،
كان يحاول ان يرضيها ، لان سلوكها كان مختلفا الآن تماما من ذى
قبل ، كما لو كانت قد ارتفعت الى مستوى رقة بوللاندر ، وماك ايضا .
قالت : « نعم ، ان الوقت متأخر بالفعل ! » . وبدأ وكان
رغبتها في الاستماع الى العزف قد تلاشت الآن ، لانها اضافت
تقول : « كما ان أى صوت يصدر الآن ، سيتردد صدها خلال
المنزل كله ، واخشى لو عزفت ان يستيقظ الخدم الذين ينامون في
الطابق العلوى ! »
- « لست كما ترين مصرا على العزف ، وآمل ان اعود مرة
اخرى ، في اى يوم آخر ، او اذا لم يشغل عليك ، ان تقومى بزيارة
خالى ، وتلقين نظرة على حجرتى أثناء وجودك ، فانا امتلك بيانو
رائعا ، اهداه لى خالى ، ولو شئت فسوف أعزف لك حينئذ كل
مقطوعاتى ، وان لم تكن كثيرة لسوء الحظ ، كما انها لا تليق ايضا
بدلك البيانو الرائع ، الذى يصلح لعازف بارع ، لكن ربما أتيج
لك الاستماع الى عزف لا بأس به ، لو حددت لى مقدما موعد قيامك
بهذه الزيارة ، لان خالى ينوى احضار مدرس مشهور لى اتدرب
على يديه . . . ولك ان تتخيل الى اى حد أترقب حضور ذلك المدرب ،
ولا شك ان عزفه سيكون جديرا بان تشرفينى بزيارتك للحظات
خلال درس من هذه الدروس ، وحتى اكون صريحا معك غاية
الصراحة ، فاننى اعترف لك بارتياحى لتأخر الوقت ، وبأننى لن
اعزف لك الآن ، فانا لا اجد العزف فى الحقيقة ، ولو عزفت لك
الآن ، فسوف تدهشين لرداءة عزفى ، فاسمحي لى الان بالرحيل ،

كما ان موعد ذهابك الى الفراش ، فوق ذلك ، لابد أنه قدحان الآن ،
واضاف قائلا بابتسامة ، عندما كانت كلارا تتطلع اليه في رقة ،
ويبدو كأنها لا تضر له أية ضغينة بسبب المشاجرة ، ومد لها يده :
« في بلدى يقول الناس ، نوما هنيئا ، وأحلاما سعيدة ! »
قالت دون ان تتناول يده : « انتظر ، فلعلك تريد أن تعزف لى
رغم ذلك » . واختفت خلال باب جانبي صغير ، كان البيانو بجانبه
وحدث كارل نفسه قائلا : « وما هو الحل فى هذه الحالة ..
لا يمكننى ان ابقى طويلا ، حتى ولو بدا سلوكها معى بهذه الرقة ! »
وانبعثت طرقة على باب الحجرة ، وهمس الخادم من خلال فرجة
الباب الضيقة ، دون أن يجرؤ على فتحه : « اسمح لى ، لقد دعيت
الآن ، ولا يمكننى أن انتظرك اكثر من ذلك ! »
فاجابه كارل ، وكان يحس الآن بالثقة فى قدرته على ان يجد
الطريق الى حجرة الطعام بمفرده : « يمكنك الذهاب اذن ، لكن
اترك لى فانوسك امام الباب ، كم الساعة الآن ؟ ! »
قال الخادم : « الثانية عشرة الا الربع تقريبا ! »
قال كارل فى نفسه : « ان الوقت ينقضى فى ببطء » ، وتذكر
كارل حين هم الخادم باغلاق الباب أنه لم يمنحه بقشيشا ، فأخرج
شكلا من جيبه - كان يحمل قطع الفكة المعدنية الآن تشغل فى
جيب بنطلونه على الطريقة الامريكية ، اما اوراق البنكنوت فكان
يضعها فى جيب صديريه - ، وناول الشلن للخادم قائلا : « خذ هذا
مقابل عطفك ! »
وكانت كلارا قد عادت ، وهى تربت على شعرها المرتب باصابعها
عندما خطر لكارل الا يترك الخادم يتصرف ، والا فمن الذى
سيبدله على الطريق الى محطة السكة الحديد ؟ حسنا ، لا شك ان
مستر « بوللاندر » سيتمكن من ان يتصيد خادما من مكان ما ،
وربما كان ذلك الخادم المعجوز قد دعى الى حجرة الطعام ، وعلى
هذا فسوف يعود الى جلوسه فوق القاعدة التى جلس عليها من قبل
- « ان تعزف لى حقا على البيانو ولو قليلا ؟ ! ان المرء نادرا
ما يستمع الى الموسيقى هنا ، فمن المؤسف أن يفقد المرء فرصة
تتاح له بالاستماع الى قليل من العزف ! »
قال كارل : « ان على اذن ان ابدأ العزف فى وقت غير
مناسب ! » ، وجلس الى البيانو فى الحال ، دون أن يضع فى اعتباره
شيئا آخر سوى تأخر الوقت .

وسألته كلارا : « هل تحتاج الى نوتات موسيقية معينة ؟ ! »
فاجابها قائلا : « لا.. شكرا ، اننى حتى لا اجد قراءة الموسيقى
قراءة صحيحة » .

وبدا يعزف ..
كانت قطعة صغيرة تلك التى كان يجيد عزفها ، وكان يجب ان
يعزفها فى ببطء ، حتى يمكن فهمها ، وخاصة بالنسبة للغرباء ،
الا انه عزفها مسرعا فى مارش واحد صاخب ، وهبط السكون الذى
كان قد تشوش فى كل انحاء المنزل مرة أخرى ، عندما فرغ كارل
من العزف . وظلا جالسين فى مكانهما ، وكانهما قد تجمدا من
الارتباك ، فلم يأتيا بأية حركة .

ثم قالت كلارا : « عزف جيد بالفعل ! » ، لم يكن يوجد أى
شكل من اشكال المجاملة يصلح لاطراء كارل بعد ذلك العرض
الموسيقى الذى فرغ منه بأقصى سرعة .
سألها قائلا : « كم الساعة الآن ؟ » .

— « الثانية عشرة الا الربع ! »

قال : « اذن فلا يزال امامى قليل من الوقت ! » ، وحدث
نفسه قائلا : « ترى ما هى تلك القطعة الاخرى ؟ » ، ثم اضاف
قائلا : « لايمكننى ان اعزف القطع العشر التى أعرفها جميعا ، الا
اننى يمكننى ان اعزف من بينها لحنا واحدا على الاقل بصورة جيدة
قدر المستطاع ! وبدأ فى عزف لحنه المفضل ، وهو « أنشودة
الجندي » ، فى ببطء شديد ، حتى اثار فى نفس من تسمع اليه ،
الرغبة فى الاستماع الى قطعة اخرى ، رفض كارل ان يعزفها فى
البدأية ، ثم اضطر الى ان يعزفها اخيرا على مضض ، كان عليه
اولا ان يبحث عن المفاتيح بعينه كما يفعل عند عزف أى من
مقطوعاته ، ثم تذكر قطعة اخرى كانت تنتهى بنفس نهاية القطعة
التي يعزفها ، فاستغرق فى تذكر النهاية الصحيحة . ثم قال بعد
ان فرغ من العزف : « لست عازفا مجيدا ! » ، وهو يتطلع الى
كلارا ، والدموع تترقرق فى عينيه !

ثم انبعث صوت تصفيق من الحجرة المجاورة ، فصاح كارل
قائلا وهو يتراجع فجأة الى الخلف : « يوجد شخص آخر كان
يستمع ! »

فقالت كلارا بركة : « انه ماك ! » ، وسمع كارل بالفعل صوت
ماك ، وهو يهتف : « كارل روسمان .. كارل روسمان ! »

فقفز مطوحا ساقيه من فوق مقعد البيانو ، وفتح الباب ! رأى ماك شبه مضطجع في فراش ثنائي ضخيم ، بينما تنتشر البطاطين فوق ساقيه في اضطراب ، ورأى كذلك ستارة من الحرير الأزرق كانت هي الديكور الوحيد للفراش ، كانت تشي بدوق تلميدات المدارس ، وكان الفراش بسيطا فيما عدا ذلك غاية البساطة ، شائع الطراز ، ومصنوعا من الخشب الرخيص ، وكانت ثمة شمعة تحترق فوق المنضدة التي بجوار الفراش ، لكن الملاءات ، وثياب ماك الليلية كانت بيضاء ناصعة كلها ، حتى ان ضوء الشمعة الساقط عليها كان ينعكس على نحو يبهز الابصار ، وكانت الستارة تشع هي ايضا ، عند حوافها على الاقل ، بتموجاتها الخفيفة الحريرية ، المتهدلة . وكان باقى الفراش الى جوار ماك مباشرة غارقا ، كما كان يفرق كل شيء آخر في ظلام حالك ، ومالت كلارا تستند الى عمود الفراش ، وعيناها مثبتتان لحظتها على ماك .

هتف ماك وهو يمد يده الى كارل قائلا : « هاللو .. انك تعزف عزفا جيدا جدا ، ولم اكن اعلم حتى الآن الا بموهبتك في ركوب الخيل فقط ! »

قال كارل : « لست اجد لا هذا ولا ذاك ! » ، ولو كنت اعلم انك كنت تسمع لما كنت قد عزفت ، لاشك في ذلك ، الا ان هذه السيدة الصغيرة .. » ، وتوقف كارل عن متابعة حديثه ، كان قد تردد في ان يقول (خطيبتك) بعد ان رأى ماك وكلارا يشتركان بالفعل في نفس الفراش !

ورد ماك قائلا : « الا اننى ادركت وجود تلك الموهبة ، وهكذا تحتم على كلارا ان تفريك بالمجىء من نيويورك الى هنا ، والا ما اتيح لى ان استمع الى عزفك بالمره ، ولا شك انه عزف هواة ، واضح جدا ، وخاصة في المقطوعتين الاخيرتين ، وقد كانتا بسيطتين غاية البساطة ، وتمرت انت جيدا على عزفهما ، ولقد ارتكبت خطأ او اثنين ، الا انهما قد سببا لى سرورا زائدا ، مع تجاوز حقيقة اننى عادة لا استخف بالمازفين مهما كان مستوى عزفهم ، لكن الا تجلس ؟ الا تمكث معنا فترة قصيرة ؟ ! قدمى له مقعدا يا كلارا ! »

قال كارل في خشونة : « شكرا ، لا يمكننى ان ابقى ، وان كان يسعدنى ذلك ، ولقد قضيت وقتا طويلا في هذا المنزل قبل ان اكتشف وجود مثل تلك الغرفة المريحة ! »

قال ماك : « سوف اعيد بناء كل شيء على هذا الطراز ! »

وفى تلك اللحظة دق جرس ما اثنتا عشر دقة فى تتابع سريع ، كل دقة منها فى اعقاب الاخرى ، وكان كارل يكاد يحس بهبات الهواء الذى حركته ذبذبة دقات ذلك الجرس الهائل فوق خديه ، اى نوع من القرى تلك القرية التى يوجد بها مثل ذلك الجرس ؟ .. قال كارل مندفعاً الى الردهة ، وهو يمد يده لملك وكلا را ، دون ان يشد على ايديهما : « لقد حان وقت ذهابى ! »

لم يجد الفانوس امام الباب ، وندم على تسرعه فى منح الخادم بقشيشاً ، وراح يتحسس طريقه بطول الحائط الى حجرته ، لكنه ما كاد يقطع نصف المسافة اليها ، حتى رأى مستر جريرن ، وهو يتطوح مسرعاً نحوه ، وقد رفع يده الى اعلى بشمعة ، بينما تقبض اصابع يده نفسها على خطاب .

— « روسمان ، لماذا لم تأت ؟ لماذا تركتنى انتظرك ؟ وما الذى ابقاك بحق الجحيم كل هذا الوقت مع الانسة كلارا ؟ » حدث كارل نفسه قائلاً : « يا لها من اسئلة لا حصر لها ! » ، ثم ها هو الآن يدفعنى الى الحائط ! » ، وكان جريرن حقاً قد توقف ملتصقاً بكارل ، الذى كان عليه ان يستند بظهره الى الحائط ، وكان جريرن قد بدا فى هذه الردهة فى حجم بالغ الضخامة ، فتساءل كارل بينه وبين نفسه ، ساخراً ، ان كان جريرن قد التهم مستر بوللاندر ايضا ؟

— « انك لست رجلاً يعول على كلمته دون ريب ، فلقم وعدت ان تهبط الى فى الطابق الاسفل ، فى تمام الساعة الثانية عشرة ، وبدلاً من ان تفعل ما وعدت به ، بقيت هنا تحوم حول باب الانسة كلارا ، لكننى كنت قد وعدت باطلاعك على بعض الاخبار الهامة ، وها هى » .

ثم سلم كارل الخطاب . وقرأ كارل فوق مظروفه : « الى كارل روسمان ، يسلم له شخصياً ، عند منتصف الليل ، حيثما وجد »

قال مستر جريرن ، بينما كان كارل يفض الخطاب : « اظن اننى كنت استحق ان تتقدم الى بالشكر ، لمجرد حضورى بالعربة الى هنا من نيويورك بسببك ، بدلاً من ان تنتظر منى ان اطاردك ايضا فى هذه الردهات ! »

قال كارل ، وهو يستدير الى مستر جريرن ، بمجرد ان نظر الى الخطاب : « انه من خالى ، لقد كنت اتوقعه ! » ورد عليه مستر جريرن قائلاً ، وهو يرفع الشمعة الى اعلى :

« سواء كنت تتوقعه أو لا تتوقعه ، فشيء لا يهمنى بالمرّة ، عليك فقط أن تقرّاه ! »

وقرا كارل على ضوء الشمعة :
ابن اختى العزيز ..

اننى فى حقيقتى ، كما لملك قد تحققت الآن خلال فترة صداقتنا البالغة القصر ، رجل اعمال ، وربما كان هذا أمرا لا يسر ، بل لعله ان يكون شيئا محزنا ، لا يحزن فقط هؤلاء الذين يتصادف احتكاكهم بى ، بل انه ليحزننى أنا نفسى ايضا ، الا أن أعمالى هى التى صنعتنى ، وليس لاحد أن يطلب منى ان اتخلى من طبيعتى ، ولا حتى أنت يا ابن اختى العزيز ، ولقد كنت أنت اختياري الاول فلو كان لى أن أقبل شيئا من قبيل هجومك الشامل على طبيعتى، لكنك انتزعتك عندئذ من وسط الناس جميعا ، بيدى هاتين اللتين تمسكان الآن بهذا الخطاب ، واجلستك فوق رأسى ، لكن لما لم يكن لى أن أفعل شيئا من هذا ، فيجب على بعد حادثة اليوم ، أن أقصيك عنى فى الحال ، واننى أرجو منك الا تزورنى بنفسك ، ولا أن تحاول أن تتصل بى كذلك لا بالكتابة ، ولا من طريق الوسطاء . ولقد قررت أنت هذه الليلة أن تفارقنى ، على غير رغبتى ، فاثبت اذن عند قرارك هذا مدى الحياة ، فعندئذ فقط يكون قرارا جديرا برجل . ولقد اخترت مستر جرين ، أفضل أصدقائى ، ليحمل اليك هذه الاخبار ، ولا شك أنه سيجد شيئا من الكلمات المشجعة لكى يقولها لك ، ولا تحضرنى أنا الآن مثل تلك الكلمات . انه رجل قادر على التأثير فى الآخرين ، وسيزودك ولو كمجرد مجاملة لى فحسب ، ببعض نصائحه ، ومعونته فى خطواتك الاولى المستقلة التى تخطوها . وسيفسر لك انفسالنا الذى يبدو لى الآن ، مرة اخرى ، مستمعيا على الفهم وأنا أنهى هذا الخطاب . ان على يا كارل أن أقول لنفسى المرة بعد الاخرى ، انه ليس لى أن أتوقع خيرا من اسرتك . فلو نسى مستر جرين أن يسلمك صندوقك ومظلتك ، فذكره بهما .
مع أفضل تمنياتى بتوفيقك المقبل .

المخلص لك
خالك جيكوب

تساءل جرين : « هل انتهيت من القراءة ؟ »
قال كارل : « نعم .. هل أحضرت معك الصندوق والمظلة ؟ »

قال جرين : « ها هو » ، ووضع صندوق كارل السفري القديم ، الذى كان يخفيه خلف ظهره حتى الآن بيده اليسرى ، على الارض بجوار كارل .

وعاد كارل فسأله مرة أخرى : « والمظلة ؟ »
قال جرين : « كل شيء هنا ! » ، واخرج كذلك المظلة التى كانت مدلاة من أحد جيوب بنطلونه ، ثم اضاف قائلا : « لقد أحضر هذه الاشياء ، رجل يدعى شوبال ، وهو مهندس فى خط هامبورج - امريكا الملاحى ، وذكر انه كان قد وجدها فوق ظهر الباخرة ، ولعلك تجد وسيلة لكى تتقدم اليه بالشكر فى فرصة ما ! »

فقال كارل ، وهو يضع المظلة فوق الصندوق : « لقد حصلت الآن ثمانية على أشياءى القديمة على الأقل ! »

ورد عليه مستر جرين قائلا : « لكن عليك أن تهتم بها أكثر من هذا فى المستقبل ، ولقد طلب منى السناتور أن أنبهك الى ذلك ! ثم اضاف متسائلا بدافع الفضول الخالص فيما يبدو : « يا له من طراز غريب من الحقائب ، هذا الصندوق ؟ ! »

فأجابه كارل قائلا : « انه واحد من تلك الحقائب التى يصحبها الجنود فى بلدى معهم عند انضمامهم الى الجيش ، لقد كان حقيبة الجيش القديمة الخاصة بابى ، انه صندوق مفيد أيضا للغاية ، واطاف بابتسامة ، وهو يتطلب منك لهذا الا تتركه خلفك فى مكان من الاماكن ! »

فقال مستر جرين : « لقد تلقيت درسا كافيا بعد كل شيء ، واطن انه ليس لك خال آخر فى أمريكا ، وثمة شيء آخر بقى لك معى ، هو تذكرة سفر بالدرجة الثالثة الى سان فرانسيسكو ، وقد قررت ان ارسلك اليها ، أولا لان فرص كسب العيش تتاح لك بوفرة فى الغرب ، ولان لخالك ، من ناحية أخرى ، بدا فى كل شيء هنا ، ستجد له بدا فى أى عمل تراه مناسباً لك ، ويجب الا يقع أى لقاء بينكما مطلقا . ويمكنك فى سان فرانسيسكو أن تقوم بما يروق لك من الاعمال ، فابدا اذن من القاع ، وحاول أن تشق طريقك شيئا فشيئا ، صاعدا الى أعلى ! »

لم يجد كارل أى نوع من الخداع فى هذه الكلمات ، ولقد بلغته الاخبار السيئة ، التى ظلت مخبأة فى جراب جرين طوال الليل ، وبدا له جرين الآن شخصا مسالما ربما أمكن له أن يتحدث اليه فى صراحة ، لعله لا يستطيع ان يتحدث بها الى أى شخص آخر .

كما انه كان افضل شخص امكن اختياريه ، على الرغم منه ، ليحمل اليه مثل ذلك السر ، وتلك الرسالة المؤلمة ، وقد كان حتما عليه ان يبقى شخصا مريبا طالما كان عليه ان يحتفظ بها بينه وبين نفسه !

قال كارل : « سوف اغادر هذا المنزل في الحال ! » ، وكان يأمل ان يجد قراره هذا تأييدا من مستر جرين لخبرته في هذا الشأن ، ثم اضاف قائلا : « ذلك اننى كنت قد دعيت الى هذه الزيارة مجاملة لخالى ، ولا محل الآن لوجودى هنا كشخص غريب ، فهل تتكرم بان تدلنى على الطريق الى خارج هذا المنزل ؟ وان تخبرنى كيف اصل الى اقرب فندق ؟ ! »

قال جرين : « يمكننى ان افعل ذلك باسرع مما تتوقع ، واعتقد انك لا تتخرج من التصريح لى بما تريدنى ان افعله من اجلك ، اليس كذلك ؟ ! »

توقف كارل فجأة ، وهو ينظر الى الخطوات الواسعة التى كان جرين يخطوها .. ان مثل هذه المجلة تبدو مريبة للغاية ، فأمسك لهذا بذيل معطف جرين ، وقد أدرك فجأة حقيقة الموقف ، قائلا : « هناك شيء آخر يجب عليك ان تفسره لى ، فعلى المظروف الذى سلمته لى ، قد كتب ان على ان اتسلمه عند منتصف الليل ، حيثما تصادف وجودى ، فلماذا اذن والامر كذلك ، حجزتنى هنا من الرحيل فى الساعة الحادية عشرة والربع ؟ لقد خالفت بذلك ما وجه اليك من تعليمات ! » .

وشوح جرين بيده ، وهو يجيب قائلا ، فى ضيق بالغ ، انضح منه مدى سخافة سؤال كارل : « هل كان مكتوبا فوق المظروف ان على ان اقتل نفسى من الاجهاد فى مطاردتك ، والسعى فى الترك ، وهل تشير محتويات الخطاب ادنى اشارة الى ان التعليمات التى تتضمنها يمكن ان تفسر على هذا النحو ؟ ! » اننى لو لم اكن قد حجزتك هنا ، لكان على حينئذ ان اسلمك الخطاب بالتحديد ، فى الطريق العام !

فقال كارل فى غير اقتناع : « لا .. ان الامر ليس كذلك ، فلقد كتب على المظروف : « يسلم عند منتصف الليل » ، وربما يكون التنب قد نال منك عندئذ ، فلم يسلمك ان تعمقبنى بالمره ، ولعلنى كنت قد وصلت الى منزل خالى عند منتصف الليل ، ولنفرض مثلا ان مستر بوللاندر لم يخطر بباله ان شيئا من هذا يمكن ان يحدث ،

أو أنه كان من واجبك أنت ، باختصار ، ان تعيدنى الى خالى بعربتك التى تجاهلت وجودها بالمرّة بتلك الصورة المتعمدة ، وخاصة اننى كنت متشبها بالعودة ، ألم يذكر نص الخطاب فى غاية الوضوح ان منتصف الليل كان هو الموعد المحدد لى ؟ وانك الملوم وحدك ، بعد ان فاتنى هذا الموعد ؟ ! »

نظر كارل الى جرين نظرة مأكرة ، وراى ان الخجل امام هذه المواجهة كان قد علا وجه الرجل مختلطا بالفرح لنجاح تدبيره ، حتى تماالك نفسه فى النهاية ، ليقول محتدا ، وكأنه يضع حدا لاتهامات كارل ، رغم ان كارل كان قد لاذ بعد ذلك بالصمت لفترة طويلة : « لا تتفوه بكلمة أخرى ! »

ورفع كارل مرة أخرى صندوقه ، ومظلته ، وسار بهما نحو باب صغير دفعه ، فانفتح امامه .

ووجد كارل نفسه فى الخلاء لدهشته ، وراى درجات سلم خارجى بلا درابزين كان يؤدى الى الحديقة ، كان عليه فقط ان يهبط درجاته ، ثم يستدير نحو اليمين حتى يبلغ الممر الذى يؤدى الى الشارع .

وفى ضوء القمر الساطع استطاع فى سهولة ان يتبين طريقه ، وكان يصله نباح الكلاب المتزايد التى كانت تنطلق بلا قيد فى أرجاء الحديقة تحت ضوء القمر ، وتقفز هنا وهناك بين ظلال الأشجار ، وكان يسمع فى السكون صوت ارتطام تلك الكلاب فوق العشب بعد قفزاتها الهائلة .

وتمكن كارل من مغادرة الحديقة ، دون ان تتعرض له الكلاب ، ولم يكن يدرى على وجه اليقين ، فى اى اتجاه كانت تقع نيويورك . الا انه لم يكن عندما غادر الحديقة ، قد انتبه الى شىء من التفاصيل التى قد تصبح ذات نفع له الآن ، ثم قال فى نفسه أخيرا انه لا يوجد الآن ما يدفعه الى الذهاب الى نيويورك ، حيث لا يتوقع مجيئه احد ، وحيث يوجد بالتأكيد رجل معين لا يتوقع مجيئه مطلقا ، وعلى هذا فقد اختار اتجاها صادفه ، وانطلق سائرا فيه .

الفصل الرابع

الطريق الى رمسيس

في الحانة الصغيرة التي بلغها كارل بعد فترة قصيرة من السير، والتي كانت عبارة عن مجرد مطعم صغير ، كان سائقو لوريات وعربات نيويورك يتناولون طعامهم فيها ، وكانت تستعمل أحيانا كماوى ليلي، طلب كارل أرخص فراش يمكنه ان يقضي فيه ليلته ، وكان قد رأى انه يجب عليه ان يبدأ فوراً في التقشف . وعندما كان يقف في انتظار تلبية طلبه ، لوح له صاحب الحانة طالبا منه ان يصعد الى أعلى الدرج ، كما لو كان خادما بسيطا ، واستقبلته في أعلى الدرج عجوز شمطاء ، شعشاء الشعر ، كانت متجهمة لأنها كانت قد نهضت من نومها ، وراحت تحذره - دون ان تستمع اليه مطلقا - لا يحدث أية ضوضاء، وان يتقدم فى هدوء بينما كانت تتقدمه حتى بلغت حجرة ، اغلقت بابها خلفه ، بعد أن همست له قائلة : « هست » !

ولم يتمكن كارل في البداية من أن يدرك هل كانت ستائر النافذة مسدلة أو انه لم تكن توجد بالغرفة نافذة على الإطلاق ، فقد كان الظلام حالكا ، لكنه تبين في النهاية كوة جذب غطاءها ، فانتشر بداخل الحجرة قليل من الضوء ، ورأى بالحجرة فراشين ، كانا مشغولين كليهما بالفعل ، فقد كان يستلقى فوقهما شابان ، مستغرقين في نوم عميق ، لم يكن شكلهما يوحى بالاطمئنان للوهلة الأولى بلا سبب مفهوم . كانا مستغرقين في النوم بملابسهما كاملة ، وكان أحدهما ينتعل حذاءه أيضا .

رفع أحد الشابين المستغرقين في النوم ، عندما كشف كارل غطاء الكوة ، ذراعيه وساقيه قليلا الى أعلى فبدأ منظره غريبا ، حتى ان كارل لم يستطع الا أن يضحك في نفسه بالرغم من حذره . وسرعان ما تحقق كارل من انه - على الرغم من عدم وجود أى شيء بالغرفة يمكنه ان ينام فوقه ، لا فراش ولا أريكة ، ولا أى شيء - لن يمكنه ان ينام هنا بحال من الاحوال . فلم يكن في مقدوره ان يجازف بفقدان صندوقه الذي عثر عليه أخيرا ، وبفقدان النقود التي يحملها . الا انه لم يرغب في مغادرة المكان أيضا ، فلم يكن

يدري كيف يواجه المرأة المعجوز وصاحب الحانة اذا غادر المكان بهذه السرعة ، ولعله بعد هذا كله ، ان يكون آمنا هنا على الاقل ، نفس الامان الذى قد يتاح له فى الغلاء ، اذا هو غادر المكان فى هذا الوقت المتأخر من الليل ، ولا شك أنه كان من الغريب الا يجد بالحجرة اى اثاث بقدر ما أمكنه الرؤية فى ذلك الضوء الخافت ، لكن ، ربما كان هذان الشابان خادمين بالحانة ، وعليهما ان ينهضا من نومهما فى وقت مبكر استعدادا لخدمة النزلاء ، ولعلهما لهذا السبب كانا ينامان بملابسهما . فلم يكن أمامه ما يدعو للفخر فى هذه الحالة أيضا دون شك ان كان عليه ان ينام فى حجرتهما بعد ان يفادراها ، لكنه على أية حال أمر يقل فيه عنصر المجازفة . ومع ذلك فليس له ان يستغرق فى النوم استغراقا تاما ، مهما كانت الاحوال ، حتى يتأكد من صحة افتراضاته هذه بصورة لا تقبل الشك .

وتحت الفراش كانت توجد شمعة بجوارها بضعة اعواد من الثقاب ، زحف كارل فى حذر ، وتناولها ، لم يكن يخشى اشعال الشمعة ، فقد كانت الحجرة تخصه كما تخص الشابين الآخرين ، اللذين كانا قد نهما بالنوم الى ما بعد منتصف الليل ، بالإضافة الى انفرادهما بالفراشين اللذين كان يعدهما ميزة لا تعدلها ميزة أخرى فى تلك اللحظات ، ومع ذلك فقد كان يتجول فى انحاء الحجرة بغاية الحذر حتى لا يتسبب فى ايقاظهما

كان يود أولا ان يفحص محتويات صندوقه ، ويجرد أشياءه التى لا يكاد يذكرها الآن بصورة واضحة ، تلك الأشياء التى لاشك قد اختفى أهمها بالفعل . فما أن تمتد يد شوبال الى شيء حتى يكاد يتلاشى الامل تقريبا فى ان تسترده ثانية كما كان . وربما كان قد توقع بالطبع بقشيشا كبيرا من الخال جيكوب ، لكن لو ان شيئا قد فقد بالفعل من محتويات الصندوق ، فعليه ببساطة أن يلقى لومه على الحارس الاصلى للصندوق ، مستر باتربوم !

ولقد انزعج كارل عندما نظر فى داخل الصندوق للوهلة الاولى . كم من الساعات أنفقها خلال رحلته ، فى ترتيب ، واعادة ترتيب أشياءه ، لكى يجد كل شيء الآن مضطربا بداخله ذلك الاضطراب الشنيع ، حتى أنه لم يكد يدير المفتاح فى القفل حتى تفر الغطاء الى أعلى تلقائيا

ثم اكتشف فى التو لفرحته ، ان السبب الوحيد فى تلك الفوضى،

هو ان شخصا ما كان قد اضاف الى محتويات الصندوق ايضا بدلته التى كان يرتديها خلال الرحلة ، ولم يكن الصندوق بالطبع ، ليتسع لها الا بصعوبة . لم يكن اى شئ من محتويات الصندوق قد فقد ولم يجد فى الجيب السرى لجاكتته جواز سفره فقط ، بل وجد ايضا النقود التى كان والداه قد زوداه بها ، واصبح لهذا، بالاضافة الى ما كان يحمل من نقود ، مزودا الآن بقدر كاف من المال ، وحتى الملابس الداخلية التى كان يرتديها عند وصوله كانت موجودة كذلك بداخل الصندوق وكانت قد فُسلت ، وتم كيها . وضع نقوده وساعته فى داخل جيبه السرى الامين من فوره . وكان الشئ الوحيد الذى اسف له كارل هو ان قطعة لحم السالامى الفيرونيزية التى كانت موجودة فى الصندوق ، كانت قد خلفت رائحتها على كل الملابس ، فلو استطاع ان يجد طريقة لازالة تلك الرائحة من الملابس التى كان عليه ان يتجول بها فى كل مكان لعدة شهور ؟

وبينما كان يبحث عن شئ ما فى قاع الصندوق - وهو كتاب مقدس فى حجم الجيب ، وبعض اوراق الخطابات ، وصور فوتوغرافية لوالديه - سقطت القبعة من فوق راسه الى داخل الصندوق ، وتبينها على الفور من حروفها المتأكلة ، كانت هى قبعة نفسها ، التى كانت والدته قد اعطته اياها ليرتديها فى اثناء الرحلة ، ولم يكن قد استعملها رغم ذلك على الباخرة من قبيل التوفير فقد كان يعلم ان الناس فى امريكا يرتدون القبعة المستديرة بدلا من القبعة العالية ، ولم يكن يريد ان يستهلك هذه القبعة لذلك قبل ان يصل الى امريكا ، وها هو مستر جريرن قد استعملها فقط لمجرد استغفاله ، فهل كان الخال جيكوب قد نبه عليه بان يفعل ذلك ايضا ؟ وبحركة حائقة لا شعورية جذب كارل غطاء الصندوق ، فانغلق مدويا فى عنف .

لم يعد امامه الان اية حيلة فى الامر ، فقد استيقظ النائمان ، تمدد أولهما وتشاءب ثم تبعه الآخر فى الحال ففعل نفس الشئ . كانت كل محتويات الصندوق مكومة فوق المنضدة ، فلو كان هذان الرجلان لصين ، فلم يكن عليهما الا ان يتقدما نحوه ، ويضعا ايديهما على ما يروق لهما . وتقدم كارل وهو يحمل الشمعة فى يده نحو الفراشين ، كمحاولة لمواجهة هذا الاحتمال ، والتأكد من حقيقة وضعه ونسر لهما كيف دخل هذه الحجرة فلم يبد عليهما

انهما كانا ينتظران اى تفسير ، فقد ظلا يحذقان اليه فحسب دون ان يتمكننا من الرد عليه ، فقد كان النوم يغلبهما ، ولم يجد كارل على وجهيهما اثرا للدهشة أو استنكارا لوجوده . كانا شايين ، الا ان العمل الشاق ، او الفقر كان قد ابرز عظام وجنتيهما بصورة ملحوظة ، وكانت تتهدل من ذقنيهما خصلات لحيتين شعشاوتين وكان شعرهما اشعث كذلك ، وبدا انه لم يخلق منذ فترة طويلة ، لانه كان متلبدا فوق فروتى راسيهما . ودعكا اعينهما الغائرة التى كان النوم لايزال يفلقهما

وقرر كارل ان يستغل جيدا حالة الضعف المؤقت التى كانا يبدوان عليها فى تلك اللحظة فقال : « ان اسمى هو كارل روسمان . واننى المانى الجنسية ، فاذكرا لى اسميكما لو تفضلتما بذلك ، بما اننا نشغل معا نفس الغرفة ، ومن اى بلد جئتما ، وأصرح لكما كذلك باننى لا اطلع الى مزاحمتكما فى فراشيكما . فلقد وصلت متأخرا . وليست لدى ادنى رغبة فى النوم ، على أية حال ، كما انه لاينبغي لكما ان تسيئا فهم حالى نظرا للبدلة الحسنة التى ارتديها ، فانا معدم تماما ، وبلا ادنى امل . »

واشار اصفر الرجلين - وهو ذلك الذى كان ينام منتعلا حذاءه - بيديه وساقيه وحركة جسده ، بما يدل على عدم اهتمامه بهذا كله وبأنه لا يملك وقتا للاستماع الى هذه المعلومات ، واستلقى ثانية على الفراش ، متأهبا لاستئناف نومه فى الحال ، لكنه قال ملوحا بيده قبل ان يعود الى النوم : « هذا الشاب الذى هناك يدعى روبنسون ، وهو ايرلندى ، اما انا فادعى ديلا مارش ، وانا فرنسى ، والان ارجوك ان تلزم الهدوء ! » وما أن فرغ من ذلك ، حتى اطفأ شمعة كارل بنفخة شديدة من فمه ، والقى براسه فوق الفراش .

قال كارل فى نفسه : مستديرا نحو المنضدة « حسنا لقد زال الخطر الان مؤقتا ! » ، فاذا لم يكن نومهما الان مفتعلا ، لكان كل شئ على ما يرام . وكان الشئ الوحيد الذى لم يرتجح اليه ، هو ان احدهما كان ايرلنديا ، ولم يكن فى امكان كارل ان يتذكر فى اى كتاب كان قد قرأ ذات مرة ، عندما كان فى بلده ، ان على المرء اذا قدر له ان يذهب الى امريكا ، ان يحذر الايرلنديين ، وقد كانت أمامه ، عندما كان يقيم فى منزل خاله ، فرصة ممتازة بلا شك ، كان يمكنه ان يستغفر فيها عن ذلك الخطر الايرلندى ، لكنه

كان قد اعتقد حينذاك بأنه كان قد تحصن تماما ضد كل الاخطار حتى نهاية حياته . فقد أهمل بحث ذلك الامر تماما ، ورأى كارل أن عليه أن يلقي الآن على الأقل نظرة فاحصة ، على الرجل الايرلندي في ضوء الشمعة ، التي اشعلها ثانية ، ووجد ان الرجل يبدو محتملا في حقيقة الامر اكثر من الرجل الفرنسي ، كانت وجنتاه لاتزالان تحملان اثرا من الاستدارة ، وكان يتنسم في نومه ، بصورة ودود ، بقدر ما أتيح لكارل ان يرى ، عندما كان يقف على أطراف أصابعه على مسافة بعيدة من الرجل وهو يتطلع اليه .

وقرر كارل بصورة قاطعة الا ينام على الرغم من كل شيء ، وجلس فوق المقعد الوحيد بالحجرة ، وأجل إعادة ترتيب اثباته بداخل الصندوق لبعض الوقت ، ثم تناول صورة فوتوغرافية لوالديه ، كان يقف فيها والده الشاب منتصب القامة خلف والدته ، التي جلست فوق مقعد ذي مسندين ، منظوية على نفسها الى حد ما ، وكانت احدى يدي والده تستند على ظهر المقعد ، بينما كانت يده الاخرى المضمومة تستقر فوق كتاب مصور فوق ترابيزة صغيرة كانت بجانبه ، وكانت ثمة صورة فوتوغرافية اخرى كانت تضم كارل مع والديه ، وكانا يتطلعان اليه فيها باهتمام ، بينما كان هو يحملق في الكاميرا كما طلب منه المصور ، الا انه لم يحضر معه هذه الصورة عند رحيله .

وتفحص الصورة التي أمامه في تركيز ، وحاول ان يواجه نظرة والده من مختلف الزوايا ، الا ان والده لم يتجسد امام عينيه ، مهما كان يحاول ان يعدل تعبير وجهه في الصورة بتحريك الشمعة في اتجاهات مختلفة ، ولا كان شارب الكيف الاقنى ، يبدو حقيقيا هو أيضا . لم تكن صورة جيدة الا ان والدته رغم ذلك كانت قد تبدت له على نحو افضل ، كان فمها مزموما كما لو كانت تعاني الما ، ولا بد لها مع ذلك ان ترغب نفسها على الابتسام ، وبدا لكارل ان أى شخص ينظر الى هذه الصورة لابد سسيفاجا بهذا الشعور ، حتى لقد بدأ يدرك انه كان تفسيرا مبالغا فيه ، فكيف يمكن لصورة فوتوغرافية ان تشي بالمشاعر الدفينة بهذا الوضوح ؟ وحول نظرتة قليلا ، بعيدا عن الصورة وعندما تفحصها ثانية لاحظ يد والدته التي امتدت الى الامام ، تركت مسند الكرسي وتحركت الى مقدمة الصورة ، فبدت قريبة منه جدا حتى بدا في امكانه ان يتناولها ويقبلها ، وفكر هل من الواجب عليه ان

يكتب الى والديه ، مع انهما قد حذراه الا يكتب اليهما ، (وخاصة والده الذى نبه عليه في حزم بالغ بالا يفعل ذلك وهو يودعه في هامبورج) . في تلك الليلة الاليمه ، كان قد اتخذ قرارا حاسما بالا يكتب اليهما ، عندما اخبرته والدته وهى تقف الى النافذة بان عليه ان يرحل الى امريكا ، لكن ماذا يهم قرار صبي عديم الخبرة ، في مثل تلك الحالة ؟ .. وبعد تلك التطورات الجديدة ؟ ولعله كان قد قرر أيضا حينئذ ان شهرين في امريكا سوف يتسعين له لكى يبلغ منصب قائد الجيش الامريكى المراتب ، لا ان يقبع الآن هنا في مثل هذا الوكر الى جانب اثنين من المشردين ، في مطعم خارج نيويورك ، هذا المكان الذى كان يناسبه تماما ، طالما لم يكن آمنه سوى ان يقبله ، وتفحص وجهى والديه بابتسامة كما لو كان يحاول ان يقرأ في ملامحهما مدى استعدادهما لان يتلقيا اخبارا من ابنهما .

وشغله مقدما خوفه من ان يدركه الارهاق في النهاية ، والا يتمكن من البقاء مستيقظا طوال الليل ، و .. سقطت الصورة من بين يديه ، فوضع وجهه فوقها ، واستمتع بلمسها البارد تحت خده ، وفي شيء من الارتياح استغرق في النوم . واستيقظ في الصباح المبكر عندما احس بلكزة تحت ابطه ، كان الرجل الفرنسى قد سمح لنفسه بان يلكزه تلك اللكزة ، الا ان الايرلندى كان يقف ايضا الى جانب المنضدة ، وكانا يتطلعان اليه بلا مبالاة ، كذلك التى ابدياها تجاهه في اثناء الليل ولم يدهش كارل لانهما لم يوقظاه معهما عندما استيقظا ، فلم يكن هنالك ما يدعو الى الارتياح في حركاتهما المتلصصة لانه كان غارقا تماما في نومه وبدا له انهما لم يبدلا مطلقا ادنى مجهود في ارتداء ثيابهما ، كما بدا له من مظهرهما انهما لم يفتسلا كذلك .

وقدما اليه نفسيهما الآن في شيء من التكلف على انهما ميكانيكيان ظلا متعطلين لمدة طويلة في نيويورك ، ولهذا كان الحال قد انحدر بهما الى هذه الصورة ، ولكى يبرهن له روبنسون على ذلك ، فك أزرار سترته ليبين له انه لم يكن يرتدى قميصا فوق جسده ، الا أن المرء كان يسعه أن يخمن ذلك من تهدل ياقة السترة التى كانت قد أحكمت فقط الى العنق ! وقد كانا في طريقهما الى مدينة صغيرة هى باترفورد ، وتبعد مسافة يومين سيرا على الاقدام من نيويورك ، حيث اشيع أن فرص العمل تتوفر بها . ولم تبدر

منهما أية اعتراضات على انضمام كارل اليهما ، ووعدا بان يتبادلا حمل صندوقه ، وان يجدا له عملا ايضا كصبي اذا تمكنا من العثور على عمل لهما ، وهو امر يسهل تدبيره اذا توفر العمل اساسا ، ووافقهما كارل على ذلك ، فنصحاه في لهجة ودية ان يخلع بدلته الجيدة التى يرتديها ، والتى ستموqe في بحثه عن عمل ، وقد كان فى تلك الحانة نفسها فرصة صالحة للتخلص من تلك البدلة ، لان المرأة المعجوز تتجر فى الملابس القديمة ، وفى الحال ، عاونا كارل - الذى لم يكن قد قرر بصورة نهائية ما سيفعله فى امر البدلة - على خلعه ، واختفيا بها ، وعندما خلا كارل الى نفسه ، وكان لايزال تحت تأثير النعاس ، ارتدى فى تكاسل بدلته القديمة ، وهو يلوم نفسه لانه قد وافق على بيع البدلة الجيدة ، التى قد تعوقه الآن بالفعل عن الحصول على عمل كصبي ، الا انها تتيح له أن يظهر فى صورة حسنة الى حد كاف ، عندما يتطلع الى وضع افضل فى فرصة أخرى ، وفتح الباب فى الحال لكى يدعو الرجلين الى العودة بالبدلة ، ليواجههما عندما فتح الباب واقفين امامه ، مزودين بنصف دولار وضماه فوق المنضدة امامه ثمنا لبدلته ، وفى الوقت نفسه كان يبدو عليهما الانشراح الى حد انه كان يصعب على المرء الا يعتقد بأنهما قد استفادا بشيء من الثمن ، وانهما قد استفادا فائدة كبيرة ايضا ، لشدة قرف كارل !

لكن ام يكن هناك متسع من الوقت حتى يتحدث اليهما كارل فى هذا الشأن ، فقد اندفعت المرأة المعجوز الى داخل الحجرة ، وهى تغالب نومها كما بدت فى الليلة السابقة ، وراحت تدفعهم جميعا امامها الى خارج الحجرة وهى تقول لهم ان الحجرة يجب ان تخلو الآن لوجود بعض النزلاء الجدد ولم يكن هناك مجال لبحث هذا الامر ، ولم تكن هناك حاجة الى القول بأنها كانت تفعل ذلك كمجرد خدمة ، وكان على كارل عندما شرع فى جمع اشيائه فى داخل الصندوق ، ان يتطلع اليها ، وهى تجمعها بدلا منه بكلتا يديها وتقذف بها فى عنف الى داخل الصندوق ، كانت تحاول التخلص منهم كما لو كانوا ثلاثة من الحيوانات الكاسرة ، تريد ان تطردهم خارجا بأسرع ما يمكنها ، وظل الميكانيكيان يراوغانها ، ويدوران حولها ويجذبان طرف رداثها ، ويلطمانها فوق ظهرها ، لكن لو انهما كانا يعتقدان انهما بذلك يساعدان كارل لكانا مخطئين فى ظنهما خطأ بالغا ! وعندما اغلقت المعجوز الصندوق ، ألقت

بمقبضه بين اصابع كارل ، ودفعت الميكانيكيين ، وسافتهم جميعا امامها الى خارج الحجرة وهى تهدد ، بانهم ان لم يسارعوا بالخروج ، فانها لن تقدم لهم القهوة ، وبدا واضحا انها قد تناست تماما ان كارل لم يكن فى صحبة الميكانيكيين من البداية ، لانها كانت قد طاردتهم جميعا ، ولما كان الميكانيكيان قد باعا لها بدلة كارل ، فوق ذلك ، فقد وشى ذلك كله بشيء من التضامن بينهما وبينها .

كان عليهم ان يذرعوا الممر ذهابا وجيئة وقتا طويلا ، واقسم الرجل الفرنسى الذى كان قد امسك بذراع كارل ، فى وضوح منقطع النظر مهددا بان يطرح صاحب الحانة أرضا لو جرؤ على الظهور ، وضرب قبضتيه المطبقتين فى هياج ، كما لو كان يستعد للمواجهة . وأخيرا ظهر صبي ضئيل برىء المظهر ، كان صغيرا للغاية حتى لقد كان عليه ان يقف على اطراف اصابعه لكى يناول القهوة للرجل الفرنسى ، ولم يكن هناك لسوء الحظ شيء سوى العلبة الصفيح ، ولم يكن فى مقدورهم ان يوضحوا للصبي حاجتهم الى الاكواب . وهكذا لم يكن عليهم سوى ان يتناوبوا تناول القهوة من العلبة الصفيح ، الواحد منهم بعد الآخر بينما يقف الآخرون فى انتظار دورهما ولم يكن كارل ليقبل تناول القهوة على هذا النحو ، لكنه لم يرغب ايضا فى اهانة الآخرين ، ولهذا رفع العلبة الصفيح الى شفتيه عندما حان دوره ، الا أنه لم يشرب شيئا منها رغم ذلك .

وطوح الرجل الفرنسى بالعلبة على الدرجات الحجرية اإذانا بالرحيل وغادروا الحانة دون ان يلحظهم احد وتقدموا نحو ضباب الصباح الكثيف الضارب الى الاصفرار ، وساروا فى صمت جنبا الى جنب على حافة الطريق ، وكان على كارل ان يحمل صندوقه لان الآخرين لم يظهروا ما يدل على استعدادهما لحمله ليتيحاه له ان يرتاح قليلا . الا عندما كان كارل يطلب منهما ذلك ، وكانت تندفع من حين لآخر سيارة من خلال الضباب وكان الثلاثة يديرون رؤوسهم ، ليتطلعوا نحو السيارة التى تسدو هائلة الحجم ، ثم تنطلق كالسهم ، حتى انهم لم يتمكنوا من رؤية أحد بداخلها ، ثم اخذت تقابلهم صفوف من العربات التى تحمل التموين الى نيويورك ، تلك العربات التى كانت تندفع فى عكس اتجاههم فى صفوف خمسة تشغل عرض الطريق ، ويستمر ذلك التابع الذى لا ينقطع ، حتى ان أحدا لم يكن يمكنه ان يعبر الطريق الى الجانب الآخر ، وكان

الطريق يتسع احيانا حتى يبدو اشبه بميدان ، كان يقوم في منتصفه هيكل شبيه بالبرج ، يقف بداخله رجل بوليس مهمته الاشراف على حركة كل شيء ، وكان يوجه تلك الحركة في الطريق الرئيسى ، والطرق الجانبية التى تتصل به ، بمؤشر صغير في يده وكان هذا الرجل هو المشرف الوحيد على حركة المرور الى أن تصل تلك الحركة الى الميدان التالى ، والى عسكرى المرور التالى ، ويتم توجيهها فى اثناء ذلك بكفاءة ، وتلقائية باليقظة الصامتة التى يبدونها سائقو اللوريات والعربات ، ولقد دهش كارل اشد الدهشة للهدوء الشامل ، فلولا خوار القطيع اللامبالى الذى كان فى طريقه الى المجزر ، فلعلك لم تكن لتسمع سوى وقع الاقدام ، وطنين موتورات العربات ، ولم تكن سرعة تلك العربات بالطبع واحدة على الدوام ، وكانت تقوم حركة تنظيم واسعة النطاق لمرور فى بعض الميادين بسبب اندفاع حركة السيارات من الشوارع الجانبية ، فكانت صفوف طويلة من العربات تتوقف فجأة عندئذ ، وهى تهتز عدة بوصات الى الامام ، لكن بعد لحظات قصيرة ، كان كل شيء يندفع الى الامام مرة اخرى بسرعة الضوء . ثم تتوقف الحركة كلها ثانية دفعة واحدة ، كما لو كانت قد توقفت كلها بفرملة واحدة ، وتمضى تلك الحركة كلها فى جو رائق ، بلا ادنى اثر للضباب الذى يرتفع تحت العجلات من الطريق ، لم يكن هناك مارة ، ولا بائعات يسرن وحيدات بطول الطريق نحو المدن كما فى بلد كارل ، لكن من حين لآخر كانت تظهر عربات لورى ضخمة ، كانت تقف فوقها ما يقرب من العشرين امرأة بالسلال على ظهورهن ، ولعلمن كن بائعات ، فقد كن يمددن اعناقهن لينظرن الى حركة المرور فى صبر نافذ للاسراع بالسير ، وكانت ثمة لوريات تحمل رجالا يتظلمون حولهم وايديهم فى جيوب بنطلوناتهم ، وكانت تلك اللوريات تحمل دائما بعضى الكتابات المختلفة ، وعلى احدها قرا كارل بصيحة دهشة :

« مطلوب عمال ميناء لوكالة جيكون للتصدير » ، وتصادف ان كانت تلك السيارة تسير فى بطء على نحو ما ، وكان رجل ضئيل الحجم ، محنى الظهر ، ودود بصورة ما ، يقف على سلمها ، وقد وجه هذا الرجل الدعوة اليهم لاعتلاء سطح العربة ، واختبا كارل خلف الميكانيكيين كما لو كان خاله فى اللورى ، ومن الممكن ان يراه ، ولقد ارتاح لرفض زميله لتلك الدعوة ، على الرغم من انه قد وجد ظلا من الاهانة فى الطريقة المستهتره التى رفضاها بها . فهل

كان لهما ان يعتبرا نفسيهما قد بلغا من السمو حدا يمنهما من العمل لخاله . . . ولقد قال لهما شيئا من هذا في كلمات مقتضبة بالطبع ، واستدار ديلامارش اليه وطلب منه عدم التدخل في الامور التي لا يفهمها لان تلك الطريقة في جميع الرجال هي احتيال شنيع ، كما ان شركة جيكوب شركة سيئة السمعة في جميع انحاء الولايات المتحدة ، ولم يجب كارل بشيء ، الا انه ، منذ تلك اللحظة ظل ملتصقا بالرجل الايرلندي . وطلب منه ان يحمل عنه الصندوق قليلا ، وقد فعل الرجل ما طلبه منه ، بعد ان توجه اليه كارل بهذا الطلب عددا من المرات من قبل ، الى ان اتضح ان كل ما كان يريد من الصندوق هذه المرة عندما قيل ان يحمله ، كان لحم السلامي الفيينيزي ، الذي يبدو انه كان قد لاحظ وجوده قبل ان يغادر الحانة ، وكان على كارل ان يفض لفة اللحم لكن الرجل الفرنسي ، اختطفها ، وشرحها قطعاً قصيرة بسكين أشبه بالخنجر ، واتهم الجزء الأكبر منها ، وحصل روبنسون على قطعة من حين آخر فحسب ، ولم يحصل كارل الذي أجبر بعد ذلك على حمل الصندوق ، على شيء مطلقا ، ولعلهما قد افترضا انه كان قد حصل على نصيبه من لفة اللحم مقدما ، وقد بدا له من السخف ان يرجوهما التفضل عليه بشريحة منه ، فلم يطلب شيئا ، لكنه كان يشعر بالمرارة مع ذلك لسلوكهما نحوه .

وكان الضباب قد تلاشى هندلدا ، وتالق على البعد جبل شامق ، كان يتراجع كقيم الامواج ، الى الخلف ، صاعدا نحو قمة متباعدة يطلها غبش ضوء الشمس ، وعلى جانبي الطريق كانت تمتد حقول مهملة تحيط بالمصانع الكبيرة ، التي كانت ترتفع مجللة بالدخان ، في الريف الرحب ، وكانت قطاعات من المساكن المنعزلة قد شيدت جوارنا هنا وهناك ، وكانت نوالدها التي لا حصر لها تموج بالحركة المترايدة والاضواء ، بينما فوق الشرفات الصغيرة نساء واطفال مشغولون بأشياء عديدة ، نصف مختبئين ، ونصف ظاهرين خلف الملابس المنسولة ، المعلقة من مختلف الأنواع ، المنشورة بسكى جف والتي كانت ترفرف حولهم عند هبوب نسيم الصباح ، وتتموج بشدة ، ولو شردت عيننا المرء عن البيوت ، لرأى العصافير في اعلى النخساء ، وطائر السنونو في أسفل ، ينطلق فوق رؤوس المارة

كان هناك الكثير مما كان يذكر كارل ببلده ، ولم يكن يمكنه ان يقرر هل اصاب بمغادرته نيويورك ، وتجوله في الداخل ام خطأ .

ففى نيويورك يوجد البحر ، الذى يعنى الفرصة للعودة فى أية لحظة الى بلده ، ولهذا توقف فجأة ، وقال لرفيقيه انه يشعر برغبته فى العودة الى نيويورك اخيرا وعندما بدأ له ان ديلامارس كان يسحبه باستخفاف الى الامام ، رفض ان يساق الى السير ، واحتج قائلاً ان من شأنه هو ان يقرر بنفسه ان كان يرغب فى السير او يرغب فى العودة ، وكان على الرجل الايرلندى ان يتدخل ، وان يوضح ان باترفورد هى مدينة افضل من نيويورك ، وكان عليهما ان يعاملاه باللين البالغ فترة من الوقت ، قبل ان يواصل السير معهما فى النهاية ، وحتى عندما سار معهما لم يكن قد اذعن الا لانه كان قد قال فى نفسه انه ربما كان من المستحسن ان يوغل فى الابتعاد عن نيويورك حتى لا يعود التفكير فى العودة الى وطنه امرا سهلا ، وانه سوف يعمل بلا شك ، ويحاول ان يتقدم من حالة الى حالة افضل منها ، ما لم تعمقه تلك الافكار المثبطة التى توسوس له احيانا بالعودة .

واصبح الآن هو الذى يتقدم الآخرين فى السير ، وكانا مفتطين لحماسه ، حتى لقد حملا عنه الصندوق بالتناوب دون ان يطلب اليهما ذلك ، ولم يستطع كارل ان يتبين كيف امكنه ان يحقق لهما تلك السعادة ، وكانوا قد بلغوا الآن مكانا مرتفعا ، وعندما كانوا يتوقفون هنا وهناك ، كانوا ينظرون خلفهم الى مشهد نيويورك ومينائها ، وهو يمتد متسعا تحتهم ، وشاهدوا الجسر الذى يربط نيويورك ببروكلين وكان معلقا فى رشاقة فوق النهر الشرقى ، ولو ضيق المرء حذقتى عينيه لبدأ له ذلك الجسر وكأنه يرتعش وكان يبدو خاليا من الحركة ، وتحت امتد لسان أملس من الماء ، وكانت كلتا المدينتين الهائلتين تقومان هناك خاليتين ، وبلا معنى ، وكان من الممكن تمييز المنازل الهائلة من المنازل الصغيرة المنخفضة وربما كانت الحياة تمضى على عادتها فى أعماق الشوارع غير المرئية ، الا انهم لم يكونوا يشاهدون فوقهم فى السماء سوى دخان خفيف ، بدأ مع ذلك وكأنه واقف لا يتحرك ، وكان يتبدد فى سهولة ، وكان الهدوء قد عاد الى الميناء ، الذى يعد اكبر موانئ العالم ، وكان فى مقدور المرء ان يتوهم من حين لآخر ، ربما تحت تأثير تذكيره لمنظر قريب العهد ، أنه يرى باخرة تمخر العباب على مسافة قريبة من الميناء ، الا انه كان من الصعب تتبع تلك الباخرة وقتا طويلا ، لانها كانت تخرج عن مجال الرؤية ، ولا يعود فى الامكان رؤيتها ثانية

وقد رأى ديلا مارش وروبينسون أشياء كثيرة في وضوح ، وكانا
يشيران الى اليمين والى اليسار ، وأذرعهم ممتدة تتحرك فوق
الميادين والحدائق التى ذكروها بأسمائها ، ولم يفهما كيف قضى
كارل شهرين في أمريكا ، ولم يكذب يرى رغم ذلك سوى شارع واحد
فقط من المدينة ، وقد وعداه بأن يصحباها الى نيويورك ، عندما
يحصلان على المال في باترفورد ، وأن يتيحاً له رؤية كل المشاهد
التي تستحق الرؤية ، وأماكن التسلية والمتعة بالطبع أيضا ،
وعندما بلغ به التفكير الى هذا الحد ، بدأ روبينسون يتقنى بأعلى
صوته بأغنية شاركه فيها ديلا مارش بالتصفيق ، وأدرك كارل انها
كانت أحد الحان الاوبرا المعروفة في وطنه ، وقد سره سماعها
في ترجمتها الانجليزية كما لم يتمتع بسماعها من قبل في بلده ،
وهكذا فقد كونوا جوقة صغيرة في الهواء الطلق ، اشتركوا فيها
جميعا وبقيت المدينة التى كان عليها ان تشاركهم الاستمتاع بذلك
اللحن في لا مبالاتها تحت اقدامهم .

وسأل كارل في احدى المرات عن موقع وكالة جي كوب ، فدفع
ديلا مارش وروبينسون بأصبعيهما في الهواء مباشرة يشيران الى
الموقع ، وربما الى موقع آخر بعد عنه بعدد من الاميال وعندما
استأنفوا سيرهم ثانية سألهما كارل : متى يمكنهم ان يعودوا الى
نيويورك ، اذا تمكنوا من الحصول على عمل ؟ واجابه ديلا مارش
قائلا : ان بإمكانهم ان يعودوا اليها في خلال شهر ، فالعمل متوفر
في باترفورد والاجور مرتفعة ، وسيضعون نقودهم بالطبع في رأسمال
مشترك ، حتى يمكن ان يختفى الفرق الذى قد تسببه الصدفة
بين دخولهم ، كما ينبغي ان يحدث بين الاصدقاء . ولم ترق لكارل
فكرة الرأسمال المشترك ، على الرغم من ان أجره كصبي سيقبل
كثيرا بالطبع من أجر العامل الماهر ، واستأنف روبينسون الحديث
قائلا : انهم على أية حال اذا لم يوفقوا في الحصول على عمل في
باترفورد ، فسوف يتجولون بطبيعة الحال في أماكن أبعد من
باترفورد ، وربما وجدوا عملا في المزارع ، أو ربما حاولوا الحفر
بحثا عن الذهب في كاليفورنيا ، وقد أعجب كارل بهذه الفكرة
الاخيرة ، بعد ما سمعه من حكايات روبينسون عن مناجم الذهب

سأل كارل الذى لم يكن مستعدا لمزيد من الرحلات المرهقة
المشكوك في نتائجها قائلا لروبينسون : لكن لماذا تعمل ميكانيكا
اذا كنت ترغب في العمل في حقول التنقيب عن الذهب ؟

فاجابه روبنسون قائلا : « لماذا اعمل ميكانيكيا ؟ لكيلا اموت جوعا ، ومع ذلك فالاموال تتدفق وفيرة في حقول التنقيب عن الذهب » .

قال ديلامارش : « كانت تتدفق في وقت من الاوقات ! »

فقال روبنسون : « ولا تزال تتدفق للآن ! » وراح يحكى حكايات عن اناس لا حصر لهم من معارفه ، أصبحوا هناك الآن من الاثرياء ، وما زالوا يقيمون هناك ، الا انهم لم يعودوا في حاجة بالطبع الى ان يعملوا الآن ، لكنهم سيساعدونه على ان يحققوا الثراء ، لصداقتهم القديمة به ، سيساعدون اصدقاءه هم ايضا بالطبع .

قال ديلامارش : « سنجد أعمالا في باترفورد دون شك ! » وغير بقوله هذا عن رغبة كارل ، مع ان هذا القول لم يكن أمرا مؤكدا كل التاكيد .

وتوقفوا في اثناء اليوم مرة عند احد المطاعم ، وجلسوا خارجه في الهواء الطلق ، الى مائدة بدت لكارل وكأنها قد صنعت من الحديد ، واكلوا لحما مسلوقا كان من الصعب تقطيعه الى شرائح ، فكانوا يفرمونه بسكاكينهم وشوكاتهم ، وكان الخبز مصنوعا على هيئة اسطوانة ، وقد انفرزت في كل من الرغيفين سكين كبير ، وقد ضمت الوجبة ايضا خمرا اسود اللون كان يحرق الحلق ، الا ان ديلامارش وروبينسون كانا يستسيغان شربه ، وقد ظللا يرفعان كوبيهما بعديد من الانخاب ، ويقرعان الكوبين عاليا في الهواء من حين لآخر ، والى مائدة مجاورة كان يجلس بعض العمال في قمصان صفراء ، يتناولون نفس الشراب ، وكانت العربات تمر من امامهم بأعداد كبيرة ، وتثير الغبار فوق المائدة ، وكانت صحف كبيرة توزع على الجالسين ، وتثور مناقشات حادة حول اضراب قام به عمال البناء ، وكان اسم « ماك » يتردد كثيرا في خلال تلك المناقشات وتساءل كارل عن صاحب الاسم ، وعلم انه والد « ماك » الذي يعرفه ، وانه اكبر مقاول للمباني في نيويورك ، وقبيل ان هذا الاضراب قد يكلفه عدة ملايين وانه يهدد وضعه المالي بالخطر ، ولم يصدق كارل كلمة واحدة مما كان يقوله هؤلاء الناس المضلون ، الحانقون .

وقد أشد استمتاع كارل بتلك الوجبة قلقه لفكرة دفع ثمن تلك الوجبة بأكملها ، وايهم سوف يدفع وكان من الطبيعي في رايه ان

يدفع كل منهم ثمن وجبته فقط ، الا ان ديلا مارش وروبينسون كانا قد اشارا عرضا الى ان اجر مبيتتهما عن الليلة الماضية قد افرغ جيبيهما ، ولم يكن لديهما ساعة او خاتم او اى شئ لبيعهما . ولم يستطع كارل ان يواجههما بأنهما كانا قد احتجزا لنفسيهما جانبا من ثمن بدلتة فقد كانت مواجهتهما بذلك تعد اهانة ، وفراقا الى الابد .

الا ان ما اثار دهشة كارل اكثر هو ان ديلا مارش وروبينسون ، لم يزعجا نفسيهما بأمر الدفع ، بل على العكس كانا في حالة معنوية مرتفعة ، حتى انهما راحا يحاولان مغازلة الجرسونة التى كانت تحرك في خيلاء متبخترة من مائدة الى اخرى ، وكان شعرهما يتهدل على كتفيها ، وفوق حاجبيها وخديها ، فكانت ترميه الى الخلف بيدها ، حتى تقدمت اخيرا نحو مائدتهما ، فظننا انهما سيفوزان منها ببعض الكلمات الودية ، لكنها وضعت يديها فوق المنضدة ، وتساءلت : « من الذى سيدفع ؟ » فاشارت بدا ديلا مارش وروبينسون بغاية السرعة الى كارل ، ولم يفاجأ كارل لأنه كان يتوقع ذلك ، ولم يجد بأسا من ان يدفع مرة حساب رفيقيه اللذين ينتظر منهما المساعدة بدوره ، عل الرغم من انه كان يفضل بالطبع لو ناقشا معه الامر بصراحة قبل اللحظة الحاسمة وشغله كذلك امر اخراج النقود من جيبه السرى ، فقد كان ينوى الاحتفاظ بنقوده لتنفعه في حالة الاحتياج البالغ ولكي تنفعه الان ايضا فيتمكن من ان يبدو ندا لصديقيه ، كان التفوق الذى يتفوق به عليهما لامتلاكه هذا المال ، واخفاؤه كذلك عنهما ، يبدو في وضوح تفوقا راجحا ، لانهما على عكسه ، كانا قد عاشا في امريكا منذ طفولتهما ، ولانهما كانا يتمتعان بالمهارة الكافية والخبرة التى تعينهما على كسب المال ولانهما لم يتعودا على حياة افضل من الحياة التى يمارسانها الان . ورأى كارل ان خطته في التوفير يجب الا تتأثر لاضطراره الى دفع الحساب الان فيمكنه ببساطة ان يستغنى عن ربع دولار ، يضعه امامهما فوق المنضدة ، ويخبرهما بأنه هو كل ما يملك ، وأنه كان ينوى ان يقتسمه معهما في طريقهم الى باترفورد . ذلك ان ربع دولار يكفى جدا لرحلة على الاقدام ، الا انه لم يكن يدرى هل كان ما يحمله من العملات الصغيرة يكفى حتى يخرج من بينها الربع دولار . ولقد كانت العملات الصغيرة التى يحملها موجودة على اية حال في تجويف جيبه السرى هى ايضا

الى جانب اوراق البنكنوت ، وكان من الصعب ان يخرج ما يريده دون أن يفرغ كل محتويات جيبه فوق المنضدة ولم يكن يريد أن يعرف رفيقاه شيئا عن الجيب السرى على الإطلاق وبدأ صديقه مشغولين رغم ذلك لحسن الحظ بأمر الجرسونة ، دون أن يشغلها مطلقا بالطبع كيف سيتمكن كارل من اخراج النقود لدفع الحساب ، وكان ديلا مارش قد مد يده وسحب الجرسونة بينه وبين روبنسون متعللا بأن عليها ان تكتب فاتورة الحساب ، فلم يكن أمامها لكي تتخلص من توددهما العنيف الا ان دفعت وجهيهما بعيدا بباطن راحتها ، عندئذ جمع كارل وهو يتصبب عرقا باحدى يديه تحت المنضدة قطع النقود التي تحسبها ، وأخرجها من جيبه السرى قطعة بعد قطعة بيده الاخرى .

وظن بعد فترة طويلة ، لانه لم يكن قد اعتاد بعد على العملة الامريكية ، انه قد اخرج من قطع العملة الصغيرة ما يساوى المبلغ المطلوب ، فوضعها فوق المنضدة ، ووضع رنين النقود فوق المنضدة في الحال حدا لماكستهما للجرسونة ، واتضح لشدة غيظ كارل ولدهشة الجميع ان دولارا كاملا قد وضع فوق المائدة . ولم يتساءل اى منهما لماذا لم يذكر كارل شيئا عن هذه النقود التي كانت تكفى لدفع اجر رحلة مريحة لثلاثتهم بالقطار الى باتر فوررد ، الا ان كارل شعر بالارتباك الشديد لخطئه رغم ذلك ، واعاد كارل بقية النقود الى جيبه بعد دفع الحساب الا ان ديلا مارش كان قد اختطف من بين أصابعه احدى قطع العملة ، وأعطاهما كبتشيش للجرسونة التي احتضنها بيد بينما ناولها قطعة العملة بيده الاخرى

وشعر كارل بالامتنان لهما ، لانهما لم يذكرنا شيئا عن نقوده عندما غادر ثلاثتهم المطعم ، وقرر كارل في احدى اللحظات ان يعترف لهما بما يحمله من المال ، لكنه تراجع عن ذلك في الحال لانه لم يجد ما يدعو الى هذا الاعتراف وبلغوا عندما اوشك الليل على الحلول منطقة خلوية خصبة وكانت الحقول حولهم على امتداد الرؤية لا نهاية لها كانت تمتد فوق تلال منخفضة تكتسى بالخضرة الزاهية ، وفيلاات ريفية فاخرة تزين الطريق على الجانبين ، وساروا عدة ساعات بين اسوار الحدائق المذهبة وعبروا نفس المجرى البطيء عددا من المرات ، وكثيرا ما كانوا يسمعون ضوضاء القطارات التي كانت تنطلق فوق الكبارى المرتفعة .

كانت الشمس قد اوشكت ان تختفى خلف قدم الغابات البعيدة ،

عندما صعدوا مرتفعاً مدرجاً ، يعلوه دغل من الأشجار الكثيفة ، ومددوا أنفسهم فوق العشب لكي ينالوا شيئاً من الراحة بعد رحلتهم الطويلة . استلقى ديلا مارش وروبينسون فوق العشب في استرخاء تام ، وجلس كارل وأخذ يرقب الطريق الذي كانوا يرتفعون فوق مستواه ببضع ياردات وإلى السيارات التي كانت تنطلق فوقه بخفة ، الواحدة خلف الأخرى ، كما كانت تنطلق طوال اليوم ، وكان عدداً هائلاً منها ينطلق باستمرار من مكان ما بعيداً كل البعد ، بينما تنتظر سيارات أخرى في مثل عددها في مكان بعيد آخر ، ولم ير كارل طوال اليوم كله أن سيارة منها قد توقفت ولا رأى راكباً واحداً هبط من إحدى تلك السيارات .

واقترح روبينسون أن يقضوا الليل في هذا المكان ، لأنهم كانوا مجهدين غاية الإجهاد ، ولأنهم سيتمكنون بمبيتهم هنا أن يواصلوا رحلتهم في الصباح الباكر ، كما أنهم لن يجدوا علاوة على ذلك ، مكاناً مناسباً أرخص من هذا المكان لقضاء الليلة ، قبل أن يهبط الظلام ، وكان ديلا مارش يرى نفس الرأي ، فاضطر كارل إلى التصريح بأنه يحمل نقوداً تكفى لدفع أجر مبيتهم جميعاً في أحد الفنادق ، وأجابه ديلا مارش قائلاً : « أنهم لا يزالون في حاجة إلى النقود ، وأنه يحسن الاحتفاظ بها في الوقت الحاضر ، لم يحاول إخفاء حقيقة أنهما كانا يتطلعان إلى الاستعانة بنقود كارل ، ومضى روبينسون بعد قبول اقتراحه الأول ، فاقترح اقتراحاً آخر ، قائلاً أن عليهم قبل أن يتأهبوا للنوم ، أن يتناولوا وجبة كاملة ، لكي تجدد نشاطهم في الصباح ، وأن على أحدهم أن يذهب ليحضر طعاماً لثلاثتهم من الفندق القريب الذي يقوم في الطريق الرئيسي ويحمل اللافتة المضاءة التي كتب عليها « الفندق الغربي » . . . ولما كان كارل اصفر الثلاثة . ولم يبد أي من الآخرين استعداداً للقيام بهذه المهمة ، فقد تطوع كارل من فوره بأن يقوم هو بها وانطلق عبر الشارع في طريقه إلى الفندق ، بعد أن أعلن الآخرين أنهما يريدان لحم خنزير ، وخبزا ، وبيرة .

ولابد أنهم كانوا على مقربة من إحدى المدن الكبيرة ، لأن أول حجرات الفندق التي دخلها كارل كانت تمتلئ بضوء حشد صاخب ، وكان يقف بداخل البوفيه الذي كان يمتد بطول تلك الحجرة على الجانبين عدد كبير من السفرجية كانوا يرتدون مرايل بيضاء ، ويندفعون بلا توقف هنا وهناك ، دون أن يتمكنوا من

قلبية كل طلبات زبائنهم الذين نفذ صبرهم فارتفعت اللعنات في
أسوات صاحبة ، وكانت دقائق القبضات فوق المائدة تتعالى دون
توقف من جميع الجهات ولم يلق أحد بالا الى كارل ، ولم يوجد
أى نوع من أنواع الخدمة في الصالون بأكمله . وكان على الزبائن
الذين تجمعوا الى موائد صغيرة كانت تتسع كل منها لثلاثة اشخاص
تقريبا أن يبحثوا بانفسهم عما يريدونه في البوفيه ، وفوق كل مائدة
كانت تستقر زجاجة كبيرة ممتلئة بالزيت أو الخل أو شيء من هذا
القبيل . وكان الزبائن يصبون شيئا من تلك الزجاجة فوق الطعام
الذى يحضرونه من البوفيه قبل أن يتناولوه ، فلو استطاع كارل أن
يلبغ ذلك البوفيه أولا ، حيث ستواجهه الصعوبات الحقيقية بعد
ذلك ، لكثرة عدد الزبائن الذين كانوا يتزاحمون عليه ، فربما
استطاع أن يشق لنفسه طريقا بين تلك الموائد التى لا حصر لها .
ولم يكن ليصل الى شيء من هذا بالطبع مهما حرص دون أن يتسبب
في كثير من الازعاج للزبائن ، الذين كانوا يتقبلون مع ذلك أى ازعاج
بتبلد تام . وحتى عندما اندفع كارل بعنف بجانب احدى تلك الموائد
فقلبها رأسا على عقب ، مع ثقته بأنه لم يكن هو السبب فى انقلابها .
ثم اعتذر دون أن يفهم أحد على ما يبدو معنى لهذا الاعتذار ، كما
انه لم يتمكن هو أيضا من ادراك هدف تلك الصيحات التى حاصرتة
فى هياج . لم يجد عند البوفيه مكانا غير بضع بوصات قليلة فى
صعوبة بالغة ، وظل مختفيا فى الزحام لفترة طويلة لان مرافق
الرجال كانت تدفعه من كلا الجانبين . وبدا كما لو كان التقليد
المتبع هنا هو أن تضع مرفقك على افريز البوفيه ، وتسد رأسك
على يدك . ولم يستطع كارل أن يدفع ذكرى الدكتور كرامبال
مدرس اللغة اللاتينية من خياله وكيف كان يكره ذلك الوضع ،
وكيف كان يتسحب فى هدوء ويضرب على غير توقع . مرفقك من
فوق الدرج مازحا ، بالمسطرة التى كانت تظهر فجأة من حيث لا تدرى .
كان كارل قد انضبط الى حافة افريز البوفيه ، لانه ما كاد
يلبغه حتى وضعت مائدة خلفه وظلت احدى القبعات تتحرك
خلف ظهره كلما انحنى صاحبها الى الخلف قليلا فى أثناء حديثه .
وبدا كذلك ان الامل فى حصوله على أى شيء من هؤلاء الجرسونات
كان قد تلاشى ، حتى بعد ان انصرف جراه الشرسان ، وهما
يحملان ما طلباه وتمكن كارل مرة أو مرتين من أن يجذب مريلة
أحد الجرسونات عبر حاجز البوفيه ، الا ان الجرسون كان يندفع

مخلصا مريسته من بين اصابع كارل في ضيق . ولم يتوقف واحد منهم ليستمع اليه ، مع انهم لم يكونوا مشغولين الا بمجسرة الاندفاع هنا وهناك ، فلو كان امكن وجود شيء من المأكولات المطلوبة في متناول يد كارل ، لحمل ما يريده منها ، وسأل عن الثمن ، ثم دفعه وتخلص من ذلك الزحام وهو يتنفس الصعداء لكن لم يكن امامه سوى الاطباق التى تمتلىء بالاسماك الشبيهة بالرنجة بجوانبها القاتمة ، التى تشع بلون ذهبى عند حوافها ، وربما كانت تلك الاطباق مرتفعة الثمن ، مع انها لم تكن لتغنى من جوع وكان امامه كذلك كثير من زجاجات الروم ، الا انه لم يرغب فى ان يحمل الروم الى صديقيه ، لانهما كانا يتناولان المشروبات الروحية الشديدة كلما واتتهما الفرصة ، ولم تكن عند كارل ادنى رغبة فى تشجيعهما على التمدادى فى ذلك .

وهكذا لم يبق امام كارل الا ان يبحث عن مكان آخر يمكنه ان يحصل منه على طلبه ، فعاد ادراجه ثانية ، الا ان الوقت كان قد تقدم بصورة واضحة ، وكانت الساعة المعلقة على الحائط المواجه ، تلك الساعة التى كان على المرء ان يدقق النظر اليها حتى يتبين فى وضوح عقربيهما من خلال الدخان المتكاثف ، كانت تشير الى ما بعد التاسعة . الا ان بقية الحاجز الذى امام البوفيه كان اكثر ازدحاما بالزبائن من المكان الذى كان يقف فيه من قبل ، ذلك المكان المنعزل فى ركن الحجرة ، وظلت الحجرة تزدهم اكثر فاكثر كلما تقدم الوقت وظل الزبائن الجدد يتدافعون وهم يشتقون طريقهم عبر الباب الرئيسى وتتزايد بازديادهم صيحات التهليل المرتفعة ، وفى اماكن متعددة اخلى بعض الزبائن الافريز الذى امام البوفيه فى جراحة ، وجلسوا فوقه وراحوا يتبادلون الشراب ، وقد كان ذلك الافريز الذى جلس فوقه هؤلاء ، هو افضل الاماكن فى تلك الحجرة على الاطلاق فمن فوقه كان يمكنك ان تشمل الحجرة كلها بنظرتك .

وظل كارل يتقدم تحت ضغط الزحام الا ان امله فى الحصول على اى شيء كان قد تلاشى تماما ، ووجه كارل اللوم الى نفسه ، لانه تطوع باداء هذه المهمة ، دون ان يكون على دراية بالاحوال هنا على الاطلاق ، ولسوف يصرخ صديقه فى وجهه - رمن حقهما ان يفعلا ذلك - وربما تبادر الى ذهنهما الظن بأنه لم يحضر معه شيئا فقط لمجرد الاحتفاظ بنقوده لنفسه ، وكان قد بلغ جانبها من جوانب الحجرة رأى فيه اطباقا ممثلة باللحم الساخن ، والبطاطس

المسلوقة تغطي كل الموائد ، وينهمك الزبائن في التهامها ، فلم يفهم كيف تمكن هؤلاء الزبائن من الحصول على تلك الإطباق .

ثم لمح امامه على بعد بضعة خطوات سيدة مسنة ، كان يبدو عليها بوضوح انها تتبع هيئة موظفي الفندق ، كانت تلك السيدة تتحدث وتضحك مع أحد الزبائن ، وظلت في اثناء حديثها تفرز ديبوسا في شعرها ، وقرر كارل في الحال ان يتقدم الى تلك المرأة بطلباته ، لانها كانت تقف متميزة كاستثناء وسط الهرج المخلط ، ولانها كانت هي المرأة الوحيدة في الحجرة كلها لسبب بسيط آخر هو انها كانت هي الوحيدة من بين موظفي الفندق التي استطاع كارل ان يصل اليها ، هذا اذا لم تندفع مبتعدة عنه لشئونها الخاصة عند أول كلمة يتوجه بها اليها الا ان العكس تماما هو ما حدث . فما كاد كارل يهم بالحديث اليها بل يحوم حولها فحسب للحظات ، عندما نظرت جانبا ولمحته حتى قطعت حديثها - كما يحدث غالبا في خلال مناقشة من المناقشات لتسأله في رقة . وفي لغة انجليزية واضحة كوضوح الانجليزية التي في « كتاب القواعد » ان كان يريد شيئا . قال كارل : « نعم ، في الحقيقة » فلا يمكنني ان أحصل على شيء من أي مكان في هذه الحجرة .

قالت : « اذن تعال معي يا بني » ثم ودعت محدثها الذي رفع لها قبعتها كدلالة على التادب ، لم تكن معقولة مطلقا في هذه الحجرة ثم أخذت كارل من يده ، ومضت نحو البوفيه فدفعت أحد الزبائن جانبا ، ورفعت مصراعا الى أعلى ، وتقدمت بطول ممر خلف البوفيه حيث كان عليهما ان يتفاديا الاصطدام « بالجرسونات » الذين كانوا يندفعون هنا وهناك بلا كلل ، وفتحت بابا مزدوجا كان مخبئا في الحائط ، أدى بهما مباشرة الى مخزن واسع رطب ، وقال كارل لنفسه : « عليك ان ترقب كيف تجرى الامور في هذه الاماكن »

وسأله المرأة وهي تنحنى اليه في حنان : « حسنا ماذا تريد ؟ » كانت غاية في البدانة حتى ان جسدها ارتعش عندما انحنت ، الا ان وجهها كان بالمقارنة الى جسدها رقيق التكوين ، واحس كارل وهو يتطلع الى الانواع التي لا حصر لها من المأكولات التي رصت في عناية فوق الارفف ، والمناضد ، باغراء هذه الاصناف العديدة يدفعه الى محاولة التفكير في وجبة أخرى يختارها من وحي اللحظة وان يجعلها بدلا من طلبه الاصلى ، خاصة أنه قد يحصل عليها بثمن رخيص الى حد ما من تلك السيدة الواسعة النفوذ ، الا انه في

النهاية لم يذكر شيئا سوى لحم الخنزير ، والخبز ، والبيرة ، ولم يمكنه ان يذكر شيئا آخر افضل من هذه الاشياء .

تساءلت المرأة ، « الا تريد شيئا آخر ؟ »
فاجابها كارل قائلا : « لا شكرا .. الا اننى اريد كمية تكفى
ثلاثة أشخاص »

وعندما سألته المرأة عن يكون الآخرين ؟ اخبرها كارل فى كلمات قليلة مختصرة عن رفيقيه وأحسن بشئ من السرور لتوجيهها ببعض الأسئلة اليه .

قالت المرأة : « لكن هذا الطعام هو وجبة السجن » كانت تنتظر منه فيما يبدو أن يطلب شيئا آخر ، الا أن كارل الذى أصبح يخشى أن ترفض هذه المرأة ثمن الوجبة وان تمنحه اباهها كهدية ، ظل صامتا .

قالت المرأة : « لن يستغرق اعداد هذا الطلب وقتا طويلا » .
وتقدمت نحو احدى المناضد فى نشاط غريب على سيدة فى مثل بدانتها وقطعت بسكين طويل رفيع حاد قطعة كبيرة من لحم الخنزير تمتلىء فى غزارة بيقع الدهن ، وتناولت رغيفا من فوق أحد الرفوف ورفعت ثلاث زجاجات بيرة من الأرض ووضعتها جميعا فى سلة خفيفة من القش ناولتها الى كارل ، وأوضحت له بينما كانت تفعل ذلك انها قد أحضرته الى هنا لان طعام البوفيه على الرغم من انه طعام دسم بالفعل ، الا أنه يفقد طراجه بسبب الدخان والبخار اللذين تمتلىء بهما الحجرة ، الا ان أى طعام يعد طعاما جيدا بالنسبة لهؤلاء الذين فى الخارج . وقد أصيب كارل بالدهول البالغ عندئذ ، لانه لم يكن يدري كيف تمكن من أن يحوز مثل تلك المعاملة الخاصة . وفكر فى رفيقيه اللذين لم يكونا ليلفا هذا المخزن على الإطلاق . على الرغم من كل خبرتهما الأمريكية . بل كان عليهما ان يقتنعا بطعام البوفيه الذى لا طعم له . لم تكن ضوضاء حجرة الصالون تصل مطلقا الى هنا . وربما كانت الجدران سميقة للغاية حتى تحتفظ تلك الحجرة المقبية بهذه الرطوبة . وكان كارل يمسك الآن بالسلة المصنوعة من القش فى يده . وكانت قد انقضت بضع لحظات . الا انه لم يفكر لا فى الدفع ولا فى الانصراف الا عندما همت المرأة بأن تضيف الى السلة - كهبة - زجاجة شبيهة بتلك الزجاجات التى تستقر فوق الموائد فى الخارج . عندئذ تحرك كارل ، وهو يرفضها فى رجفة .

وتساءلت المرأة : « هل أمامك رحلة طويلة أخرى أبعد من هنا ؟ »
فأجابها كارل قائلا : « الى باترفورد » .
فقالت المرأة : « لكن هذه الرحلة رحلة شاقة أخرى عليك أن
تقطعها » .

قال كارل : « انها رحلة تستغرق يوما آخر » .
فقالت المرأة : « الا تستغرق اكثر من ذلك ؟ » .
قال كارل : « اوه .. لا » .

وربتت المرأة بعض الاشياء فوق المنضدة ، ودخل احد السفرجية
وتطلع حوله متسائلا ، فأشارت له الى قصعة هائلة كانت تستقر
فوقها كومة عالية من السردين ، وقد نثر فوقه قليل من البقدونس
فحملها السفرجى عندئذ الى داخل الصالون بين يديه المرفوعتين .

وتساءلت المرأة قائلة : « ولماذا تقضى الليلة في الهواء الطلق ،
لدينا هنا متسع لك ، فتعال واقض الليلة معنا في الفندق » .
وبدت الفكرة مفرية لكارل جدا ، وخاصة بعد ان قضى الليلة
السابقة مرهقا غاية الارهاق ، فقال في تردد لكن في شيء من
الفخر : « ان امتعتى هناك في الخارج » .

فقالت المرأة : « عليك اذن ان تحضرها الى هنا ، فليست عقبة
تعوقك عن المجيء » .

فقال كارل : « لكن ماذا عن رفيقى ، وكان يدرك بالفعل انهما
عقبة دون ادنى شك » .

قالت المرأة : « يمكنهما ان يقضيا الليلة هنا ايضا ، بالطبع ،
فتعال لا تكن متعبا الى هذا الحد » .

قال كارل : « ان صديقى رفيقان لا بأس بهما . انهما الآن ليسا
في غاية النظافة » .

فتساءلت المرأة في تجهم : « ألم تلاحظ القذارة في الصالون ،
اننا مستعدون تمام الاستعداد لاسوأ الحالات » .. حسنا ، سوف
اخلى ثلاثة أسرة في الحال ، فقط أخشى الا يوجد مكان الا فوق
السطح ، لان الفندق مكتظ بالنزلاء ، ولقد كان على ان انتقل الى
حجرة بالسطح انا ايضا ولكنها على اية حال افضل من قضاء
الليلة في الخارج » .

قال كارل : « لا يمكننى ان احضر صديقى هنا ، وتخيل بنفسه
الضجة التى سوف يحدثها الرجلان في ممرات الفندق الفخم ،
وسوف يتسبب روبنسون في تلطيف كل شيء ، ولن يتردد ديلامارش

في معاكسة هذه المرأة نفسها .
قالت : « لست أدري لماذا لا يبدو ذلك ممكنا ، ولكن اذا كنت
تصر على ذلك ، فاترك اذن صديقك ، وتعال بمفردك » .
قال كارل : « لن يحدث ذلك ، انهما صديقاي ولا يمكننى الا
ان اربط بهما » .
قالت المرأة وهى تدير عينيها بعيدا عنه : « ائك عنيد جدا ،
فعندما يعاملك الناس معاملة طيبة ، ويبسدون شيئا من الاهتمام
بأمرك ، تفعل انت كل ما فى وسعك لكى تموقفهم عن ذلك » .
وادرك كارل ذلك كله ، الا انه لم يجد مخرجا ، وعلى هذا ،
فقد قال :

- اشكرك غاية الشكر على كرمك ثم تذكر انه لم يدفع ثمن
طلباته ، فسأل عن المبلغ الذى عليه ان يدفعه ؟
قالت المرأة : « يمكنك ان تدفع لى عندما تعيد الى السلة ،
ولا بد ان تعيدها الى فى صباح الغد على الاكثر » .

قال كارل : « اشكرك .. وفتحت له بابا يؤدى مباشرة الى
الخارج ، وقالت له وهو يهم بالخروج منحيا : « طابت ليلتك ..
وان كنت لم تفعل ما كان يجب عليك ان تفعله » .. وعندما أصبح
على بعد بضع ياردات قليلة ، صاحت خلفه مرة اخرى قائلة :
« الى صباح الغد » .

وعندما أصبح فى الشارع سمع مرة اخرى الصخب الشديد
الصادر من الصالون ، وكان يختلط الآن بزئير الرياح ، وكان
سعيدا لانه لم يخرج عن طريق الصالون المزدحم ، وكانت طوابق
الفندق الخمسة مضاءة لحظتها وقد انارت الطريق امام الفندق حتى
الجانب الآخر وكانت السيارات تمرق فى الطريق ، وان لم تكن
تتتابع فى استدرار الا انها كانت تبدو أسرع منها فى أثناء النهار ،
وهى تحسس طريقها بواسطة الاشعة البيضاء التى تصدر عن
مصابيحها الامامية ، تلك المصابيح التى كان ضوءها يشحب فى
المنطقة المضاءة امام الفندق ، لكى تتوهج مرة اخرى عندما تندفع
بعيدا فى داخل الظلام .

وجد كارل صديقيه مستغرقين فى النوم ، الا انه كان منشغلا
بما هو اهم من ذلك ، وبينما كان يهم لحظتها بوضع الطعام الذى
أحضره بصورة مغرية فوق قطعة من الورق ، وبعد كل شئ بصورة
كاملة قبل ان يوقظ صديقيه ، لمح فى فزع صندوقه الذى كان قد

تركه مغلقا في سلام ، مفتوحا وحوله فوق المشب تتناثر حوالى نصف محتوياته .

صاح قائلا : « انهض ، لقد مر اللصوص من هنا ، وانتما مستغرقان في النوم ! » .

تساءل ديلامارش : « لماذا ؟ هل فقد شيء ؟ ! » لم يكن روبنسون قد استيقظ تماما ، لكن امتدت يده على الرغم من ذلك الى البيرة !

صاح كارل : « لست ادري ، الا ان الصندوق مفتوح ، وانه لاهمال بالغ ان تستغرقا في النوم ، وتركا الصندوق هنا تحت رحمة من يشاء ! »

وضحك ديلامارش وروبنسون ، و . . قال ديلامارش : « اذن فلا تنقيب طويلا مرة اخرى في اى مكان ، انها لم تكن سوى خطوة او خطوتين الى الفندق ، ومع ذلك فقد استغرقت منك ثلاث ساعات ، انقذتها لكى تذهب الى الفندق وتعود ثانية ، ولقد كنا جائعين ، وظننا انك ربما كنت تحتفظ بشيء من الطعام فى داخل الصندوق ، ولهذا فقد داعبنا القمل حتى انفتح ، الا اننا لم نجد شيئا بداخله فى النهاية ، ومن السهل اعادة اشيائك الى داخله مرة اخرى » .

قال كارل : « هذا هو الامر اذن ، كان يحرق فى السلة التى افرغت فى الحال ، ويستمع الى الضجة الغريبة التى كان يحدثها روبنسون ، وهو يشرب ، لان البيرة بدت وكأنها تطفئ الى اسفل حلقه ، ثم تفور الى اعلى مرة اخرى فى صوت كالصغير قبل ان تهبط الى معدته ! »

تساءل عندما هذا الاخران ليلتقيا انفاسهما : « هل نلتما كفايتكما الان ؟ ! » .

فتساءل ديلامارش : « لماذا . . ألم تناول عشاءك فى الفندق ؟ » كان قد اعتقد ان كارل يطالب بنصيبه من الطعام .

وقال كارل ، وهو يتجه نحو صندوقه : « اذا اردتما المزيد ، فاسرعا اذن ! » .

قال ديلامارش لروبنسون : « يبدو عليه الحنق ! » .

فقال كارل : « لست حائقا ، لكن هل تعتقد انه من الصواب ان تفتحنا صندوقى عنوة ، وتطوحا بحاجياتى هنا وهناك فى اثناء غيابى ؟ اننى اعلم ان على المرء ان يتوقع الكثير من اصدقائه . »

وكنت قد تهيأت لذلك ، الا ان هذا قد فاق كل ما توقعته وسوف اذهب لقضاء الليلة في الفندق ولن ارافقكما الى باترفورد ، فأفرغا من تناول العشاء بسرعة لاننى يجب ان ارد السلة ! » .

قال ديلامارش : « استمع اليه الان يا روبنسون ، ان اسلوبه في الحديث الينا اسلوب رائع ، انه المانى بالفعل ولقد حذرني انت منه في البداية ، الا اننى احقق طيب القلب ، وعلى هذا فقد سمحت له بالحضور معنا رغم ذلك ، لقد منحناه ثقتنا ، وصحبناه معنا طوال النهار ، واضعنا نصف يوم على الاقل بسببه ، والان - لمجرد ان شخصا ما في الفندق قد خدعه - يدبر لنا ظهره ، يدبر لنا ظهره ببساطة ، لكن لانه المانى كاذب فهو لا يفعل ذلك صراحة ، لكنه يتخذ صندوقه علة ، ولانه المانى خبيث فهو لا يتركنا دون ان يطعننا في شرفنا ، ويتهمنا باللصوصية ، لمجرد اننا لهونا قليلا بصندوقه .

قال كارل ، وهو يعيد اشيائه داخل الصندوق ، دون ان يستدير نحوهما :

- كلما تحدثت اكثر ، بدا لى فراقى لكما يسيرا ، اننى اعرف تماما معنى الصداقة ، ولقد كان لى اصدقاء فى أوروبا أيضا ، الا ان احدا منهم لم يحدث ان اتهمنى باننى قد سلكت معه سلوكا زائفا أو حقيرا ، ولست على اتصال بأى منهم الان بالطبع ، لكن لو اتيج لى الرجوع مرة اخرى الى أوروبا فسوف يسرون لرؤيتى ، وسوف يرحبون بى فى الحال كصديق ، اما بالنسبة لكما يا ديلامارش وروبينسون فانا ابدو وكأننى قد خدعتكما ، هل فعلت بعد ان تصرفتما معى بهذا الكرم - ولن انسى ذلك ابدا - فاصطحبتمانى ، ووعدتمانى بالعمل كصبي فى باترفورد ، الا ان هذا ليس هو الامر بالمرة ، واننى لا انظر اليكما نظرة سيئة لانكما لا تملكان شيئا ، الا انكما تحقدان على الاشياء القليلة التى امتلكها ، وتحاولان ان توجهنا الى الاهانة بسببها ، ولا يمكننى ان احتمل ذلك . لقد فتحتما صندوقى عنوة ، ولم تقدما كلمة اعتذار واحدة بل انكما توجهان الى الشتائم بدلا من ذلك ، وتسبان جنسى ايضا ، وهذا ببساطة يجعل بقائى معكما مستحيلا ، وعلى الرغم من كل شئ فلا ينطبق عليك هذا الكلام يا روبنسون . فى الحقيقة فلست ألومك على شئ سوى اعتمادك البالغ على ديلامارش

قال ديلامارش : «والآن نراك .. وهو يتقدم نحو كارل، ثم يدفعه

دفعه خفيفة ، كما لو كان يؤكد قصده . . « والآن نراك على حقيقتك
لقد ظللت طول اليوم تركض خلفي ، متعلقا بذيل معطفي ، وتفعل
كل ما افعله ، وظللت صامتا كالقار ، لكن الآن ، لان شخصا
ما في الفندق يؤازرك ، بدأت في استعراض قوتك ، انك مخادع
تافه ، ولست واثقا من اننا سنتحمل هذا النوع من الخداع ،
لست متأكدا تماما من اننا سنضطررك الى دفع ثمن ما تعلمته من
مراقبتك لنا طوال اليوم اننا سنتحمل هذا النوع من الخداع ،
اننا نحسده ياروينسون ، نحسده - هذا ما يقوله - على ممتلكاته .
ان اجر يوم عمل واحد في باترفورد - ولا داعي للذكر كاليفورنيا -
يتيح لنا ان نحصل على عشرة اضعاف ممتلكاتك الظاهرة لنا حتى
الآن ، وتلك التي تخفيها ايضا في بطانة ذلك المعطف ، فاحفظ
لسانك تماما .

ونهض كارل من امام صندوقه ، وراى روينسون يتقدم نحوه
هو ايضا وهو لا يزال تحت تأثير النعاس ، الا انه كان منتعشا
قليلا بتأثير البيرة ثم قال : اذا بقيت هنا اكثر من ذلك ، فربما
حدث ما سوف يزيدني دهشة فوق دهشتي ، ويبدو لي انكما
تنويان ضربى .

قال روينسون : « لا يمكن ان يستمر صبر المرء الى الابد » .

فقال كارل دون ان يرفع عينيه عن ديلامارش : « يجب عليك
ان تظل بعيدا عن هذا الموضوع ياروينسون ، فانك في أعماقك تعلم
اننى على حق ، الا انك قد نهضت لتتظاهر بتأييدك لديلامارش » .
تساءل ديلامارش : « لعلك تفكر في ان ترشوه » .

قال كارل : لم يخطر ذلك ببالي ، اننى سعيد لاننى ساترككما ،
ولا أريد ان اربط أكثر من هذا بأى منكما ، ثمة شيء واحد فقط ،
أريد أن أقوله لكما وهو انكما تلومانى لاننى امتلك نقودا اخفيها عنكما ،
فلنفرض اذن ان ذلك كان صحيحا ، فهل ليس من حقى ان افعل
ذلك مع اناس لم اعرفهم الا منذ بضع ساعات قليلة فقط ، واليس
السلوك الذى تسلكانه نحوى الآن هو الدليل الواضح على مدى
صحة تدبيرى .

قال ديلامارش لروينسون : « اصمت » على الرغم من ان روينسون
لم يكن قد تحرك ، ثم قال لكارل : « بما انك تستعرض تقديرك
للأمانة هذا الاستعراض الزائد ، فلماذا لا تدعم قليلا ايضا هذا
التقدير بأن تفتح قلبك لنا على نحو ودى ، وتخبرنا بصراحة لماذا

تريد ان تذهب الى الفندق ؟
وكان على كارل ان يتراجع خطوة نحو الصندوق ، فقد اندفع
ديلامارش حتى لاصقه ، ولم يكن ديلامارش ليحيد عن غرضه ،
لهذا ركل الصندوق جانبا ، ثم تقدم خطوة اخرى ، ودق قدمه
فوق فوطة بيضاء ، كانت ملقاة فوق العشب وردد سسؤاله مرة
اخرى .

وصعد المرتفع رجل يحمل في يده بطارية كهربائية قوية الضوء ،
وكان ظهوره اجابة مباشرة على سؤال ديلامارش ، كان قادما من
ناحية الطريق ، ومتجها نحو الثلاثة . كان الرجل واحدا من سفرجية
الفندق ، وعندما لمح كارل هتف قائلا: لقد بحثت عنك ما يقرب من
نصف الساعة . وقد طفت بكل الاشجار التى على جانبي الطريق ، فقد
ارسلتنى المديرية لاقول لك انها تريد السلة التى اهارتك اياها .
قال كارل فى صوت يرتعش من الهياج : ها هى ..

وانتهى ديلامارش وروبينسون جانبا متصنعين الوداعة ،
كعادتهما دائما عند ظهور أحد الغرباء ذوى المظهر الرقيق ، والتقط
السفرجى السلة وقال : « ولقد طلبت منى المديرية ايضا ان اسالك
ان كنت قد غيرت رايك ، وترغب فى قضاء الليلة بالفندق ، والسيدان
ايضا مسموح لهما ايضا بالمبيت ، اذا رايت ان تصحبهما معك ..
ان السرر قد اعدت بالفعل لثلاثتكم ، ان الجو دافئ الليلة بالفعل ،
لكن المزم يجب الا يامن المبيت فى مكان كهذا ، فانت معرض دائما
للشعابين » .

قال كارل : « بما ان المديرية قد تكرمت بهذه الدعوة ، فاننى
اقبل دعوتها فى النهاية » ... وانتظر ان يقول رفيقاه شيئا ، الا
ان روبينسون ظل واقفا هنالك فى صمت تام ، وكان ديلامارش
يتطلع الى النجوم ، ويداه فى جيبى بنطلونه ، وكانا ينتظران ان
يصحبهما كارل معه دونما جلبة » .

قال السفرجى : « فى هذه الحالة ، فانه على ان اصحبك الى
الفندق بمفردك ، وأن احمل امتعتك الى هناك » .

قال كارل : « ارجو ان تنتظر لحظة من فضلك » ، وانحنى
كارل ليعيد الاشياء القليلة التى كانت متناثرة فوق العشب ، الى
داخل الصندوق .

واعتدل فجأة ، كان يبحث عن الصورة الفوتوغرافية التى كان
قد وضعها فوق ملابسه فى داخل الصندوق ، دون ان يعثر لها على

اثر، كل شيء آخر كان موجودا بداخل الصندوق ماعدا تلك الصورة .
قال ديلامارش في توسل : « اننى لا اجد الصورة الفوتوغرافية »
وتساءل ديلامارش قائلا : « اى صورة ؟ »

قال كارل : « صورة والدى »
فقال روبنسون : « اننا لم نر صورا بداخل الصندوق مطلقا
يا مستر روسمان »

قال كارل : « الا ان هذا مستحيل بالفعل » ، واجتذبت نظراته
الضاربة السفرجى فاقترب منه : « لقد كانت فوق السطح ،
والآن لا اثر لها ، وارجو الا تكونا قد عبثتا بصندوقى هنا وهناك »
قال ديلامارش : « اننا لم نرتكب اى خطأ ، ولم يكن هناك اى
صور فى الصندوق »

قال كارل للسفرجى الذى كان يبحث عن الصورة فوق العشب :
« لقد كانت اهميتها بالنسبة لى تفوق كل ما عداها ، ذلك لانه
لا يمكن تعويضها ، فليس فى امكانى ان احصل على صورة اخرى » ،
وهندما توقف السفرجى عن البحث اليائس ، اضاف كارل قائلا :
« لقد كانت الصورة الوحيدة التى كنت احملها معى لوالدى »
فقال السفرجى عندئذ فى صوت مرتفع ، دون اذنى محاولة
لتلطيف الالفاظ :

— ربما امكننا ان نفتش جيوب هذين السيدين
قال كارل فى الحال : « نعم » ، لا بد لى من العثور على الصورة ،
لكن قبل تفتيش جيوبهما ، دعنى اقل لهما ، ان من يعيب
تلك الصورة طائعا ، ففى امكانه ان يأخذ صندوقى بكل ما فيه »
وبعد لحظة من الصمت التام ، قال كارل للسفرجى : « يبدو
ان صديقى يفضلان تفتيش جيوبهما ، الا اننى ما زلت عند وعدى
باعطاء الصندوق بكل ما فيه لمن توجد فى جيبه الصورة ، ولا
يمكننى ان افعل شيئا اكثر من ذلك »

وشرع السفرجى فى تفتيش ديلامارش الذى بدا ان مهمة تفتيشه
اصعب من مهمة تفتيش روبنسون ، الذى ترك كارل يفتش جيوبه
بنفسه ، قائلا لكارل ، انه يجب ان يتم تفتيشهما فى وقت معا ،
والا تخلص احدهما من الصورة خلسة ، وما ان وضع كارل يده
فى جيب روبنسون حتى عثرت اصابعه على تليفعة تخصه لكنه لم
يخرجها ، ونادى على السفرجى قائلا له : « لا تنتزع اى شيء
يتصادف ان تجده فى جيوب ديلامارش ، بل اتركه له فى مكانه ،

فلست أريد سوى الصورة ، الصورة فقط »
ولامست يد كارل وهو يقوم بتفتيش جيب الصدر في ستره
روبنسون ، صدر الرجل المسترخى ، الساخن فانتابته الخشية
من أن يكون قد ظلم رفيقيه ، وقد دفعه هذا الخاطر الى أن يسرع
في مهمته ما استطاع . لكن كان ذلك كله عبثا ، فلم يجد أثرا
للصورة لا في جيوب روبنسون ، ولا في جيوب ديلامارش .
قال السفرجى : « شيء سيء » .

واجابه كارل قائلا : « لعلهما قد مزقا الصورة والقيما بقصاصاتها
بعيدا ، لقد كنت احسبهما صديقين ، الا انهما في أعماقهما
لا يريدان لى سوى الشر ، ولا ينطبق شيء من هذا على روبنسون ،
فلم يخطر له قط ان تلك الصورة تهمنى الى هذا الحد ، وانما
يقع اللوم على ديلامارش »
وكان كارل يرى الآن السفرجى وحده بلمبته التى تضيء دائرة
صغيرة امامهما ، فى حين اختفى ديلامارش وروبنسون وكل شيء
آخر خلفهما فى ظلام حالك

ولم يعد هناك مجال للدعوة الرجلين الى الفندق مع كارل
ورفع السفرجى الصندوق فوق كتفه ، والتقط كارل السلة ،
وانطلقا فى السير ، وكان كارل قد بلغ الطريق عندما افاق فجأة من
أفكاره ، فتوقف ؛ وصاح فى الظلام : « استمعا الى ، لو كانت
الصورة مع أحكما ورأى أن يحضرها الى فى الفندق ، فما زال
وعدى باعطائه الصندوق قائما أيضا فى هذه الحالة ، واقسم انى
لن اهاجمه اطلاقا »

لم يتلق ردا على ذلك ، فقط كلمة مكتومة كان من الممكن سماعها
كانت بداية صيحة كان روبنسون سيطلقها ، الا ان فمه اغلق فى
الحال ، أغلقه ديلامارش فيما يبدو ، وانتظر كارل طويلا ، لعل
الرجلين اللذين فوق الارتفاع يغيران رأيهما ، وصاح مرة ، بعد
مرة : « اننى ما زلت هنا »
لكنه لم يتلق ردا ، فيما عدا ان حجرا تدحرج الى اسفل
لعله لم يكن قد سدد باحكام ..

الفصل الخامس

الفندق العربى

واقْتيد كارل عندما بلغ الفندق الى احد المكاتب ، حيث كانت المديرية تملئ خطابا ، وهى تمسك بمفكرة فى يدها ، على سكرتيرة شبكابة ، كانت تجلس الى آلة كتابة . وكان الاملاء بالغ الدقة ، والدقات الواثقة الخفيفة تتتابع فوق مفاتيح الآلة الكاتبة التى كانت تتسابق مع دقات الساعة المعلقة فوق الحائط المقابل التى كانت تسمع فقط من حين الى آخر ، بينما عقرباها يشيران الى ما بعد العاشرة والرابع .

— هذا انت ! قالتها المديرية ، وهى تطلق مفكرتها ، وتغزت السكرتيرة واقفة ، ووضعت الفطاء فوق الآلة الكاتبة ، دون ان ترفع عينها عن كارل فى اثناء قيامها بتلك الحركات الآلية . كانت تبدو كتلميذة صغيرة ، وكان معطفها مكويا فى عناية ، ومثنيا بالكواة كذلك عند الكتفين ، وكان شعرها مكوما ، ومرفوعا الى أعلى ، وكان مما يشير الدهشة الى حد ما ، بعد ملاحظة هذه التفاصيل ، ان ترى جاذبية وجهها ! وبعد ان انحنت للمديرية أولا ، ثم لكارل ، غادرت الحجرة ، والقى كارل نظرة لا ارادية مستفسرة نحو المديرية

قالت المديرية : ان مجيئك شئ رائع فى النهاية ، وماذا عن صديقك ؟ قال كارل : اننى لم احضرهما معى !

قالت المديرية ، وكأنها تفسر الامر لنفسها : انهما سيرحلان فى الصباح المبكر جدا فيما اعتقد

قال كارل فى نفسه : لكن الا تعتقد ان على ان ارحل مبكرا انا ايضا فى تلك الحالة ؟ ولكى يضع حدا لهذا الالتباس ، قال : لقد افترقنا فى ظروف سيئة !

وبدا ذلك للمديرية خبرا سارا ، فقد قالت : اذن فانت حر الان ؟

قال كارل : نعم ، اننى حر ! وبدا وكأنه لا يوجد أى شئ آخر أتفه من حريته تلك

تساءلت المديرية قائلة : قل لى ، الا تحب ان تحصل على وظيفة هنا فى الفندق ؟

قال كارل : احب جدا ، الا اننى لا اكاد أعرف شيئا ، فانا مثلاً،

لا يمكننى ان استعمل الآلة الكاتبة !
قالت المديرية : لا أهمية لهذا ، فسوف تعطى لك وظيفة صغيرة
تبدأ بها حياتك العملية ، وسوف يكون شأنك بعد ذلك ان تشق
طريقك الى أعلى عن طريق الكد والانتباه ، لكن مهما تكن
الاحوال ، فأننى أعتقد انه من الخير لك ، ومن الاصوب ان تستقر
فى مكان ما ، بدلا من التجول على غير هدى ، كما تفعل الآن ،
فلست أعتقد أنك قد خلقت لشيء من هذا !

قال كارل فى نفسه : سوف يرضى خالى عن هذا أيضا ، واوما
موافقا ، وتذكر فى تلك اللحظة نفسها بأنه لم يقدم لها نفسه بعد ،
على الرغم من ان المديرية قد أبدت مثل هذا الاهتمام بأمره ، فقال :
أرجو أن تغفرى لى ، لأننى لم أقدم لك نفسى حتى الآن ، ان
اسمى هو كارل روسمان !

— انك المانى ، ألسنت كذلك ؟

قال كارل : نعم ، لم يمض على وقت طويل فى أمريكا !

— من أى مكان أتيت الى أمريكا ؟

قال كارل : من براغ ، فى بوهيميا !

صاحت المديرية قائلة بالانجليزية فى تحيز بالغ للألمان ، وهى
تفرد ذراعها فى الهواء :

لقد توقعت هذا ، اذن فنحن مواطنان ، فاسمى هو جريتا
ميتزلباخ واننى من فيينا ، وأعرف براغ جيدا ، فقد عملت نصف
عام فى « الاوزة الذهبية » فى ميدان فنسلاوس ، لقد توقعت
ذلك بالفعل !

تساءل كارل قائلا : متى كان ذلك ؟ !

— منذ سنوات بعيدة ، بعيدة مضت !

قال كارل : لقد هدم مبنى « الاوزة الذهبية » العتيق منذ عامين !

قالت المديرية : حسنا ، حسنا ، وهى مستغرقة تماما فى أفكارها
عن الايام الماضية ! لكنها فجأة انتعشت ثانية ، فامسكت بكلتا
يدي كارل ، وصاحت : والآن وقد ظهر أنك مواطن من نفس
وطنى ، فليس لك ان ترحل من هنا بأى حال من الاحوال ، يجب
الا تسمى الى بلدك ، فما رأيك مثلا فى ان تعمل كعامل مصعد ؟
فقط قلها تكن قد أصبحت عامل مصعد ، ولو كنت قد اطلعت
على شيء من طبيعة هذا البلد ، لتحققت من انه ليس من السهل
الحصول على مثل هذه الوظيفة ، فوظيفة عامل مصعد هى افضل

بداية في الحياة يمكن ان تحلم بها ، فهي تتيح لك الاتصال المباشر بكل ضيوف الفندق ، والناس تراك دائما ، ومعهد اليك بالقيام ببعض المهام الصغيرة ، وباختصار فلديك الفرصة كل يوم لتحسين وضعك ، وسوف ارتب كل شيء بنفسى فاترك الامر لى !
قال كارل ، بعد وقفة قصيرة : احب جدا ان اكون عامل مصعد بالفعل ! كان من الحمق ان يتردد فى قبول وظيفة عامل مصعد ، نظرا لدراسته الثانوية ، فلديه هنا فى امريكا اكثر من سبب يدفعه الى ان يخجل من دراسته الثانوية ، وبالإضافة الى ذلك ، فكارل كان يعجب دائما بعمال المصاعد ، وكان ينظر الى وضعهم باعترافه مجرد زينة !

تساءل بعد ذلك قائلا : الا يتطلب هذا العمل الالمام باللغة ؟ !
- انك تتحدث الالمانية ، ولغتك الانجليزية سليمة ، حسنة .
وهذا يكفى تماما !

قال كارل ، الذى رآى انه من الافضل الا يتجاوز عن هذا العمل الوحيد الذى يدعو للفخر : لقد تعلمت اللغة الانجليزية فقط فى خلال الشهرين ونصف الشهر التى انقضت على وجودى فى امريكا !
قالت المديرية : ان هذا فى حد ذاته يعد تزكية كافية ! تذكرنى بالصعوبات التى واجهتنى عند بدء تعلمى اللغة الانجليزية ، كان ذلك بالطبع منذ ثلاثين عاما ، ولقد كنت اتحدث عن ذلك بالامس فقط ، ذلك ان الامس كان عيد ميلادى الخمسين ، وحاولت بابتسامة ان تقرا فى وجه كارل انطباعه من مثل هذه السن الوقور !

قال كارل : اننى اتمنى لك اذن مزيدا من السعادة !

قالت وهى تهز يد كارل ، وتتطلع فى كآبة الى تلك الجملة الالمانية العتيقة التى جاءت تلقائيا على طرف لسانها : حسنا ، ان السعادة هى دائما النفع ، ثم صاحت فجأة : اننى احتجرك هنا ، ولا بد انك متعب .. ويمكننا ان نتحدث غدا عن كل شيء بصورة افضل ، ان سرورى بقاء احد مواطنى قد جعلنى انسى كل شيء آخر ، هيا ، سوف أدلك على حجرتك !

قال كارل : أرجو ان تسمحى لى بخدمة اخرى - وهو يتطلع الى التليفون الذى يستقر فوق المنضدة - من الممكن فى صباح الغد أن يحضر لى صديقائى العابران هذان ، صورة فوتوغرافية احتاجها جدا ، فهل تتفضلين بأن تبلى البواب تليفونيا بأن يرسل الرجلين

الى ، او ان يطلبنى عندئذ حتى اهبط للقائهما ؟
قالت المديرية : بلا شك ، لكن ماذا لو سلما الصورة الى البواب ؟
وما هى هذه الصورة ، لو كان لى ان اسأل ؟
قال كارل : انها صورة لوالدى ، ولكننى يجب ان اتحدث بنفسى
الى الرجلين !

ولم تجب المديرية بشيء اكثر من ذلك ، وابلغت امرها تليفونيا الى
البواب الذى ذكرت له رقم ٥٣٦ ، على انه رقم حجرة كارل !
ثم سارا بعدئذ عبر باب يواجه باب المدخل ، وعبر معر قصير ،
حيث كان صبي مصعد ، صغير السن يستند الى درابزين احد
المصاعد ، مستغرقا فى النوم ! قالت المديرية فى رقة ، وهى ترافق
كارل الى داخل احد المصاعد : قد نفعل ذلك نحن ايضا ! ثم
اضافت بينما يرتفع بهما المصعد الى اعلى : فيوم عمل يتراوح بين
عشر واثنتى عشرة ساعة ، هو بالفعل شيء كثير بالنسبة لطاقة
صبي كهذا ! الا ان امريكا بلد غريب ، ولتاخذ هذا الصبي مثلا ،
لقد اتى الى هذا المكان منذ نصف عام فحسب ، فى رفقة والديه ،
وهو ايطالى ، وهو يبدو الآن ، وكأنه لا يتحمل العمل ببساطة ،
فعلى وجهه يرتسم الارهاق ، وهو ينام فى أثناء أداء عمله ، مع انه
بالطبع صبي مجتهد جدا .. لكن عليك فقط ان تمهله ستة أشهر
اخرى ، فسوف تراه قادرا على احتمال عبء العمل فى بساطة ،
وسوف يغدو رجلا قويا ، فى خلال خمس سنوات اخرى ، وفى
وسعى ان انفق الساعات الطوال فى سرد مثل تلك الحالات ،
ولست انت واحدا من هؤلاء ، لانك بالفعل فتى قوى الآن ، فانت
فى السابعة عشرة ، اليس كذلك ؟ !

فاجاب كارل : سوف اتم السادسة عشرة فى الشهر القادم !
فقالت المديرية : لم تبلغ السادسة عشرة بعد ايضا ؟ اذن فليست
فى حاجة الى ان تخشى شيئا ! وفى اعلى المبنى قادت كارل نحو
حجرة كانت تبدو واحدة من غرف السطح ، ذات سطح مائل الا
انها كانت تبدو مريحة بالفعل ، وتضيئها لمبتان

قالت المديرية : « لا تدهش للاثاث الذى فى الحجرة ، فليست
هذه واحدة من غرف الفندق ، لكنها احدى غرفى الخاصة ،
ولدى ثلاث غرف منها ، وعلى هذا فلن تسبب لى مطلقا اى ازهاج ،
وسوف اغلق الابواب الداخلية التى توصل هذه الغرف ببعضها
ببعض ، وهكذا يمكنك ان تخلو الى نفسك وغدا ستحصل بالطبع

على غرفة خاصة بك ، كموظف جديد في الفندق ، فلو كان صديقك قد جاءا معك ، لكنت قد وضعتكم معا في الغرفة العلوية الواسعة ، حيث ينام خدم الفندق ، لكن لانك بمفردك ، فأننى أرى من الأفضل لك أن تبقى هنا ، على الرغم من أنه لا يوجد سوى الأريكة لتستلقى فوقها ، والآن نم في راحة ، واستجمع نشاطك لعملك ، ولن يكون الغد في مثل شدة اليوم ، وقسوته ! »

— أشكرك شكرا بالغا حقا على عطفك !

قالت وهى تتوقف عند باب الحجرة : « انتظر ، سوف أعمل ترتيبى بحيث لا يوقظك أحد في الصباح المبكر ! » واتجهت الى باب جانبي يفتح الى خارج الحجرة ، وطرقته ، صائحة : « تيريز ! »

فاجاب صوت السكرتيرة : « نعم يا مدام ! »

— عندما توقظيننى في الصباح ، فاذهبى الى حجرتى عن طريق الممر ، فثمة ضيف ينام في هذه الحجرة ، وهو مرهق غاية الارهاق ، وابتسمت لكارل وهى تقول ذلك : « هل تسمعين ؟ ! »

— نعم يا مدام !

— حسنا اذن ، طابت ليلتك !

— طابت ليلتك !

قالت المدبرة ، وهى تحاول أن تفسر الامر لكارل : « لقد عانيت من النوم السيئ لعدة سنوات ، ولى في وضعى الحالى كل الحق في أن أرتاح ، ولست أحتمل الازعاج في الحقيقة بآية صورة من الصور ، لان كل مخاوف القديمة لا تزال تنتابنى حتى الآن ، وتحرمنى من النوم ، فلو قدر لى أن استغرق في نومى في الساعة الثالثة صباحا ، فأننى أعتبر نفسى سعيدة الحظ ، لكن لما كان على أن انهض بأعباء عملى في الخامسة .. أو الخامسة والنصف على الأكثر ، فلا بد من أن يوقظنى شخص ما ، ولا بد له من أن يحاول ايقاظى في رفق بالغ ، حتى لا يسبب لى مزيدا من تلف الاعصاب ، فأعصابى تالفة بالفعل غاية التلف . »

وهكذا .. فتيريز توقظنى ، الا اننى قد أخبرتك الآن بالفعل بكل شيء يمكن أن أخبرك به ، ولم أذهب حتى الآن .. طابت ليلتك ! ومرقت الى خارج الحجرة ، على الرغم من ضخامة حجمها ! وكان كارل يريد أن ينام ، فقد كان مرهقا غاية الارهاق طوال اليوم ، ولم يكن ليتطلع الى مكان مريح لينام فيه ، أفضل من هذا المكان ، لم تكن الغرفة غرفة نوم بلا شك ، بل كانت غرفة معيشة

المديرة ، أو حجرة استقبالها على وجه التحديد ، وكان ثمة وعاء للفسيل قد وضع خصيصا من أجل استعمال كارل في تلك الليلة ، الا انه لم يشعر برغبة في أن يمسي أى شيء من محتويات الحجرة في تلك الليلة ، كان يتطلع فقط الى شيء من الاحساس بوجوده وكان صندوقه هنالك في انتظاره ، ولا شك انه لم يوضع في مكان آمن كهذا المكان لمدة طويلة وفوق بوفيه منخفض ذى ادراج ينتشر فوقه غطاء من الصوف كالشبكة كانت تستقر بضغ صرور فوتوغرافية في اطاراتها ، وتوقف كارل اثناء تجوله في انحاء الحجرة ليتطلع اليها .

كانت صورا قديمة كلها تقريبا لفتيات في ملابس عتيقة الطراز ، غير مريحة ، وكانت قبعة صغيرة محلاة بتاج تزين في اهمال رأس كل فتاة من تلك الفتيات ، بينما كانت اليد اليمنى لكل منهن ، تستند فوق مقبض شمسية ، وكانت تلك الفتيات يواجهن من ينظر اليهن صورهن الا ان ميونهن لم تكن لتلتقى بعينيها ، وبين صور الرجال اصطدمت عينا كارل بصفة خاصة بصورة جندي شاب كان قد وضع قبعته فوق منضدة ، وكان يقف منتصبا بخصلات شعره الشائر ، الاسود ، ونظرة رضا مكبوتة ، تنم عن عنجبية ، ويبدو ان شخصا اعاد تلوين ازرار ردائه بنقط من طلاء ذهبي . لعل هذه الصور كلها تكون قد جاءت من أوروبا ، وكان من الممكن ان يتأكد كارل من ذلك بالتطلع الى ظهر تلك الصور ، الا انه لم يرغب في ان يمد يده اليها ، وكان يود لو يضع صورة والديه في الغرفة التى سيشفلها ، على نحو تلك الصور الموضوعة هنا .

وكان كارل قد تمدد فوق الارىكة ، وتاهب للنوم بعد أن اغتسل من قمة راسه الى اصابع قدميه ، وكان قد فعل ذلك بغاية الهدوء نظرا لوجود الفتاة التى تجاوره في الغرفة ، عندما خيل اليه انه سمع طرقا خفيفا على أحد الابواب ، ولم يستطع أن يكتشف للوهلة الاولى على أى باب من الابواب كانت تلك الطرقات ، ولعلها كانت ضوضاء غير مقصودة ، الا انها قد تكررت في الحال ، ولم يكن كارل قد استغرق في النوم عندما تكرر ذلك الطرق فوق الباب وكانت طريقة واضحة الآن بكل تأكيد .. وظهر ان تلك الطريقة الاخيرة كانت على الباب المؤدى الى حجرة السكرتيرة ، ومشى كارل على أطراف اصابعه الى الباب ، وتساءل في رقة بالغة ، حتى اذا كانت الفتاة التى في الغرفة الاخرى نائمة رغم ذلك الطرق ، فلا

يتسبب في ان يوقظها من نومها : « هل تريدن شيئا ؟ »
وجاءه الرد في الحال في نفس الصوت الخافت البالغ الرقة :
« ألا تفتح الباب ؟ » ان المفتاح في الجانب الذى امامك !
قال كارل : « بلا شك ، الا اننى يجب ان ارتدى شيئا من
ملابسى أولا ! »

مضت فترة قصيرة من الصمت ، ثم قالت الفتاة : « لست في
حاجة الى ان تفعل ذلك ، افتح الباب ، ثم عد الى فراشك ثانية ،
سوف انتظر قليلا امام الباب »

- حسنا ، قالها كارل ونفذ اقتراح الفتاة ، واضاء النور
الكهربائى كذلك ، ثم قال هندئذ : « اننى في فراشى الآن ! » ،
في صوت مرتفع الى حد ما . ثم ظهرت السكرتيرة خارجة من
ظلام غرفتها في كامل ثيابها ، كما كانت عندما غادرت مكتب المدير ،
ويبدو انها لم تكن قد فكرت في النوم !

قالت : « ارجو ان تسمح لى » ، وهى تتهادى بصورة ما
امام اريكة كارل « وارجو الا تذكر شيئا عن زيارتى هذه لك ،
ولست اريد ان ازعجك طويلا ، فاننى اعلم انك مرهق غاية الارهاق ! »
قال كارل : « لست مرهقا الى هذا الحد ، لكننى اعتقد انه
ربما كان من الافضل ان ارتدى شيئا من ملابسى ! » وكان عليه
ان يرقد متمددا تماما حتى يمكنه ان يسحب فوقه الغطاء ، حتى
عنقه ، لانه لم يكن لديه رداء للنوم !

قالت : « سابقى لحظة فقط ! » وهى تتطلع حولها باحثة عن
مقعد ، ثم اضافت تقول : « هل يمكننى ان اجلس بالقرب من
الاريكة ؟ ! » واوما كارل بالاجاب ، فوضعت مقعدها لصق
الاريكة ، حتى كان على كارل ان يلتصق بالحائط لكي يتمكن من
رؤية وجهها جيدا . كان لها وجه مستدير ، رقيق التكوين ، فيما
عدا ان حاجبيها كانا يبدوان مرتفعين بصورة ملحوظة ، وربما كان
ذلك بتأثير تسريحة شعرها التى لم تكن تناسبها ، وكانت ملابسها
نظيفة جدا ، ومرتبة ، وكانت تعتمر منديلا في يدها اليسرى .

وتساءلت : « هل ستمكث هنا طويلا ؟ ! »
فاجابها كارل قائلا : « لم يستقر الراى في هذا الشأن بعد ،
لكننى اعتقد اننى سابقى ! »

قالت : « سيكون هذا رائعا » ، ومرت بمنديلها فوق وجهها ،
وذلك لاننى اشعر بالوحدة القاسية هنا !

قال كارل : « ان هذا يدهشنى ، ان المديرية تعطف عليك عطفًا زائدا ، اليس كذلك ؟ ! انها لا تعاملك كموظفة مطلقا ، ولقد ظننت بالفعل انك احدى قريباتها ! »

قالت : « اوه .. لا ، ان اسمى هو تيريز بيرشتوند ، وقد اتيت من بوميرانيا ! »

وقدم كارل ايضا نفسه ، وتطلعت اليه مباشرة للمرة الاولى ، وكأنه بدا فجأة غريبا اكثر مما كان عندما ذكر لها اسمه . وظلا صامتين لفترة قصيرة ، ثم قالت : « يجب الا تظن اننى ناكرة للجميل ! » ، فلولا المديرية ، لكنت الآن فى حال اسوأ كثيرا من حالتى الحاضرة ، ولقد كنت اعمل بين فتيات المطبخ هنا فى الفندق ، وكنت معرضة جدا للفصل من عملى هنا ، لاننى لم اكن احتمل العمل الشاق ، فانهم يتوقعون منك فى المطبخ ان تقوم بمجهودات خارقة ، منذ شهر اغمى على واحدة من فتيات المطبخ ، اغمى عليها ببساطة تحت ضغط الإرهاق ، وكان عليها ان تمكث فى المستشفى اسبوعين ، وانا نفسى لست فى صحة جيدة ، ولقد كنت دائمة المرض فى طفولتى ، وكنت بطيئة فى النمو لهذا ، ولعلك لا تتخيل .. هل تتخيل اننى فى الثامنة عشرة ؟ الا اننى ازداد قوة الآن !

قال كارل : « لابد ان العمل هنا شاق بالفعل ، ولقد رايت صبي مصعد فى الطابق الاسفل ينام واقفا فوق قدميه ! »
قالت : « ان عمال المصاعد قد اعتادوا بالفعل على ذلك ! كما انهم يحصلون على مبالغ كبيرة من منح البقشيش ، ومع ذلك فليس عليهم ان يبذلوا جهدا من قبيل الجهد الذى يتطلبه العمل الذى تقوم به فتيات المطبخ . ولقد كنت سعيدة الحظ بالفعل مرة فى حياتى كلها فقد ارسلت المديرية ذات يوم فى طلب فتاة ، لتقوم بترتيب فوط السفرة استعدادا للمأدبة ، وكان هناك ما يقرب من خمسين فتاة فى المطبخ وتصادف ان كنت انا التى انطبقت عليها شروط المديرية ، فتم اختيارى ! حسنا .. ولقد قمت بالعمل الذى اسندته الى بصورة حازت رضاها ، فقد كنت ماهرة دائما فى ترتيب فوط السفرة ، وهكذا احتفظت بى الى جانبها منذ ذلك اليوم ، وقامت بتمرينى ، على مراحل ، حتى اصبحت سكرتيرتها ولقد تعلمت منها الكثير !

تساءل كارل : « هل توجد اعمال كتابية كثيرة هنا ! »

واجابته قائلة : « اوه .. توجد اعمال كثيرة جدا اكثر مما يمكنك أن تتصور ، ولقد رأيت بنفسك اننى كنت اقوم بعملى حتى الحادية عشرة والنصف هذه الليلة ، وهذا امر عادى جدا ، ولست اكتب بالطبع على الآلة الكاتبة طوال الوقت ، لكننى اقوم ايضا بعدد من المهمات فى المدينة ! »

تساءل كارل قائلا : « هل هى مدينة كبيرة ؟ »

فاجابته قائلة : « كبيرة جدا اننى لم اتمتع بمشاهدتها كلها ، لكن .. الا تريد الآن بالفعل ان تستغرق فى النوم ؟ »

قال كارل : « لا .. لا .. انك لم تذكرى لى بعد لماذا جئت لزيارتى الآن ؟ »

— لاننى لا أجد من اتحدث اليه . اننى لا اشكو ، لكن لا يوجد فى الحقيقة من يمكننى ان اتحدث اليه ، ويسعدنى اننى وجدت شخصا ما فى النهاية ، شخصا يسمح لى بأن احادثه .. ولقد رأيتك فى الصالون ، فى الطابق الأسفل .. كنت قد دخلت لحظتها أبحث عن المديرية عندما اصططحتك الى داخل المخزن .

قال كارل : « ان ذلك الصالون مكان مزعج ! »

اجابته : « اننى لا اراه الا نادرا فى هذه الايام ، لكننى أريد فقط أن اقول ان المديرية تعطف على كما لو كانت امى ، لكن هناك اختلافا هائلا بين وضعينا ، حتى اننى لا أستطيع ان اتحدث اليها فى شئ من الحرية . ولقد كانت لى صديقات من بين فتيات المطبخ ، غير انهن قد غادرن هذا المكان منذ زمن بعيد ، ولا اكاد اعرف الفتيات الجديديات اللاتى حللن مكانهن وبالإضافة الى ذلك ، فانه غالبا ما يبدو لى العمل الذى اقوم به الآن عملا مرهقا بصورة تفوق عملى السابق فى المطبخ ، حتى اننى لا اتمكن من القيام به على خير وجه ، كما كنت أفعل فى عملى السابق ويخيل لى غالبا ايضا ان المديرية تحتفظ بى فقط بدافع الشفقة ، وفوق هذا كله فان هذا العمل يحتاج الى دراسة أفضل من الدراسة التى تلقيتها ولا بد لى من ذلك لكى اصلح كسكرتيرة . من الخطأ ان اصرح بذلك لكننى غالبا ما اشعر بهذا كله . واحسه الى حد يوشك أن يؤدى بى الى فقدان عقلى ، « بحق الاله » واندفعت تتكلم فى سرمة وتلمس فى حركات خاطفة كتف كارل لانه كان يخفى يديه تحت البطانية .. لا تذكر للمديرة كلمة من هذا ، والا فاننى بهذا اكون قد قضى على ، فلو سببت لها ألما ، بالإضافة الى انشغالها

بامرى ، فسوف يكون ذلك شيئا يزيد من طاقتها على أن تحتملنى .
فاجابها كارل قائلا : لن اذكر لها بالطبع اى شيء ..
قالت : كل شيء اذن على ما يرام ويجب عليك ان تبقى هنا
فسوف اكون فى غاية السرور لو بقيت ، ويمكننا ان نصبح صديقين
لو شئت . فعندما رايتك ، احسست بان فى امكانى ان اثق بك ، الا
اننى - وتأمل الى اى حد ابدو ملعونة - كنت خائفة ايضا من ان
تجعلك المديرية سكرتيرها بدلا منى ، وتفصلنى . ولقد قضيت وقتا
طويلا وانا جالسة الى نفسى فى الحجرة المجاورة ، اقلب الامر من
كل وجهه بينما كنت انت فى مكتب المديرية فى الطابق الاسفل ،
حتى انتهيت اخيرا الى انه قد يكون من الخير لك ان تاخذ مكانى ،
لانك ستؤدى هذا العمل ، دون شك بكفاءة لا تتوفر لى ، فلو لم
ترغب فى القيام بالمهام التى ترسل بسببها الى المدينة ، فسوف
اواصل انا القيام بهذه الخدمات ، لكننى فيما عدا ذلك ساكون
اكثر نفعا بعودتى الى المطبخ خاصة واننى قد اصبحت الآن اقوى
مما كنت !..

قال : لقد تقرر كل شيء الآن بالفعل فساكون انا حامل مصعد
وسوف تبقيين انت فى عملك كسكرتيرة ، لو انك لمحت للمديرة
بخططك هذه فسوف اخبرها بما قلته لى الآن واننى آسف مقدما
على اننى ساقول لها هذا كله ..
واخافت لهجة كارل تيريز خوفا شديدا ، حتى انها ألقت نفسها
ارضا الى جوار الارىكة ، وهى تبكى وتخفى وجهها فى ملابس نومه .
قال كارل : اوه .. سوف لا اخبرها بشيء ، لكن يجب الا
تقولى لها شيئا انت ايضا .

ولم يستطع ان يمنع نفسه الآن من ان يخرج الى حد ما ، من
تحت غطاءه ويتحسس ذراعها فى رقة ، الا انه لم يلق الكلمات
المناسبة التى يمكنه ان يهدئها بها ، أمكنه فقط أن يدرك أن حياة
هذه الفتاة حياة مريرة ، واخيرا واساها ما استطاع حتى لقد
خجلت من بكائها ، وتطلعت اليه فى امتنان ، ونصحته بأن يستغرق
فى النوم حتى الصباح ، ووعدته ان تأتى اليه فى الساعة الثامنة
لتوقيظه ان وجدت امامها متسما من الوقت

قال لها كارل : « انك ماهرة غاية الماهرة فى ايقاظ الناس ! »
قالت : « نعم .. يمكننى ان افعل بعض الاشياء ، ومرت بيدها
فى رفق فوق ملابس نومه ، وكأنها تصافحه مودعة ، ثم اندفعت
نحو حجرتها »

واصر كارل في اليوم التالي على ان يبدأ عمله في الحال ، على الرغم من ان المديرية كانت قد اشارت عليه بان يقضى اليوم في زيارة المدينة فأخبرها في صراحة انه سيوجد أمامه فرصا عديدة لرؤيتها فيما بعد الا ان أهم شيء أمامه الآن هو ان يبدأ العمل فقد كان قد قطع دراسته في أوروبا بلا هدف ، وها هو ذا يبدأ الآن مرة أخرى حياته كعامل مصعد في سن لعل الطموحين من أقرانه ان يكونوا قد أصبحوا فيها مهنيين لعمل أكثر خطورة ، ولقد كان من الخير ، ومن الضرورة له ان يبدأ حياته كعامل مصعد، لكن من الضروري له أيضا ان يتقدم بغاية السرعة في مثل هذه الظروف .. لم يرق له مطلقا ان يتسكع في شوارع رمسيس ، ولم يقبل أيضا ان يتمشى قليلا مع تيريز عندما اقترحت عليه ذلك ، أنه لم يكن يستطيع ان يطرد من رأسه تلك الفكرة الثابتة التي تتلخص في أنه ربما هبط ان لم يعمل بكل قواه الى مستوى ديلامارش وروبنسون .

وعدل ترزى الفندق على مقاس كارل زيا كان لواحد من عمال المصاعد ! وكان زيا مقلًا للغاية بالانزوار المذهب والشرائط الذهبية الا انه جعل كارل يرتجف قليلا عندما ارتداه ، فقد كانت الجاكته القصيرة ضيقة تحت الدرامين بوجه خاص وجامدة تفوح منها رائحة العرق الذي لا حيلة في ازالته ، ذلك العرق الذي نضج على الجاكته من أجساد الصبية العديدين الذين ارتدوها قبله ، وكان لا بد ان تعدل مقاسات الجاكته حتى تناسب كارل ، وخاصة بالنسبة للصدر ، لان جاكته واحدة من الجاكثات الثماني الاخرى لم تناسب مقاسه .. على الرغم من بعض الاصلاحات الضرورية ، ومع ان رئيس الترتزية كان يراجع مقاييس تلك الجاكته ، ولقد طوحها الى الخلف مرتين داخل المشغل ، بعد ان كانت قد انتهت على ما يبدو - ورغم ذلك كله ، تم الاصلاح والتعديل في نحو خمس دقائق وغادر كارل حجرة الترتزي مرتديا - بالفعل - بنطلونا ضيقا يناسبه ، وجاكته ، كانت محكمة عليه جدا بالرغم من كل التأكيدات القاطعة التي كان رئيس الترتزية ينفي بها ذلك فأغرت كارل على الانهماك في القيام بتمرينات التنفس ، لانه كان يريد ان يطمئن ان كان في وسعه ان يتنفس بالفعل وهو يرتديها .

ثم اوضح كارل ذلك لرئيس السفرجية ، الذي كان يراسه ، وهو رجل نحيل وسيم ، له انف كبير ، ويبدو في العقد الخامس

من عمره ، ولم يكن لدى رئيس السفرجية وقت لتبادل كلمة واحدة معه ، ودق الجرس ببساطة طالبا احد عمال المصاعد ، الذى تصادف ان كان نفس صبى المصعد الذى رآه كارل بالامس .

ناداه رئيس السفرجية باسمه الاول جياكومو الذى كان كارل قد قضى وقتا حتى يتبينه ، ذلك انه لم يكن يمكن تمييزه فى النطق الانجليزى ووجهت التعليمات الى الصبى بأن يدل كارل على الواجبات التى على عامل المصعد ان يقوم بها الا أنه كان صبيا خجولا ومتعجلا حتى ان كارل لم يكن يفهم شيئا من تلك المعلومات القليلة التى كان عليه ان يذكرها له . ولا شك فى ان جياكومو كان مستاء ايضا لانه كان قد نقل من عمله فى المصعد ، بسبب كارل فيما يبدو ، وتعين عليه ان يساعد الفتيات فى ترتيب الحجرات ذلك النقل الذى بدا له تخفيضا فى وضعه وكان يدرك هذا بسبب بعض الخبرات الخاصة التى لم يبح بها رغم ذلك . وكانت خيبة الامل التى اصاب بها كارل هى اكتشافه ان عامل المصعد لاشأن له فيما يتعلق بميكانيكية المصعد لكن عليه فقط ان يحركه بالضغط فوق بعض الأزرار ، على حين يقوم ميكانيكيو الفندق بإداء كل الإصلاحات التى يحتاج اليها أى مصعد فى حالة تعطله . فمثلا ، على الرغم من ان جياكومو قد قضى نصف عام فى الخدمة كعامل مصعد فانه لم ير مطلقا بعينه لا المحرك الموجود فى داخل القبو ولا أجزاء المصعد الداخلية التى تسهم فى حركته ، مع ان ذلك ، كما قال هو نفسه كان سيسره ! وكان العمل فى الحقيقة مملا ونوبات العمل التى تمتد اثنتى عشرة ساعة وتتغير نهارا مرة وأخرى ليلا ، تعد نوبات مرهقة جدا ، حتى ان المرء لايمكنه ببساطة تبعا لقول جياكومو ، ان يحتملها اذا لم ينم واقفا على قدميه بضع دقائق من حين لآخر ولم يعقب كارل بشيء على هذا القول الا انه كان يدرك تماما ان هذه الحيلة نفسها هى التى كلفت جياكومو وظيفته .

وكان كارل فى غاية السرور لان المصعد الذى سيعمل به كان مخصصا للأدوار العليا لانه لم يكن عليه ان يتعامل مع الضيوف الاثرياء ، الذين يعدون أكثر الزبائن ارهاقا لعامل المصعد وتشديدا فى أوامرهم ولم يكن له ان يعرف الكثير من المصاعد الاخرى لهذا بدا له هذا العمل طيبا كمجرد بداية .

وادرک بعد أنقضاء الاسبوع الاول انه كان كفئا تماما للوظيفة

وكانت اللوحة النحاسية في مصعده اكثر لمعانا من مثيلاتها في المصاعد الاخرى ولم يكن يوجد في اى من المصاعد الثلاثين الاخرى اى شيء يجعله جديرا بان يقارن بمصعد كارل ، وربمابقى المصعد لامعا على الدوام لو ان الصبى الآخر الذى يتناوب معه العمل فيه بدل شيئا من الجهد يقرب مما يبذله كارل من الجهد الخارق دون ان يرداد اهمالا كلما ازداد انتباه كارل الى واجباته. كان ذلك الصبى مواطنا امريكيا يدعى رينيل وهو فتى مغرور ذو عينين سوداوين ، وخدود ناعمة مجوفة الى حد ما ، وكان يرتدى بذلة خاصة جميلة في الليالى التى كان يخلو فيها من العمل ، عندما كان يهرع الى المدينة متعظرا وكان اكثر من هذا يسأل كارل من حين لآخر ان يقوم بعمله امسية من الامسيات متعللا بان عليه ان يذهب الى مكان ما لظرف عائلى دون ان يلقى بالا الى تناقض تلك الحجج التى كان يلفقها مع مظهره المبتهج ، ورغم ذلك فقد احبه كارل ، وكان يسره ان يرى رينيل وهو يقف الى جانب المصعد ببذلته الرائعة قبل ان يغادر الفندق في احد تلك الامسيات ، وهو يتعلل بالماذير مرة اخرى بينما يجذب قفازيه ثم يتسلل خارجا عبر الردهة وبالأضافة الى ذلك فقد رأى كارل انه من الطبيعى له ان يرضى زميلا اكبر منه على هذا النحو في البداية ولم يكن كارل ينوى ان يجعل ذلك تقليدا ثابتا ذلك ان تحريك المصعد الى اعلى والى اسفل ، كان عملا مرهقا فى ذاته الى حد كاف ، وخاصة فى الامسيات حيث لا يتاح له ان يتوقف لحظة واحدة عن الحركة .

وهكذا تعلم كارل ايضا كيف يؤدى تلك الانحناء العميقة السريعة التى يتعين على صبينة المصاعد ان يؤدوها ، وان يتناول منح البقشيش بغاية الخفة ، فكانت تلك المنح تختفى فورا فى جيب صديريه ، دون ان يتمكن احد من ان يستشف من تعبير وجهه ان كان البقشيش كبيرا او زهيدا وكان يفتح باب المصعد للسيدات فى شيء من الرقة ، ويدخل الى المصعد خلفهن متباطئا لانهن فى عنايتهن بقبعاتهن وملابسهن وزينتتهن ، يستغرقن وقتا طويلا فى الحركة ، بخلاف الرجال ، الى داخل المصعد. ويظل فى اثناء تحرك المصعد ، ملتصقا ببابه لانه اكثر الاماكن حيادا ويعطى ظهره الى النزلاء ، ويظل ممسكا فى يده بمقبض الباب لكى يكون مستعدا عند لحظة بلوغ الطابق المطلوب ، لان يفتح الباب على مصراعيه ، على كلا الجانبين دون تعطيل النزلاء او مفاجاتهم ، وما ان يربته

احدهم فوق كتفه ليساله في اثناء الصعود عن شيء ما ، حتى يستدير اليه في لباقة كما لو كان يتوقع السؤال ويجيبه في صوت مرتفع ، وفي احيان بعد انتهاء حفلات المسرح خاصة ، او وصول احد القطارات السريعة يكون الزحام شديدا ، على الرغم من وجود كل تلك المصاعد العديدة بالفندق فلم يكن كارل يفرغ من توصيل مجموعة من النزلاء الى الطابق الذي يريدونه ، حتى يقفل راجعا مرة اخرى الى هؤلاء الذين ينتظرونه في الطابق الاسفل ، وكان في مقدوره بجذب سلك كهربائي كان يمر خلال المصعد ، ان يزيد من سرعة المصعد العادية ، على الرغم من ان ذلك كان ممنوعا طبقا للتعليمات ، وكان يعد امرا على جانب كبير من الخطورة كذلك فلم يكن كارل يفعل ذلك عندما يكون المصعد مشغولا بالنزلاء لكنهم ما ان يغادروه الى الطابق الذي يقصدونه ، وتتمين عليه العودة لاحضار عدد من النزلاء الآخرين حتى يجذب كارل ذلك السلك دون ادنى تردد مصعدا تنهيدات قوية منتظمة كالبحارة ، وكان يعلم بالاضافة الى ذلك ان صببة المصاعد الآخرين يفعلون ذلك هم ايضا. ولم يكن يريد ان يلجأ النزلاء الذين ينتظرونه اليهم ، وكان بعض الضيوف الذين يمكثون لفترات طويلة في الفندق - وهي عادة شائعة هنا - يقولون في ابتسامة ، عندما يلمحونه : انه هو عامل مصعدهم ! وكانت هذه البوادر التي تنم عن العطف تجد قبولا رزينا من كارل ، لا يفتقر الى الشعور تجاههم بالعرفان ، وكان يقوم احيانا اذا لم يكن متعجلا غاية العجلة كمادته باداء بعض الخدمات الصغيرة ، باحثا عن شيء او آخر يكون النزول قد نسيه في حجرته ، ولا يريد ان يتكلف مشقة العودة الى الحجرة مرة اخرى للبحث عنه ، فكان كارل يحلق وحده عاليا بمصعده الذي يبدو مصعده الخاص بالفعل في تلك الحالات ، ويدخل الحجرة القريبة ، حيث تواجهه اشياء عجيبة لم يكن قد رأى شيئا مثلها من قبل متناثرة هنا وهناك او تتدلى من شموعات الملابس ، ويشم رائحة مميزة لنوع غير مألوف من الصابون او العطر ، او معجون الاسنان ، ويسرع بالعودة ، فلا يتباطأ دقيقة واحدة دون داع ، وفي يده الشيء المطلوب مع انه لم يكن قد تلقى سوى معلومات غامضة في العادة لا يمكن ان تحدد على وجه الدقة ذلك الشيء المطلوب البحث عنه وكان كارل يأسف في احيان كثيرة لانه لم يكن يعهد اليه بقضاء خدمات تستغرق وقتا اطول ، من قبيل تلك

الخدمات التي كان يعهد بأدائها الى مساعدين بعينهم ، او سعاة مزودين بالدراجات واحيانا بالموتوسيكلات ، وكان اقصى ما كان يكلف به هو عمل من الاعمال البسيطة في حجرة الطعام او حجرة القمار .

وبعد انتهاء نوبة عمل تستغرق اثنتى عشرة ساعة ، يفرغ من اداء عمله في الساعة السادسة مساء لمدة ثلاثة ايام ، وفي السادسة صباحا في الايام الثلاثة التي تليها ، كان كارل يفرغ من نوبة عمله حينئذ مرهقا غاية الارهاق حتى انه كان يتوجه مباشرة الى فراشه دون ان يلتفت الى أى شخص ، وكان فراشه في عنبر نوم صبية المصاعد ، وكانت المديرية التي تبين له انها لم تكن تتمتع بكل تلك السلطة التي تخيلها في ليلته الاولى ، قد حاولت ان تخصص له غرفة مستقلة ، ولعلها كانت لتنجح في ذلك ، الا انه عندما رأى الصعوبات التي واجهت هذه الرغبة .. ورأى انه كان عليها ان تتصل برئيسه المباشر - رئيس السفرجية - بصورة متواصلة ، رفض هو ذلك بنفسه واقنعها بصدق نيته في رفض هذه الغرفة المستقلة قائلا لها انه لا يرغب في اثارة حسد الصبية الآخرين له لحصوله على ميزة لم يحققها بالفعل بمجهوده .

وكان العنبر ينقصه الكثير دون شك ، حتى يصبح مكانا هادئا صالحا للنوم ، فقد كان لكل صبي جدولته الخاص الذي يتضمن مواعيد اكله ، ونومه وتسليته والخدمات الطارئة التي قد يعهد بها اليه في خلال ساعات راحته الاثنتى عشرة ، وعلى هذا فقد كان المكان يعج دائما بالضجيج فكان البعض ينامون ، والباططين تغطى آذانهم محاولين ان يتفادوا الصخب الدائر ، ولو نهض واحد منهم فانما ينهض لكى يصرخ في غضب محتجا على الضوضاء التي يحدتها الآخرون ، حتى لقد كان النائمون يستيقظون على صراخه مهما كان نومهم عميقا ، وكان لكل صبي تقريبا غليون يستغرق في تدخينه كنوع من الرفاهية ، وحصل كارل ايضا على غليون لنفسه ، وسرعان ما اعتاد على تدخينه . وكان التدخين بالطبع ممنوعا في وقت العمل ونتيجة لذلك كان كل فرد يمارس التدخين في عنبر النوم ان لم يكن نائما بالفعل ولهذا كانت سحابة كثيفة من الدخان تحيط بكل فراش وكانت الحجرة كلها تكاد تفرق في ضباب شامل ومع ان الجميع كانوا قد اتفقوا على اضاءة المصابيح فقط في احد جانبي العنبر في اثناء الليل الا ان تنفيذ ذلك كان مستحيلا ، فلو كان لهذا الاقتراح ان ينفذ لكان في مقدور كل من يرغب في النوم ،

ان ينام في هدوء في جانب العنبر الفارق في الظلام .. وقد كان العنبر فسيحا يتسع لأربعين فراشا ، بينما يمكن للباقيين ان يلعبوا النرد او الورق ، او يفعلوا كل ما يحلو لهم من امور أخرى يلزم الضوء لممارستها في الجانب الآخر المضاء ، وكان على كل من يرغب في النوم ، على حين يقع فراشه في دائرة الضوء ، ان يستلقى فوق أى فراش شاغر في نصف العنبر الفارق في الظلام ، فالاماكن الشاغرة تتوفر دائما ولا يمكن لاحد ان يعترض على ان يستعمل غيره فراشه الخاص بصفة مؤقتة ، لكن كان من المستحيل الالتزام بهذا النظام ، ولو لليلة واحدة ، فقد يصادف ان يدمى اثنان من الصبية الى مكان مظلم ليختطفنا لحظات يستغرقان فيها في النعاس ، ثم فجأة يشعران بالرغبة في ان يلعبا دورا من الورق فوق لوح من الخشب يمدانه في المساحة الخالية بين فراسيهما ، ويفتحان النور القريب منهما بالطبع فيتسبب الضوء في ايقاظ النائمين الذين يتصادف ان تتقابل وجوههم مع اشعة ذلك الضوء ، ويتلوى الواحد منهم بطبيعة الحال مستديرا على جانبه الآخر لابتعد عن مواجهة الضوء لفترة قصيرة ، لكنه لا يجد امامه في نهاية الامر سوى ان ينهض ليشرع بدوره في لعب الورق مع جاره المرهق ، فيضئ ضوءا آخر ، وينتشر بهذا ايضا تدخين الفليون في كل مكان ويوجد - للحقيقة - بعض من يتعمدون النوم هنا وهناك - وكان كارل عادة من بين هؤلاء - وكان هؤلاء يضطرون الى دفن رؤوسهم تحت الوسائد بدلا من ان يضعوها فوق تلك الوسائد ، لكن من اين للنوم ان يتأتى لاي منهم ، اذا نهض من يشغل الفراش المجاور في منتصف الليل ، وتأهب للخروج لكي يعربد في المدينة بضع ساعات قليلة يختطفها قبل ان يحل موعد عمله فيغسل وجهه محدثا كثيرا من الضجة وينثر الماء حول حوض الفسيل المثبت عند رأس كل فراش ، ولا يرتدى فردتى حدائه ايضا الا في ضجة ، بان يدقهما بقدميه على الارض لكي يدخل فيهما قدميه جيدا ، وقد كانت اغلب احذية الصبية ضيقة جدا على الرغم من طرازاها الامريكي ، ولكي يتمكن في النهاية من استكمال تأهبه للنوم ، لا يجد امامه بدا من ان يرفع وسادة من على وجه جاره ، تلك الوسادة التي حاول الجار ان يحتمى بها طويلا حتى يتمكن من النوم منتظرا ان ينهض ذلك الجار لكي يثور في وجهه محتجا ، وكان الصبية الذين يفرمون بالالعب الرياضية ، صبية صفار السن ، مفعمين

بالنشاط غالبا ، ويحرصون على الا تفوتهم الفرصة لاداء التمرينات في مثل ذلك الوقت ايضا فاذا حدث ان نهضت فزعا من نومك في الليل ، على هدير اصوات صارخة فتأكد من انك ستواجه مباراة كاملة للملاكمة بجانب فراشك على ارضية العنبر بينما يتحلق تلك المباراة جمع من النظارة الخبيرين بقواعد اللعبة جالسين فوق السرور والنور مضاء في كل مكان .. وقد حدث ذات مرة في مباراة للملاكمة من تلك المباريات التي تحدث في منتصف الليل ان وقع أحد الملاكمين فوق كارل عندما كان مستغرقا في النوم وكان اول ما وقعت عليه حينما كارل عندما استيقظ هو نهر من الدم كان يتدفق من انف الصبي فلتطح - قبل ان يجد كارل الفرصة ليتلاشى التلوث - ملابس كارل واغطية فراشه ، وكان كارل يقضي اغلب ساعات راحته الاثنى عشرة في محاولة الاستغراق في النوم .. وكان يجد نفسه معرضا لاغراء شديد في مشاركة الآخرين في استمتاعهم العميق بوقتهم ، لكن كان يشغل باله عندئذ ان هؤلاء الآخرين قد تمكنوا في حياتهم العملية من ان يبلغوا حدا لم يبلغه بعد ، وان عليه لهذا ان يلحق بهم عن طريق العمل الشاق والانصراف عن اللهو بقدر الامكان .. ومع هذا فعلى الرغم من شوقه وحاجته الملحة الى ان يحصل على كفايته من النوم لانهماكه في العمل بكل قواه الا انه لم يلجأ الى الشكوى للمديرة ولا لتمييز عن تلك الاحوال التي تجري في عنبر النوم في الوقت المخصص للراحة . ذلك ان الآخرين كانوا يعانون جميعهم من تلك الاوضاع دون ان يتدمروا منها بالفعل وبالإضافة الى ذلك فقد رأى كارل ان صعوبة الحصول على الراحة في عنبر النوم كانت جزءا من الوظيفة التي قبلها شاكرا عندما عرضتها المديرة عليه .

وقد حدث منذ اسبوع ، عند تغير نوبة عمله ، من النوبة النهارية ، الى النوبة الليلية ان حصل على فترة راحة لمدة اربع وعشرين ساعة ، قضى جانبها منها في زيارة المديرة مرة او مرتين ، وفي تبادل بضع كلمات قلائل مع تميز في ركن او آخر كإعادة ، او في الردهة ، ونادرا ما كان يتحدث اليها - في الحقيقة - في داخل غرفتها ، كلما التقى بها بعد فراغها من عملها لدقيقة او دقيقتين . وقد رافقها في احيان اخرى كذلك الى المدينة ، حيث كانت تقوم باداء بعض المهام بها ، وكانت تلك المهام تتم دائما في اسرع ما يمكن من الوقت ، فكانا يندفعان الى اقرب محطة من محطات

الانفاق ، في خطوات متعجلة تقارب الجري ، وكان كارل يحمل السلة ، وكانت رحلة القطار تنتهى في لحظة ، وكان القطار يندفع بهما في الفراغ ، فسرعان ما يغادرانه ، ويصعدان السلالم جريا في الجانب الآخر من المحطة دون ان ينتظرا المصعد ، الذى كان يعد بطيئا جدا بالقياس الى تعجلهما ، ثم تظهر الميادين الفسيحة التى تتفرع منها الشوارع ، فيبدو الميدان اشبه بالنجمة ، بالشوارع التى تتفرع عنه ، وتصلهما ضجة المرور المتدفقة على الفور من كل جانب ، بلا توقف ، الا ان كارل وتيريز كانا يلتصقان ببعضهما ويسرعان الخطا نحو المكاتب المختلفة ، ومحلات الفسيل والكي ، ومخازن البضائع ، والمحال التجارية لينجزا المهمات التى لم يكن فى الامكان طلبها بسهولة بالتليفون ، وغالبا ما تكون عبارة عن مشتريات بسيطة ، او مجرد تقديم شكوى عارضة ، وسرعان ما لاحظت تيريز ان معونة كارل ، كانت معونة لا يستهان بها بالفعل وانها كانت تسهل مهمتها فى احيان كثيرة ، ففى صحبته لم تكن تضطر الى الانتظار طويلا ، حتى يلتفت اليها البائعون المنهمكون فى العمل ، كما كان يحدث لها قبل ذلك ، لان كارل كان يتجه مباشرة نحو طاولة البيع ويدق فوقها بقبضته حتى يأتى اليه اى شخص ، فيتوجه اليه بالطلبات ، فى انجليزيتة التى لم يتمكن منها بعد ، والتي كانت تتسم لهذا بالحدقة الى حد ما ، فكان يسهل تمييزها وسط مائة لهجة اخرى ، كان يلوح عبر حواجز عالية من البشر ، ويتقدم دون تردد نحو الاشخاص الذين قد ينسحبون فى غطرسة الى اركان المحال الواسعة مبتعدين عنه ، فكان يتعقبهم . ولم يكن يفعل هذا كله بدافع الفرور ، ولا لعدم تقديره للمصاعب ، بل لانه كان يشعر بأنه فى وضع مرموق يمنحه بعض الامتيازات ، فلم يكن « الفندق القريب » ، زبونا يستهان به ، وكانت تيريز فوق هذا ، فى اشد الحاجة الى المعونة على الرغم من خبرتها بهذه الاعمال .

كانت تقول له غالبا ، فى سعادة ، عند عودتهما من مهمة ناجحة نجاحا ملحوظا : « يجب عليك دائما ان تأتى معى ! »

وكان كارل قد دخل حجرة تيريز ، خلال فترة الشهر والنصف التى انقضت على وجوده فى رمسيس ، ثلاث مرات فقط ، فى زيارات طويلة ، كانت تستغرق كل منها بضع ساعات . وقد كانت حجرة تيريز اصغر بالطبع من حجرات المدبرة ، وكانت محتوياتها القليلة مكومة حول النافذة ، لكن كارل كان قد استطاع

ان يتندر مزايا العزلة ، في حجرة هادئة خاصة ، حق فدرها ، بعد خبرته بعنبر النوم ، ومع انه لم يعلن ذلك ، فقد لاحظت تيريز الى اى حد كان يحب البقاء في داخل حجرتها . ولم تكن تكتم عنه شيئا من اسرارها ، ولم يكن من السهل عليها في الحقيقة ان تطلعه على شيء من اسرارها عند زيارته لها في الليلة الاولى . كانت طفلة غير شرعية ، وكان والدها ملاحظ عمال البناء ، قد ارسل في طلبها هي وامها من بوميرانيا . وبدا وكان كل واجب والدها قد انتهى عند هذا الحد ، او كما لو كان التقاؤه بالمرأة المنهمكة بالعمل ، والطفلة العليلة في الميناء قد خيبا كل توقعاته ، فقد رحل الى كندا بعد فترة قصيرة من وصولهما الى امريكا دون ادنى تفسير لرحيله ، ولم تتلقيا خطابا منه ، ولا امكنهما ان تتصلا به بصورة من الصور ، ولم يكن ذلك يثير شيئا من الدهشة ، في الحقيقة ، لانهما كانتا قد ضاعتا ، ولم يعد من السهل العثور على مقرهما وسط مساكن الحى الشرقى من نيويورك .

وفي احدى المناسبات روت تيريز لكارل - الذى كان يقف الى النافذة بجوارها ، يتطلع الى الشارع تحتهما - قصة موت امها ، وكيف كانتا تهرولان هي وامها ذات ليلة شتوية - ولابد انها كانت في الخامسة من عمرها عندئذ - خلال الشوارع ، وكل منهما تحمل صرة في يدها ، باحثتين عن مأوى تقضيان فيه ليلتهما ، وكيف أمسكت امها بيدها في البداية - فقد كانت عاصفة ثلجية قد هبت ، ولم يكن من السهل التقدم في السير ، حتى تخدرت يد تيريز ، ثم تركتها امها دون مبالاة بما قد يحدث لها ، حتى لقد تشبثت الطفلة بذيل رداء امها . وكانت تيريز تتعثر دائما ، بل لقد كانت تسقط على الارض ، الا ان امها كانت تبدو وكأنها قد غابت عن الوعي ، وتابعت سيرها دون ان تتوقف ، واية قسوة تلك التى تواجهها في نهاية الامر ، خلال شوارع نيويورك المستقيمة في اثناء تلك المواصف الثلجية ! لم يكن لكارل عهد بالشتاء في نيويورك ، فلو سرت في عكس اتجاه الرياح ، التى تظل تدوم ، وتدوم ، فلن يمكنك مطلقا ان تفتح عينيك ولو للحظة ، فالرياح تسوط وجهك بالثلوج طوال الوقت ، وتظل تسير ، وتسير ، الا انك لا تتمكن من ان تتقدم خطوة واحدة الى الامام ، كانت تلك الرياح تدفعك الى اليأس ، وتتميز الطفلة بالطبع عن المرأة ، ففى امكان الطفلة ان تنحنى تحت الريح ، وتنفذ من خلالها ، ولعلها

تجد شيئا من السرور في تلك المساومة ، ولهذا فلم تكن تميز
تدرك حقيقة حال أمها في تلك الليلة ، وهي تعتقد الآن اعتقادا
واسخا ، بأنها لو كانت قد سلكت سلوكا أكثر تعقلا تجاه أمها
— لقد كانت بالطبع مجرد طفلة صغيرة جدا — فلعل أمها لم تكن
تلقى مثل تلك الميثة البائسة . لم تكن أمها قد عثرت على أى عمل
خلال يومين ، وكانت قد انفقت آخر ما معها من نقود ، وامضيا
اليوم في العراء دون ان تبلفا بشيء ، ولم تكن الصرنان اللتان
تحملاهما تحتويان على شيء سوى بضع نفايات لا نفع فيها ، ولم
تجروا على القائهما ربما تحت تأثير بعض الاوهام عن احتمال
نفعهما . وكان لدى أمها أمل العثور على عمل في الصباح التالي ،
في بناء جديد ، الا ان والده تميز كانت تخشى — كما حاولت ان
تشير الى ذلك طوال النهار — من انها قد لا تتمكن من ان تفيد
من تلك الفرصة ، لانها كانت تحس بالانهك الشديد ، ولانها كانت
قد تقيت في ذلك الصباح نفسه كمية كبيرة من الدم في الشارع ،
أثارت فزع المارة ، وكانت تأمل فقط في ان تبلغ مكانا يتاح لها فيه
شيء من الدفء والراحة ، وكان من المستحيل في تلك الليلة بالذات
ان تجدا ركنا في أى مكان . وفي احيان لم يكن البواب يسمح
لهما بالدخول الى مدخل أى منزل ، حيث تحتيمان الى حد ما
من شدة البرد ، على الأقل ، لكنهما لو استطاعتا ان تغافلا
البواب ، فقد كانتا تمرقان حينذاك خلال رداهات ثلجية ، مرهقة ،
وتصعدان درجات لا حصر لها ، وتدوران حول شرفات ضيقة ،
تطل على أفنية ، وتطرقان الابواب عشا ، ولم تواتهما الجراة لحظة
واحدة في التحدث الى أى شخص ، ثم كانتا في احيان أخرى تلحان
في التوسل الى كل من تلتقيان به ، وجلست أمها مرة أو مرتين ،
فاقده التنفس فوق احدى درجات السلالم المنعزلة الصامتة ،
وجدبت تميز التي راحت تتمنع ، الى صدرها ، وقبلتها في عنف
مؤلم ، على شفيتها ، وعندما تحققت تميز فيما بعد ، من ان
تلك القبلات ، كانت هي آخر قبلات أمها لها ، دهشت جدا من
غيابها البالغ حتى انها لم تتمكن من ان تدرك ذلك في حينه ،
على الرغم من انها لم تكن في ذلك الوقت سوى مخلوقة صغيرة
للفاية . وانفتحت بعض الابواب التي مرا بها ، لكى يخرج منها
ضباب مكبوت ، وفي البخار المشيع بالدخان الذي كان يملأ تلك
الحجرات ، كما لو كانت تحترق ، لم يمكنهما ان تتحققا من وجود

شيء ، سوى مجرد شبح بلوح في الطرقة ، لم يشجعهما على ان يتوقعا شيئا من الضيافة في داخل المكان ، لا بصمته البليد ، ولا بغمغمته المقتضية . وعندما تتأمل تميز الماضي ، تذكر ان امها كانت تبحث فقط في الساعات الاولى من تلك الليلة عن مأوى بالفعل ، لانها لم تتحدث بعد منتصف الليل الى احد مطلقا ، مع انها كانت لا تزال تقف على قدميها ، لم توجه حتى مجرد كلمة مقتضية الى اى مخلوق ، حتى الفجر ، ومع ان كل تلك المساكن لم تغلق ابوابها طوال الليل ، وكانت خطوات الناس لا تكاد تنقطع الا انها لم تكن تقوى على مواجهتهم ، ولم تكونا تسيران مسرعتين من مكان الى مكان ، الا انهما كانتا تتحركان باخر ما في وسع قواهما الواهنة ان تسمحا به ، بنوع من الزحف المتشاغل في حقيقة الامر . ولم يسع تميز ان يحدد ان كانا قد طافا بنحو مشربين مسكنا منذ منتصف الليل حتى الساعة الخامسة صباحا ، ام الثانية ، ام الواحدة فقط بعد منتصف الليل ، كانت ردهات تلك المساكن تتسع ، وتتسع في خبث ، ويبدو من الصعب ان يجد المرء طريقه عبر تلك المساحات الخاوية ، وكم بدا لهما انهما كانتا تزحفان المرة بعد المرة خلال الردهة نفسها التي لم تكن تتغير ، وكأنهما لم تنتقلا من منزل الى منزل آخر . ولا تكاد تذكر تميز ، سوى ذكرى غامضة ، خروجهما من باب ذلك المنزل الذي طافا بردهاته بلا نهاية ، فقط لمجرد ان تغفلا راجعتين ، او هكذا بدت لهما نتيجة طوافهما ، حتى بلغا الشارع ، وغابا فيه ثانية . وكان ذلك بالطبع عذابا لا معنى له بالنسبة لطفلة مثلها ، فان تسحبها امها احيانا ، وتثبت هي في احيان اخرى بذيل رداء امها ، دون كلمة تشجيع واحدة ، كان يبدو لها امرا محيرا ، وفي حيرتها تلك ، كان التفسير الوحيد الذي كان يسمح ان تتوصل اليه ، هو ان امها تريد ان تهرب منها ، ولهذا فان تميز خوفا على نفسها شددت قبضتها على ذيل رداء امها باحدى يديها ، فلم تتركه ، حتى عندما كانت امها تمسك بيدها الاخرى .

وكانت تنخرط في البكاء من حين لآخر ، لانها لم تكن تريد ان تتركها امها وحيدة وسط هؤلاء الناس الذين كانت خطاهم تتردد فوق درجات السلالم امامهما ، او الناس الذين كانوا ياتون خلفهما ، او هؤلاء الذين يختفون في منحني السلم اسفلهما ، او هؤلاء الناس الذين يتساجرون في الردهات ، امام احد الابواب ، ويدفعون

بعضهم بعضا الى داخله ، والرجال السكارى كانوا يتجولون كذلك حول المكان ، وهم يرفعون عقيرتهم بالفناء في كآبة ، وكانت أمها محظوظة وهى تنسل وتيريز في يدها من بين أذرعهم الممدودة التى كانت تكاد تسد الطريق . وفى مثل تلك الساعة المتأخرة من الليل ، عندما لا يلقى أحد انتباها بالفا الى أى شىء ، وعندما يصبح تشديد كل امرئ على حقوقه أمرا لا يستحق العناء ، كان يمكنهما دون شك أن تجدا لنفسيهما مكانا فى أحد الفساذق الرخيصة الشائعة التى يديرها أصحابها ، والتى كانا قد مرا بالعديد منها ، الا ان تيريز لم تكن تدرك ذلك ، وكانت أمها أبعد ما تكون عن التفكير فى الراحة ، ووجدتهما الصباح ، مستندتين ، فى فجر يوم شتوى صحو ، الى جدار أحد المنازل ، وربما كانتا قد استغرقتا فى النوم لفترة قصيرة فى مكانهما ، وربما كانتا تحمقان حولهما بعيون مفتوحة ، واتضح ان تيريز كانت قد فقدت صرتها ، وراحت أمها تضربها عقابا لها على اهمالها ، الا ان تيريز لم تسمع ، ولم تحس بأية صفة من تلك الصفعات التى تلقتها ، ثم سارت مرة أخرى فى طريقهما فى الشوارع التى كانت قد بدأت تستيقظ ، وكانت أم تيريز تسير بجوار الحائط ، وعبرتا إحدى القناطر ، حيث ظلت كف أمها تمسح الصقيع من فوق الدرابزين ، وتوجهتا ، فى النهاية - وقتها واجهت تيريز ذلك كامر واقع ، الا انها الآن لا يمكنها أن تفهمه - الى نفس المبنى الذى كان يتعين على أمها أن تتوجه اليه فى ذلك الصباح . ولم تخبرها أمها بما اذا كان عليها أن تنتظرها ، أو ان عليها أن تمضى الى حيث تشاء ، واعتبرت تيريز ذلك أمرا بالانتظار ، لان ذلك هو ما فضلت ان تفعله ، وهكذا جلست فوق كومة من الطوب ، وراحت تتطلع حولها بينما كانت أمها تفك صرتها ، وتأخذ منها قطعة زاهية من القماش ، شدتها حول ثوبها الذى قضت فيه ليلتها ، وكان الارهاق قد نال من تيريز حتى انها لم تستطع أن تعاون أمها . ودون أن تدلى أمها للملاحظ عمال البناء باسمها ، كالعادة ، ودون أن تستفسر من أحد عن أى شىء ، شبت تصعد السلم ، كما لو كانت بالفعل تعلم العمل الذى يتعين عليها أن تقوم بأدائه . ودهشت تيريز لذلك ، لان حاملة المونة تعمل عادة على الأرض ، تخلط الجير ، وتحمل الطوب ، وتقوم ببعض الاعمال المتواضعة الأخرى . ولهذا فقد ظنت تيريز ان أمها سوف تضطلع اليوم بأداء نوع مختلف من العمل يعود عليها بأجر أكبر ، فابتسمت

لها وهي تغالب نعاسها !

لم يكن البناء قد ارتفع كثيرا ، كان قد بلغ الطابق الاول فوق الارضى فحسب ، ولهذا فقد كانت السقالة المرتفعة التي ترتفع الى باقى الهيكل ، لا تزال بدون تلك العوارض الخشبية التي تشدها الى بعضها البعض ، وكانت ترتفع عاليا نحو السماء الزرقاء . وعندما بلغت امها قمة الحائط ، دارت بمهارة حول البنائين الذين راحوا في بلادة يضعون الطوبة فوق الطوبة ، فلم يلقوا بالا اليها لسبب غير مفهوم ، وباصابع رقيقة تحسست طريقها بحذر بطول حاجز خشبي كان يستعمل كدرازين ، وكانت تميز مندهشة ، وهي تغالب نومها اسفل البناء ، لتلك المهارة ، وتهايا لها ان امها كانت ترمقها في عطف ، لكن امها كانت قد بلغت الآن في اثناء سيرها كومة صغيرة من الطوب ، كان الحاجز ينتهي خلفها ، ويبدو ان الحائط كان ينتهي ايضا بعدها ، الا انها لم تتوقف عند ذلك الحد ، بل سارت في طريقها لا تلوى على شيء ، حتى تجاوزت كومة الطوب ، ويبدو ان مهارتها قد زایلتها بعد ذلك ، لانها اسقطت تلك الكومة من الطوب ، وسقطت خلفها الى الارض ، وسيل من قوالب الطوب في اعقابها ، ثم بعد لحظات قليلة ، انفصلت كتلة كثيفة من الخشب من مكان ما ، وتهاوت فوقها الى الارض ، وكان آخر ما تذكره تميز عن امها هي رؤيتها لها وهي ممددة هنالك في رداثها الذي شدت فوقه تلك الخرقه ، ذلك الرداء الذي كانت قد آتت به من بوميرنيا ، وكانت ساقاها منفرجتان على اتساعهما في رقدتها ، تغطيهما تقريبا تلك الكتلة الخشبية الثقيلة التي كانت قد سقطت فوق الجزء الاعلى من جسمها ، بينما هرع الناس مسرعين من كل صوب ، وصاح رجل في غضب ، من فوق قمة الحائط .

كان الوقت متاخرا عندما فرغت تميز من قصتها . وكانت قد روتها بفيض من التفاصيل ، على غير عادتها ، وخصوصا في بعض اجزائها القليلة الاهمية ، كما فعلت عند وصفها لاعمدة السقالة وكل منها ترتفع على حدة نحو السماء ، وكانت تضطر الى ان تتوقف من آن لآخر ، بينما تترقرق الدموع في عينيها ، كانت ادق تفاصيل احداث ذلك الصباح لا تزال ماثلة في ذاكرتها في قوة بعد مرور أكثر من عشر سنوات ، ولان رؤيتها لوالدتها فوق حائط المنزل غير الكامل ، كانت هي آخر ذكرى حية لها ، فقد ارادت ان تستحضرها بغاية ما يمكنها من الوضوح امام صديقها ،

وحاولت ان تعود اليها بعد ان فرغت من قصتها ، لكن صوتها تهدج بعد ذلك ، ودفنت وجهها بين راحتيها، ولم تنفوه بكلمة اخرى وكانت امامهما ساعات مرحة كذلك في حجرة تيريز ، فقد رأى كارل عند زيارته الاولى لها ، كتابا مدرسيا في المعاملات التجارية ملقى بداخل الحجرة ، فسأله ان تعيره اياه ، وانفقا في الوقت نفسه أيضا على أن يقوم كارل بحل التمرينات الواردة بالكتاب ، ثم يحضرها الى تيريز ، التي كانت قد درستها بالفعل من خلال ما أملتة عليها احتياجات عملها ، لتقوم بتصحيحها . وكان كارل يستلقى في فراشه بعنبر النوم ، ليألى بطولها ، وقد وضع قطعتين من القطن في أذنيه ، وراح يتقلب بين الحين والآخر متخذًا كل ما يمكن تصويره من الأوضاع التي قد توفر له الراحة في استلقائه فوق الفراش ، ليقرأ في الكتاب ، ويكتب حلول التمرينات في سرعة ، في مفكرة صغيرة ، بقلم حبر كانت المديرية قد أعطته له . كتشجيع على قيامه بعمله بانتظام ، وقيامه كذلك بكتابة قائمة جرد طويلة منسقة كلفته بكتابتها ، وقد استطاع ان يستفيد من أغلب المضايقات الملهلة التي كان يسببها له الصبية الآخرون ، ذلك بأن راح يسألهم دائما عن تدليل بعض الصعوبات الصغيرة التي كانت تواجهه في استعمال اللغة الانجليزية ، حتى تعبوا من أسئلته وتركوه في سلام وغالبا ما كانت الدهشة تنتابه ، وهو يرى أن الآخرين . قد قنعوا بحظهم الحاضر من الحياة ، وانهم لا يشعرون بأن وضعهم هذا يجب أن يكون وضعًا مؤقتًا ، وانهم كانوا لا يستطيعون كذلك ان يدركوا معنى الحاجة الى اتخاذ قرار حاسم بشأن مستقبلهم ، وعلى الرغم من ان كارل كان قدوة لهم ، في هذا كله ، الا أنهم لم يقرءوا شيئا مطلقا فيما عدا بضع نسخ قدرة ، وباليسة ، من الروايات البوليسية ، كانت تنتقل من فراش الى فراش .

وفي لقاءاتهما كانت تيريز تقوم بتصحيح تمرينات كارل ، ربما بشيء من العناية أيضا ، وكانت تقوم بينهما خلافات في الرأي ، فكان كارل يستشهد بأراء استاذة العظيم الذي كان كارل يدرس على يديه في نيويورك لتدعيم رأيه ، الا أن آراء هذا السيد لم تلق من اهتمام تيريز اكثر مما كان يلقاه من اهتمامها اختراعات صبيبة المصاعد - الذين كان كارل يستمعين بهم - في قواعد اللغة . ولهذا كانت تتناول القلم الحبر من يد كارل وتشطب الفقرات التي كانت مقتنعة بخطئها . لكن كارل كان في مثل تلك الحالات التي تحتمل

الشك ، لانه لم يكن له أن يعرض الأمر على سلطة أعلى من تيريز ، يشطب لمجرد الاحتياط الخطوط التي كانت تخطها تيريز في مفكرته ، على نقيض ما كتبه هو ، وكانت المديرية تظهر أحيانا ، وتعطى قرارها في المشكلة لصالح تيريز ، لكن ذلك لم يكن ليحسم الخلاف بما أن تيريز كانت سكرتيرتها . وكانت تيريز تصدر مع ذلك في الوقت نفسه عفوا عاما ، ذلك لأن الشاي كان قد حان موعد أعداده ، كما يكون قد تم أيضا الإرسال في طلب الكعك ، ويلح كارل على أن يقص حكايات عن أوروبا كانت المديرية تقاطعه كثيرا في أثنائها ، فتنظر تستفسر ، وتندهش ، حتى لقد تحقق كارل من مدى التغيير الشامل الذي طرأ على أوروبا في وقت قصير نسبيا ، ومدى التغيير الذي لعله أن يكون قد حدث منذ رحيله هو عن أوروبا ، والتغيير الذي سوف يستمر دائما .

وربما كان كارل قد أمضى نحو شهر في رمسيس ، عندما قال له رينيل ذات ليلة وهو يمر به ، أن رجلا يدعى ديلامارش قد استوقفه أمام الفندق ، وسأله عن كارل ، ولما لم يكن ثمة سبب يدعو إلى الامتناع عن التصريح له بالحقيقة ، فقد أجابه رينيل في صدق أن كارل يعمل صبي مصعد ، وأن كانت لديه آمال في تحسين وضعه كثيرا ، إلى الأحسن ، بسبب الاهتمام الذي تجديه المديرية نحوه ، ولاحظ كارل الاهتمام الذي أبداه ديلامارش نحو رينيل ، لانه كان قد دعاه بالفعل إلى تناول الطعام في تلك الليلة . فقال كارل : « لست أريد أن أعرف ديلامارش أكثر من ذلك ، ومن الأفضل لك أن تحترس منه أنت أيضا ! »

قال رينيل ، وهو يتمطى : « أنا ؟ » ، ثم أسرع مبتعدا .

كان رينيل أحسن الصبية مظهرا ، في الفندق ، وكان يشاع بين الصبية الآخرين - مع أن أحدا لم يعرف من الذي بدأ بسرد تلك القصة - أن سيدة كانت قد أقامت بالفندق فترة من الوقت ، كانت قد قبلته في المصعد ، وهذا هو فقط الشيء الذي اتضح أمره على الأقل حتى الآن ، بين السيدة وبين رينيل ، وكان الذين يعلمون بتلك الإشاعة يجدون لذة كبرى في التطلع إلى تلك السيدة المتحررة وهي تمر بخطواتها الهادئة ، الخفيفة ، ونقابها الرقيق ، وجسدها المحبوك في ردائها الدانتيل ، ذلك أن مظهرها الخارجي لم يكن يشير أقل إشارة ، إلى أن هذا التصرف من الممكن أن يصدر عنها . وكانت تلك السيدة قد أقامت في الطابق الأول ، الذي لم يكن

يخدمه مصعد رينيل ، الا ان المرء لم يكن يسهه بالطبع ان يمنع النزلاء من دخول أي مصعد آخر ، اذا كان مصعدهم مشغولا في تلك الاثناء ، وعلى هذا فمن حين لآخر كان يحدث ان تستعمل تلك السيدة مصعد كارل ورينيل ، لكن فقط عندما يكون رينيل في نوبة عمله ، وربما كان ذلك قد حدث مصادفة ، الا ان احدا لم يصدق ذلك ، وعندما تحرك المصعد بهما ، حدثت فتنة بين صبية المصاعد لم يسهه ان يضبطوا فيها جماح انفسهم ، وكان من الضروري ان يتدخل رئيس السفرجية ، وقد فعل ، ذات مرة ، واخيرا سواء كانت السيدة ، او الاشاعة هي السبب ، فقد بقيت الحقيقة الواقعة وهي ان رينيل كان قد تغير ، فأصبح اكثر ثقة بنفسه ، وترك تلميع المصعد كلية لكارل الذي كان ينتظر فقط حتى تتاح له الفرصة المناسبة لسماع تفسير جذري لهذه النقطة ، ولم يعد من الممكن رؤية رينيل في عنبر النوم ، لم يحدث ان هجر أي صبي آخر مجتمع صبية المصاعد بهذه الصورة ، لانهم كانوا بصفة خاصة - فيما يختص بالعمل على الاقل - يتكاتفون تماما مع بعضهم البعض ، وكانت لهم جمعية خاصة بهم كانت ترعاها ادارة الفندق

ومضى كل هذا في ذهن كارل ، في نفس الوقت ، مختلطا ببعض الافكار التي تدور حول ديلامارش ، الا انه مضى في عمله كالمعتاد . وعند منتصف الليل ، كانت تنتظره مفاجأة صغيرة ، فقد احضرت له تيريز ، التي كانت تدهشه دائما بهداياها الصغيرة ، تفاحة كبيرة ، وقالبا من الشيكولاتة ! تحدثا معا للحظات ، وهما منتبهان الى رحلات المصعد التي كانت تقطع حديثهما من حين لآخر ، ثم تحدثا عن ديلامارش ، وادرك كارل انه لابد ان يكون قد خضع لتأثير تيريز حقا ، عندما انتهى كما انتهت من الحديث عنه الى انه

رجل خطير ، لان هذا كان هو رأيها في ديلامارش ، بعد ان سمعت ما ذكره لها كارل . وكان كارل يعتقد انه كان مجرد انسان عديم التدبير ، قد سمح لعزيمته ان تنهار امام النحس الذي واجهه ، ومن السهل عليه أن ينقل نفسه من هذا الوضع . الا ان تيريز عارضته في عنف ، وأصرت ، بعد أن ألقت عليه خطبة طويلة ، على أن يعدها بالألا يتحدث الى ديلامارش مرة أخرى . وبدلاً من أن يعدها راح كارل يجادلها ، طالبا منها أن تذهب الى فراشها ، فقد جاوز الوقت منتصف الليل ، وعندما رفضت هـددها بأن يترك عمله ، وبأخذها الى حجرتها ، وعندما أبدت استعدادها

أخيرا للذهاب ، قال : « لماذا تزعجين نفسك الى هذا الحد ، دون داع يا تيريز ؟ وعلى أية حال فأننى على استعداد لان اعدك بالآ اتحدث الى ديلا مارش ، ما لم يصعب على ان اتجنب ذلك ، ان كان وعدى هذا يساعدك على ان تنامى مرتاحة البال ! »

ثم وصل حشد من النزلاء ، وكان الصبى الذى يعمل بالمصعد المجاور قد دعى للقيام بمهمة أخرى ، فاصبح على كارل ان يعمل بالمصعدين معا ، وتدمر بعض النزلاء لتعطيلهم ، وربت سيد كان يرافق احدى السيدات ، بالفعل على كتف كارل ، بعصاء التي يتوكأ عليها ، فى رقة ، يطلب منه الاسراع ! تنبيهه لم يكن ثمة ما يدعو اليه بالمرّة ! ولم يكن يضر هؤلاء النزلاء مطلقا ، اذا وجدوا مصعدهم معطلا ، ان يتوجهوا مباشرة الى مصعد كارل ، الا انهم بدلا من ذلك ، اندفعوا الى المصعد الآخر ، وتوقفوا امامه . وقد أمسك احدهم بمقبض الباب ، وفى احيان كانوا يدخلون المصعد مباشرة ، وهو تصرف كان صبية المصاعد ممنوعون من السماح به لأحد ، صراحة ، طبقا للتعليمات ، ومهما كانت الظروف .

وهكذا كان على كارل ان يندفع من هذا المصعد الى ذاك ، حتى اجهد غاية الاجهاد . دون ان يتبادر الى ذهنه ، انه قد قام بالفعل بأكثر من واجبه ، وطلب منه فوق هذا كله ، فى حوالى الساعة الثالثة صباحا ، حمال عجوز كانت قد ربطته به صداقة وطيدة ، ان يؤدى له مساعدة بسيطة ، الا ان كارل لم يتمكن من تلبية طلبه ، لان النزلاء كانوا يقفون امام كلا المصعدين ، وكان ذلك يتطلب منه بديهة سريعة لكي يقرر فى الحال اى المجموعتين يبدأ بها أولا . ولهذا ارتاح كارل عند عودة الصبى الآخر ، وصاح فى وجهه ، موجها اليه بضع كلمات يلومه بها على غيابه طوال تلك الفترة ، على الرغم من انه ، ربما لا يكون مسئولاً عن ذلك التأخير وجاءت فترة من الهدوء بعد الساعة الرابعة صباحا ، كان كارل فى اشد الحاجة اليها ، فاستند مجهدا الى الدرايزين بجوار مصعده ، وراح يقضم التفاحة متأنيا ، وفاحت منها رائحة قوية عندما قضمها ، وراح يحرق امامه الى مدخل غارق فى الضوء ، تحيطه نوافذ المخازن المرتفعة ، التي كانت تتدلى خلفها كميات هائلة من الوز كانت تسطح فى خفوت وسط الظلام .

مرض روبنسون

ثم ربت شخص ما على كتفه ، فدرس كارل التفاحة مسرعا في جيبه ، وقد ظن انه لا بد بالطبع نزيل من نزلاء الفندق ، وهروول الى المصعد ، دون ان ينظر الى الرجل .
قال الرجل : « مساء الخير يامستر روسمان ، اننى روبنسون ! »
فقال كارل وهو يهز راسه : « ولكنك تبدو مختلفا تمام الاختلاف ! »

قال روبنسون ، وهو يتأمل ملابسه ، التى كانت تتألف من قطع مختلفة ، قد تبدو كل منها ، فاخرة للغاية في حد ذاتها ، لكنها كانت غاية في التنافر مع بعضها البعض ، حتى لقد بدت رثة بالفعل ، وكان اول ما يسترعى الانتباه صديرية بيضاء ، كانت تستعمل للمرة الاولى في وضوح ، وكانت محلاة بأربعة جيوب صغيرة ذات حروف سوداء ، حاول روبنسون ان يلفت اليها انتباه كارل بأن نفخ صدره : « نعم .. لقد تحسنت حالى ! »

فقال كارل ، وهو يتذكر عندئذ بدلته البسيطة الجيدة ، التى ربما كان يبدو بها على قدم المساواة مع رينيل ، تلك البدلة التى باعها صديقه اللثيمان : « لكن ملابسك هذه ملابس غالية » .

فأجابه روبنسون قائلا : « نعم ، اننى اشترى لنفسى شيئا تقريبا كل يوم ، ما رأيك في الصديرية ؟ ! »
قال كارل : « انها جيدة جدا ! »

فقال روبنسون : « الا ان هذه الجيوب ، ليست جيوبا حقيقية لقد صنعت فقط لتبدو كذلك ! » ، وتناول يد كارل ، وأدناها من جيوبه لكي يتفحصها بنفسه ، الا ان كارل تراجع من فوره ، ذلك ان رائحة لا تطاق ، هى رائحة البراندى ، كانت تنبعث من قم روبنسون .

قال كارل ، وهو يتراجع الى الدرابزين : « لقد بدأت تشرب ثانية ! »

فقال روبنسون : « لا ، اننى لا افرط في الشراب ! » ، ثم اضاف قائلا في لهجة أخرى ، تناقض حالة انبساطه السابقة :

« وای شیء آخر يمكن ان يفعله المرء في هذه الدنيا ؟ ! » ، وقطعت حديثهما رحلة للمصعد ، وما كاد كارل يعود ثانية الى الطابق الاسفل ، حتى تقدم نحوه عامل تليفون يطلب منه ان يبحث عن طبيب الفندق ، لان سيدة في الطابق السابع قد اغمى عليها ، وخلال قيامه بهذه المهمة ، تمنى كارل في نفسه ان يختفى روبنسون قبل عودته ، لانه لم يكن يحب ان يراه احد معه ، وعندما تذكر تحذير تيريز ، لم يرغب في ان يتصل به ديلامارش ايضا ، الا ان روبنسون كان في انتظاره ، بجمود الرجل الذى افرط في الشراب ، ومر في تلك اللحظة احد كبار موظفى الفندق ، وكان يرتدى الغراك ، والقبعة العالية ، الا انه لم يلتفت لحسن الحظ ، على ما يبدو الى ذلك الدخيل .

قال روبنسون ، وهو يغمز لكارل في اغراء : « الا ترغب في زيارتنا يا روسمان ؟ اننا نحيا حياة راقية الآن ! »
فتساءل كارل قائلا : « هل هذه الدعوة موجهة الى منك ، او من ديلامارش ؟ ! »

قال روبنسون : « منى ومن ديلامارش ، من كلينا معا ! »

— اذن دعنى اقل لك ، وبممكنك ان تنقل هذا الى ديلامارش ، ان ما بيننا ان لم يكن قد اتضح لك هذا حتى الآن ، قد انتهى ولقد سببتما لى ضررا لم يسببه لى غيركما من قبل ، فهل عزمتما على ألا تتركاني فى سلام ، حتى الآن ؟ !

قال روبنسون مشمئزاً ، وقد تفرقت فى عينيه دموع سريعة : « ولكننا صديقاك ، وقد طلب منى ديلامارش ان اخبرك بأنه يترك لك حرية القبول أو الرفض ، اننا نعيش الآن مع برونيلا ، وهى مغنية فائنة ، وعند ذكر اسمها ، شرع فى الغناء فى صوت راعش مرتفع ، الا ان كارل اسكته فى الحال ، هامسا : « اغلق فمك على الفور ، الا تدري أين أنت ؟ ! »

فقال روبنسون فزعا غاية الفزع لغناؤه بذلك الصوت المرتفع :

— روسمان ، اننى صديقك ، اننى صديقك بالفعل ، فقل لى ما تشاء . ولكنك تشغل الآن تلك الوظيفة الممتازة هنا ، فهل يمكنك ان تقرضى شيئا من النقود ؟ !

قال كارل : « سوف تشرب بها فقط ، ولماذا ؟ ، اننى ارى زجاجة براندى فى جيبك ، ولا بد انك كنت تشرب منها عندما ذهبت أنا ، فقد كنت فى تمام وعيك قبلها ! »

فقال روبنسون : « اننى اشرب فقط حتى بمنحني الشراب
شيئا من العزم عندما اكون مكلفا بمشوار خارج البيت ! »
فقال كارل : « حسنا ، لن اهتم بأمرك اكثر من هذا ! »

فقال روبنسون وهو يفتح عينيه على اتساعهما : « لكن ماذا
عن النقود ؟ ! »

قال كارل متسائلا ، وهو يضع يده في جيب صدره ، لانه كان
قد قرر ان يضحي بما جمعه من البقشيش في تلك الليلة : « اظن
ان ديلا مارش قد كلفك بأن تعود اليه بالنقود ؟ حسنا ، سأعطيك
شيئا منها ، لكن فقط بشرط ان تنصرف في الحال ، والا تعود
ثانية الى هنا ، فلو اردت ان تتصل بى ، فيمكنك ان ترسل لى
خطابا ، « كارل روسمان ، عامل مصعد ، الفندق الغربى » ،
وسيصلى حتما ، الا اننى اخبرك مرة اخرى ، بانه لا يجب عليك
ان تاتى مطلقا الى هنا للبحث عني ، فهذا مكان عملى ، ولا وقت
لدى هنا للزوار ، حسنا ، هل تقبل النقود بتك الشروط ؟ ! »

وأطرق روبنسون فقط ، ردا على ذلك التساؤل الذى وجهه
اليه كارل ، وهو يتنفس في جهد ، فلم يفهم كارل معنى اطرافته
تلك ، فعاد يسأله : « نعم ، أم لا ؟ ! »

عندئذ اوما روبنسون اليه ، طالبا منه ان يقترب ، وهمس اليه
وهو يتلوى بصورة تدل على حقيقة حالته : « روسمان ، اننى
اشعر بوطاة المرض الشديد ! »

فصاح كارل : « يا للشيطان ! » ، وسحب بكتلا يديه الى
درازين السلم ، واندفع سيل من القىء من فم روبنسون الى
الارض ، وفي اللحظات التى كان يتمالك فيها نفسه ، كان يمد يده
باحسا عن كارل في ضعف ، وتخط !

وكان يقول عندئذ : « أنك فتى طيب القلب ! » او
« لقد توقف الآن ! » ، ولم يكن يقصد بهذا مرضه ، رغم ذلك ،
او يقول : « الخنازير ، أى نوع من الخمر هذا الذى صبوه في
جوفى ؟ ! » ، ولم يكن كارل يطيل البقاء الى جانبه لحيرته ،
واشمزازه ايضا ، فراح يذرع المكان ذهابا وجيئة ، من الممكن
الا يرى احد روبنسون لو بقى هنا في ذلك الركن بجوار المصعد ،
لكن ماذا يحدث لو تصادف وراه احدهم ، واحد من هؤلاء النزلاء
الاثرياء الصحابين ، الذين يتأهبون دائما للشكوى كلما وقعت
عيونهم على أى موظف من موظفى الفندق ، فيثور هذا ، ناقما في

ثورة غضبه على كل شيء ، وماذا لو رآه احد مفتشى الفنادق ،
الذين يتفرون دائما ، ولا يكاد يتعرف عليهم لهذا سوى اعضاء
هيئة ادارة الفندق ، حتى ان المرء قد اعتاد أن يشتبه في اى شخص
يتلفت حوله ، ويحسبه مفتشا من مفتشى الفنادق ، مع انه قد
لا يكون سوى مجرد شخص مصاب بقصر النظر ؟ وقد يتصادف ان
يمر احد السفرجية الذين في الطابق الارضى ، في طريقه الى المخازن
ليحضر شيئا - ذلك ان البوفيه يعمل طوال الليل - فتصدمه رؤية
ذلك الخليط المقرز فوق أرضية المدخل ، فيتصل بكارل تليفونيا
ليسأله : « بحق الاله » مما حدث ! فهل يسع كارل ان ينكر معرفته
بروبنسون في تلك الحالة ؟ ولو استطاع ان ينكر معرفته به ، فهل
يمكن الا يكون روبنسون من الغباء والانبيار ، بحيث لا يتعلق بخناق
كارل بدلا من ان يعتذر ؟ وهل من الممكن الا ينتهى ذلك بفصل كارل
من عمله في الحال ؟ بما انه كعامل مصعد ، ليس سوى شخص
بسيط لا يؤبه به ، لانه اقل هيئة موظفى الفندق الضخمة
كلها شائنا ، واسهلهم جميعا استبدالا بغيره ، فهل يحتمل وضع
كوضعه ، ان يسمح لاحد اصدقائه بأن يلوث الفندق ؟ بالإضافة
الى ان هذا قد ينتج عنه أيضا هرب الزبائن ؟ فهل يمكن التسامح
مع صبي مصعد له مثل هذا الصديق ؟ ويسمح له فوق ذلك
بزيارته بالفعل في وقت عمله ؟ الا يبدو صبي مصعد على هذه
الصورة ، سكيراً هو نفسه ، وربما أسوأ من ذلك ؟ وقد لا يبدو
اى افتراض آخر معقولا ، كان يظنوا انه يتخم اصدقائه بطعام الفندق
حتى لا يتمكنوا من ان يمنعوا انفسهم من التقيؤ ، كما فعل
روبنسون في كل انحاء الفندق البالغ النظافة ؟ وكيف يمكن ان
يحصر صبي كهذا نفسه في حدود سرقة الطعام والشراب ، طالما
ان فرص السرقة تتوفر له بالفعل بغير حد ، نظرا لاهمال النزلاء
البالغ ، فالدواليب تظل مفتوحة في كل مكان ، والاشياء الثمينة
تتناثر فوق المناضد ، وعلب المجوهرات تبقى مفتوحة ، والمفاتيح
تلقى حيثما اتفق ؟

وعند ذلك احس كارل على البعد بخطوات عدد من النزلاء
يصعدون درجات مشرب البيرة في القبو ، حيث انتهت لحظتها حملة
من حفلات المنوعات ، فتوقف بجوار مصعده ، ولم يجرؤ على ان
يتطلع نحو روبنسون ، خوفا مما قد يراه .

وقد ارتاح كارل قليلا ، عندما لم يسمع صوتا ، ولا حتى نامة

من الناحية التي كان يقبع فيها روبنسون ، فحف الى خدمة
النزلاء ، وراح يصعد ، ويهبط في مصعده ، الا انه لم يتمكن من
أن يتخلص من شروده ، وكان يتهاى ، عندما كان يهبط بمصعده الى
الطابق الارضى ، في كل مرة ، لمواجهة كارثة مفاجئة .

واتسع لديه الوقت في النهاية ، للعناية بروبينسون الذى كان قد
خر على ركبتيه في وضاعة ، في ذلك الركن ، وقد اكب بوجهه فوق
ركبتيه ، وكان قد دفع قبعته المستديرة الجامدة الى مؤخرة رأسه

قال له كارل في لين ، لكن بشيء من الحزم : « يجب ان تذهب
الان بالفعل ، وها هي النقود ، فلو أسرعت ، فيمكننى ان اجد
بعضا من الوقت لكى أدلك على اقصر طريق للخروج من هنا ! »
فقال روبنسون وهو يمسح جبهته بمنديل صغير : « اننى
لا اقوى على الحركة مطلقا ، وسوف اقضى نحبى هنا ، فلا يمكنك
ان تتصور مدى ما اشعر به من المرض ، لقد صحبني ديلامارش
الى جميع اوكار الشراب الفاخرة التي يرتادها ، الا اننى لا اكاد
اطيق ذلك الشراب الذى يقدمونه هنالك ، ولقد قلت له ذلك
مرارا ! »

قال كارل : « حسنا ، لايمكنك ببساطة ان تبقى هنا ، تذكر
اين انت ، ولو اكتشف احد وجودك هنا ، فسوف تواجهنى
المتاعب ، وسوف افقد عملى ، فهل تريد لى ذلك ؟ ! »

قال روبنسون : « لا اقوى على النهوض فوق قدمى ، وسوف
ازحف الى هذا المكان على أية حال ! » ، وأشار بيده الى المكان
الخالى بين درابزين السلم ، وبئر المصعد : « سوف ابقى هنالك
بقدر ما يمكننى ان ابقى في حالتى هذه ، يمكننى ان احتمل البقاء
في هذا المكان ، الا اننى لا اقوى على النهوض ، ولقد حاولت ان
انهض عندما صعدت بنزلائك ! »

فقال كارل وهو يجذب ساقى روبنسون قليلا ، لان روبنسون
كان يبدو معرضا لخطر الاستفراق في النوم العميق في أية لحظة :
« اذن فسوف ابحث عن تاكسى ليقلك الى المستشفى ! » ، فشرع
روبينسون في البكاء ، عندما سمع كلمة « المستشفى » التي بدت
وكانها قد اثارت في نفسه مخاوف رهيبة ، ورفع ذراعيه نحو
كارل ، وكأنه يسترحمه .

فقال كارل ، وهو يضرب يدي روبنسون الممدودتين نحوه :
« اهدأ ! » ، وأسرع نحو الصبى الذى كان قد قام بعمله في

تلك الليلة ، ورجاه ان يحل محله لفترة قصيرة بدوره ، وعاد مسرعا الى روبنسون الذي كان لا يزال ينشجج بالبكاء ، ورفع بعنف على قدميه ، وهمس في اذنه قائلا : « روبنسون ، لو اردتني ان اساعدك ، فيجب عليك ان تتماسك ، وتحاول ان تسير بمفردك في توازن ، لمسافة قصيرة ، سوف اصحبك الى فراشي ، حيث يمكنك ان تبقى الى ان تشعر بالتحسن ، وسوف تدهش للسرعة التي سوف تشفى بها ، لكن عليك ان تتمثل الآن بالفعل ، لان الناس يتجولون في الممرات ، كما ان فراشي يوجد في عنبر كبير للنوم ، فلو اثرت انتباه هؤلاء الناس ، فلن اتمكن عندئذ من ان افعل لك شيئا آخر ، كما اننى لايمكننى ان احملك فوق كتفى ، ولو بدا عليك انك تشرف على الموت ! »

قال روبنسون : « سافعل كل ما تطلبه منى ، الا انك لن تتمكن من ان تسندنى وحدك ، فهلا استدعيت رينيل ايضا ليعاونك ؟ »

قال كارل : « رينيل غير موجود ! »

فقال روبنسون : « نعم ، بالطبع ، ان رينيل الآن مع ديلامارش وقد ارسلنى كلاهما اليك ، لقد اختلط على الامر تماما ! » ، وراح كارل يدفعه في اثناء انشغال روبنسون بهذا الحديث ، وغيره من احاديثه غير المفهومة التي كان يحدث بها نفسه ، الى الامام ، وتمكن من ان يبلغ به احد الاركان في سلام ، ومن ذلك الركن كان يبدأ ممر خافت الاضاءة ، يؤدي الى عنبر نوم صبية المصاعد ، وهرع احد الصبية مسرعا نحوهما ، وتجاوزهما باقصى سرعته لحظتهما ، وكان كارل وروبينسون قد اشتبكا في بضعة مشاجرات بسيطة حتى الآن ، وكان الوقت عندئذ بين الرابعة والخامسة صباحا هو اشد الاوقات هدوءا ، وادرك كارل انه ان لم يتخلص من روبنسون الآن ، فلن يكون امامه مطلقا ادنى أمل في التخلص منه في الصباح الباكر ، بعد ان تبدأ نوبة عمل النهار .

وفي اقصى نهاية عنبر النوم ، كانت معركة هائلة ، او تسلية من نوع ما ، قد قامت على قدم وساق ، وكان يمكن سماع التصفيق ، ودقات الاقدام المتهيجة ، وصيحات التشجيع ، وفي الجانب الآخر من العنبر ، ناحية الباب ، كان عدد قليل جدا من الصبية المستغرقين في النوم في اسرتهم ، وكان اغلب الصبية الباقيين يستلقون فوق ظهورهم ، يحدقون في السقف ، بينما كان هنا وهناك ، صبي

يرتدى ملابسه ، أو صبي يخلعها ، حيثما اتفق ، أو يقفز أحسد الصبية المستيقظين من فراشه ليتطلع عن قرب الى ما كان يجري في الجانب الآخر من العنبر . وهكذا تمكن كارل من أن يقود روبنسون الذي كان قد تعود الآن على السر ، حتى بلغا فراش رينيل دون أن يلفتا اليهما الانظار ، فقد كان الفراش قريبا جدا من الباب ، وكان خاليا لحسن الحظ ، أما فراش كارل ، كما تبينه كارل من على البعد ، فقد كان يشغله صبي غريب لا يعرفه ، قد استغرق في النوم في هدوء ، وما ان احس روبنسون بالفراش تحته حتى تاهب للنوم في الحال ، وتدلّت إحدى ساقيه خارج الفراش .

وسحب كارل البطاطين حتى غطى بها وجه روبنسون تماما ، وظن انه ليس بحاجة الى أن يخشى شيئا الآن ، لان الرجل لم يكن ليستيقظ قبل السادسة ، على الاقل ، وسيكون هو بنفسه هنا وقتها ، وربما امكنه بمساعدة رينيل أن يجد وسيلة من الوسائل لتهربه الى خارج الفندق . لم تكن السلطة العليا في الفندق تقوم بأى تفتيش على عنبر النوم الا في حالات نادرة ، وكان صبيحة المصاعد قد نجحوا منذ سنوات عديدة في الغاء التفتيش النظامي الذي كان يحدث قبلها ، وهكذا فلم يكن ثمة ما يدعو الى الخوف من هذه الناحية .

وعندما عاد كارل الى مصعده ثانية ، تبين ان مصعده ، والمصعد الذي يجاوره كانا قد اختفيا في اعلى الفندق ، فانتظر في رجفة حتى يتضح الامر ، ووصل مصعده الى الطابق الارضى أولا ، وخرج منه الصبي الذي كان قد مرق بجانبه في الممر منذ فترة قصيرة . قال له متسائلا : « انت ، أين كنت يا روسمان ؟ لماذا تركت مصعدك ؟ ولماذا لم تبلغ عن غيابك ؟ ! »

قال كارل وهو يشير الى الصبي الذي يعمل بالمصعد المجاور ، والذي كان قد وصل لتوه : « لقد طلبت منه أن يعمل بمصعدي للحظات ، ولقد فعلت ذلك بدلا منه لمدة ساعتين كاملتين ، عندما كانت حركة النزلاء على أشدها ! »

فقال الصبي المقصود بهذا الكلام : « كل هذا لا بأس به ، الا انه خطأ ، الا تعلم انه يجب عليك ان تبلغ عن غيابك عن مكان عملك مهما قصر ، الى مكتب رئيس السفرجية ، لقد وضع التليفون هناك من أجل ذلك ، ولقد كان يسرني ان أقوم بعملك ، لكنك تعلم أنت نفسك ان الامر لم يكن بهذه السهولة ، فقد كان هنا جمع

من النزلاء الجدد ، وصلوا بقطار الرابعة والنصف السريع ، وكانوا يقفون أمام كلا المصعدين ، ولم أستطع أن أستعمل مصعدك أولا وأترك من يقفون أمام مصعدي في الانتظار ، هل كان في مقدوري أن أفعل ذلك ؟ وهكذا فقد صعدت بمصعدي أولا ! »

قال كارل متوترا ، بينما لجأ الصبيان الآخرون الى الصمت ، « حسنا ! » .

فقال الصبي الذي يعمل بالمصعد المجاور : « حسنا ، وقد كانت تلك اللحظة بالذات هي اللحظة التي قدم فيها رئيس السفرجية ، ورأى الناس ينتظرون أمام مصعدك ، ولم يجدك ، فاستشاط غضبا ، وسألني عن المكان الذي ذهبت أنت اليه ، ولما لم اكن موجودا وقت ذهابك ، فلم تكن لدي بالطبع أية فكرة عن مكانك ، لانك لم تخبرني حتى عن المكان الذي توجهت اليه ، وهكذا فقد اتصل تليفونيا بعنبر النوم مباشرة ، وطلب صبيا آخر ليحل محلك في الحال ! » .

وتساءل الصبي الآخر قائلا : « لقد التقيت بك في الطريقة ، اليس كذلك ؟ ! » وأطرق كارل .

وأكد له الصبي الذي يعمل بالمصعد المجاور : « ولقد قلت له بالطبع في الحال انك قد طلبت مني ان أحل محلك ، لكن هل يستمع هو الى أى اعتذارات ؟ لا يبدو انك تعرفه ، ولهذا علينا أن نخبرك بأن تتوجه الى مكتبه في الحال ، ولا يجب عليك الا تنتظر أكثر من ذلك ، اذهب الى حجرته ، فلمـله يعفو عنك في النهاية ، فانك لم تترك مصعدك سوى دقيقتين بالفعل ، ويجب عليك أن تصر على انك قد طلبت مني ان أحل محلك ، ومن الأفضل ألا تذكر انك قد حللت محلي بالمثل قبلها ، هذه هي نصيحتي لك ، فلا شيء يمكن ان يحدث لى ، لاننى كنت قد استأذنت في الغياب الا انه لا داعى للذكر ذلك ، وخلطه بهذا الموضوع ، الذى لا علاقة له به ! »

قال كارل : « انها اول مرة اترك فيها مصعدي ! »

فاجابه الصبي الآخر ، قائلا ، وهو يهرول الى مصعده ، فقد كان البعض قد توجهوا نحوه : « ان الامر يحدث دائما على هذه الصورة ، الا ان احدا لا يصدق ذلك ! »

وقال الصبي الذى حل محل كارل في اثناء غيابه ، وهو يشعر

بالاسف الواضح ، من اجل كارل ، وكان صبيبا في جوالى الرابعة عشرة من عمره : « لقد فصلوا صبيانا من هذا العمل بالفعل ، عدد كبير منهم قد فصل في ظروف كهذه ، الا ان التسبع عادة هو ان يحولوك الى عمل آخر . وعلى قدر علمى فقد حدث مرة واحدة فقط ان قاموا بطرد صبي ارتكب مثل هذا الخطا الذى ارتكبه ، فيجب عليك ان تجد عدرا مقبولا ، لكن لا تحاول ان تقول له انك شعرت فجأة بالمرض ، فسوف يدفعه ذلك الى الضحك فقط ، ومن الافضل ان تقول ان نزيفا من النزلاء قد ارسلك في طلب عاجل الى نزيل آخر ، وانك لا تذكر النزيل الاول ، ولم تستطع كذلك ان تمر على الآخر ! »

قال كارل : « حسنا ، لن يبلغ الامر هذا الحد من السوء ! » لم يكن يمكنه ان يعتقد بعد كل ما سمعه ان الامر سينتهى بسلام ، وحتى لو تم الصفح عن اهماله ، فان روبنسون لا يزال يستلقى هناك في منبر النوم ، كفلطة حية ، ومن المحتمل جدا ألا يقنع رئيس السفرجية المحب للانتقام بالتقصي السطحي للامر ، ولا بد له ان يكتشف وجود روبنسون في نهاية الامر ، ولم يكن هناك حقا حظر صريح يمنع استقبال الغرباء في منبر النوم ، الا ان هذا الحظر لم يوجد ببساطة ، لانه لم يوجد ما يدعو للذكر شيء بعيد الاحتمال من هذا القبيل .

وعندما دخل كارل المكتب ، كان رئيس السفرجية يحتسى قهوة الصباح ، فكان يرتشف رشفة من حين لآخر ، وفي نفس الوقت يتفحص قائمة ، يبدو ان رئيس البوابين كان قد أحضرها اليه ، فقد كان بداخل الحجرة هو ايضا ، وهو شخص طويل ، اكرش ، كان رداؤه الفاخر المفرط الزينة - حتى الاكمام والاكتاف كانت مثقلة بالسلاسل الذهبية والاشرطة - يجعله يبدو أعرض منكبا مما هو في الحقيقة ، وكان شاربه الاسود اللامع مرفوع الى قمتين مدببتين على الطريقة الهنغارية ، ولا يتحرك لاعنف حركة مفاجئة من رأسه ، وكانت ملابسه الثقيلة المنشأة تجعله هي ايضا يبدو بتلك الهيئة ، ولم يكن ذلك الرجل يستطيع الحركة الا بصعوبة ، وكان يقف دائما وساقاه متباعدتان جدا ، حتى يتمكن من توزيع ثقل جسمه فوقهما في شيء من التوازن .

ودخل كارل في جراحة وسرعة كما اعتاد ان يفعل في الفندق ، ذلك ان التباطؤ، والوقت الضائع الذى ينقضى في المجاملات بين الاشخاص

الفارغين ، كان يعد تكاسلا يتصف به صبية المصاعد ، وبالإضافة الى ذلك ، فانه لا يجب أن يبدو كما لو كان يحس بالدنب في لحظة دخوله ، وتطلع رئيس السفرجية في سرعة الى أعلى ، عندما فتح الباب ، ثم عاد فوراً الى احتساء قهوته ، والى قراءة القائمة دون أن يعير كارل أدنى التفات . الا ان رئيس البوابين الذي كان يتلقى بعض التعليمات السرية على ما يبدو ، أو كان يكلف بإبلاغها ، قد بدا عليه الضيق لوجود كارل ، فحلق فيه في غضب ، وكان يعاود تلك النظرة الساخطة كل بضع دقائق نحو كارل ، برأسه المحنى في تصلب ، وعندما كانت عيناه تلتقيان بعيني كارل ، ويبدو انه كان يحرم على ذلك ، كان يديرهما في الحال نحو رئيس السفرجية ثانية . الا ان كارل ظن انه لم يكن يريد ان يدخل الحجرة لوجوده هو فيها ، ولان رئيس السفرجية لم يأذن له بالدخول . كان رئيس السفرجية لا يزال يقرأ القائمة ، ويتناول قطعة من الكعك في أثناء قراءته ، كان ينفض عنها السكر بين الحين والآخر دون أن يرفع عينيه عن القائمة ، وقد وقعت منه في مرة ورقة من أوراق القائمة على الأرض ، فلم يحاول رئيس البوابين أن يلتقطها ، لانه كان يعلم انه لا يستطيع ان ينحني ، ولانه لم يكذب على ما يدعوه الى ذلك ، لان كارل كان قد انقض على الورقة ، وناولها لرئيس السفرجية ، الذي تسلمها في حركة عادية لا مبالية من يده ، وكأنها كانت قد ارتفعت تلقائياً من مكانها على الأرض حتى بلغت يده ، ولم تنفع كارل تلك الخدمة البسيطة التي تطوع بها في شيء ، لان رئيس البوابين قد مضى في توجيه نظراته الفاضية نحو كارل .

وكان كارل يشعر الآن برباطة الجأش على الرغم من ذلك . فلان خطاه قد بدا غير ذي أهمية بالنسبة لرئيس السفرجية الى هذا الحد ، رأى كارل انه قد يمكنه ان يعتبر هذا دليلاً طيباً ، بالإضافة الى ان خطأ كهذا هو شيء تافه ، كما ان عامل المصعد كذلك يعد شخصاً قليل الأهمية ، وليس له على هذا ان يتمتع بشيء من الحرية ، الا ان قلة شأنه بالذات هي النقطة التي يجب بناء عليها الا تقوم الدنيا لعلطة بسيطة يرتكبها ، وفوق كل هذا ، فلقد بدأ رئيس السفرجية نفسه حياته العملية عامل مصعد - وان تقدمه في حياته العملية هو في الحقيقة فخر الجيل الحاضر من صبية المصاعد - ولقد كان هو اول من نظم جمعية عمال المصاعد ، ولأشك

انه هو ايضا كان يترك مكان عمله من حين لآخر ، دون اذن ، على الرغم من ان احداً لايمكنه الآن ان يرغمه على الاعتراف ، ومع انه لا يجب نسيان ان بداية رئيس السفرجية ، كصبي مصعد ، قد جعلته اشد قسوة في حفظ النظام بين صبية المصاعد ، ونزعت من قلبه الرحمة بهم ، الا ان كارل كان يداعب شيئاً من الامل في خلال تلك الدقائق التى كانت تمر في هدوء .

وكانت الساعة الآن حسب الساعة التى في مكتب رئيس السفرجية ، قد تعدت الخامسة والربع ، وربما عاد رينيل في اى لحظة ، ولعله ان يكون قد عاد بالفعل ، لانه لابد ان يلاحظ ان روبنسون لم يعد حتى الآن ، وعلى اية حال فلا يمكن ان يكون ديلامارش وروبنسون في مكان بعيد جداً عن الفندق الغربى ، وهذا ما خطر ببال كارل ، والا ما كان لروبنسون في حالته النهار ، ان يصل الى الفندق ، والآن ، لو وجد رينيل ان روبنسون ينام في فراشه ، وهذا ما قد يحدث ، فسوف يكون كل شيء عندئذ على ما يرام ، ذلك ان شخصاً عملياً كرينيل - وخاصة فيما يتعلق بالامور القريبة من اهتماماته - سوف يجد طريقة او اخرى لاجراج روبنسون من الفندق ، وسوف يسهل عليه ذلك ، لان روبنسون لابد ان يكون الآن قد شفى ، وربما كان ديلامارش في انتظاره امام الفندق لكي يتولى امره ، وما ان يتم التخلص من روبنسون حتى يتسنى لكارل ان يواجه رئيس السفرجية ببال هادئ اكثر ، وربما اطلق سراحه عندئذ ، بعد شيء من التعنيف الذى سيوجهه اليه رئيس السفرجية ، والذي سيكون - بلا شك - تعنيفاً قاسياً ، ثم سيتشاور مع تيريز ان كان عليه ان يذكر للمديرة الحقيقة كاملة - فهو لم يكن يرى غباراً على دوره في هذا الامر - ولو امكن ان يتم هذا ، فسوف يتم انتهاء الموضوع كله في النهاية دون ان يكون قد حدث له ادنى ضرر .

وكان كارل لحظتها يطمئن نفسه بهذه الافكار ، وراح يحصى في ارتياح المنح التى تلقاها في تلك الليلة ، فقد كان يحس بان قطع العملة كانت في جيبه الليلة اثقل من المعتاد ، عندما وضع رئيس السفرجية ، القائمة التى كان يقرأها امامه على المنضدة ، قائلاً : « انتظر لحظة اخرى يا فيودور ، هل يمكنك ان تنتظر ؟ ! » ، ناهضاً على قدميه بقفزة واحدة ، وصرخ في كارل بأعلى صوته ،

حتى ان الصبي قد توقف فقط محملا ، وقد جمده الرعب ، في فتحة فمه المظلمة .

— لقد تركت عملك بدون اذن ، فهل تدري ما معنى هذا ؟ ان معناه الفصل ، ولن استمع الى اية اعتذارات ، عليك ان تحتفظ باعتذارائك الكاذبة لنفسك ، وتكفينى حقيقة انك لم تكن في مكان عملك ، فلو تهاونت معك هذه المرة ، واطلقت سراحك ، فان كل صبيان المصاعد الاربعين ، سوف ينطلقون على هواهم في خلال اوقات العمل ، ويتركوننى وحدى لكى احمل ضيوف القندق الخمسة آلاف ، فوق كتفى ، واصعد بهم درجات السلم ! »

لم يقل كارل شيئا ، واقترب رئيس البوابين ، وجذب جاكته كارل من الخلف ، كانت متكرشة الى حد ما ، قاصدا بلا شك ان يلفت نظر رئيس السفرجية الى اهمال كارل في العناية بزيه . فتساءل رئيس السفرجية قائلا في خبث : « ربما كان المرض قد دهمك فجأة ؟ ! »

فالتقى عليه كارل نظرة فاحصة ، واجابه قائلا : « لا ! » فصاح رئيس السفرجية في صوت اكثر ارتفاعا : « وهكذا فانت لم تكن مريضا ايضا ؟ لابد اذن في جمبتك كذبة جديدة رائعة ، فبماذا ستعتذر ؟ هيا انطق ! »

— لم اكن اعلم ان على ان اتصل تليفونيا ، لكى احصل على اذن بترك مكان عملى ! »

قال رئيس السفرجية : « هذا بالفعل رد لا يكلف شيئا ! » ، وقبض على كارل من ياقته ، ودفعه عبر الحجرة ، حتى واجه كلاهما لوحة التعليمات الخاصة بالمصاعد ، التى كانت مثبتة فوق الحائط ، وجاء رئيس البوابين فى اعقابهما .

قال رئيس السفرجية : « ها هي ذى التعليمات ، اقراها ! » وأشار الى احدى الفقرات ، وظن كارل ان عليه ان يقرأها بينه وبين نفسه ، الا ان رئيس السفرجية صاح فيه قائلا : « ارفع صوتك ! » .

وبدلا من ان يقرأ كارل الفقرة في صوت مرتفع ، قال لرئيس السفرجية ، آملا ان يهدئه : « اننى اعرف كل تلك الفقرات ، فقد حصلت على نسخة من التعليمات ، وقرأتها في عناية ، وهى تعليمات لا يمكن للمرء ان ينسى شيئا من تفاصيلها ، ولقد عملت هنا لمدة شهرين حتى الآن ، ولم اترك مكانى مرة واحدة ! » .

فقال رئيس السفرجية : « حسنا ، سوف تتركه الآن ! » ،
وعاد الى المنضدة ، وتناول القائمة مرة أخرى ، كما لو كان ليواصل
قراءتها ، لكنه خبط قبضته فوقها ثانية فوق المنضدة ، وكان
شيئا ما قد ساءه عندما تناولها ، وتصاعد الدم فوق حاجبيه ،
وخديه ، وراح يدرع الحجرة بخطواته ذهابا وجيئة
- كل هذا الأزعاج بسبب صبي احمق سخيف ! كل هذا
التعطيل بسبب نوبة عمل الليل !
صاح بهذه الكلمات عديدا من المرات ، وقد ملأه العجب

- هل تعلم من الذى ظل واقفا ينتظر هناك امام المصعد ، عندما
غادره ذلك الشخص الذى يقف امامك ، وذهب على هواه ؟ !
تساءل رئيس السفرجية ، مستديرا نحو رئيس البوابين ، وذكر
اسما ، أصيب رئيس البوابين ، الذى كان يعرف زبائن الفندق
جميعا دون شك ، ويعرف اوضاعهم كذلك ، أصيب بالرعب ،
حتى لقد وجد نفسه ينظر الى كارل نظرة خاطفة ، لكى يؤكد
لنفسه ان ذلك الصبي ، الذى غادر مصعده ، وترك صاحب ذلك
الاسم ينتظر دون ان يجد من يخف لخدمته ، يوجد بالفعل فوق
سطح الأرض .

قال رئيس البوابين : « ان هذا مخيف ! » ، وراح يهر رأسه
ببطء في ذهول نحو كارل ، الذى كان يرقبه في شرود ، وهو يفكر
في ان صدمة هذا الرجل الغبية ، خطأ آخر عليه ان يدفع ثمنه .
وواصل رئيس البوابين حديثه قائلا ، وهو يسدد ابهامه الضخم
السمين المتصلب نحو كارل :

- انك الصبي الوحيد الذى يرفض ان يؤدى لى التحية ، فمن
تظن نفسك ؟ ان كل صبي يمر بمكتب رئيس البوابين يؤدى لى
التحية ، يمكنك ان تفعل ما يحلو لك مع باقى البوابين ، لكننى أصر
على ضرورة اتباع اصول اللياقة ، واننى أحيانا ما اتصنع عدم
ملاحظة سلوكك هذا تجاهى ، لكن عليك ان تعلم اننى اعرف تماما
من الذى يقول لى طاب يومك ، ومن الذى لا يقولها ، أبها الجلف !
واستدار مبتعدا عن كارل ، وهو يخطو فى عظمة نحو رئيس
السفرجية ، الذى جلس ليكمل تناول فطوره ، ويتفحص جريدة
الصباح التى احضرها له لحظتها احد المساعدين .

قال كارل ، وهو يدرك ان عليه ان يصفى حسابه أولا مع رئيس
البوابين ، بينما يتجاهله رئيس السفرجية ، ويدرك كذلك ان اللوم

الذى يوجهه اليه الآن رئيس البوابين قد لا يتمخض عن أى ضرر ،
الا ان عداؤه له يضره بصفة عامة :

« سيدى ، لاشك أننى قد مررت بمكتبك على الاغلب دون ان
أؤدى لك التحية ، الا اننى ما زلت حتى الآن حديث العهد بالحياة
فى امريكا ، فقد قدمت منذ فترة قصيرة من اوروبا ، حيث يحيى
الناس بعضهم بعضا بافراط بالغ ، وهذا شيء معروف جيدا ،
وبالطبع لم أتمكن من ان اتخلص من تلك العادة ، لماذا ، لأننى فى
خلال شهرين فقط قضيتهما فى نيويورك ، حيث اتفق لى ان عشت
فى وسط راق ، نهونى طويلا الى اننى افراط فى توجيه تحياتى
للناس ، وهانت ذا تهمنى بأننى لا أحبك دون غيرك ، لقد
وجهت اليك تحياتى كل يوم ، هديدا من المرات فى اليوم الواحد ،
لكن بالطبع ، ليس فى كل مرة يتصادف ان اراك فيها ، لأننى
امر بمكتبك مئات المرات كل يوم ! »

— عليك ان تحينى فى كل مرة تمر فيها بمكتبى ، فى كل مرة
بالفعل ، دون استثناء ، عليك ان تقف وقبعتك فى يدك ، طوال
الوقت الذى تحدث فيه الى ، ويجب ان تخاطبني دائما
« بياسيدى » ، عندما تتوجه الى بالحديث ، ولا تقل لى :
« انت ! » عليك ان تفعل هذا كله دائما ، وفى كل مرة ، فى كل
مرة بالحرف الواحد !

فردد كارل قائلا فى لين : « فى كل مرة ؟ ! » بشيء من الحيرة ،
لانه تذكر الآن كيف كان يبدو له ، طوال فترة وجوده بالفندق ،
ذلك التعبير القاسى المفعم باللوم على وجه رئيس البوابين عندما كان
يواجهه ، منذ الصباح الاول ، وهو لا يزال حاملا جديدا بالفندق ،
ولا يزال حرا فى سلوكه ، ومنطلقا على سجيته الى حد ما ، فتقدم
اليه فى ذلك الصباح مندفعاً ، وراح يسأله فى الحاح ، وشيء من
التشديد ان كان ثمة رجلان قد سالا عنه ، أو تركا لديه صورة
فوتوغرافية ، ليسلمها له ؟ ! »

وقال رئيس البوابين مستأنفا حديثه : « وهانت ذا ترى الآن
ما جلبه عليك ذلك السلوك ! » ، بينما كان يتقدم ثانية نحو كارل ،
ملوحا بيده نحو رئيس السفرجية الذى كان لا يزال مستغرقا فى تصفح
جريدته ، كما لو كان ذلك السيد هو أداة انتقامه من كارل :

— سوف تتذكر فى عملك المقبل ان تتادب فى معاملة البواب ،
ولو كان بوابا لحانة نتنة !

تحقق كارل الآن من انه قد فقد وظيفته ، فقد اشار رئيس
السفرجية الى ذلك منذ لحظات ، وها هو ذا رئيس البوابين ، يكرر
ذلك الآن كحقيقة واقعة . ولا يبدو ان هناك اهمية لتصديق ادارة
الفندق ، عندما يتعلق الامر بفصل عامل مصعد . الا ان الامر قد
حدث في سرعة خارقة لم يكن يتوقعها ، فقد عمل هنا لاكثر من
شهرين بكل طاقته على العمل ، وبصورة افضل كثيرا بلا شك من
غيره من الصبية الآخرين ، لكن يبدو ان مثل هذه الاعتبارات ،
لا يلتفت اليها في اللحظات الحاسمة ، في كل مكان في العالم ، لا في
اوروبا ، ولا في امريكا . ان الحكم متعمد ومدبر منذ اللحظات الاولى ،
من اول كلمة تفوه بها القاضى في ثورة غضبه ، وربما كان من الافضل
له ان يغادر المكان ، ويرحل في الحال ، وربما كانت المديرية وتبريز
نائمتين حتى الآن ، ويمكنه ان يودعهما بخطاب يرسله اليهما ، حتى
يجنبهما على الاقل الحزن والاسف اللذين ستشعران بهما عندما
يودعهما بنفسه ، ويمكنه ان يعد اشياءه بسرعة في داخل الصندوق ،
ويتسلل خارجا في هدوء . فلو قدر له ان يمكث في الفندق سحابة
اليوم على الاقل - وقد يتسنى له ذلك بان يآوى الى النوم بعض
الوقت - فلن يفيد هذا سوى تضخيم الحادث ، ليصبح فضيحة
ولو ما يوجه اليه من كل جانب ، كما انه سيفرض عليه رؤية تبريز
التي لن يحتملها ، وربما بكت المديرية نفسها ، وربما وقع له فوق
كل هذا شيء ما على سبيل العقوبة ايضا ، الا ان اكثر ما احنقه
هو ان يجد نفسه الآن في مواجهة اثنين من الاعداء ، يغالطانه في
كل كلمة يتفوه بها ، فلو كف هذا ، فلكى يفعل الآخر بدوره ما شاء
له العبث بكلمات كارل ، ويسىء تاويلها . ولهذا ظل صامتا ،
وارتاح في تلك الاثناء لهدوء الحجرة ، فقد كان رئيس السفرجية
لا يزال مستغرقا في قراءة الصحيفة ، بينما وقف رئيس البوابين
الى جوار المنضدة ، وانهمك في ترتيب أوراق قائمته المتناثرة ، تبعا
لتسلسل أرقامها ، وهى مهمة كانت تبدو شاقة جدا بالنسبة له ،
لقصر نظره الشديد .

ووضع رئيس السفرجية ، صحيفته جانبا في النهاية ، وتشاءب ،
وطمان نفسه الى وجود كارل في مكانه ، بنظرة سريعة اليه ثم ادار
قرص تليفونه ، وصاح قائلا عدة مرات : « هاللو .. » ، الا ان
أحدا لم يجبه ، فقال لرئيس البوابين :

- لا أحد يجيب ! وقال رئيس البوابين ، الذى كان يتابع

المكالمة التليفونية باهتمام زائد ، كما لاحظ كارل : « انها الساعة السادسة الا الربع الآن ، ولا بد ان تكون قد استيقظت من نومها ، فصدق الجرس بشدة اكثر ! » ، الا ان التليفون رد لحظتها ، دون مزيد من الدق على الجرس ، فقال رئيس السفرجية :

— انا ايسبارى الذى يتحدث ! صباح الخير ، ارجو الا اكون قد اقلقت نومك ! اننى آسف ، نعم ، انها السادسة الا الربع ، الا اننى فى غاية الاسف حقا ، لو كنت قد ازعجتك ، ويجب عليك ان ترفعى سماعة التليفون من الجهاز عندما تاوين الى النوم ، لا .. لا .. لا عذر لى فى الحقيقة ، وخاصة ان الامر الذى اريد ان اتحدث اليك بشأنه ، امر تافه للغاية ، اننى اريد ان ابحثه معك ، لكن لى بالطبع متسع من الوقت لذلك ، وسوف انتظرك بالطبع ، فاتصلى بى لو تفضلت !

وقال رئيس السفرجية لرئيس البوابين مبتسما ، بينما كان الاخير ينحنى على التليفون وقد ارتسم على وجهه تعبير صارم : « لا بد انها قد هرولت الى التليفون بقميص نومها ! لا بد اننى قد ازعجتها بالفعل لان تلك الفتاة التى تكتب لها على الآلة الكاتبة ، توقظها عادة ، لكن يبدو انه قد فاتها ان تفعل ذلك هذا الصباح لسبب او آخر ، اننى آسف لازعاجها ، فهى عصبية بطبيعتها الى حد كاف ! » .

— لماذا تركت التليفون ، وانصرفت ؟ !

فأجابه رئيس السفرجية ، وهو يرفع السماعة ثانية ، عندما رن جرس التليفون ، « لترى ماذا حدث للفتاة ! » ، ثم استأنف حديثه قائلا فى التليفون : « سوف تظهر الفتاة فى الحال ، فلا تنزعجى لكل شيء الى هذا الحد ، انك فى حاجة الى الراحة التامة بالفعل ، والآن ، لتحدث فى موضوعى البسيط ، يوجد هنا صبي مصعد يدعى ، واستدار حوله بنظرة متسائلة ، وجهها الى كارل ، الذى كان يستمع بانتباه شديد ، فأدلى باسمه فى الحال ، يدمى كارل روسمان ، ولو كنت اذكر جيدا ، فهو الصبي الذى اوليته شيئا من اهتمامك ، ويؤسفنى ان اقول لك انه قد اساء رد جميلك ، فقد ترك عمله دون اذن ، وورطنى بهذا فى صعوبات خطيرة ، ولا يمكننى ان اذكر لك النتائج التى قد تترتب على ذلك ، وعلى هذا فقد فصلته الآن من العمل ، فأرجو الا يسيئك ذلك ، ماذا تقوين ؟ فصل ؟ نعم ، فصل ، الا اننى قد اخبرتك الآن بأنه قد ترك مصعده

لا .. هنا لا يمكننى فى الحقيقة ان اوافقك ياسيدتى العزيزة ، انها مسألة تتعلق بممارستى لسلطتى ، فثمة خطر كبير يترتب على هذا ، فصبى مثله من الممكن ان يفسد المجموعة كلها ، ولا بد من التشدد الذى لا يعرف الرحمة مع صببة المصاعد بالذات ، لا .. لا .. لا يمكننى فى هذه الحالة ان اجاملك ، على الرغم من رغبتى الشديدة فى ارضائك ، وحتى لو اتنى سمحت له بالبقاء على الرغم من ذلك ، لمجرد ان اسيطر على اعصابى فحسب ، فلن يكون هذا فى صالحك ، نعم ، ليس فى صالحك ان تستبقه هنا ، انك تولينه اهتماما لا يستحقه ابدا ، واننى لاعرفه ، واعرفك ايضا ، واننى واثق من انه لن يجلب لك سوى خيبة الامل البالغة ، التى يجب ان تتجنبها باى ثمن اننى اقول لك هذا بغاية الصراحة ، وتحت سمع الصبى نفسه ، لانه يقف فقط على بعد خطوة واحدة منى ، فى ثبات هو الوقاحة بعينها ، لابد من فصله ، لا .. لا .. لا .. لابد من فصله نهائيا وفى الحال ، لا .. لا .. لا يمكن ان اعهد اليه بعمل آخر ، فلا فائدة لى منه على الإطلاق ، وبالإضافة الى ذلك فهنا من يشكون منه ايضا ، ان رئيس البوابين مثلا ، نعم فيودور بالطبع ! لقد اشتكى فيودور من عدم تأدبه ، ومن وقاحته ، ماذا ، ليس هذا كافيا ؟ يا سسيدتى العزيزة انك تناقضين طبيعتك باستمرارك فى مساندة هذا الصبى ، لا .. لا يجب عليك فى الحقيقة ان تضغطى على الى هذا الحد ! »

وانحنى رئيس البوابين فى تلك اللحظة ، وهمس فى اذن رئيس السفرجية بشئ ما ، فتطلع اليه رئيس السفرجية مندهشا فى البداية ، ثم تحدث مسرعا فى التليفون ، حتى ان كارل لم يتمكن من ان يسمع ما كان يقوله ، فاقترب منه لهذا ، قليلا على اطراف أصابعه .

قال : « عزيزتى المديرية ، لكى اكون صريحا معك غاية الصراحة فاننى اصرح لك باننى لم اكن اعتقد انك تخطئين الى هذا الحد فى حكمك على الاشخاص ، فلقد علمت الآن شيئا من ملاكك البريء شيئا لاشك فى انه سيقرب رايتك فيه رأسا على عقب ، ويؤسفنى ان اكون انا الذى أنهى اليك بهذا الخبر . ان هذا الصبى المدلل الذى تساندنيه ، هذا المثال الرائع للفضيلة ، يندفع الى المدينة فى كل ليلة يخلو فيها من العمل ، ولا يعود الى الفندق قبل الصباح ، نعم .. نعم ، ان لدى الدليل على صدق ذلك ، وهو

دليل لا يرقى اليه الشك ، نعم ، والآن هل يمكنك ان تخبريني ، من أين له بالمال الذي ينفقه على تلك المفامرات الليلية ؟ أو كيف يمكن ان نتوقع منه الالتفات الى عمله كما يجب في هذه الحالة ؟ وهل تريدني منى ان أمضي في ذكر تفاصيل ما يفعله في المدينة ؟ ان صبيها كهذا لابد من التخلص منه بأسرع ما يمكن ، وارجو ان تعتبرى ذلك نذيرا بان تحذرى العناية بالصبيبة الذين يظهرون مثله ، فجأة من حيث لا يدري أحد ! »

صاح كارل ، وقد ارتاح لهذا الخطأ الذى تهبأ له انهم قد وقعوا فيه عندما ظنوا انه يغادر الفندق ليلا في اوقات راحته ، ذلك لان هذا الخطأ قد يتمخض عن تقدم غير متوقع للموقف كله : « لكن ياسيدى ، لابد ان خطأ ما قد حدث ، لقد فهمت ان رئيس البوابين قد اخبرك باننى اخرج الى المدينة كل ليلة ، الا ان هذا ببساطة غير صحيح ، اننى اقضى كل ليلة في غنبر النوم ، ويمكن ان يؤيد الصبيبة الآخرون جميعا كلامى هذا ، وعندما لا اكون نائما فأتنى انفق وقتى في دراسة المعاملات التجارية ، لكننى لم اغادر غنبر النوم ليلة واحدة ، ان من السهل اثبات هذا ، ولا شك ان رئيس البوابين قد اخطأ فحسبى شخصا آخر ، وارى الآن ايضا لماذا ظن اننى امر به دون ان احببه ! »

فصاح رئيس البوابين ، وهو يلوح بقبضته بدلا من اصبعه كما يفعل الآخرون عند التحذير ، قائلا : « هل يمكنك ان تمسك لسانك ؟! اذن فقد خلطت أنا بينك وبين شخص آخر ؟! هل فعلت ذلك حقا ؟! كيف لى اذن ان استمر في عملى هنا كرئيس للبوابين ان كان لى ان اخلط بين شخص وآخر ؟ اننى أسألك يا مستر ايسبارى ، كيف يتسنى لى ان اكون رئيس البوابين هنا لو خلطت بين الناس ؟ اننى طوال مدة خدمتى التى امتدت ثلاثين عاما ، لم اخلط مطلقا بين شخص وآخر ، ويمكن ان يخبرك مئات السفرجية الذين كانوا هنا على مهدي ، بصدق ذلك ، فيبدو كما لو كان على ان اتعلم مهنتى من جديد على يديك ، أيها الصبي الحقير ! بوجهك هذا الناعم الذى لا يمكن ان يخطئه أحد ! وما شأن الخطأ ، على كل حال ، بهذا الأمر ؟ يمكنك ان تتسلل الى المدينة من وراء ظهري ، ولا يتطلب الأمر منى سوى ان انظر في وجهك حتى اتبين انك جلف لا تصلح لشيء ! »

قال رئيس السفرجية الذى بدا ان حديثه مع المدير قد انقطع

فجأة : « كفى يافيودور ، انه امر بالغ البساطة ، فلا يعنيها في الحقيقة كيف يمضي لياليه ، ولاشك أنه يريدنا ان نقوم بمهمة التحرى الشامل عن تفاصيل حياته الليلية ، قبل ان يغادرنا . يمكننى ان ادرك ان هذا يسعده جدا ، وفي وسع كل صبي من صبياننا الاربعين ان يستعرض نفسه ، لو توفرت لديه الرغبة في ذلك ، وسيقول لك بالطبع انهم قد خلطوا بينه وبين غيره ايضا ، وهكذا ، فلو حاولنا ان نقبل هذا الهراء ، لتعين علينا عندئذ ان نسحبهم جميعا واحدا واحدا كشيء ، وسيتوقف العمل بالطبع تماما في الفندق كله لبعض الوقت ، ومع انه سيتردد في نهاية الامر ، فلا بد له من ان يستمتع قليلا ، وعلى هذا فسنجاوز عن ذلك ، لقد خدع المديرة بالفعل حتى الآن ، تلك السيدة الطيبة القلب ، وسوف نوقفه عند هذا الحد . ولن استمع الى كلمة أخرى ، لقد فصلت الآن بسبب اهمالك لعملك ، وسوف اعطيك مذكرة للصراف الذى سيدفع لك اجر ك حتى اليوم ، ودعنى اقل لك انه بعد الخطا الذى ارتكبته اليوم ، فان موافقتى على ان تتناول اجر ك هو محض رحمة بك ، واننى افعل ذلك فقط ، مجاملة للمديرية ! »

وقطع حديث رئيس السفرجية ، رنين جرس التليفون مرة اخرى ، قبل ان يوقع المذكرة ، وبعد ان استمع الى الكلمات الاولى ، صاح في دهشة : « لا شيء اليوم سوى متاعب صبية المصاعد هؤلاء ! » ثم صاح بعد لحظة : « هذا ما لم نسمع به حتى الآن ! » ، واستدار بعيدا عن التليفون ، قائلا لرئيس البوابين : « ارجوك يا فيودور ، اقبض على هذا الصبي الآن ، فلدينا الكثير مما سنقوله له ! » ، ثم صاح قائلا فى التليفون : « تعال فى الحال ! » .

واستطاع رئيس البوابين الآن ، ان ينفس عن غضبه الذى لم يكن قد أظهره شفها ، فقد قبض بذراعه اليمنى على كارل فى عنف ، لكنه لم يتمكن من ان يحكم قبضته عليه ، فكان يخفف قبضته من حين لآخر ، ثم شيئا فشيئا كان يعود فيشددها على كارل بغاية القسوة ، فقد كان قويا جدا ، وبدأ ضغطه على كارل وكأنه لن يتوقف ، حتى لقد غامت الاشياء امام عينيه ، وفوق ذلك فهو لم يكن يقبض فقط على ذراع كارل ، بل كان يضغط جسمه ايضا ، وكأنه قد أمر بان يفعل ذلك ، ويرفعه فوق قدميه بين الحين والآخر الى اعلى ، ويدفعه ، وهو يقول طوال الوقت فى شبه

تسأول لرئيس السفرجية : « هل يمكننى أن اخلط بينه الآن وبين
سواه ، هل يمكننى أن اخلط بينه وبين سواه الآن ؟ ! »

وقد تمكن كارل من أن يرتاح من ضغط رئيس البوابين على
جسده ، الى حد ما ، عندما دخل رئيس صبية المصاعد ، وهو
شاب سمين يدعى « بست » ، كان يلهث ، فلفت انتباه رئيس
البوابين لبعض الوقت ، وكان الارهاق قد نال من كارل حتى انه
لم يتمكن ، عندما حضرت تيريز لدهشته خلف الشاب ، يبدو
عليها الانهيار ، ووجهها شاحب كوجوه الموتى ، وملابسها متهدلة ،
وشعرها مصفف فى اهمال ، لم يتمكن من أن يفتصب ابتسامة لها
الا بصعوبة بالغة ، وسرعان ما همست له وهى تقف الى
جواره :

— هل تعلم المدير ؟ !

فاجابها كارل : « لقد اخبرها رئيس السفرجية بالتليفون ! »
فقال فى سرعة ، وقد التمت عيناها : « اذن فكل شئ على
ما يرام .. كل شئ على ما يرام ! »

فقال لها كارل : « لا ، أنك لا تعرفين ما يتهموننى به ، لابد
لى من أن أرحل ، لقد اقتنعت المديرة نفسها بذلك فعلا . فأرجوك
الا تبقى هنا ، اصعدى ثانية ، وسوف آتى لوداعك فيما بعد ! »

— ما الذى تعزمه ياروسمان ؟ يمكنك أن تبقى ما شاء لك
البقاء هنا . ان رئيس السفرجية يفعل ما تطلبه منه المديرة ، انه
عشيقها ، ولقد اكتشفت ذلك بنفسى منذ وقت قصير ، فلا تخش
شيئا !

— أرجوك يا تيريز ، اذهبى من هنا ، فلا يمكننى ان ادافع عن
نفسى كما ينبغى فى اثناء وجودك هنا ، ولا بد لى من أن ادافع
عن نفسى دفاعا كاملا ، لانهم يلفقون لى الاكاذيب ، وبقدر ما يمكننى
أن اهزمهما دفاعا عن نفسى ، كلما اتسعت أمامى الفرصة للبقاء
هنا « ولهذا يا تيريز .. لكنه عندئذ لسوء الحظ ، اضاف هذه
الكلمات لتقلص مفاجيء اصابه ، فتألم له الما بالغا ، وان كان قد
قالها فى صوت خفيض : « فقط لو يتركنى رئيس البوابين ! لم
تكن لى ادنى فكرة عن عدائه لى ، لكنه لا يكف عن ضغط ذراعى
وليه ! » ، وفى نفس الوقت كان يفكر قائلا فى نفسه : « لماذا أقول
ذلك ، لا يمكن الا تاثر اى امرأة لسماع مثل هذه الشكوى ! » ،
وبالفعل ، وقبل أن يمنعها بدراعه الطليقة ، كانت تيريز قد تحولت

الى رئيس البوابين قائلة :

— أرجوك ياسيدى ، دع روسمان الآن ، انك تؤلمه ، ان المديرية سوف تصل الى هنا بنفسها ، بعد لحظة ، وسوف ترى عندئذ ان هذا كله كان مجرد خطأ ، دعه ، فما هى المتعة التى تجنيها من تعذيبه ؟ ! » ، وجذبت ذراع رئيس البوابين بالفعل ، فأجابها هذا قائلاً : « الاوامر يا فتاتى الصغيرة ، الاوامر ! » ، وجذب تيريز اليه ، بيده الطليقة فى تودد ، بينما اعتصر ذراع كارل بيده الاخرى بكل قوته ، وكأنه لم يكن يريد أن يؤذيه فحسب ، بل كانت لديه خطة معينة ، لم تكن قد أنجزت كما ينبغى بالنسبة للذراع التى كان يقبض عليها ! »

وناضلت تيريز بعضاً من الوقت لكى تخلص نفسها من احضان رئيس البوابين ، وكانت تتأهب لكى تلفت انتباه رئيس السفرجية الذى كان يواصل الاستماع الى « بست » المتباطيء ، الثرثار ، عندما دخلت المديرية مسرعة .

فصاحت تيريز : « حمدا لله ! » ، وساد السكون الحجرة للحظة ، سوى تلك الصيحة المدوية ، وقفز رئيس السفرجية ، واقفا على قدميه فى الحال ، ودفع « بست » جانبا .

— وهكذا جئت بنفسك ياسيدتى العزيزة ؟ بسبب هذا الامر ؟ ولقد كنت أخشى بعد حديثنا فى التليفون أن تأتى ، الا اننى لم أعتقد انك ستحضرين بالفعل ، ومنذ حديثنا ذاك فى التليفون تدهورت الحالة التى تساندينها أكثر فأكثر ، وأخشى الا يكون فى وسمى أن افصله فقط ، بل قد أرسله الى السجن ايضا ، فاستمعى بنفسك الى تفاصيل الموضوع ، وأشار الى « بست » لكى يدلى بما عنده .

قالت المديرية ، وهى تجلس على مقعد اصر رئيس السفرجية على اخلائه لها : « اننى أريد أولا أن اتحدث قليلا مع روسمان ! » ، قالت : « اقترب منى يا كارل لو سمحت ! » ، فاقترب منها كارل ، او على الاصح ، جرجره رئيس البوابين الى مكانها .

قالت المديرية ساخطة : « اتركه ، الا تتركه ؟ انه ليس قاتلا ، فتركه رئيس البوابين فى الحال ، لكنه قبل ان يتركه سحق ذراعه بضغطة أخيرة بغاية العنف ، حتى طفرت الدموع من عينيه هو نفسه ، تحت تأثير الجهد .

صاحت المديرية ، وهى تضع يداها المطويتان على صدرها فى

هدوء ، بينما أحنّت رأسها قائلة فى لهجة لم تكن تنم عن الاستجواب مطلقا : « كارل ؟ أريد قبل كل شيء أن أقول لك اننى مازلت أثق بك ثقة كاملة ، كما أن رئيس السفرجية هو أيضا رجل عادل ، ويمكننى أن أشهد له بذلك ، وانا نود من أعماقنا أن نستبقيك هنا ! » ، وهنا تطلعت الى رئيس السفرجية بنظرة سريعة ، كما لو كانت ترجوه الا يقاطعها ، الا انه لم يفعل ، واستأنفت حديثها قائلة لكارل : « فانس لهذا كل ما قيل لك حتى الان ، وفوق كل هذا ، فلا يجب عليك أن تأخذ مأخذ الجد ما قد يكون رئيس البوابين قد قاله لك ، انه رجل سريع الهياج ، ولا عجب فى ذلك ، اذا نظرنا الى طبيعة عمله . الا ان له زوجة وأطفالا أيضا ، وهو يعلم ان الصبى الذى يعول نفسه ، لا يحتاج الى مزيد من العذاب ، لان العالم كله سيتحقق من انه يشارك بمجهود ملحوظ فى أعبائه ! » .

كان السكون لا يزال يخيم على الحجرة ، ونظر رئيس البوابين الى رئيس السفرجية ، كما لو كان يتوقع منه أن يسأله ، وتطلع رئيس السفرجية الى المديرية ، وهز رأسه ، وابتسم « بست » رئيس صبية المساعد فى سخرية بلهاء ، وهو يقف خلف ظهر رئيس السفرجية ، وكانت تيريز قد انخرطت فى البكاء بصوت غير مسموع ، وقد غلبها الاسى والفرح ، وكانت تحاول أن تخفى مشاعرها عن الآخرين !

الا ان كارل على الرغم من ان ذلك كان من الممكن تفسيره كدلالة سيئة ، لم يتطلع نحو المديرية ، التى كانت تتوقع منه بلا شك أن يفعل ذلك ، بل راح ينظر أمامه نحو أرضية الحجرة ، وكانت ذراعه لاتزال تؤلمه ، وكان كم قميصه ملتصقا بالكدمات ، حتى انه كان عليه بالفعل أن يخلع جاكته لكي يتفحص تلك الكدمات . وكان ما قالته المديرية بالطبع ، شيئا بالغ العطف ، كما انه بدا له على هذا النحو بسبب الطريقة التى انتهجتها فى تناول الامر ، ولا بد أن الآخرين سيظنون أن عطفها مجرد حماقة ، وان كارل كان يحظى بصداقتها التى قامت على أسس زائفة طـووال شهرين ، وانه لهذا لم يكن يستحق شيئا أكثر من أن يقع بين يدي رئيس البوابين .

واستأنفت المديرية حديثها قائلة : « اننى أقول هذا ، حتى يمكنك أن تعطينى جوابا شافيا ، ولا شك أنك ستتمكن من أن تفعل ذلك

مهما كانت الظروف ، لو كنت قد عرفت طباعك حقا ! »
قال « بست » رئيس صبية المصاعد فجأة في ادب بالغ ، لكن
في تشويش زائد في الوقت نفسه : « هل يمكننى لو سمحت أن
« اذهب ! » ، ثم تحول الى المديرية قائلا : « ان الامر يتلخص فيما
ينزف نزيفا قاتلا ! » .

قال رئيس السفرجية « لبست » الذى اندفع خارجا في الحال :
« اذهب ! » ، ثم تحول الى المديرية قائلا : « ان الامر يتلخص فيما
يلى : ان رئيس البوابين لم يكن يقبض على هذا الصبي عبثا ، ففى
عبر نوم صبية المصاعد في الطابق الاسفل ، يوجد شخص غريب
تماما ، وثمل للغاية ، ولقد اكتشفه الصبية مندسا فى عناية فى
أحد الاسرة فى عبر نومهم ، ولقد ايقظوه بالطبع ، وحاولوا أن
يطرده الى خارج العنبر ، الا أن ذلك الشخص أحدث شغباً بالغا ،
وصاح قائلا بأن الفراش الذى كان يرقد فوقه هو فراش كارل
روسمان ، وانه ضيف روسمان ، وان روسمان هو الذى ذهب به الى
هناك ، وانه سيسحق كل من يتجاسر على أن يلمسه ، وبالإضافة
الى ذلك ، فان عليه ببساطة أن ينتظر عودة كارل روسمان ، لانه
قد وعد بأن يعطيه نقودا ، وانه ذهب لاحضارها ، فانتبه الى
ذلك لو تكرمت ياسيدتى العزيزة ، لقد وعد بأن يعطيه نقودا ، وانه
قد ذهب لاحضارها ، وانتبه الى ذلك أنت أيضا ياروسمان ! »
قال رئيس السفرجية هذا لروسمان ملتفتا اليه من فوق كتفه ،
بينما التفت كارل الى تيريز التى كانت تحديق بدورها فى رئيس
السفرجية مأخوذة ، وهى تلقى بخصلة شعر من فوق جبهتها ، او
ترفع يدها بصورة آلية الى حاجبها ، لمجرد أن تفعل أى شئ :
« ولعلك لست فى حاجة الى أن تذكرك بارتباطاتك ، ذلك ان الرجل
الموجود بالطابق الاسفل ، قال أيضا أنك بعد عودتك اليه سوف
تذهب بصحبته لقضاء الليلة مع إحدى المغنيات ، وهى مغنية لم
يتمكن أحد من معرفة اسمها ، وان كنت قد اقتنعت بذلك ، لان الرجل
كان يرفع عقيرته بالفناء كلما خطر له خاطر الذهاب اليها ! »

وتوقف رئيس السفرجية عند هذا الحد ، ذلك ان المديرية كان
قد شحب لونها بصورة ملحوظة ، ونهضت من على مقعدها ودفعته
قليلا الى الخلف .

فقال رئيس السفرجية : « سوف أعفك من ذكر بقية التفاصيل ! »
قالت المديرية وهى تمسك بيده : « لا .. أرجوك ، لا .. استمر

ارجوك ، لابد لى من ان اعرف كل شىء فهذا ما جئت من اجله : «
وتقدم رئيس البوابين الآن الى الامام ، وخطب بصوت مرتفع
على صدره ، اعلانا بأنه كان قد توقع كل شىء منذ البداية في
الوقت الذى هـدأ فيه رئيس السـفرجية ، مقرا له بذلك بقوله :
« نعم ، يا فيودور ، لقد كنت على حق تماما ! » .

واستأنف رئيس السـفرجية حديثه قائلا : « لا يوجد ما يقال
اكثر من ذلك ، ولقد ضحك الصبية على عاداتهم من ذلك الرجل
في البداية ، ثم اشتبكوا معه في هـراك ، ولما كان يتوفر بينهم
كثيرون ممن يجيدون الملاكمة ، فقد انطرح الرجل ارضا ببساطة ،
ولم اجرؤ على أن أسال حتى اين كان الرجل ينزف ، وفى اى
الاماكن العديدة كان نزيغه ، فلوث تلك الاماكن ، ذلك ان هؤلاء
الصبية هم ملاكمون فى غاية العنف ، ويمد رجلا سـكيرا كهذا ، لعبة
طيبة فى تناول قبضاتهم ! »

وضعت المديرية يدها على ذراع المقعد ، ونظرت الى اسفل نحو
ذلك المقعد الذى كانت قد نهضت من فوقه لتوها ، ثم قالت بعد
ذلك : « اننى افهم ذلك الآن ، فارجوك أن تقول شيئا ياروسمان ! »
واندفعت تميز عبر الحجرة ، وتشبثت بسيدتها ، وهو ما لم
يرها كارل تفعله من قبل ، وكان رئيس السـفرجية يقف خلف
المديرية ملتصقا بها ، وراح يرتب فى اناة ياقتها الصغيرة المزينة
بالدانتلة ، التى كانت قد تكرمشت على نحو ما ، وقال رئيس
البوابين الذى كان يقف بجانب كارل : « انطق ! » ، لكنه تفوه
بهذه الكلمة كجرد أن يغطى اللكمة التى كالحا له على ظهره .
قال كارل : « صحيح ! » ، فى قليل من الجراءة التى كان
ينويها ، بسبب تلك اللكمة : « لقد وضعت الرجل فى عنبر
النوم ! »

فقال رئيس البوابين موجهـا حديثه الى الحاضرين جميعا :
« هذا هو كل مانود أن نعرفه ! » ، واستدارت المديرية فى صمت
نحو رئيس السـفرجية ، ونحو تميز .
ومضى كارل فى حديثه قائلا : « لم أستطع أن امنع نفسى ، كانت
قد سبقت لى معرفة ذلك الرجل من قبل ، ولقد حضر الى هنا
لزيارتي ، بعد غياب دام شهرين ، الا انه كان ثملا للغاية ، حتى
انه لم يتمكن من مغادرة الفندق بمفرده ، هائدا من حيث ائى ! »
قال رئيس السـفرجية الذى كان قد وقف الى جانب المديرية فى

نعومة ، كما لو كان يتحدث الى نفسه : « اذن فهو قد حضر لزيارتك ، وبعد ذلك ثمّل الى هذا الحد ، حتى لم يتمكن من مفادرة الفندق ! » ، فهمست المديرية من فوق كتفها ، بشيء الى رئيس السفرجية ، الذى بدا وكأنه سيعترض ، لكنه ابتسم لها ، ابتسامة لم تبد عليها أن لها صلة بموضوع كارل على الإطلاق ، وضغطت تيريز - ثبت كارل عينيه عليها - وجهها فى يأس تام الى جسد المديرية ، وتحاشت النظر الى أى شيء ، وكان الشخص الذى الذى ارضاه توضيح كارل ، هو رئيس البوابين ، الذى ردد عديدا من المرات : « هذا صحيح تماما ، يجب عليك أن تساعد زميلك عندما يكون ثملا ! » ، وحاول أن يؤكد ذلك التفسير بالنظر الى الآخرين جميعا ، وتلويح يديه .

قال كارل : « اننى الملوم على هذا ! » ، وتوقف لحظة ، كما لو كان ينتظر كلمة طيبة من قضائه لتمنحه الشجاعة على اكمال دفاعه ، الا انه لم يسمع شيئا فقال : « اننى الملوم على هذا فقط لاننى اخذت الرجل الى عنبر النوم - انه يدعى روبنسون ، وهو ايرلندى - الا ان كل ما قاله بعد ذلك ، انما يرجع الى انه كان ثملا ، وهو غير صحيح كله ! »

فتسائل رئيس السفرجية قائلا : اذن فانت لم تعد بان تعطيه نقودا ! .

قال كارل : « نعم ! » ، فقد احس بالاسف لانه نسي ذلك فى عجلته واضطرابه ، فقد كان عازما تماما على ان يصرح بكل شيء لتبرئة نفسه : « لقد وعدته بان اعطيه نقودا ، لانه سألنى ان اعطيه شيئا منها ، لكن لم تكن لدى أدنى نية فى البحث عنها ، لاننى كنت سأعطيه فحسب المنح التى حصلت عليها الليلة ! » ، ولاثبات ذلك ، اخرج كارل النقود من جيبه ، ورفع يده بقطع العملة الصغيرة التى كانت معه .

قال رئيس السفرجية : « انك تورط نفسك اكثر فاكثر ، فلو قدر لنا ان نصدقك فعلينا ان نثناسي تماما ما قلته قبل ذلك ، فانت اولا قد اصطحبت الرجل الى عنبر النوم - واننى حتى لست مقتنعا بان اسمه روبنسون ، لانه لا يوجد ايرلندى بهذا الاسم منذ ان خلقت ايرلندا - اخذته اولا الى عنبر النوم ، ولهذا وحده ، يمكن ان نقذف بك خارجا ، لتدق عنقك خارج الفندق ، يمكننى أن أصرح لك بهذا - الا انك لم تعد بان تعطيه نقودا بالفعل !

ليست هذه لعبة محاوراة بالسؤال والجواب ، لان السؤال عندما طرح عليك ، اتضح انك وعدت بأن تعطيه نقودا بالفعل ، ودعني اذكرك بهذا ، ويبدو انك في حاجة الى من يوضح لك طبيعة شخصيتك ، وفي البداية لم تكن لديك النية في البحث عن النقود ، لانك انتويت ان تعطيه المنح التي تلقيتها الليلة ، ثم يتضح الآن انك لاتزال تحتفظ بهذه المنح معك ، وهكذا فلا بد قد انتويت ان تحصل على مزيد من النقود لكي تعطيتها له ، وهو افتراض يدعمه غيابك الطويل . وبعد كل هذا ، فليس غريبا ان تأخذ بعض النقود من صندوقك لتعطيتها له ، الا ان ما يبدو غريبا بلا شك هو انك قد انكرت ذلك بشدة ، وانك ظلت تخفى حقيقة انك اتحت للرجل ان يشمل هنا في الفندق ، وهي حقيقة لا يمكن الشك فيها ، لانك قد صرحت انت نفسك بأنه كان قد أتى بنفسه الى هنا ، ولكنه لم يتمكن من ان يفادر الفندق بمفرده ، كما انه قد اخبر كل من في عتبر النوم ، بأنه ضيفك ، وعلى هذا فلا يبقى سوى شيئين فقط هما اللذان ينحصر فيهما الشك ، ولا يمكن تقريرهما بكل دقة دون معونتك ، أولهما : كيف تمكنت من أن تدخل المخازن ، وثانيهما : كيف وصلت يدك الى المال الكافي ، حتى توزعه على الغير ؟ .

قال كارل في نفسه : « من المستحيل ان يدافع المرء من نفسه حيث لا تتوفر النية الحسنة ! » ، ولم يجر جوابا بعد ذلك ، على أسئلة رئيس السفرجية ، وقد ألم هذا تمييز أشد الألم ، وقد بدا هذا واضحا عليها ، كان كارل يعلم ان كل ما يمكنه ان يقوله يبدو مختلفا غاية الاختلاف في نظر الآخرين ، وسواء كان هذا حسنا ، أو سيئا ، فان النتائج التي يمكن استخلاصها من تصرفاته تعتمد أولا وأخيرا على أسلوب محاكمته .

قالت المديرية : « انه لا يرد ؟ ! »

فقال رئيس السفرجية : « ان هذا هو افضل ما يمكنه ان يفعله ! »

وقال رئيس البوابين : « سسوف يفكر في الحال في شيء آخر يقوله ! » ، بينما راح يداعب شاربه بيد بدت حانية الآن ، مع أنها كانت قبل قليل في غاية العنف .

قالت المديرية لتمييز : « اهدئي ! » ، وكانت تمييز قد بدأت تنهه ، وهي تقف الى جوارها : « انك ترين انه لا يجد شيئا يرد به على ما يوجه اليه من أسئلة ، فكيف يمكنني في هذه الحالة ان

افعل له اى شىء ؟ » ، وفوق هذا ، فلقد كنت انا التى اخطأت فى راي رئيس السفرجية ، فاخبرينى يا تيريز ، اترين شيئا قد قصرت فى ادائه ، بينما فى مقدورى ان افعله من اجله ؟ »
كيف يتسنى لتيريز ان تعرف ذلك ، وما هو الهدف الذى يدفعها الى التسليم الى هذا الحد فى وجود هذين الرجلين بهذا السؤال العام ، وبدعوتها الفتاة الى ان تسلم هى ايضا ؟ ! » .

قال كارل متمالكا نفسه مرة اخرى : « مدام ! » ، دون اى غرض ، سوى مجرد ان يعفى تيريز من عناء الرد : « اعتقد اننى لم اسبب لك اى خزي ، ولو ان بحثا دقيقا قد قام ، فان كل شخص آخر سوف يوافقنى على كل ما قلته ! » .
قال رئيس البوابين : « كل شخص اخر ! » ، وهو يسدد اصبعه نحو رئيس السفرجية : « ان هذا يعينيك يا مستر ايسبارى ! » .

قال مستر ايسبارى : « والآن ياسيديتى ، انها السادسة والنصف ، ولقد استغرقنا هذا الامر وقتا طويلا ، واعتقد ان عليك ان تتركى لى الكلمة الاخيرة فى هذا الموضوع الذى هالجناء بكثير جدا من الصبر ! » .

ودخل جياكومو الصغير ، متجها نحو كارل ، لكنه وقد ارتاع للصمت المطبق ، توقف ، وانتظر .

ولم تكن المديرية قد رفعت عينيهما عن كارل ، منذ آخر كلمة تفوه بها ، كما لم يكن هناك اى دليل يدل على انها قد سمعت ملاحظة رئيس السفرجية ، كانت عيناهما مثبتتين مباشرة على كارل ، وقد كانتا واسعتين وزرقاوين ، لكنهما كانتا كابيتين الى حد ما بفعل السنين ، والاحداث ، وبينما كانت تقف هناك وهى تدفع المقعد فى رقة امامها ، كانت تبدو كما لو كانت على وشك ان تقول فى اللحظة التالية : « حسنا يا كارل ، اننى عندما اتمعن فى الامر ، يبدو لى ان هذه المشكلة لم تتضح كما ينبغى لها الوضوح ، وهى تحتاج كما قلت انت بحق ، الى بحث كامل لكل دقائقها ، وسوف نشرع فى ذلك البحث الآن ، سواء وافق الجميع على ذلك ، او اعترضوا ، ذلك ان العدالة يجب ان تأخذ مجراها » .

الا ان المديرية قد قالت بدلا من ذلك بعد لحظة قصيرة من الصمت ، لم يجرؤ احد على ان ينتهكها ، كما ان الساعة دقت لحظتها معلنة السادسة والنصف تأكيدا لقول رئيس السفرجية ،

وبما لها ، كما يعرف الجميع ، دقت كل الساعات الاخرى في الفندق بأكمله ، ورنّت دقاتها في الاسماع كالنذير ، كضربة متضاعفة كوقع الجزع البالغ : « لا يا كارل ، لا .. لا .. اننا لن نستمع الى شيء أكثر مما استمعنا إليه حتى الآن ، ان الامور عندما تكون على حق ، فانها تبدو كذلك منذ الوهلة الاولى ، وعلى أن اعترف بأن ملابسات حالتك ، لا تبدو كذلك ، ان لى ان اقول ذلك ، وعلى ان اقوله ، على ان اعترف بذلك ، لاننى كنت انا التى حضرت الى هنا منحازة الى صفك انحيازا تاما ، وهانت ترى ان تميز تلتزم الصمت هى أيضا ! » ألا انها لم تكن صامتة ، كانت تبكى .

وتوقفت المديرية ، وكأنها قد انتهت فجأة الى قرار وقالت : « كارل ، تقدم الى هنا » ، وعندما تقدم نحوها ، بدأ رئيس السفرجية ، ورئيس البوابين في الحال حديثا نشطا خلف ظهره ، وضعت ذراعها اليسرى حوله ، وقادته ، وتبعتهما تميز المستسلمة ، الى الجانب الآخر من الحجرة ، « والا فاننى في الحقيقة لا اعرف ماذا سأعرف بشأنك ، ان بحثا ربما أمكنه ان يبرر موقفك ، في بعض النقاط الصغيرة المنفصلة ، ولماذا لا يحدث ذلك ؟ ! » ، وربما كنت قد قمت بتحية رئيس البوابين ، اتنى أحس دون شك بأنك قد فعلت ، كما ان لى رأى الخاص في رئيس البوابين ، وها أنت ترى اننى ما زلت في غابة الصراحة معك . الا ان هذه التبريرات لن تساعدك مطلقا فى شيء . وان رئيس السفرجية الذى تعلمت طوال السنين ان اقدر حكمه على الناس ، والذي هو أكثر من عرفتهم من الرجال استحقاقا للثقة ، قد اعلن في وضوح أنك مذنب ، ويجب على أن اقول أن حكمه يبدو لى غير قابل للانكار ، وربما كنت قد تصرفت بلا تفكير ، لكن لعلك أيضا ، لست الصبى الذى كنت اظنه ، الا ان .. ! » وبهذا قطعت حديثها ، والقت نظرة عابرة من فوق كتفها الى الرجلين : « اننى لايمكننى أن اواصل الاعتقاد بأنك صبى نبيل في جوهرك ! » .

قال رئيس السفرجية محلورا : « مدام ، مدام ! » ، لانه كان قد لمح نظرتها اليهما .

قالت المديرية : « سوف ننتهى في خلال دقيقة واحدة ! » ، وشرعت في انذار كارل في سرعة أكثر : « استمع الى يا كارل ، اننى من خلال ما أمكننى أن استنتجه من هذا الامر ، فاننى راضية

بالفعل لان رئيس السفرجية لا يريد ان يبدأ بحثا في مشكلتك ، لانه لو كان له ان يفعل ، لكان على ان أمنعه لصالحك ، فلا يجب ان يعلم احد كيف ولا من اين حصلت على الشراب لذلك الرجل الذى لا يمكن ان يكون احد صديقك القديمين ، كما اعلنت ، لانك كنت قد اشتبكت في عراك عنيف معهما عندما تركتهما ، وعلى هذا فلا يمكن ان تكون على علاقة طيبة الى هذا الحد باى منهما الان ،

وعلى هذا فلا بد ان تكون الصداقة قد ربطتك بهذا الرجل ذات ليلة في احد اوكار الشراب في المدينة ، فكيف أمكنك ان تخفى هذه الامور عنى يا كارل ؟ ! فلو كنت حقيقة ، لا تحتمل عنبر النوم ، وشرعت في التجول هنا وهناك ليلا لاسباب غير بريئة كهذه الاسباب ، فلماذا لم تذكر كلمة واحدة عن ذلك ؟ انك تعلم اننى قد رغبت في ان اخصص لك حجرة خاصة بك ، واننى عدلت عن الفكرة فقط بناء على رغبتك ، ويبدو لى الان انك قد فضلت عنبر النوم العمومى ، لانك احسست بانك تتمتع بحرية اكثر هناك ، كما انك دائما تضع نقودك معى ، وتسلمنى المنع التى تحصل عليها كل اسبوع ، فمن اين بحق السماء ، حصلت اياها الصبى على النقود لهذه الجولات ، ومن اين كنت تنوى ان تحصل على النقود

لصديقك ؟ وبالطبع هذه امور لايمكننى ان اذكرها لرئيس السفرجية الان على الاقل ، والا فان التحريات في هذه الحالة ، قد لايمكن تجنبها ، وعلى هذا فعليك ان تغادر الفندق ببساطة ، وبأسرع ما يمكن أيضا ، اذهب رأسا الى « بنسيون بريتر » - ولقد ذهبت اليه بالفعل بصحبة تيريز ، عديدا من المرات من قبل - وسوف يستقبلونك في الحال بلا مقابل ، اذا اطلعتهم على هذه البطاقة « ،

وكتبت بضعة سطور فوق بطاقة بقلم من الذهب ، انتزعتسه من داخل بلوزتها ، لكن بدون ان تقطع اتصال حديثها - وسوف ارسل صندوقك خلفك في الحال ! اذهبى يا تيريز بسرعة الى حجرة امانات صبية المصاعد ، واحضرى صندوقه ، الا ان تيريز لم تأت بابة حركة ، لانها بعد ان كابدت كل ذلك الاسى ، رغبت أيضا في ان تشارك الى النهاية هذه المرة في الاستمتاع بالاحظ الحسن الذى شاء ان يكون من حسن طالع كارل ، وشكرا لعطف المدير ! »

وفتح شخص ما الباب قليلا ، دون ان يظهر من خلاله ، واغلقه ثانية في الخال ، ولا بد انه كان شخصا قد اتى ليستعجل جياكومو

فقد تقدم جياكومو الى الامام قائلا : « روسمان ، اريد ان اتحدث معك ! »

قالت المديرية : « بعد لحظة ! » ودست البطاقة في جيب كارل ، بينما كان يستمع وهو واقف براسه المحنية الى اسفل : « وسوف احتفظ الان بنقودك ، أنت تعلم انها في امان بين يدي ، فابق اليوم في غرفتك هناك ، وتدبر وضعك ، وغدا - فليس لدى وقت اليوم ، ولقد احتجزت الآن وقتا طويلا للغاية هنا أيضا - سوف احضر اليك في بنسيون برينر ، وسوف نرى ما يمكن ان نفعله من اجلك بعد هذا ، اننى لن اتخلي عنك ، ويجب ان تعلم هذا جيدا الآن ، ولست في حاجة الى ان تشغل ذهنك بامر مستقبلك لكنك في حاجة الى ان تتفحص وضعك خلال تلك الاسابيع القليلة الماضية ، وربت على كتفه ، ثم مضت نحو رئيس السفريجية ! ورفع كارل راسه ، وحقق خلف المراة الطويلة الهيئة ، بينما كانت تبتعد عنه بخطواتها الخفيفة ، وسلوكها الواضح .

قالت تيريز التي بقيت الى جانبه : « حسنا ، الست مسرورا ، لان كل شيء قد انتهى ، هذه النهاية الحسنة ؟ ! » .

قال كارل : « آه .. بالطبع ، وابتسم لها ، الا انه لم يفهم كيف يمكنه ان يكون مسرورا ، لانه قد فصل من عمله كلص ، وشعت عينا تيريز بالفرح الخالص ، كما لو لم يكن يهم مطلقا ، ان كان كارل قد ارتكب جريمة اولا ، ويستوى كذلك ان كان قد حوكم محاكمة عادلة او ظالمة ، ما دام قد اتيج له فقط ان يهرب خجلا ، او فخورا ، ولقد كانت تيريز هي التي تسلك نحوه هذا السلوك ، تيريز تلك المتشككة غاية التشكك في كل شيء يتعلق بها ، فتقلبه في راسها ، وتتفحص لعدة اسابيع اية كلمة تحتمل الشك ، قد تقولها المديرية ، وفي تصميم حازم قال : « هل سترتبين اشياى في الصندوق ، وترسلينه الى في الحال ؟ » ، وكان عليه على الرغم منه ان يهز راسه في دهشة ، فما اسرع ان التقطت تيريز التضمينات التي توهمت ان سؤاله لها يتضمنها ، وفي اقتناعها بوجود اشياء في ذلك الصندوق ، لا يجب ان يراها اى شخص ، لم تضغ لهذا وقتا ولو لمجرد ان تنظر الى كارل ، او حتى تشد على يده ، لكنها همست فقط : « بلا شك ، يا كارل ، في الحال ، سوف اربب الصندوق في هذه اللحظة ذاتها ! » ، واختفت !

الا ان جياكومو لم يستطع الآن ان يمنع نفسه اكثر من ذلك ،
وفي اضطرابه لطول انتظاره ، صاح قائلا : « روسمان ، ان الرجل
قد اثار مشاجرة في الممر ، ورفض الخروج من الفندق ! » ، انهم
يريدون ان يذهبوا به الى المستشفى ، الا انه يعترض على ذلك ،
ويقول انك لن تدعهم ياخذونه اليها ، انه يقول ان علينا ان نحضر
تاكسيا ، نقله الى البيت ، وانك ستدفع اجر التاكسي ، فهل
ستدفعه ؟ ! » .

قال رئيس السفرجية : « يبدو ان الرجل يعول عليك كثيرا ! »
فهر كارل كتفيه ، واحصى نقوده في كف جياكومو قائلا . « هذا هو
كل ما معي ! » .

قال جياكومو ، وهو يشخص بالنقود : « ان على ان اسأل
ايضا ان كنت ستستقل التاكسي معه ؟ ! » .

فقلت المديرة : « لا ، انه لن يذهب ! »
فقال رئيس السفرجية مسرعا ، دون ان ينتظر حتى يغادر
جياكومو الحجرة :

— حسنا يا روسمان ، لقد فصلت الآن من هنا ! واطرق رئيس
البوابين برأيه عدة مرات كما لو كانت تلك الكلمات كلماته هو ،
وليس رئيس السفرجية سوى الناطق بلسانه : « ان اسباب
فصلك هي اسباب لايمكنني ان اعلنها على الملأ ، لاننى في تلك الحالة
ساضطر الى ان ارسلك الى السجن ! » ، ونظر رئيس البوابين
في وحشية شديدة نحو المديرة ، لانه كان يعلم تماما انها كانت
هي السبب في تلك المعاملة البالغة الرقة : « والان اذهب الى
بست ، وابدل ملابسك وسلم الى « بست » زيك هذا الذى ترتديه
وغادر الفندق فى الحال ، غادره فى الحال ! » .

واغلقت المديرة عينيهما ، وكأنها قد رغبت بذلك ان تؤكد لكارل
ما قاله رئيس السفرجية ، وعندما انحنى ، وهم بالخروج من
الحجرة ، رأى رئيس السفرجية ، ممسكا بيد المديرة وقد راح
يتحسسها مداعبا اياها خلسة ، وأوصل رئيس البوابين كارل الى
باب الحجرة بخطوات ثقيلة ، ولم يدعه يعلق بابها خلفه ، بل ابقاه
مفتوحا ، نكى يصيح خلفه قائلا : « فى خلال ربع دقيقة ، يجب
عليك ان تمر بمكتبى ، وان تغادر الفندق ، من طريق البساب
العمومى ، فلتبه الى هذا ! » .

واسرع كارل بأقصى سرعته ، لكى يتجنب أى تكدير عند رحيله ،

الا ان كل شيء سار على نحو اكثر بطئا مما رغب ، فلم يجد يست
اولا ، وفي هذا الوقت ، وقت تناول الافطار كان !الفنادق يمتلئ
بحشود هائلة من الناس ، ثم ظهر ان صبيا آخر كان قد استعار
بنطلون كارل القديم ، وكان على كارل ان يفتش كل شمامعات
الملابس التي بجوار كل السرر تقريبا قبل ان يمر على بنطلونه ،
وعلى هذا فقد انقضت خمس دقائق على الاقل ، قبل ان يبلغ
الباب العمومي . وامامه مباشرة كانت احدى السيدات تسير في
رفقة اربعة رجال ، واتجهوا جميعا نحو سيارة كبيرة كانت في
انتظارهم ، وكان احد الخدم يفتح الباب بينما فرد ذراعه الطليقة
جانبا ، في محاذاة كتفه على امتدادها ، وقد بدا ذلك وضعا بالغ
التأثير ، الا ان رغبة كارل في ان يغادر الفندق دون ان يلاحظه احد
خلف هذه المجموعة الراقية من النزلاء راحت عشا ، ذلك ان رئيس
البوابين قد أمسكه من ذراعه ، وسحب به الى الخلف من وسط
اثنين من السادة ، بعد ان وجه اليهما كلمة اعتذار .

تساءل قائلا وهو ينظر شزرا الى كارل ، كما لو كان يتعخص
ساعة غير مضبوطة :

— هل تعتبر هذه المدة ربع دقيقة ؟ ! تعال هنا . اضاف هذا
وهو يدفعه نحو مكتب رئيس البوابين الواسع الذي كان كارل
متشوقا في وقت من الاوقات شوقا زائدا الى ان يتفحصه ،
الا انه قد شمل ذلك المكتب الذي دفعه الرجل الى داخله دفعا بنظرة
ارتباب ، وخلف الباب مباشرة ، تملص ، وحاول ان يدفع رئيس
البوابين بعيدا ، ويهرب .

قال رئيس البوابين : « لا .. لا .. الى هنا ، الى الداخل ! »
وهو يدفعه ثانية الى داخل الحجرة .

قال كارل : « ولكنني قد طردت ! » ، وهو يعنى بذلك ان
احدا في الفندق ، لا حق له الآن في ان يصدر اليه اى اوامر .

فقال رئيس البوابين : « طالما انني اقبض عليك ، فانك لم تطرد
بعد ! » وكان ما قاله حقا بالفعل وبلاضافة الى ذلك ، فان
كارل لم يجد سببا فعليا لمقاومة رئيس البوابين ، فما الذي
عساه ان يحدث له في نهاية الامر ، اكثر مما قد حدث له
بالفعل ؟ كما ان جدران المكتب ، كانت ايضا تتألف من الواح
هائلة من الزجاج ، يمكنك من خلالها ان ترى تيسارات الداخلين
والخارجين من النزلاء في البهو ، بغاية الوضوح ، كما لو كنت تقف

بينهم . نعم ، كان يبدو ، وكأنه لا يوجد بالحجرة كلها اى زوايا
أو اركان يمكن ان يختفى فيها كارل عن اعين هؤلاء الناس ، ولا
يهم مدى السرعة التى كانوا يندفعون بها فى حركتهم خارج تلك
الحجرة ، حيث كانوا يحملون امتعتهم فوق رؤوسهم بأذرعهم
الممدودة الى أعلى ، ورؤوسهم المحنية ، وعيونهم المعلقة . بهذه
الصورة ، كانوا يشقون طريقهم . وكان كل منهم لا يتمكن من أن يلقى
نظرة الا بصعوبة داخل حجرة رئيس البوابين ، ذلك ان الاعلانات
والاخبار كانت معلقة كلها خلف الألواح الزجاجية ، تلك الاعلانات
والاخبار التى كانت تهم نزلاء الفندق وموظفيه معا . وقد كان
البهو ، ومكتب رئيس البوابين بالإضافة الى ذلك على اتصال مباشر
ببعضهما ذلك ان اثنين من مساعدي رئيس البوابين ، كانا يجلسان الى
نافذتين هائلتين متحركتين ، وكانا مشغولين دائما فى توجيه المعلومات
فى كافة الموضوعات ، كان هذان الرجلان مثقلين حقا بالعمل ، وقد
استطاع كارل أن يدرك ببصيرة نافذة ، ان رئيس البوابين كان قد
اخترع تلك الحيلة ، على سبيل ترقية نفسه ، فان هذان الرجلان
اللذان يقومان بالرد على الاستفسارات - من الخارج لم يكن يسعك
فى الحقيقة أن تتصور كيف كان يجرى عملهما - يتحدثان فى نفس
الوقت الى عشرة وجوه متسائلة أمام كل منهما على الاقل ، ومن
هؤلاء العشرة ، الذين كانوا يتغيرون باستمرار ، كانت ترتفع دائما
ضجة مكونة من خليط مختلف من اللهجات ، كما لو كان كل منهم
مبعوثا من دولة مختلفة ، وكان يوجد دائما عدد كبير منهم يستفسرون
فى وقت واحد عن اشياء مختلفة ، بينما كان آخرون يتناقشون
ايضا مع بعضهم البعض ، وكان اكثرهم يريدون أن يودعوا شيئا
فى مكتب رئيس البوابين ، أو يستردوا منه ودائع كانوا قد أودعوها
فيه ، ولهذا كنت ترى حركات الايدي المتشابكة فى حركة عنيفة ،
وهى ترتفع من وسط الجمع ، أو رجلا لا يطبق صبرا فيتفحص
جريدة كانت تنفرد فى الهواء للحظة ، وهى تصفع الوجوه ، كل هذا
كان على مساعدي رئيس البوابين أن يتحملاه ، لم يكن مجرد الكلام كافيا
لاداء عملهما . كانا يثرثران ، وكان أحدهما ، بصفة خاصة ، وهو
رجل حزين ، له لحية داكنة ، تكاد تخفى كل وجهه ، كان يوزع
المعلومات ، ويرد على الاستفسارات دون أن يتوقف للتقاط أنفاسه
ولم يكن لينظر الى المكتب حيث كان يسلم - بلا توقف - عديدا من
الأشياء الى أصحابها خارج النافذة ، ولا كان ينظر فى وجوه

المتسائلين ، بل ينظر امامه مباشرة ، نظرة لا تحيد ، لكي يقتصد في مجهوده على الاغلب ، ويحتفظ بقواه ، وكانت لحيته أحيانا ما تشارك في توضيح ردوده ، وفي اثناء الفترة القصيرة التي قضاه كارل بداخل تلك الحجرة ، استطاع ان يتبين الى حد ما بعضا مما كان يقال ، بقدر ما أمكنه ذلك ، على الرغم من غموض الاساليب المختلفة لنطق اللغة الانجليزية ، وكان القليل مما سمعه ايضا قد سمعه ببعض اللغات الأجنبية التي كانت تتطلبها اللحظة ، وكان الاضطراب بالاضافة الى ذلك هو السبب في ان الجواب على اي سؤال من تلك الاسئلة كان ينطلق في سرعة بالغة في اعقاب الجواب الآخر ،

حتى انه لم يكن من السهل تمييز تلك الاجابة من غيرها ، ولهذا كان السائل يستمع في انتباه شديد ، معتقدا ان اجابة سؤاله لم تكن قد انتهت بعد ، دون ان يتمكن من ان يدرك في اللحظة المناسبة ان اجابة سؤاله كانت قد انتهت . وكان عليك ان تعتمد على ما اعتاده مساعدا رئيس البوابين هذان في عدم طلبهما من الجمهور اعادة اي سؤال ، حتى ولو كان غامضا في نسه ، طالما كان من الممكن الاحساس بالمقصود منه عامة ، وعندئذ كان المساعد يأتي بحركة من رأسه لا تكاد تبين ، معلنا بها انه لن يجيب على هذا السؤال بصيغته الراهنة ، وان من شأن السائل ان يكتشف وجه النقص في السؤال ، وان يعيد السؤال مرة اخرى في صورة أكثر دقة . وكان هذا يتسبب في تعطيل كثير من الناس لوقت طويل امام نافذة الاستعلامات . وكان لكل من المساعدين هذين صبي صغير

يعمل كساع خاص لمساعدته ، كان عليه ان يندفع هنا وهناك ليحضر من خزانة ما ، شيئا يحتاجه المساعد ، ويبحث كذلك عن الطلبات في عدد من مختلف الدواليب الاخرى . كانت هذه الوظيفة من أكبر الوظائف اجرا ، وان كانت ايضا من اشد الوظائف التي يحصل عليها صبية الفندق ارهاقا في العمل ، وكان الصبية يجهدون أنفسهم الى حد كبير في تلك الوظيفة ويتكفون جهدا يتفوق كثيرا على جهد المساعدين اللذين لم يكن عليهما سوى ان يفكروا ويتحدا بينما كان على الصبية ان يفكروا ، وان يهرولوا هنا وهناك لاحضار الطلبات في وقت معا . فلو حدث ان احضر احدهم شيئا غير ما طلب منه احضاره ، فان المساعد كان يضطر الى ان يلقي عليه محاضرة طويلة ، وبلطشبة خفيفة من يده كان يطرح بالشئ الذي احضره الصبي أرضا ، بعد ان يضعه الصبي على

الطاولة التى امام نافذة الاستعلامات . وكان تغيير نوبات عمل هؤلاء المساعدين امرا شائقا ، وقد حدث بعد فترة قصيرة من دخول كارل الى تلك الحجرة . وكانت تلك التغييرات تحدث كثيرا فى خلال نوبات عمل النهار على الاقل ، لانه ربما لا يتسنى لاي رجل فى هذه الدنيا ان يحتمل البقاء امام طاولة نافذة الاستعلامات تلك اكثر من ساعة . وعند حلول لحظة الراحة يدق جرس ما ، فيظهر فى الحال من خلال احد الابواب الجانبية ، المساعدان اللذان حل دورهما الآن فى العمل ، يتبع كل منهما الصبى المكلف بمساعدته فيجلسان عندئذ فى تكاسل الى النافذتين ، ويتاملان الناس الذين يقفون خارج النافذتين للحظة ، حتى يمكنهما ان يكتشفا على وجه الدقة نوع الاسئلة التى عليهما ان يجيبا عنها . وعندما تبدو للحظة مناسبة للاستفسار ، كان القادم الجديد يربت على كتف المساعد الذى عليه ان يرد على اسئلته ، فيجيبه فى الحال ، على الرغم من انه لا يكون قدلقى مجرد نظرة الى ما كان يجرى خلف ظهره ، ويفادر السائل مكانه ، ويحدث هذا كله بغاية السرعة لدهشة الناس الذين يقفون فى الخارج ، هؤلاء الذين كانوا ينزعجون عندما يفاجأون بشخص آخر غريب امامهم فجأة . اما الرجلان اللذان تكون قد حلت نوبة راحتهما من العمل ، فانهما يمددان جسديهما ثم يصبان الماء فوق راسيهما المتهين عند حوضين من احواض الفسيل اعدا لهما ، لكن لا يكون للصبيين اللذين يساعدانهما ان يتمددا مثلهما على الفور ، لانهما يكونان مشغولين لبعض الوقت فى التقاط الاشياء المتناثرة ، المختلفة التى تناثرت فى خلال نوبة عملهما ، واعادتها الى مكانها السابق .

راقب كارل هذا كله بانتباه شديد ، عن قرب ، فى خلال بضع دقائق ، ثم اصابه بعد ذلك صداع خفيف فتبع فى هدوء ، رئيس البوابين الذى قاده الى داخل الحجرة ، وكان رئيس البوابين قد لاحظ فى وضوح ، التأثير العميق الذى تركه اسلوب ذلك العمل ، فى الرد على استفسارات النزلاء ، فقد لوح بدارعه فجأة قائلا :

— هذه هى الطريقة التى يسير عايلها العمل هنا كما ترى ! ولم يكن كارل بلا شك عاطلا فى الفندق ، الا انه لم تكن لديه فكرة عن هذا العمل ، وتطلع امامه ، وقد نسى تماما ان رئيس البوابين كان عدوه اللدود ، واطرق فى اعجاب صامت ، فبدا هذا مرة اخرى الرئيس البوابين تقديرا زائدا للمساعدين ، وتهيأ له ان فى

هذا شيء من التقليل من قدره ، فصاح دون ان يحفل بأن الجميع كانوا يسمعون ، محاولا على ما يبدو ان يستغل سداجة كارل .
- ان العمل هنا هو بالطبع اكثر الاعمال غباء في الفندق بأكمله ، ولا تحتاج لكى تقوم بهذا العمل سوى ان تستمع لمدة ساعة ، لكى تعلم تماما كل الاسئلة التى يمكن ان توجه اليك ، اما ما عدا ذلك من الاسئلة فليس عليك ان ترد عليها مطلقا . ولو لم تكن بمثل تلك الوقاحة ، وسوء الطبع ، ولو لم تكن تكذب ، وتتكاسل ، وتعربد ، وتسرق ، فربما كنت وضعتك امام احدى هذه النوافذ ، بما انها وظيفة تناسب ذوي الرءوس الصماء ! وتجاهل كارل الاهانة التى وجهها اليه رئيس البوابين ، فلقد كان الاخير فى حالة من السخط ، بدا له فيها العمل الشاق ، الشريف الذى كان يقوم به المساعدان ، شيئا يمكن الاستهانة به ، والخرقة منه ، مع انه - هو الذى يسخر من هذا العمل - لو خطر له ان يجازف بالجلوس الى احد هاتين النافذتين ، فسوف يكون هدفا لاسخرية فى خلال دقائق قليلة ، ولتعمين عليه ان يترك هذا العمل فى الحال لعجزه عن احتماله .

قال كارل ، وكان اهتمامه بمكتب رئيس البوابين قد اشبع الآن للغاية :
- دعنى ، فليست ارفع فى ان يربطنى بك اى شيء ، اكثر من ذلك !

فقال رئيس البوابين ، وهو يسحق ذراع كارل ، حتى تخدرت ، وهو يجره الى الطرف الآخر من المكتب ، فهل تمكن الناس الذين فى الخارج ان يروا هذا التهديد ، ولو كانوا قد لمحوه ، فماذا كان ظنهم بما قد يترتب عليه ، طالما ان احدا منهم لم يعترض على ذلك ، ولا دق آخر على الزجاج ، لكى يلفت نظر رئيس البوابين الى انه يرقبه ، وانه ليس له - امام كل هؤلاء الناس - ان يعامل كارل كما يحلو له ؟ الا ان كارل سرعان ما فقد الامل فى تلقى أية معونة من هؤلاء الناس الذين يملأون ذلك البهو . فقد جذب رئيس البوابين احد الحبال ، فسقطت فى الحال فوق الألواح الزجاجية التى تغطى احد جوانب حجرة المكتب ستائر سوداء ، كانت تمتد من السقف الى الارض ، بسرعة البرق . وفى هذا الجانب من المكتب كان يوجد ايضا بعض الناس ، الا انهم كانوا مشغولين بعملهم ، بأقصى سرعة ، فلم يكن يهمهم ان يروا او يسمعوا اى

شيء لا يتعلق بعملهم . وكانوا هم أيضا يتبعون مباشرة رئيس البوابين ، ولهذا كانوا على استعداد لاختفاء أى شيء ينوى رئيس البوابين أن يفعله . لقد كان هناك ستة من البوابين المساعدين يجلسون الى ستة تليفونات ، وكان نظام عملهم يتضح من النظرة الاولى ، فقد كان واحد من كل اثنين ، يدون المحادثات ، ويعطى هذه المذكرات لزميله الذى يرسلها عن طريق تليفون آخر ، وكانت أجهزة التليفونات حديثة الطراز ، فلم تكن تلك الاجهزة فى حاجة الى صناديق ، ذلك لان رنين جرس التليفون لم يكن يرتفع عن مجرد اللدبة ، وكان مجرد الهمس فى «المرسل» يتضخم بواسطة أجهزة كهربائية ، حتى يبلغ الطرف الآخر من الخط التليفونى فى صوت كقصف الرعد ، ولهذا السبب لم يكن المرء يكاد يسمع اصوات الرجال الثلاثة الذين كانوا يتحدثون فى التليفونات ، وربما ظن المرء انهم كانوا يهمسون لانفسهم فى المرسل ، بالحديث عن تفاصيل بعض الاحداث ، بينما كان الثلاثة الآخرون صامتين ، وكانما استكتم الصوت القاصف الذى كان يصلهم عن طريق السماعات التى كانوا يضعونها على آذانهم ، على الرغم من أن أحدا سواهم لم يكن يسمع تلك الاصوات الراحدة مطلقا ، وكانوا مطرقين بروءوسهم على الاوراق التى كانوا يدونون عليها ملاحظاتهم . وكان ثمة صبي يعمل كمساعد ، هنا أيضا ، لكل من الرجال الثلاثة الذين كانوا يهمسون فى التليفونات ، ولم يكن هؤلاء الصبية الثلاثة يفعلون شيئا سوى أن يحنوا بالتناوب رءوسهم نحو رؤسائهم الثلاثة فى وضع تسمع لما قد يقولونه لهم ، ثم يتحولون فى الحال الى البحث - كما لو كانوا قد لدغوا لمجرد سماعهم بالوامر الموجهة اليهم - عن ارقام بعض التليفونات فى دفاتر ضخمة صفراء ، وكانت خشخشة تلك الكتل من الاوراق الكثيرة ، تكتم فى سهولة أى صوت يصدر عن تلك التليفونات .

لم يستطع كارل ان يمنع نفسه عن مراقبة هذا كله ، على الرغم من أن رئيس البوابين الذى كان قد جلس الآن ، ظل ممسكا بتلابيبه ، وكأنه يحتضنه .

قال رئيس البوابين ، وهو يهز كارل ، وكأنه يريد منه فقط أن يدير وجهه ناحيته لى ينتبه الى ما سوف يقوله : « انه واجبى ، فلو ان رئيس السفرجية أهمل فى ملاحظة أنجاز أى شيء ، لاي سبب من الاسباب ، معلا اهماله ، بانشغاله فى المشاركة فى ادارة

الفندق ، فأننى أقوم بالإشراف على انجازه بأقصى ما يسعنى من الاهتمام ، اننا نبذل أقصى جهدنا ، لكنى نساعد بعضنا بعضا ، قلو لم يتردد سير العمل على هذا النحو ، فليس من الممكن أن يتصور المرء كيف تنسجم هذه الهيئة الهائلة التى تعمل فى أنحاء الفندق كله ، وقد تقول اننى لست رئيسك المباشر ، حسنا ، وانا أقول لك بدورى انه يتساوى لدى ان اضطلع بعملى او بأى أعمال أخرى قد يهملها الآخرون ، وبالإضافة الى ذلك ، فأننى كرئيس للبوابين ، أعد بصورة ما ، أهم من أى شخص آخر هنا ، لأننى المكلف بحراسة جميع أبواب الفندق ، هذا الباب العمومى ، والأبواب الوسطى الثلاثة ، ولا داعى للذكر باقى الأبواب الأخرى التى لا حصر لها ، والفتحات التى لا أبواب لها ، وبالطبع يتعين على جميع أفراد طاقم الخدمة الذين يصلهم عملهم بى ، ان يطيعوا أوامرى ، طاعة تامة . ولى بالإضافة الى هذا ايضا تصريح من ادارة الفندق ، بالادع أى شخص - يثير مظهره أدنى رتبة - يخرج من باب الفندق ، وانك بالتحديد ، الشخص الذى يثير ارتيابى ، والذى يبدو مربيا للغاية بصفة عامة . كان فرحا جدا بنفسه ، حتى لقد رفع يده ، ونزل بها فى خبطة موجهة على كارل ، وأضاف قائلا : « وقد بلغ به الفرح بنفسه حدا حسب نفسه معه ملكا من الملوك » من المستحيل أن تخرج من الفندق ، عن طريق أى باب من الأبواب الأخرى ، وأننى لم أكلف نفسى بالطبع مشقة إصدار أية أوامر بخصوصك ، وحيث انك الآن أمامى هنا ، فسوف أصفى كل حسابى معك ، اننى لم أشك مطلقا فى انك ستحرص على لقائنا هنا عند الباب العمومى ، فمن القواعد الثابتة ان الأشخاص الوقحين ، المشاغبيين ، يبدون فى ثوب الفضيلة عندما يتضح لهم أنهم على وشك أن يواجهوا نتائج أعمالهم ، ولا شك انك ستتمكن من ملاحظة ذلك ، ملاحظة كافية ، من خلال تجربتك الشخصية ! »

قال كارل ، وهو يستنشق الرائحة الفريبة المثيرة ، التى كانت تفوح من رئيس البوابين ، والتى لم يلاحظها ، حتى أتيج له أن يقف ملتصقا به على هذا النحو ، تلك الفترة الطويلة : « لا تتصور أننى تحت رحمتك تماما ، لأننى أستطيع أن أصرخ ! » .

فقال رئيس البوابين ، بغاية الهدوء والسرعة ، التى ربما كان قد اعتاد أن يصطنعها كلما دعت الحاجة الى ذلك : « وفى استطاعتى أن أخرس صوتك ! هل تظن حقيقة ، اذا تسببت بصراخك فى

احضار أى شخص الى داخل هذا المكتب ، أن تجد شخصا واحدا يمكن أن يصدق كلمة واحدة مما قد تقوله ضدى ، ضد رئيس البوابين ؟ يمكنك الآن أن ترى أى آمال حمقاء ، تلك التى تأملها ! ودمنى اخيرك ، بآنك كنت تبدو شخصا محترما عندما كنت ترتدى زي الفندق ، لكنك الآن فى ملابسك هذه ، التى لا يمكن أن تصنع الا فى أوروبا ! » وجذب كارل من ملابسه التى كانت تبدو - مع انها كانت جديدة تماما منذ خمسة اشهر فقط - رثة ، ومكرمشة وملوثة ايضا ، بسبب اهمال صبية المصاعد ، الذين كان يتعين عليهم طبقا للتعليمات العامة أن يحتفظوا بنظافة ارضية عنبر نومهم ، وتلميعها ، وازالة الاتربة التى تغطيها ، لكنهم كانوا لتكاسلهم ، وبدلا من ان يقوموا بتنظيفها كما ينبغى ، كانوا يلطخون تلك الارضية كل يوم بمختلف انواع الزيوت ، ويلطخون ايضا جميع الملابس المعلقة فوق المشاجب ، وكان فى مقدور كل منهم أن يلقى بملابس الآخر حيث يشاء ، وكان هناك من لا يستعمل ملابسه الخاصة ، لكنه لا يخطئ فى العثور على ملابس جاره المخبأة ، وسرعان ما يستعيرها فى الحال ، كان هذا الصبى ، هو الذى كان عليه الدور فى تنظيف عنبر النوم ، اليوم ، ولهذا فلم تكن ملابس كارل ملطخة فقط بالبقع الزيتية ، بل كانت غارقة فيها بالفعل من أعلاها الى أسفلها . وكان رينيل هو الشخص الوحيد الذى كان قد اكتشف مكانا سريا ، كان يخفى فيه ملابسه الغالية ، فكان من الصعب اكتشافها واكتشاف مكانها . ولم يكن الخبث أو البخل الذى يدفع الصبية الى استعارة الملابس ، لكن كان يدفعهم الى ذلك ، التعجل والاهمال ، فقد كانوا يرتدون ، فى بساطة ، أى ملابس يتصادف وجودها امامهم . وكانت بدلة رينيل قد أصابتها بقعة حمراء مستديرة ، من الزيت ، فى وسط الظهر ، وكان من السهل فى المدينة ، أن تدرك العين الخبيرة فى وضوح ، من تلك البقعة ، أن ذلك المتأنق الصغير المختال بنفسه ، ليس سوى صبى مصعد فى نهاية الامر .

وعندما تذكر كارل هذا كله ، قال لنفسه انه قد عانى ما فيه الكفاية فى عمله كصبى مصعد ، وكانت معاناته تلك ، قد ضاعت عبثا كلها ، لان وظيفته لم تساعد ، كما كان يأمل على أن يتقدم خطوة الى الامام ، بل لقد جرته بدلا من ذلك ، الى وضع أشد يؤسا من وضعه الاول ، ولقد أوشكت فوق هذا كله أن تودى

به الى السجن . وكان لايزال علاوة على هذا ، في قبضة رئيس البوابين ، الذى كان بلا شك ، يبحث عن الوسيلة التى تتيح له ان يهيئه اقصى اهانة ممكنة ، فصاح كارل ، ناسيا تماما ان رئيس البوابين ، هو آخر شخص يمكنه ان يحتكم الى العقل ، ضاربا جبهته عدة مرات ، بيده الطليقة : « وحتى لو فرضنا اننى قد مررت بك دون ان اوجه اليك التحية ، فكيف يمكن لرجل ناضج مثلك ، ان تبلغ به الرغبة فى الانتقام ، الى هذا الحد من العنف ، لمثل هذا الاهمال البسيط ؟ ! » .

قال رئيس البوابين : « لا رغبة لى فى الانتقام ، ولكننى ارجب فقط فى تفتيش جيوبك ، وتاكّد ، من اننى مقتنع تمام الاقتناع ، باننى لن اعثر فيها على اى شىء ، لانك ربما كنت حذرا فسلمت كل شىء الى صديقك اولا باول ، شيئا فشيئا كل يوم ، لكن لابد من تفتيشك مع ذلك ! »

ودفع يده داخل احد جيوب معطف كارل ، بغاية العنف ، حتى لقد تفتقت الخياطة الجانبية للجيب ، وقال : « اذن فلا شىء هنا ! » ، وراح يقلب فى يده الاشياء التى وجدها بداخل الجيب ، وكانت تتألف من نتيجة جيب يصدرها الفندق ، وقطعة من الورق عليها تمرين فى المعاملات التجارية ، وبضعة من اضرار المعطف ، والبنطلون وبطاقة المديرية ، ومبرد أظافر ، القاه اليه احد النزلاء عندما قام بتعبئة صندوق ملابسه ، ومراة جيب قديمة ، كان رينيل قد اعطاه اياها ، كهدية لقيامه بعمله حوالى عشر مرات متتالية ، وبعض الاشياء التافهة الاخرى ، قال رئيس البوابين نانية ، وهو يلقى بها جميعا تحت المنضدة ، كما لو كان ذلك المكان ، هو المكان المناسب لكل ما يحمله كارل من اشياء ، ولو اتضح انها لم تكن مسروقة : « اذن فلا شىء هنا ! »

قال كارل فى نفسه ، ولا بد ان وجهه كان قد تضرع : « هذه هى القشة الاخيرة ! » ، وبينما كان رئيس البوابين قد انتقل الى تفتيش جيبه الاخر فى لهفة ، اندفع كارل مخلصا كم قميصه من قبضة الرجل ، فى حركة مفاجئة ، وارتطم باحد مساعدى البوابين ، فى قفزته العشوائية الاولى ، فطرح الرجل فى عنف ، على تليفونه ، واندفع يجرى فى الحجرة المكتظة بالاشياء المختلفة ، نحو الباب ، فى سرعة ليست خارقة ، فى الحقيقة ، كما كان يود ، لكن فى سرعة كانت كافية لخروجه من الحجرة قبل ان يتمكن رئيس البوابين من

أن ينهض من مكانه بمعطفه الثقيل ، ولم يكن نظام الفندق بالغ الدقة ، ولقد دقت بضعة أجراس ، هذا حق ، إلا ان السماء وحدها كانت تعلم ، لاي غرض دقت تلك الاجراس ؟ وكان بعض موظفى الفندق قد اندفعوا نحو المدخل فى هذا الاتجاه ، وفى ذاك ، فى أعداد كبيرة ، حتى كان للمرء أن يظن أنهم قد عزموا على ألا يسمحوا مطلقا لاي شخص بالخروج من الفندق ، وقد كان من الصعب التحكم فى حركة الدخول والخروج لشدة الزحام ، ورغم ذلك ، فسرعان ما أصبح كارل فى الخارج ، إلا أنه ظل واقفا أمام الفندق ، لأن سيلا لاينقطع تدفقه من السيارات كان يتحرك فى ببطء أمام مدخل الفندق ، فلم يتمكن كارل من أن يبلغ الشارع ، وكانت السيارات التى كانت تتأهب للانطلاق الى الامام تلامس بعضها بعضا بالفعل ، وتدفع بعضها الى الامام ، وكان ثمة من يحاول أن يعبر الطريق هنا وهناك فى عجلة ، ومن ثم يلقى بنفسه داخل اقرب عربة ، كما لو كانت تلك العربات وسائل عامة لعبور الشارع ، دون أن يعبا مطلقا بما اذا كان بداخلها سائق او اثنين فقط من الخدم ، او مجموعة من السادة ، كان يبدو هذا السلوك فى رأى كارل سلوكا يتصفه بالصلف ، ورأى أن على المرء أن يكون واقفا تماما لكي يفامر مثل تلك المفامرة ، فربما ألقى بنفسه داخل عربة يتفق أن يستاء راكبوها لسلوكه ، فيلقون به خارجها ، وقد يحدث شجار بينهم . على أن شيئا لم يكن ليشغل بال كارل أكثر مما قد حدث له حتى الآن ، وما الذى يمكن أن يشغل بال صبي مصعد بئس ومشبوه مثله ، وفوق هذا ، فان صف العربات لايمكن أن يستمر فى تدفقه الى الأبد ، وطالما ظل بالقرب من الفندق ، طالما أبعد ذلك عنه نظرات الارتياح ، حتى بلغ أخيرا ، مكانا لم يكن صف العربات قد اقتطع فيه تماما ، لكنه كان قد استدار مبتعدا فى وسط الشارع ، كما ابتعدت العربات قليلا عن بعضها البعض ، وكان على وشك أن ينسل من خلال حركة المرور التى كانت قد هدأت الآن فى الشارع ، عندما لفت نظره وجود أشخاص أشد منه إثارة للريبة ، وربما كانوا قد أطلق سراحهم حديثا ، ثم سمع من يدعو باسمه ، من مكان قريب ، فاستدار ، ولمح فى مدخل باب صغير منخفض ، كان يبدو أشبه بمدخل الى قبو ، اثنان من عمال المصاعد ، كان يعرفهما جيدا ، كانا يرفعان ، وقد نال منهما الاجهاد ، نقالة ، يستلقى فوقها -

كما اردك الآن - روبنسون ، وكانت رأسه ، ووجهه ، وذراعاها ،
مربوطة كلها بالضمادات الكثيفة . وقد فزع عندما رآه وهو يرفع
يديه الى عينيه ليمسح دموعه بطرف الضمادات . دموع الألم ،
أو الاسى ، أو لعلها أن تكون دموع الفرح لعثوره ثانية على كارل .

صاح قائلا في عتاب : « روسمان ، لماذا تركتني انتظرك طول
هذا الوقت ، لقد ظللت ساعة كاملة ، أصارعهما لكي أمنعهما من
الذهاب بي ، قبل أن تصل ، ان هذين الشخصين - ولطم أحد
الصبيين على رأسه ، كما لو كانت ضماداته تحميه من أن يتلقى
منه لكمة ردا على لطمته تلك له - « هما شيطانان بالفعل ! » ،
آه يا روسمان لقد كان على أن ادفع غالبا ثمن هذه الزيارة ! »
قال كارل ، وهو يتقدم نحو المحفة التي وضعها الصبيان على
الأرض ، لكي يترجحا قليلا : « لماذا ، ماذا فعلا بك ! »

فتأوه روبنسون قائلا : « اتساءل هذا السؤال ، بينما ترى
حالي ، تأمل منظري ، يبدو انهم قد أصابوني بالمرج الذي
سيلازمني طوال حياتي ، انني اعانى آلاما فظيعة من هنا الى
اسفل ، حتى هنا - وأشار أولا الى رأسه ، ثم الى أصابع قدميه
- ولقد كنت أريدك فقط أن ترى كيف كان ينزف أنفي ، ان
صديرتي قد تلفت تماما ، ولقد اضطرت الى أن أطوح بها خلفي
أيضا ، وبنظروني أصبح خرقه مهلهلة ، انني الآن في سروالي
الداخلي » ، ورفع البطانية قليلا ، وطلب من كارل أن ينظر تحتها ،
« فما هو مصرى بحق الجحيم ؟ انني سوف أرقد في فراشي لعدة
شهور على الأقل ، ولعلني أقول لك الآن ، انه لا يوجد أحد ليعنى
بتمريض سواك . ان ديلامارش قليل الصبر جدا ، فلا تتركني
ياروسمان ! » ، ومد روبنسون ذراعه الى كارل الذي تباعد
عنه ، آملا أن يحظى بمطفه ، عن طريق مداعبته له : « لماذا حضرت
يا كارل ؟ » رد روبنسون ذلك عددا من المرات ، لكي يذكر
كارل ، بأنه كان مسئولاً الى حد ما عما لاقاه من سوء ، ولم يتطلب
الحال من كارل سوى دقيقة واحدة لكي يتبين أن عويل روبنسون
لم يكن بسبب جراحه ، لكن كان سببه وخمة السكر المرهقة التي
كان لا يزال يعاني منها ، لأنه بعد أن استغرق في النوم ، ثملا
حتى الموت ، كان قد أوقف ، ليجد اللطمات لدهشته تنهال عليه
في وحشية ، حتى أفقدته كل شعوره بالواقع ، وكان من الممكن
تبين طبيعة جروحه البسيطة من الخرق القديمة التي استعملت

كضمدات ، والتي كان صبية المصاعد ، قد ربطوا جروحه بها ، على سبيل المزاح ، لفة بعد لفة ، في شيء من المبالغة . وكان الصبيان اللدان وقفا على كلا جانبي المحفة قد استغرقا في نوبات من الضحك . الا ان هذا لم يكن هو المكان المناسب لاعادة روبنسون الى وعيه ، فقد كان الناس يتدفقون حولهم ، دون ان يلقوا بالا اليهم ، ولا الى المحفة ، وكثيرا ما كان بعض الاشخاص يتخطون روبنسون في قفزات بارعة ، بينما ظل سائق التاكسي ، الذي كان كارل قد دفع أجره ، يصيح قائلا : « هيا .. هيا ! » واستجمع صبيا المصعد قوتهما ، ورفعوا المحفة ، وامسك روبنسون بيد كارل في مDAHنة : « هيا معنا ، هيا ! » . وعندها تذكر كارل ذلك الشخص الذي كان قد فر من بين يديه الآن ! اليس من الممكن ان يأويه ظلام التاكسي بعيدا عن الانظار ؟ وهكذا القى كارل بنفسه الى جوار روبنسون ، الذي اسند رأسه على كتفه ، وشهد الصبيان على يد كارل في حرارة ، من خلال نافذة التاكسي ، وهما يودعان زميلا لهما ، قضى معهما فترة من الوقت ، واستدار التاكسي في دائرة حادة ، الى الطريق العمومي ، وبدا وكان حادثة ما لابد ان تقع ، الا ان سيل المرور المتدفق المختلط ، ذاب في بعضه البعض ، وذاب فيه كذلك اندفاع عربتهما كاندفاع السهم ، الى الأمام .

مأوى

بدا الشارع الذى توقف فيه التاكسى شارعا من شوارع احدى الضواحي المنعزلة ، فقد كان كل شيء هادئا ، وكان الأطفال يجلسون فوق حافة الرصيف . وثمة رجل يحمل فوق كتفه كومة من الملابس القديمة ، كان واقفا ينظر فى امعان الى نوافذ المنزل التى كانت تملؤه ، وراح ينادى على بضاعته ، وكان كارل مجهدا غاية الاجهاد ، حتى لقد شعر بوعكة عند هبوطه من السيارة الى اسفلت الشارع ، الذى كان دافئا ، ومتالقا تحت أشعة شمس الصباح .

وهتف قائلا لروبينسون الذى كان يجلس بداخل التاكسى :
« هل تسكن هنا حقيقة ؟ ! »

وهمهم روبينسون الذى كان قد استغرق فى النوم خلال الرحلة كلها ، مؤكدا بكلمات غامضة ، وبدا عليه وكأنه كان ينتظر من كارل أن يحمله الى خارج التاكسى .

قال كارل : « اذن فانت لا تحتاج الى بعد ذلك ، وداعا ! »
وهم بالسير ، نحو منحدر الشارع .

فصاح روبينسون ، وقد انزعج انزعاجا بالغا ، حتى لقد قام واقفا فى داخل التاكسى ، الا ان ركبتيه كانتا ترتجفان : « لكن يا كارل الى اين تذهب بحق الجحيم ؟ ! » .

قال كارل ، وهو يلاحظ تحسن روبينسون السريع : « على أن اذهب الآن ! » .

فتساءل روبينسون قائلا : « وليس عليك فقط سوى قميصك ! »
فاجابه كارل قائلا : « سأتمكن فى الحال من أن اشترى لنفسى جاكته ! » ، وأوما مؤكدا ذلك لروبينسون ، ورفع له يده مودعا ، وهم بالسير فى عزم ، الا ان السائق ناداه لحظتها قائلا : « دقيقة واحدة ياسيدى ! »

واتضح لسوء الحظ ان الرجل يطالبه ببقية الاجر ، فى مقابل الوقت الذى أنفقه فى الانتظار أمام الفندق .

وصاح روبينسون من داخل التاكسى ، مؤيدا حق السائق فى طلبه :

« بالطبع ، لقد ارغمتنى على انتظارك تلك الفترة الطويلة هناك ،
ولا بد لك ان تعطيه شيئا علاوة على ما تقاضاه ! »
وقال سائق التاكسى : « نعم ، ان الامر كذلك ! »

فقال كارل : « نعم ، فقط لو كان معى اى نقود لكى اعطيها
لك » وراح يبحث فى جيوب بنطلونه ، مع انه كان يعلم انه لن
يجد شيئا فيها .

فقال سائق التاكسى ، وهو يقف امام كارل : « ليس امامى
سواك لكى اطلبه ببقية اجرى ، ولا يمكننى ان اطلب شيئا من
رجل مريض ! »

وخرج صبى صغير ، له انف متاكل من باب احد المنازل ، واقترب
ووقف على بعد بضع خطوات قليلة وراح يستمع الى ما يقال ،
واحنى احد رجال الشرطة فى اثناء مروره بهما ، رأسه ، وتفحص
الشخص الذى يرتدى القميص ، ثم توقف بجواره .

واخطأ روبنسون الذى كان قد لاحظ الشرطى ، بالصياح نحوه ،
من نافذة التاكسى الاخرى ، قائلا : « لا شيء فى الامر ، لا شيء ! »
كما لو كان الشرطى شخصا يمكن التخلص منه كذبابة ، وتركز
انتباه الاطفال الذين كانوا يرقبون الشرطى فى البداية ، اخيرا على
كارل ، وعلى سائق التاكسى ، واندفعوا جريا نحوهما ، وعند
مدخل احد الابواب فى الجانب الاخر من الشارع توقفت امرأة عبوز
بيلادة ، وراحت تحملق فى الجميع .

وصاح صوت ما من أعلى قائلا : « روسمان ! » ، كان صوت
ديلامارش ، الذى كان يقف فى شرفة الطابق الاعلى ، وكان من
الصعب رؤيته بالتطلع الى أعلى نحو السماء الزرقاء الشاحبة ،
لكنه كان يرتدى روبا منزليا ، بدا واضحا ، وكان ينظر الى
الشارع من خلال نظارة من نظارات الاوبرا ، وبجانبه كانت توجد
شمسية حمراء كبيرة ، كانت ثمة سيدة تبدو جالسة تحتها .
وصاح ديلامارش بأعلى صوته ، لكى يسمعه كارل : « هالو ،
هل روبنسون هنالك ايضا ؟ »

فأجابه كارل قائلا : « نعم ، ها هو ! » كان كارل قد تشجع
للحظة . وصاح روبنسون من داخل التاكسى فى صوت اكثر ارتفاعا :
« نعم ، هاندا ! » ، فصاح ديلامارش قائلا : « هاللو ! » ،
سوف أهبط اليكما حالا !

ومال روبنسون خارج التاكسى ، قائلا : « ها هو ذا رجل ! » .

كان يوجه هذا المديح لديلامارش ، الى كارل ، والى سائق التاكسي ، والى الشرطى ، والى كل من يهيمه سماع ذلك ، ونهض كيان ضخيم ، فى الشرفة العليا ، حيث ظلوا يتطلعون جميعا ، مع ان ديلامارش كان قد غادرها لحفلتها ، واتضح انها كانت امرأة بالفعل ، وقفت تحت الشمسية ، كانت ترتدى رداء فضفاضا احمر اللون ، ورفعت منظار الاوبرا من على افريز الشرفة ، وراحت تتطلع من خلاله الى الناس الذين تجمعوا فى الشارع حول التاكسي ، وبدأ هؤلاء يحولون انظارهم عنها ، فى بطة ، وتطلع كارل الى باب المنزل حيث يتوقع ان يظهر منه ديلامارش ، ثم تطلع داخله الى الفناء الداخلى ، الذى كان يعبره طابور لا يكاد ينقطع من العمال ، كان كل منهم يحمل صندوقا صغيرا فوق كتفه ، لكنه كان ثقيلنا فيما يبدو . وكان سائق التاكسي قد تقدم نحو عربته ، واستغل الوقت فى تلميع مصابيحها بخزقة قديمة ، وأحس روبنسون بدهشة بالغة لتحسن أطرافه جميعا ، فعلى الرغم من فحصه الدقيق لها ، لم يستطع أن يحس الا ببعض الآلام الخفيفة ، ثم انحنى عندئذ ، وراح ينفك فى حذر أحد الأربطة الثقيلة التى كانت تلتف حول ساقه . ورفع الشرطى عصاه السوداء فى وضع مائل أمامه ، وانتظر فى هدوء ، بذلك الصبر العميق الذى يتصف به رجال انشرفة ، سواء كانوا فى واجبهى العادى ، أو فى نوبة حراستهم . وجلس الصبى ذو الانف المتآكل ، فوق عتبة أحد الابواب ، ومدد ساقه أمامه ، وزحف الاطفال الباقون نحو كارل ، مسافة أخرى قصيرة ، فقد بدا لهم لحظتها أكثر الموجودين جميعا فى الاهمية ، لقميصه الأزرق ، مع انه لم يلق بالا اليهم .

وكان فى استطاعة المرء ، فى الفترة التى انقضت قبل وصول ديلامارش أن يقدر ارتفاع المنزل ، ووصل ديلامارش فى مجلة شديدة ، وتوقف لحظة فقط لكى يحكم الرباط حول ربه . صاح قائلا : « هذا انت اذن ! » ، وكانت لهجته تجمع بين المرح والقسوة ، وفى كل خطوة كان يخطوها كانت تبدو من تحت الروب بيجامته ذات الالوان الفاقعة ، ولم يفهم كارل كيف كان ديلامارش يتجول فى هذا الزى المنزلى فى شوارع المدينة ، وفى هذا المسكن الضخم ، وفى الشارع العمومى ، كما لو كان يتجول فى فيلته الخاصة . وكان ثمة تغير كبير كان قد طرأ على ديلامارش ، كما طرأ تغير كبير كذلك على روبنسون . وكان وجه ديلامارش الاسمر

الحليق ، البالغ النظافة ، باستدارة عضلاته الخشنة ، يوحى بالاعتزاز ، وبالاحترام . وكان لمعان عينيه القاسيتين ، اللتين كان قد أغلقهما قليلا ، يشع بنظرة مفزعة ، وكان روبه المنزلى البنفسجى اللون يبدو قديما بلا شك ، وممتلئا بالبقع ، وكان يبدو واسعا عليه كذلك ، لكن كان يبرز ايضا من تحت هذا الروب القذر ، عند العنق ، طيات ربطة عنق هائلة من الحرير السميك ، الداكن اللون .

تساءل ، وهو يوجه حديثه الى الجميع : « حسنا ؟ » ، وتقدم الشرطى قليلا نحوه ، وانحنى على السيارة ، وتطوع كارل بتقديم تفسير متعقّب للموقف قائلا :

— ان روبنسون خائر القوى الى حد ما ، الا ان فى وسعه ان يصعد السلالم بسهولة لو حاول ذلك ، اما هذا السائق ، فانه يطلب شيئا علاوة على الاجر الذى نقدته اياه بالفعل ، اما انا فراحل الآن ، وداعا ! » .
قال ديلامارش : « انك لن ترحل ! » .

وأعلن روبنسون من داخل التاكسى ، قائلا : « هذا ما قلته له انا ايضا ! »

وقال كارل ، وهو يخطو بضع خطوات قليلة الى الامام : « الا اننى سأرحل رغم ذلك ! »
وكان ديلامارش قد اصبح عندئذ بجانبه ، فامسك به ، وجذبه الى الخلف بشدة ، وصاح فيه قائلا : « ولكننى اقول انك ستبقى هنا ! » .

فقال له كارل : « دعنى ! » ، وحاول ان يتخلص منه ، مستخدما قبضتيه ، عند اللزوم ، ولم يكن لديه سوى قليل من الامل فى التغلب على رجل مثل ديلامارش ، الا ان الشرطى ، كان يقف بجوارهما ، كما كان يقف سائق التاكسى ايضا ، ولم يكن الشارع خال كذلك من الناس ، فقد كانت تلك المجموعات من العمال تعبره ، فهل يتغاضى كل هؤلاء ، ويتجاهلونه ، لو حدث ان اساء اليه ديلامارش الآن ؟ انه لا يرغب فى ان يصبح وحيدا مع ديلامارش فى حجرة واحدة ، فلماذا يترك الآن هذه الفرصة تفلت منه ، لى يتخلص من ديلامارش ؟ كان ديلامارش يدفع الآن للسائق ما طلبه فى هدوء ، ووضع ذلك السائق تلك الزيادة التى لم يكن يستحقها ، فى جيبه ، بكثير من الانحناءات التى انحناها امام ديلامارش ، وزيادة فى الامتنان ، اتجه نحو روبنسون ، وراح ينصحه بأفضل الوسائل

للخروج من التاكسي ، واحس كارل بان احدا لا يلاحظه ، وان ديلامارش ربما لن يهتم لو انسل هاربا في تلك اللحظة ، وكان يريد ان يتجنب أية مشاجرة معه ، ان استطاع ان يتجنبها ، ولهذا انسل نحو الطريق محاولا ان يسرع بالهرب ، الا ان ديلامارش لم يكن في حاجة الى التدخل ، ذلك لان الشرطي كان قد رفع عصاه لحظتها ، ودفعها في الهواء الى الامام ، قائلا : « قف ! » .

وتساءل ، وهو يدفع عصاه تحت ابطه ، وشرع في انتزاع مفكرة من جيبه ببطء قائلا لكارل : « ما اسمك ؟ ! »

وتطلع كارل اليه الآن ، في امان للمرة الاولى ، كان رجلا متين البنيان ، الا ان شعره كان يغلب عليه البياض .

اجابه كارل قائلا : « كارل روسمان ! »

وردد رجل البوليس ما قاله كارل ، لاشك لانه كان رجلا هادئا ، ومدققا في تقصى الحقائق : « روسمان ! » ، الا ان كارل الذي كان يواجهه الآن البوليس الامريكى لأول مرة ، لاحظ في تكراره للكلمات التي كان يجيبه بها ، شيئا من الارتياب ، وربما كان وضعه في الحقيقة وضعاً مزمزعماً ، ذلك ان روبنسون ، على الرغم من انشغاله البالغ بمشكلة خروجه من التاكسي ، كان يتوسل من داخل السيارة الى ديلامارش في حركات خرساء ، يرجوه بها ان يهرع لمساعدة كارل ، الا ان ديلامارش ابى ان يستجيب اليه بهزة سريعة لا مبالية من راسه ، وتطلع امامه ، دون ان ياتى بأدنى حركة ، وقد وضع يده في داخل جيبى روبه الكبيرين .

وشرح الصبى الذي كان قد جلس على عتبة الباب ، لامرأة كانت قد خرجت لحظتها من ذلك المنزل ، تفاصيل الموقف كله منذ بدايته ، وتوقف الاطفال في نصف دائرة خلف كارل ، وراحوا يتطلعون في صمت الى الشرطي .

قال الشرطي لكارل : « ارنى الاوراق التي تثبت شخصيتك ؟ ! » قد يكون هذا مجرد سؤال رسمى ، ذلك ان المرء بلا جاكete ، لم يكن بالطبع ليحمل في جيوبه بنطلونه شيئا من الاوراق الرسمية التي تثبت شخصيته ، ولهذا ظل كارل صامتا ، وكان قد قرر بينه وبين نفسه ان يجيب على السؤال التالى اجابة وافية ، واذا أمكنه ، فسوف يفسر عندئذ ايضا عدم وجود تلك الاوراق الرسمية التي تثبت شخصيته ، معه الآن .

الا أن السؤال التالي كان : « اذن فانت لا تحمل ما يثبت شخصيتك ؟ ! » .
وكان على كارل أن يجيب بقوله : « ليست معى الآن ! » .
فقال الشرطى : « لكن هذا امر سيء ! » ، وراح يتطلع حوله ، وهو مستغرق فى التفكير ، بينما كان ينقر بأصبعه على غلاف مفكره ثم تساءل أخيرا :
- هل لك وظيفة ؟ !

قال كارل : « كنت أعمل صبي مصعد ! »
- كنت تعمل صبي مصعد ، وعلى هذا فلا عمل لك الآن ! وفى هذه الحالة فما الذى تعتمد عليه فى معيشتك ؟ !
- سأبحث عن عمل آخر ! !
- هكذا ، فهل فصلت اذن لتوك ؟ !
- نعم ، منذ ساعة فقط !
- فجأة ؟ !

قال كارل : « نعم ! » ، ورفع يده ، كما لو كان يعتذر عن ذلك . لم يكن يمكنه أن يسرد القصة كاملة هنا ، وحتى لو أمكنه ذلك ، فقد كان واضحا أنه لا جدوى من الاعتقاد بإمكان تجنب الالم الذى قد يعاوده ، لو تعرض ثانية لسرد الاساءات التى كان قد عانى مرارتها لتوه ، وإذا كان لم يتمكن من أن يحصل على رد اعتباره عندما أعلنت المديرة عطفها نحوه ، وواجهها رئيس السفرجية برايه فى الموقف ، فليس له بلا شك أن يأمل فى أن يحصل على ما فاته هنا ، فى هذا الشارع ، ومن هذا الحشد الذى تجمع حوله الآن ! ..

وتساءل الشرطى قائلا : « وهل فصلت دون أن تتمكن من الحصول على جاكنتك ؟ ! » .

فقال كارل : « نعم ! » ، وهكذا ففى امريكا أيضا ، من طبع السلطات أن تتساءل عما يترأى لها ، وأن توجه ما يحلو لها من الاسئلة ! « كم كان سخط والده ، على تلك الاسئلة العقيمة التى راح الموظفون يوجهونها اليه عندما كان يستخرج جواز سفر كارل ! » وأحس كارل بالرغبة فى أن يجرى ، ويختبئ فى مكان ما ، لكى يتحاشى فقط الاجابة على المزيد من تلك الاسئلة ، لكن الشرطى وجه اليه لحظتها ، نفس السؤال الذى كان كارل يخشى أن يوجهه

اليه أكثر مما كان يخشى أن يسأله عن أى شيء آخر ، ذلك السؤال الذى كان كارل يتوقع سماعه فى قلق من ذلك الشرطى ، حتى انه ربما يكون قد سلك سلوكا أقل حذرا بسبب قلقه ذاك ، وما كان ينبغى له أن يسلكه ، وربما يكون سلوكه المضطرب ذاك الذى لا يدري كنهه على التحديد ، هو الذى عجل بتوجيه هذا السؤال اليه .

اطرق كارل براسه الى اسفل ، ولم يجب ، كان هذا هو آخر سؤال يمكنه الاجابة عليه ، ولم يكن يرغب أن يصحبه الشرطى ثانية الى الفندق الغربى ، ليبدأ هناك فى الاستفسار عن الحكاية بأكملها ، ذلك الاستفسار الذى سيشارك فى الاجابة عليه كل أصدقائه واعدائه ، وتنهار كذلك بقية ثقة المديرية فيه ، انهيارا تاما ، بعد ان يتضح لها ان الصبى الذى كانت تظنه الآن فى بنسبون برينر ، قد جاءها فى حراسة الشرطة ، فى قميصه فقط ، وبدون البطاقة الخاصة التى كانت قد أعطتها له ، ولعل رئيس السفرجية ان يطرق عندئذ اطراقة تشير الى ادراكه لهذا كله ، وقدصرح رئيس البوابين بأن يد الله لم تغفل ذلك الشرير فى النهاية .

قال ديلامارش ، وهو يخطو نحو الشرطى : « لقد كان يعمل فى الفندق الغربى ! » وصاح كارل قائلا : « لا ! » وراح يديق الأرض بقدمه قائلا : « ليس هذا صحيحا ! » ونظر اليه ديلامارش ، وهو يطم شفتيه فى سخرية ، كما لو كانت لديه أسرار عديدة يمكنه أن يفشيها ، وأثار اضطراب كارل الذى لم يكن متوقعا ، الأطفال الذين تجمعوا خلفه اثاره بالغة ، فاصطفوا جميعا بجوار ديلامارش لكي يتمكنوا من رؤية كارل جيدا ، وأخرج روبنسون رأسه تماما ، خارج التاكسي ، وظل ساكنا تماما ، حتى انه لم يات بأدنى حركة فيما عدا حركة جفنيه التلقائية ، وصفق الصبى الذى كان يجلس على عتبة باب المنزل المواجه فى اغتباط ، ولكزته المرأة التى كانت قد توقفت الى جواره بكوعها ، لكي يصمت ، وكان الحمالون الذين كانوا يلدعون فناء المنزل الذى يسكنه ديلامارش ، قد توقفوا لحظتها عن العمل ، لكي يتناولوا افطارهم ، فتجمعوا وهم يحملون فى ايديهم صفائح عديدة صغيرة ممتلئة بالقهوة السوداء ، ظلوا يقلبونها بقطع مستديرة من الخبز ، وجلس بعضهم على حافة الرصيف ، وراحوا يتجرعون جميعا قهوتهم فى صوت مسموع .

سال الشرطى ديلامارش قائلا : « هل تعرف هذا الصبى ؟ ! »

وقال ديلامارش : « اننى اعرفه معرفة تامة ، ولقد اسديت اليه من قبل ايدى لا حصر لها ، قابله هو بقليل من العرفان ، ولعلك ان تلاحظ ذلك الطبع فيه ، خلال لقائك القصير به الآن ! »

قال الشرطى : « نعم ، انه يبدو وغدا صغيرا عنيدا ! » فقال ديلامارش : « انه هكذا بالفعل ، الا ان ذلك ليس هو اسوا ما فيه مع ذلك ! »

فقال الشرطى : « الى هذا الحد ؟ ! » فاجابه ديلامارش الذى كان قد تحمس الآن لرأيه فى كارل ، وهو يطوح بطرف روبه هنا وهناك ، بيديه اللتين كان قد دسهما فى جيبه : « اوه .. انه صبي رائع هذا الذى امامك ، ولقد كنا ، انا وصديقى الذى هناك فى داخل التاكسى قد التقطناه من الطريق ذات مرة ، وكان ضائعا شريدا ، ولم تكن لديه فى ذلك الحين ، أدنى فكرة من الحياة والاحوال فى أمريكا ، فقد كان قادما لتوه من أوروبا ، حيث لم يكن يحتاج اليه أحد كذلك ، حسنا ! لقد اصطحبناه معنا ، واتحنا له فرصة العيش بيننا ، وفسرنا له كل شئ ، وحاولنا ان نجد له عملا ، وكنا نظن على الرغم من كل شئ ، ان فى مقدورنا ان نخلق منه كائنا انسانيا رقيقا ، الا انه فاجانا فى النهاية بخدعته التى خيبت املنا فيه ذات ليلة ، واختفى ببساطة ، وفى ظروف لن اذكرها الآن ، هل هذا صحيح ام لا ؟ ! » . تساءل ديلامارش فى النهاية ، وهو يجذب كم قميص كارل .

وصاح الشرطى قائلا : « عودوا الى اماكنكم ايها الاطفال ! » . فقد كان الاطفال قد زحفوا الى الامام ، حتى لقد تعثر ديلامارش فى أحدهم . واكتشف الحمالون فى ذلك الوقت ، ان هذا الاستجواب كان اكثر اثارا للاهتمام ، مما ظنوه فى بداية الامر ، فشرعوا فى الانتباه الى تفاصيله ، وتجمعوا فى حلقة خلف كارل مباشرة ، ولهذا لم يكن يمكنه ان يتراجع خطوة واحدة الى الخلف ، وكان عليه ان يعاني كذلك من الاستماع الى ثرثرة هؤلاء الحمالين ، التى لم تتوقف ، فقد كانوا يهلدون فى رطانة غير مفهومة لعلها كانت انجليزية ركيكة تتخللها بضع كلمات من اللغة السلافية .

قال الشرطى : « شكرا لهذه المعلومات ! » ، وحيا ديلامارش ، « وعلى كل حال ، فسوف اصحبه معى ، واسلمه الى ادارة الفندق الغربى ! »

فقال له ديلا مارش : « هل لى ان اسالك معروفا ، بان تترك
الصبي معى الآن ، لان لدى بعض الامور على ان اسويها معه ،
واعدك باننى سوف اصحبه بنفسى الى الفندق فيما بعد ! »

وقال الشرطى : « لايمكننى ان افعل ذلك ! »

فقال له ديلا مارش ، وهو يناوله بطاقته : « هذه هى بطاقتى ! »
وتفحصها الشرطى فى عناية ، لكنه قال فى ابتسامة مؤدبة :
« لا ، لايمكننى ذلك ! » وبقدر ما كان كارل حذرا من ديلا مارش
حتى الآن ، فقد وجد لحظتها رغم ذلك فيه خلاصه الوحيد الممكن
وقد كانت الطريقة التى كان يتفاهم بها مع الشرطى طريقة مريبة
بلا شك ، الا أن ديلا مارش على كل حال ، من الممكن ان يقتنع
بعدم تسليمه الى الفندق ، وهو ما لايمكن ان ينشئ عنه الشرطى ،
وحتى لو عاد كارل الى الفندق فى صحبة ديلا مارش ، فلن يكون
الامر سيئا ، الى الحد الذى سيكون عليه من السوء ، لو أنه عاد
اليه فى صحبة الشرطى ، ولا يجب على كارل فى تلك اللحظة بالطبع
ان يوضح رغبته فى عدم البقاء مع ديلا مارش بالفعل ، والا ضاع كل شيء .
وراقب كارل يد الشرطى فى شيء من القلق ، تلك اليد التى قد
ترفع فى اية لحظة لتقبض عليه .

وقال الشرطى أخيرا : « لا بد لى على الاقل من ان ابحث هناك
من السبب الذى فصل بسببه ! » ، بينما راح ديلا مارش يتطلع
بعيدا ، وعلى وجهه شعور بالاستياء ، وهو يطوى البطاقة بين
أطراف أصابعه .

وصاح روبنسون لدهشة الجميع قائلا : « لكنه لم يفصل
مطلقا » ، وكان قد انحنى الى خارج التاكسى ، بقدر ما أستطاع
ان يظهر خارجه ، وقد استند باحدى يديه على كتف السائق :
« ان هذا لم يحدث مطلقا ، انه له وظيفة محترمة للغاية هناك ،
كما انه ابرز الصبية جميعا فى عنبر النوم بالفندق ، ويمكنه ان
يستضيف من يشاء هناك فى ذلك العنبر ، الا انه فقط مرهق
بالعمل ، فلو اردت ان تساله شيئا ، فان عليك ان تنتظر عودته
وقتا طويلا ، فهو دائما فى اجتماعات مع رئيس السفارة ، ومع
المديرة ، ان له وضعاً استثنائيا هناك ! انه لم يفصل مطلقا ، بلا
شك ، وليست ادرى لماذا قال انه قد فصل ، فكيف يمكن ان
يفصل ؟ ولقد تعرضت لاشد الاذى فى الفندق ، ووجهت اليه
التعليمات بأن يصحبنى الى منزلى ، ولانه لم يكن يرتدى جاكته

لحظتها ، فقد صحتني الى هنا بدونها ، فلم يكن في استطاعتي ان انتظره حتى يبحث عنها ! » .

قال ديلامارش : « حسنا ، الآن ! » ، وهو يفرد ذراعيه على امتدادهما في لهجة بدت كأنها لهجة لوم موجهة الى الشرطى ، لعدم فطنته ، وبدا وكأن هاتين الكلمتين اللتين نطق بهما ، قد أسهمتا في توضيح الامر وضوحا لا يقبل الجدل ، وكشفنا ما غمض من تقرير روبنسون عن الموقف .

فتساءل الشرطى ، وهو يوشك ان يضعف بالفعل : « لكن هل هذا صحيح ؟ ! ولو كان هذا صحيحا ، فلماذا صرح !لصبي نفسه بأنه قد فصل ؟ ! »

قال ديلامارش : « من الافضل ان توجه اليه هو هذا السؤال ! »

وتطلع كارل الى الشرطى الذى كان واجبه هو حفظ النظام هنا بين الاجانب ، وأن يرمى ما يراه فى صالحيهم ، وادرك على نحو ما بعض الصعوبات التى كانت تواجه الرجل . وقد جعله هذا راغبا عن الكذب ، ولهذا فقد وقف عاقدا يديه خلف ظهره بشدة ، وظهر فى مدخل باب المنزل الذى يسكنه ديلامارش ملاحظ عمال ، صفق بيديه اشارة الى ان على العمال ان يعودوا ثانية الى العمل ، فاحتسى هؤلاء ثمالة قهوتهم من العلب الصفيحية التى كانوا يسكنونها ، وخيم عليهم الصمت ، وهم يجرجرون اقدامهم على مضض نحو ردهة المنزل .

وقال الشرطى : « لن نصل الى اية نتيجة ، على هذا النحو . » وتأهب للقبض على ذراع كارل ، فتراجع كارل قليلا الى الخلف دون أن يدرى ، ولاحظ المسافة الحالية ، التى تركها رحيل العمال خلفه ، واستدار ، وبقفزات قليلة هائلة فى البداية ، انطلق باقصى سرعته ، واطلق الاطفال صيحة واحدة ، وانطلقوا يجرون بمحاذاة ، وقد فردوا أذرعهم ، لمسافة قصيرة لا تزيد عن بضع خطوات .

وصاح الشرطى فى الشارع الطويل الخالى : « امسكوه ! » ، وانطلق فى ترداد هذه الصيحة بانتظام بين الحين والآخر ، وهو يجرى خلف كارل ، فى سرعة أظهرت قوته ومرانه ، وكان من حسن حظ كارل أن المطاردة كانت تجرى فى حي عمالى ، فلم يكن لدى هؤلاء العمال شيء من التعاطف مع الشرطة ، وظل كارل يجرى فى وسط الطريق ، فلم تكن تصادفه كثير من العقبات فى وسط الطريق ، وكان يرى بين الحين والآخر بعض العمال يقفون فى هدوء على

الرصيف ، ويرقبونه ، بينما استمر الشرطى فى ترديد صيحته : « امسكوه ! » ، وهو يسدد عصاه نحو كارل ويجرى بمحاذاة ، ملتزما فى خبث ، جانب الطريق الممهّد ، وكان لدى كارل أمل واه ، وان كان فى بعض الاحيان ، قد فقد غالبا ذلك الامل عندما شرع الشرطى ، وكانا قد بلغا احد مفارق الطرق ، حيث من الممكن ان توجد بعض دوريات الشرطة ، فى اطلاق الصفارات التى كانت تصم الأذان ، وكانت ميزة كارل الوحيدة التى كان يتفوق بها على الشرطى هى خفة ملابسه ، فكان يطير ، او بالاحرى ، يختفى فى منحدر الشارع الذى كان يهبط أكثر فأكثر ، لكنه فى اضطرابه لقلّة نومه فى الليلة الماضية ، كان يقفز أحيانا قفزات متعثرة ، عالية جدا فى الهواء ، وكان وقته يضع عند عبا ، وكان الشرطى بالإضافة الى ذلك يرى هدفه ماثلا أمام عينيه ، فلم يكن عليه أن يفكر فى شىء ، بينما كان على كارل أن يفكر أولا ، وأن يواصل جريه فقط فى الفترات التى تتصل بين تقديره لاحتمالات الموقف ، واتخاذ القرارات التى كان يراها ، وكانت خطته ، وهى خطة يائسة الى حد ما ، هى ان يتجنب مفترق الطرق الآن على الأقل ، لانه لم يكن يدري ماذا كانت تخبئه له ، فقد ينطلق مثلا ، فى جريه عندها ، مباشرة نحو مركز من مراكز البوليس ، وكان يريد بقدر الامكان أن يواصل جريه فى هذا الشارع العمومى الذى يمكنه أن يشملته بنظرته من أوله الى آخره ، طالما انه لم يكن ينتهى الا فى نهاية منحدره ، الى كوبرى ، كان يختفى فجأة فى غلالة من الضباب ، بينما تسطع الشمس اعلاه ، وعندما قرر ان يلتزم بتنفيذ تلك الخطة ، اندفع فى جريه ، دفعة اشد سرعة حتى يتمكن من ان يعبر مفترق الطرق الاول الذى صادفه فى سرعة خاطفة ، عندما لمح أمامه على مسافة قريبة شرطيا آخر كان قد توارى فى حذر الى جوار حائط غارقا فى الظلال ، وتاهب للانتفاض عليه فى اللحظة المناسبة ، فلم يكن أمامه لحظتها بدا من ان يستدير نحو الشارع المتقاطع ، وعندها ناداه شخص ما باسمه فى صوت خافت - ظن كارل ذلك وهما فى بداية الامر ، ذلك ان الزنين كان يطن فى أذنيه طوال الوقت - فلم يتردد طويلا واستدار دورة مفاجئة ، لكى يباغت الشرطى ، أقصى مباغتة يمكنه ان يصيبه بها ، واستدار الى اليمين بزاوية حادة على احدى قدميه متجها نحو الشارع المتقاطع . وما كاد يخطو فى ذلك الشارع خطوتين -

وكان قد نسي بالفعل أن أحدا كان قد ناداه باسمه ، ذلك أن الشرطى الآخر ، كان ينفخ في صفارته هو أيضا ، وبدا له في وضوح أن بعض المارة النشطين المتباعدين أمامه ، كانوا قد أسرعوا في خطواتهم - عندما اندفع ذراع شخص ما من أحد الابواب الصغيرة ، وامسك به ، وانسحب كارل الى مدخل مظلم ، بينما جاءه صوت ما يقول له : « لا تتحرك ! » ، كان صوت ديلامارش ، وكان متقطع الانفاس هو أيضا ، ووجهه محمر ، وشعره متلبد فوق رأسه ، ولم يكن يرتدى سوى قميصه وسرواله الداخلى ، وكان روبه المنزلى ممدوسا تحت ذراعه . ولم يكن الباب سوى بابا جانيبا غامضا ، لم يكن من السهل تمييزه ، وقد أغلقه ديلامارش وأحكم رتاجه في الحال .

قال : « انتظر لحظة ! » ، واستند الى الحائط ، وهو يلتقط أنفاسه بصعوبة ، ورأسه ملقاة الى الخلف ، وكان كارل يكاد يكون مستلقيا بين ذراعيه ، وضغط وجهه في صدر ديلامارش ، دون أن يدري ما يفعل .

قال ديلامارش ، وهو يتسمع بانتباه ، ويشير بأصبعه الى الباب ، كان الشرطيان يبتعدان بالفعل ، وكانت أقدامهما تدق الشارع الخالى ، كوقع دقات الصلب على الحجر : « لقد ابتعدا ! » وقال موجها حديثه الى كارل الذى كان يجاهد لالتقاط أنفاسه . ولا يستطيع النطق بكلمة : « لقد تورطت في تلك المطاردة » ، وأرقده ديلامارش في عناية على الارض ، وركع بجانبه ، ومر بيده عدة مرات فوق رموشه ، وراح يتطلع اليه .

وقال كارل وهو ينهض متألما : « اننى على ما يرام الآن ! »

فأجابه ديلامارش الذى كان قد ارتدى الآن روبه ثانية : « اذن فهيا بنا ! » ، ودفع كارل ، الذى كان مطرقا برأسه الى اسفل من شدة الارهاق ، أمامه ، وهو يهزه بين الحين والآخر لكى ينشطه ، قائلا : « انك تقول انك مرهق ؟ ! ولقد انطلقت تعدو بطول الشارع كله كالحصان ، لكن كان على انا أن اجتاز هذه الممرات اللعينة ، والافنية ، ومن حسن الحظ اننى عداء ممتاز الى حد ما انا أيضا ! » ، وفي غمرة فخره بنفسه ، دفع كارل دفعة شديدة على ظهره : « ان سباقا كهذا مع رجال الشرطة ، يعد مرانا طيبا بين الحين والآخر ! » .

قال كارل : « لقد كنت في غاية الارهاق قبل أن ابدا الجرى ! »

فقال ديلا مارش : « لا يوجد ادنى عذر للجري السيء ، فلو لم اكن قد اسرعت لنجدتك لكانا قد لحقا بك في الحال ! »

فقال كارل : « اننى اعتقد هذا انا ايضا ، وانا مقدر جدا صنيعك ! »

واجابه ديلا مارش قائلا : « لاشك في هذا ! »
واجتازا ممرا طويلا ، ضيقا ، بالطابق الارضى ، كان مبطلا ، ببلاطات حجرية ملساء ، وكان ثمة سلم يبدأ هنا ، وسلم هناك على كلا الجانبين ، او ممر يؤدي الى ردهة فسيحة ، وكان من النادر رؤية أشخاص كبار ، وكان الاطفال يلعبون فوق درجات تلك السلالم الخالية ، وبجانب درابزين احد السلالم ، كانت تقف طفلة صغيرة ، تبكى في حرقة ، حتى ان وجهها كانت تغطيه الدموع تماما ، وعندما لمحت ديلا مارش ، اندفعت صاعدة درجات السلم ، وهى تجاهد لالتقاط انفاسها ، وفمها مفتوح على اتساعه ، ولم تهدأ الا عندما بلغت قمة الدرج ، بعد ان نظرت من فوق كتفها المرة بعد المرة ، لى تتأكد من ان احدا لا يطاردها ، او يهجم بمطاردها .

قال ديلا مارش ضاحكا : « لقد اندفعت تهبط السلم امامى منذ دقيقة واحدة فقط ! » ، ورفع قبضته نحوها ، فاندفعت ثانية الى اعلى ، وراحت تصرخ . وكانت الافنية التى مرا بها مهجورة تماما ، هى ايضا ، وكان ثمة حمال يدفع امامه عربة يد ذات عجلتين ، كان يلتقى بهما من حين لآخر ، وامرأة تملأ جردلا بالماء من طلمبة ، وساعى يريد يدور دورته ، ورجل عجوز ذو شارب ابيض قد جلس امام باب زجاجى ، وراح يدخن غليوناً ، وساقاه متعانتان ، وكانت السلالم يفرغها الحمالون امام احدى الوكالات التجارية ، بينما كانت الخيل المتكاسلة تهز رءوسها فى رتابة من جانب الى آخر ، ورجل يرتدى « افرول » كان يشرف على سير العمل ، وهو يحمل ورقة فى يده ، وخلف النافذة المفتوحة فى حجرة مكتب ، كان يجلس احد الكتبة الى مكتبه ، وقد رفع راسه ، وتطلع امامه خارج النافذة مستغرقا فى التفكير ، عندما مر به لحظتها كارل وديلا مارش .

قال ديلا مارش : « ان هذا المكان مكان هادىء ، كما يجب ان يكون المكان الهادىء ، وقد تطفى عليه الضوضاء فى المساء لمدة ساعة او ساعتين ، الا انه مثال للهدوء طوال اليوم ! » ، واطرق كارل فقد كان المكان يبدو له هادئاً بالفعل غاية الهدوء ، وقال

ديلامارش : « اننى لايمكننى ان اعيش الا فى هذا المكان ، ذلك ان برونيلدا لا تحتمل ببساطة أية ضوضاء ، هل تعرف برونيلدا ؟ » حسنا ، سوف تراها الآن ، وعلى كل حال ، فاننى انصحك بأن تلزم الهدوء ما استطعت ! » .

وعندما بلغا بداية السلم الذى يودى الى شقة ديلامارش ، كان التاكسى قد ذهب لحظتها ، واعلن الصبى ذو الانف المتآكل ، دون أن تبدو عليه أقل دهشة لعودة كارل ، انه قد ساعد روبنسون فى صعود السلم ، واوما له ديلامارش فحسب ، كما لو كان خادما قد قام فقط بأداء واجبه ، ثم سحب كارل لىكى يصعد السلم معه ، وكان كارل قد تردد لحظتها وتطلع الى الخارج نحو الشارع المشمس ، وقال ديلامارش مرددا اكثر من مرة : « سوف نصبح الآن هناك فى الحال ! » ، الا أن نبوءته كانت بطيئة التحقيق ، فقد كان يوجد أمامهما دائما سلم آخر جديد يعلوهما ، يتجه اتجاهها آخر ، يمكن أدراكه فى وضوح قبل بلوغه ، وقد توقف كارل بالفعل مرة ، لا من التعب ، بل من اليأس ، أمام تلك السلالم التى لا نهاية لها .

قال له ديلامارش ، وهما يواصلان صعودهما : « ان الشقة مرتفعة ارتفاعا بالغا ، الا ان لهذا الارتفاع ميزته أيضا ، فهذا الارتفاع ، لايشجعنا على الخروج كثيرا ، ولهذا نظل نتسكع طوال النهار بملابسنا المنزلية فى أنحاء الشقة ، انها شقة مريحة جدا ، وبالطبع ، فلا أحد يزورنا قط فى تلك الشقة ، فليس من السهل ان يصعد الزوار الى شقة على هذا الارتفاع ! » وفكر كارل فى نفسه قائلا : « ومن هم الزوار الذين يمكن ان يكونوا قد تعرفوا بهما ، حتى يقوموا بزيارتهم ؟ ! » .

وفى النهاية لمحا روبنسون على بسطة السلم فى احد الطوابق ، وهو يقف أمام باب مغلق ، وكانا قد بلغا الآن مكانه ، ولم تكن السلالم قد انتهت بعد ، رغم ذلك ، بل كانت تمتد الى أعلى فى الظلام ، دون أدنى دلالة تدل على أن نهايتها كانت فى مجال الرؤية .

قال روبنسون فى صوت لايكاد يبين ، وكأنه لايزال يعانى من آلامه : « لقد ظننت هذا ، ان ديلامارش قد أحضره ! ، روسمان ، الى أين ستذهب بعيدا عن ديلامارش ؟ » كان روبنسون يقف فى ملابسه الداخلية ، وقد لف حول جسده البطانية الصغيرة التى كان قد حصل عليها من الفندق الغربى ، ولم يكن هناك سبب

واضح ، يبرر وقوفه في الخارج امام باب الشقة ، ولا يدخلها ، بدلا من أن يقف في مكانه هكذا كأضحوكة لمن يتصادف أن يمر به .

تساءل ديلامارش قائلا : « هل هي نائمة ؟ ! »
فقال روبنسون : « لا اظن ذلك ، الا اننى رايت ان من الافضل ان انتظر عودتك ! »

فقال ديلامارش : « يجب أولا ان نرى ان كانت نائمة ! » ،
وانحنى لى ينظر من ثقب المفتاح ، وبعد أن حدق خلاله طويلا ،
وهو يدبر رأسه في هذا الاتجاه ، وفي ذلك ، نهض واقفا ، وقال :
« لايمكننى في الحقيقة ان أراها بوضوح ، لان الستائر مسدلة ! »
انها جالسة على الأريكة ، وربما كانت نائمة !

فتساءل كارل قائلا : « لماذا ، هل هي مريضة ؟ ! » ، فقد
كان ديلامارش يقف في مكانه ، كما لو كان في حاجة الى النصيحة .
الا انه زام في صوت حاد جدا : « مريضة ؟ ! »

وقال روبنسون ، محاولا تهدئة ديلامارش : « انه لايعرفها ! »
وخرجت امرأتان من أحد الابواب التى تعلوهما ببضع درجات ،
ومسحتا أيديهما في مريلتيهما ، ونظرتا نحو ديلامارش وروبينسون ،
وبدا عليهما وكأنهما كانتا يتحدثان عنهما ، ثم خرجت فتاة صغيرة
من أحد الابواب ، واندست بين المرأتين ، وتعلقت بذراعيهما .

قال ديلامارش : « هاتان امرأتان قذرتان ! » ، وكان صوته
خفيسا ، وبدا انه راعى ذلك حتى لا يتسبب في ازعاج برونييلدا
النائمة ، و . . سوف ابلغ عنهما البوليس ان عاجلا أو آجلا ، وعندئذ
سأتخلص منهما بضع سنوات ، لا تتطلع نحوهما ! » ، وجذب
كارل وهو يقول له ذلك ، الا ان كارل لم يجد بأسا في ان يتطلع
نحو المرأتين ، طالما كان عليه على أية حال ان ينتظر واقفا في الممر
حتى تستيقظ برونييلدا ، وهز رأسه في غضب ، وكأنه يرفض ان
يستمع الى تحذيرات ديلامارش ، بل لقد خطا بضع خطوات في
اتجاه المرأتين ، لى يوضح رأيه ، عندما أمسك به روبنسون من
كم قميصه ، قائلا : « انتبه ياروسمان ! » ، بينما كان ديلامارش
قد عصف به الغضب ، بسبب الضحكة التى اطلقتها الفتاة الصغيرة ،
حتى لقد قفز ، وهو يحرك ساقيه وذراعيه نحو المرأتين ، اللتين
دخلتا بابهما ثانية كما لو كانتا قد انجرفتا خلاله في التو واللحظة ،
وقال ديلامارش عند عودته : « هذه هى الطريقة التى اخلى بها
هذا الممر عادة ! » ثم تذكر ان كارل كان قد تمرد عليه ، فقال :

« الا اننى كنت اتوقع منك سلوكا مختلفا تماما ، والا كان عليك ان تظهر لى عداءك صراحة ! »

ثم جاء صوت رقيق من داخل الشقة ، متسائلا فى ارهاق : « هل هذا انت يا ديلامارش ؟ ! »

فاجاب ديلامارش قائلا : « نعم ! » ، وتطلع فى رقة الى الباب : « هل يمكننا ان ندخل ؟ ! »

وجاءه الجواب : « اوه .. نعم ! » ، وبعد ان القى نظرة على الآخرين اللذين كانا يقفان الى جانبيه ، فتح ديلامارش الباب فى بطء .

وتقدم ثلاثتهم فى الظلام الحالك ، كانت الستارة التى تغطى باب الشرفة - لم تكن هناك أية نوافذ - مسدلة تماما ، ولم تكن تسمح بدخول سوى القليل من الضوء ، الا ان حقيقة امتلاء الحجرة بالاثاث المتراكم ، والملابس المعلقة فى كل مكان ، كانت قد أسهمت الى حد كبير فى اظلام الحجرة ، فوق ظلامها ، وكان الهواء فاسدا ، وكان فى وسع المرء أن يتنفس التراب بالفعل ، ذلك التراب الذى كان قد تجمع فى الاركان ، التى كانت تبعد فيما يبدو عن متناول اليد ، وكان أول ما لاحظته كارل عند دخوله ، هو ثلاثة من صناديق الملابس ، كانت تستقر بجوار بعضها البعض .

وفوق الاريكة كانت تستلقى المرأة التى كانت تنظر من الشرفة ، من قبل . و كان رداؤها الاحمر ، قد تشنى تحتها على نحو ما ، وانحدر حتى بلغ الارض ، وكان من الممكن رؤية ساقها حتى الركبتين ، كما كانت ترتدى جوارب صوفية بيضاء سميقة ، ولم تكن تنتعل حذاء .

قالت : « ما أشد حرارة الجو يا ديلامارش ! » ، ومدت ذراعها نحو ديلامارش فى وهن ، وهى تدير وجهها نحوه ، وتناول ديلامارش يدها ، وقبلها ، واستطاع كارل أن يرى ذقنها ، التى كانت تتكون من ذقنين ، والتى كانت تلتف فى انسجام مع دوران رأسها .

تساءل ديلامارش : « هل ترغبين فى أن أرفع الستارة ؟ ! »

قالت فى نبرة تبدو يائسة ، وهى تغلق عينيها : « اوه .. لا تفعل هذا ، فسوف يزيد الجو سوءا ! »

وكان كارل قد تقدم مباشرة نحو الاريكة لى يرى المرأة جيدا ، كان مندهشا لنواحيها ، لأن الحرارة لم تكن زائدة عن المألوف .

وقال ديلامارش فى قلق : « انتظرى فسوف اريحك اكثر ! » ،

وفك بضعة أزرار حول رقبتها ، وفتح الثوب حول عنقها ، حتى
تعرى جزء من صدرها ، وكانت حروف الدانتلة الناعمة الصفراء
التي تزين قميصها الداخلى قد بدت كذلك .
قالت المرأة فجأة ، وهى تشير بأصبعها الى كارل : « من هذا ،
ولماذا يحدق نحوى بهذه القسوة ؟ ! »
فقال ديلامارش ، وهو يدفع كارل جانبا : « انك محسنة
كبيرة ، الست كذلك ؟ ! » ، وراح يؤكد للمرأة قائلا : « انه ليس
سوى الصبى الذى احضرته معى لكى يقوم على خدمتك ! »
فصاحت المرأة قائلة : « ولكننى لا اريد احدا ، فلماذا تحضر
الغريب الى داخل المنزل ؟ ! » .
فقال ديلامارش ، وهو يركع على الارض ، فلم يكن ثمة مكان له
على الارىكة بجوار برونيلا ، بالرغم من اتساعها : « لكنك ظلت
تطلبين منى دائما شخصا يتولى خدمتك ! » .
قالت : « اوه ، يا ديلامارش ، انك لا تفهمنى ، انك لا تفهمنى
مطلقا ! » .
فقال ديلامارش : « اذن ، فليكن الامر كذلك ، فانا لا افهمك ! »
وتناول وجهها بين راحتيه : « الا ان ذلك لا يهم فى الحقيقة ،
فيمكنه ان يرحل فى الحال ، لو شئت ! » .
قالت اخيرا : « بما انه قد جاء ، فيمكنه ان يبقى ... ! » واحس
كارل بالامتنان لها ، عند سماعه هذه الكلمات ، لشدة التعب
الذى كان يشعر به ، مع ان تلك الكلمات لم تكن فيما يبدو تحمل
شيئا من الكرم ، ذلك ان التفكير فى تلك الدرجات التى لا نهاية
لها ، والتى قد يتعين عليه ان يهبطها ثانية ، كان اشد ما كان
يخشاه ، لهذا تخطى روبنسون الذى استغرق فى النوم الان فوق
بطانيته ، وقال لها ، على الرغم من ايماءات ديلامارش الغاضبة :
« اننى اشكرك على اية حال ، لسماحك لى بالبقاء هنا لفترة قصيرة
فقط ، لاننى لم اذق طعم النوم طوال الاربع والعشرين ساعة
الماضية ، ولقد قمت بأشياء كثيرة جدا ، وقد ازعجتنى كذلك بعض
الامور ، وكدرتنى ، اننى مرهق غاية الارهاق ، ولا اكاد ادرى اين
انا ، لكننى بعد ان اغفو ساعة أو ساعتين يمكنك ان تلقى بى
خارجا ، وسوف أرحل فى الحال مسرورا ! »
قالت المرأة : « يمكنك ان تبقى ما شاء لك البقاء » ، ثم اضافت
قائلة فى سخرية : « ان لدينا أكثر من متسع لك هنا ، كما ترى »

فقال ديلا مارش : « اذن من الافضل أن ترحل الآن ، فليست لنا اية حاجة اليك ! »

فقالت المرأة جادة هذه المرة : « لا ، دعه يبق ! »
وقال ديلا مارش ، وكأنه يلبي أمر المرأة : « حسنا اذن ، فاذهب واستلق في مكان ما » .

— يمكنه أن يستلقى فوق الستائر ، لكن عليه أن يخلع حذاءه حتى لا يتسبب في تمزيقها !

وأشار ديلا مارش لكارل الى المكان الذي كانت تقصده المرأة ، فبين الباب ، والصناديق الثلاثة ، كانت توجد كومة هائلة من مختلف أنواع الستائر ، ملقاة ، وكانت مطوية جميعا بغاية العناية ، الستائر الثقيلة في أسفل ، والخفيفة فوقها ، وكانت كل القضبان التي تتحرك فوقها الستائر ، وكل الحلقات الخشبية المتناثرة خلال الكومة قد أخرجت منها ، وربما كانت هذه الستائر تكون في النهاية أريكة لابس بها ، لكنها كانت في الحقيقة عبارة عن كومة مهترجة غير صالحة للنوم ، وقد استلقى كارل فوقها مع ذلك ، في الحال ، لانه كان متعبا غاية التعب ولايقدر أن ينتظر لكي يعيد ترتيب هذه الكومة من الستائر ، وكان عليه ، كذلك ، أن يحذر المزيد من الاحاديث مع مضيفه ، ومضيفته .

ولقد استغرق في النوم العميق ، حتى سمع صيحة مرتفعة ، وفزع من نومه ليجد برونييلدا تجلس فوق الأريكة ، وهي تفرد ذراعيها على آخرهما ، وتلقيهما فوق كتفي ديلا مارش ، الذي كان راكعا أمامها ، وصدم كارل لهذا المشهد ، واستلقى ثانية على ظهره ، وتكوم على نفسه فوق الستائر لكي يواصل نومه ، وقد اوضح له أنه لن يحتمل هذا المكان لمدة يومين ، لكن كان من الضروري له أن ينام نوما كافيا الآن ، حتى يمكنه أن يستعيد نشاطه ، ومن ثم يقرر بعد ذلك ما ينبغي عليه أن يفعله .

الا ان برونييلدا كانت قد لمحت عيني كارل ، اللتين كان الارهاق قد زاد من اتساعهما ، وكانتا قد أفزعتهما بالفعل ، فصاحت : « ديلا مارش ، لايمكننى أن احتمل هذه الحرارة ، اننى اكاد أحترق ، ويجب على أن أخلع ملابسى ، يجب أن أخد حماما ، فأخرج هذين الشخصين ، الى حيث تشاء ، الى المر ، أو الى الشرفة ، أو أى مكان آخر لايمكن أن تقع عليهما فيه عيناى ! فهانذا فى منزلى ، ولكن لايمكننى أن احصل على الراحة مطلقا ، فلو أمكن

لنا أن نكون وحدنا يا ديلامارش ! اوه ، يا الهى ، انهما لا يزالان هنا ، انظر الى هذا الوقع المدعو روبنسون ، وهو يتمدد فى ملابسه الداخلية فى وجود سيدة ، وانظر ايضا الى هذا الصبي ، هذا الغريب الذى يحدق فى بوحشية ، وكيف يتظاهر بأنه قد استغرق ثانية فى النوم ، لكى يخدعنى ، اطردهما يا ديلامارش ، انهما عبء على كاهلى ، انهما ثقل فوق صدرى ، فلو مت الآن فسوف يكون ذلك بسببهما ! » .

قال ديلامارش وهو يتقدم نحو روبنسون ، ويهزه بقدمه التى وضعها فوق صدره : « هيا اخرجنا من هنا ، اخرجنا فى الحال ! » ثم صاح موجها حديثه الى كارل : « انهض يا روسمان ، اخرجنا الى الشرفة كلاكما ، وسوف تكون جنازتكما قد حانت ان دخلتما هنا قبل ان ندعوكما الى الدخول ، والآن تحرك يا روبنسون ! » ، وعند ذلك ركل روبنسون بقسوة اشد ، وانت يا روسمان ، هيا الى الخارج ، والا جئت فتصرفت معك انت ايضا ! » ، وصفق بيديه مرتين فى صوت مرتفع .

صاحت برونيلا من مكانها على الاربكة قائلة : « لماذا تتلكان ! » كانت قد فردت ساقها على اتساعهما حيث جلست لكى تتيح مكانا لجسدها غير المتناسق ، بمجهود شديد ، وهى تتنفس ، وتتوقف كثيرا لكى تلتقط انفاسها ، حتى استطاعت ان تنحنى الى الامام لكى تمسك بجواربها ، وتخلعها ، ولم تستطع أن تخلع ملابسها ، فقد كان على ديلامارش ان يقوم بذلك ، وكانت تجلس الآن فى انتظاره ، بفارغ الصبر ، لكى يخلع عنها ملابسها .

وزحف كارل ، وهو يكاد يكون فاقد الوعى من شدة التعب الى أسفل من فوق كومة الستائر ، واتجه فى ببطء نحو باب الشرفة ، وكانت قطعة من قماش الستائر قد التفت حول ساقه ، فخرجها معه بلا مبالاة ، وفى شروده قال بالفعل لبرونيلا ، وهو يمر أمامها : « أرجو لك ليلة سعيدة ! » ، ثم مر بديلامارش الذى كان يحرك الستائر جانبا ، من امام باب الشرفة ، وخرج كارل الى الشرفة ، ووصل روبنسون فى الحال خلفه ، وكان يبدو مستغرقا مثله فى النوم ، لانه كان يغمغم قائلا لنفسه : « معاملة سيئة دائما ، فلو لم تات برونيلا ، لما كان على ان اذهب الى الشرفة ! » الا انه قد خرج فى غاية الوداعة ، على الرغم من هذا التصريح ، الى الشرفة ، حيث استلقى فوق الارض الحجرية ، لان كارل كان قد

تقوم فوق المقعد ذى المساند .

وعندما استيقظ كارل كان المساء قد حل ، وكانت النجوم قد ظهرت فى السماء ، وخلف البيوت العالية المواجهة كان القمر قد ارتفع فى السماء ، ولم يكن كارل يكاد يدرك أين كان ، قبل أن يتفحص الأماكن المهجورة التى كانت تحيط به الآن ، وقبل أن يستنشق الهواء الرطب المنعش ، وكيف كان قد بلغ به الإهمال حدا ، أهمل معه نصائح المدير ، وكل تحذيرات تيريز ، وكل مخاوفه الخاصة ، وهنا حيث كان يجلس فى هدوء فى شرفة ديلامارش ، حيث نام نصف يوم ، بدأ له وكان ديلامارش عدوه اللدود لم يكن يوجد بالفعل على بعد خطوات قليلة منه ، خلف تلك الستارة ، وروبنسون هذا ، الضائع الكسول ، الذى كان يتمدد على أرضية الشرفة ، والذى كان قد راح يشد قدمه ، ويبدو أنه قد أيقظه بهذه الطريقة من نومه ، فقد كان يقول له الآن : « كيف يمكنك أن تنام يا روسمان ، ان هذا هو تماما معنى ان يكون المرء صغيرا ، وعديم المبالاة ، والى متى تريد ان تواصل النوم ؟ لقد تركتك تستغرق فى النوم ، الا اننى كنت قد ضقت أولا بالاستلقاء فوق أرضية الشرفة ، وثانيا فقد جمعت غايه الجوع ، هيا ، انهض فى الحال ، فلقد عثرت على شيء كان مخبئا تحت مقعدك ، شيئا من الطعام ، واريد أن أخرجه من مكانه ، وسوف أعطيك بعضه ، وعندما نهض كارل ، تطلع حوله ، بينما زحف روبنسون - دون ان ينهض على قدميه - على بطنه ، حتى بلغ اسفل المقعد ، لكى يجذب صينية فضية ، كذلك التى تستعمل فى حمل بطاقات الزيارة ، وكان فوق تلك الصينية قطعة من السجق الاسود ، وبضع سجائر رفيعة ، وعلبة سردين مفتوحة ، لا تزال ممتلئة تقريبا ، ومغطاة بالزيت ، وبضع قطع من الحلوى ، أغلبها مكومة فى قطعة واحدة ، ثم ظهرت أيضا قطعة كبيرة من الخبز ، ونوع من زجاجات العطر ، يبدو أنها كانت ممتلئة بشيء آخر غير العطر ، رغم ذلك ، لان روبنسون عرضها فى رضا زائد على كارل ، وهو يمتص شفثيه ويتطلع نحو كارل بنظرة راضية .

قال روبنسون ، وهو يلتهم السردينة بعد الاخرى ، وبمسح الزيت بوشاح من الصوف يبدو أن برونيسلدا كانت قد نسيت فى الشرفة : « انظر يا روسمان ، انظر ، هذا هو ما تحتاج اليه فى الحقيقة ، ان لم تكن تحب ان تتضور جوعا ، واقول لك ، لقد

القي بي على هامش الحياة ، ولو عاملك الناس دائما ككلب ، فانك سوف تبدأ ، فتظن انك كلب بالفعل ، انه شيء طيب وجودك هنا معي يا روسمان ، فسوف اجد على الاقل شخصا يمكنني ان اتحدث اليه ، لا أحد في هذا المنزل كله يتحدث الي ، انهم يكرهوننا وكل هذا بسبب برونيلا ، انها امرأة رائعة بالطبع ، واننى !.. » ، وهنا اشار الى كارل بان يميل نحوه ، لكى يهمس اليه بشيء ما : « لقد رايتها عارية ذات مرة ، اوه .. » ، وعندما عاودته ذكرى تلك المتعة ، راح يقرص ساق كارل ، ويصفعها ، حتى صاح كارل فيه قائلا : « روبنسون ، لقد جئت ا » ، ودفع يده في عنف بعيدا .

قال روبنسون : « انك ما زلت طفلا يا روسمان ! » ، واخرج من تحت قميصه خنجرا ، كان يعلقه بحبل حول عنقه ، واخرجه من جرابه ، وراح يقطع به قطعة السجق الجامدة : « ان امامك الكثير الذى يجب عليك ان تتعلمه ، الا انك قد جئت الى اصلح الاماكن التى يمكنك ان تتعلم فيها هذه الاشياء ، وانت لا تريد ان تشرب ايضا ؟ وعلى هذا فانت لا تريد شيئا مطلقا ، كما انك لا تميل كذلك الى الحديث ، الا اننى لا يهمنى من الذى يجلس معي فى الشرفة ، طالما ان هناك شخصا معي فى نهاية الامر ، ذلك اننى اطرده دائما الى هذه الشرفة ، وتسرب برونيلا سرورا هائلا لذلك ، وما عليها سوى ان تعلن اية فكرة تخطر على بالها ، كأن تقرر مثلا انها تشعر بالبرد ، او انها تشعر بالحرارة الشديدة ، او انها تريد ان تنام ، او تريد ان تمشط شعرها ، او تريد ان تفك الكورسيه ، او تريد ان ترتديه ، وهكذا تتسبب دائما فى طردى الى الشرفة ، احيانا تفعل ما تقوله حقا ، الا انها فى اغلب الاحيان ،

تبقى جالسة فوق الاربكة ، كما هي ، ولا تتحرك . وقد اعتدت فى بعض الاحيان ان ازيح الستارة جانبا ، واسترق النظر من خلالها ، الا ان ديلا مارش فى احدى تلك المرات - وانا اعلم تمام العلم ، انه لم يكن يريد ان يفعل ذلك ، وانه قد فعله فقط ، لان برونيلا كانت قد طلبت منه ان يفعله - ضربنى فجأة على وجهى عديدا من المرات بالسوط - هل يمكنك ان تتبين آثار تلك الضربات ؟ ومنذ ذلك الحين ، لم أجرؤ على ان استرق النظر ثانية ، وعلى هذا فقد اعتدت على ان استلقى هنا فقط ، فى هذه الشرفة ، ولا افعل شيئا سوى الاكل ، والليلة قبل الماضية كنت استلقى هنا وحيدا

طوال الليلة ، وكنت ارتدى تلك الملابس الفاخرة التى شاء سوء الحظ أن أفقدها فى فندقك - فلقد مزق الخنزير ، تلك الملابس الثمينة من على ظهري - حسنا ، بينما كنت استلقى هنا وحيدا ، وأنطلق الى الشارع من خلال الدرايزين ، بدا لى كل شيء بأثسا غاية البؤس ، حتى لقد شرعت فجأة فى البكاء ، ثم حدث - دون ان الاحظ ذلك - ان خرجت برونيلا الى الشرفة فى رداها الاحمر - الذى يناسبها اكثر من بين كل ملابسها الاخرى - وتطلعت الى قليلا ، وقالت : « روبنسون ، لماذا تبكى ؟ ! » ، ثم رفعت ذيل رداها ومسحت دموعي ، و . . من يدري ما عساها كانت تفعل ايضا ، لو لم ينادها ديلا مارش ، وكان عليها أن تعود الى الحجرة ثانية فى الحال ، لقد ظننت بالطبع لحظتها أن دورى كان قد حان ، وتساءلت من خلال الستارة ، أن كان على أن ادخل ، فماذا تظن أن برونيلا قد قالت ؟ لقد قالت : « لا ! » ، ثم اضافت قائلة : « وما الذى تظنه ؟ ! » .

وتساءل كارل قائلا : « لكن لماذا تبقى هنا اذا كانا يعاملانك على هذا النحو ؟ ! » .

فاجابه روبنسون قائلا : « اسمح لى يا روسمان ، ان اقول لك ان هذا سؤال غبي ، لانك سوف تبقى هنا أنت ايضا ، حتى لو عاملناك بصورة أسوأ كثيرا من هذه ، وبالإضافة الى ذلك فليست معاملتهما لى الى هذا الحد من السوء ! » .

قال كارل : « لا . . اننى سأرحل بلا شك ، وهذه الليلة نفسها ان أمكن ذلك ، اننى لن أبقي معك ! » .

- وكيف ستتمكن من الرحيل الليلة ؟ ! تسامل روبنسون ، وهو يستخرج لب الرغيف الطرى ، ويغمسه فى الزيت ، داخل صندوق السردين : « كيف يمكنك أن ترحل اذا كان عليك ألا تدخل الحجرة ؟ ! » .

- ولماذا لا يجب على أن ادخل الحجرة ؟ !

فقال روبنسون ، وهو يفتح فمه على اتساعه ، ويلتهم الخبز المنقوع فى الزيت ، بينما يتلقى قطرات الزيت المتساقطة فى راحة يده الاخرى ، كوعاء كان يغمس فيه بقية الخبز من حين لآخر : « لانه ليس لنا ان ندخل الحجرة ، ما لم يدق الجرس ، ايدانا بالدخول ، ان الامور اكثر حزما الآن ، وقد كانت على الباب فى البداية ، ستارة رقيقة ، لم يكن يمكنك بالفعل أن ترى من

خلالها ، لكن كان فى استطاعة المرء فى الامسيات أن يلاحظ شبحيهما من خلالهما ، الا ان ذلك لم يرق لبرونيلدا ، وعلى هذا ، كان على ان احوّل احدى ملابسها الليلية الثقيلة الى ستارة ، وان اعلقها على باب الشرفة بدلا من الستارة القديمة ، فلا يمكنك الآن ان ترى شيئا بالمرّة ، ثم كنت فى احدى الاوقات اسأل من مكانى هنا ، ان كان لى ان ادخل الحجرة ، وكان ياتبنى الجواب بنعم ، او لا ، حسب الظروف ، لكن يبدو ان هذا الوضع كان قد راق لى كثيرا ، فقد كنت اسألها اسئلة متلاحقة فى كل مرّة ، ولم تحتمل برونيلدا ذلك - ومع انها فى غاية السمعة ، الا انها فى غاية الرقة ، وهى كثيرا ما تصاب بالصداع ، وبالنقرس فى ساقها - وعلى هذا فقد تم القرار بعدم السماح لى بالسؤال ثانية ، وفى استطاعتى ان ادخل الحجرة فقط عندما يرن جرس ثباته فوق المنضدة لهذا الغرض ، ويرن هذا الجرس رنيننا مرتفعما جدا ، حتى ليوقظنى انا نفسى ، من نومى ، وقد كانت لى قطعة فى احدى الاوقات ، كانت تسلىنى فى وحدتى ، الا انها قد فزعت من صوت الجرس ، فانطلقت تجرى ، ولم تعد ثانية قط ، ولم يرن هذا الجرس اليوم كما ترى ، ذلك لانه عندما يرن ، فانه لا يكون مسموحا لى عندئذ فقط بالدخول ، بل انه يتحتم على ان ادخل الحجرة - وعندما ينقضى مثل هذا الوقت الطويل دون ان يرن الجرس ، فمن الممكن فى هذه الحالة الا يرن بالفعل الا بعد انقضاء فترة طويلة اخرى ! » .

قال كارل : « نعم ، الا ان ما يوافقك ، لا يوافقنى بالضرورة ، وبالإضافة الى ذلك ، فان مثل هذا الوضع لا يناسب الا الذين يمكنهم احتماله ! »

فصاح روبنسون قائلا : « لكن ، لماذا لا يوافقك انت ايضا ؟ بالطبع انه يوافقك انت ايضا ، ومن الافضل ان تستلقى فى هدوء معى ، هنا حتى يرن الجرس ، ثم يمكنك عندئذ ، على الأقل ، ان تحاول الرحيل ! »

- ما الذى يبقيك هنا حقا ، ان ديلا مارش ببساطة صديقك ، او انه بالاحرى كان صديقك ، هل تسمى هذه حياة ؟ ألم يكن من الافضل لك الذهاب الى باثرفورد ، حيث كنت تنوى الذهاب فى البداية ؟ او حتى الى كاليفورنيا حيث يوجد اصدقاؤك ؟ » .

قال روبنسون : - « حسنا ، لم يكن يمكن لاحد ان يتوقع حدوث ذلك ! » . ثم قال قبل ان يكمل عبارته : « فى صحتك الغالية

يا عزيزى روسمان ! ، ، وارتشف رشفة طويلة من زجاجة العطر :
« لقد كنا فى غاية الضنك ، خلافا للمتوقع ، عندما تركتنا اذ ذاك
عامدا ، ولم نتمكن من أن نجد عملا على الاطلاق ، فى اليوم الاول ، أو
اليومين الأولين ، وبالإضافة الى ذلك ، فلم يكن ديلا مارش يرغب فى
العمل ، كان فى استطاعته لو شاء أن يحصل على عمل ما بسهولة ،
الا أنه كان يرسلنى لكى أبحث أنا لنفسى عن عمل ، ولم يصادفنى
الحظ مطلقا ، كان يتسكع فقط هنا وهناك ، وكان كل ما أحضره
معه فى المساء ، حقيبة سيدة ، كانت حقيبة فاخرة للغاية مصنوعة من
اللاى ، وقد أهداها لبرونيلدا فيما بعد - الا أننا لم نجد فيها شيئا .
ثم قال أنه من الأفضل لنا أن نتسول أمام الابواب - يمكنك أن تحصل
على شيء أو آخر بهذه الطريقة - ، وهكذا مضينا فى التسول ، وكنت
أغنى أمام أبواب البيوت لكى أجعل أسلوبنا فى التسول أفضل
قليلا ، ويبدو أنه كان حظ ديلا مارش هذه المرة لاننا ما كدنا نمضى
دقيقة أو دقيقتين فى التسول ، بالتحديد أمام الباب الثانى الذى
وقفنا أمامه ، وكان باب شقة هائلة فى الطابق الارضى ، وغنيت
أغنيتين للطاهى ، وللساقى ، عندما ظهرت أمامنا السيدة صاحبة
الشقة ، وقد كانت هى برونيلدا نفسها ، ظهرت على الدرجات الاولى ،
وربما كانت ترتدى وقتها فستانا محبوبا جدا من الدانتيل ، وعلى
أية حال غانها كانت قد بدت فوق تلك الدرجات ، فكس بدت
رائعة ، ياروسمان ! ، كانت ترتدى رداء أبيض اللون ، وكانت
تمسك فى يدها شمسية حمراء اللون . كنت تشعر بأنك تريد أن
تلتهمها ، تشعر بأنك تريد أن تشربها ، يا الهى ، لقد كانت فاتنة !
يالها من امرأة ، أخبرنى أنت ، كيف يمكن وجود مثل تلك المرأة ؟
ولقد اندفع الطاهى والساقى بالطبع نحوها فى الحال ، وكادا
يحملانها من فوق الارض ، وقد وقفنا على كلا الجانبين ، ورفعنا
قبعتينا ، كما يفعل الناس هنا . ولقد توقفت لبرهة قصيرة ، لانها
لم تكن قد التقطت أنفاسها ، ولم أدر كيف حدث الامر فى الحقيقة ،
كنت جائعا جدا ، ولم أكن أدر مطلقا ما كنت أفعله ، وكانت هى أمامى
غاية فى الوسامة ، عريضة الجسد جدا ، لكنها كانت رشيقة غاية
الرشاقة بسبب تلك المشدات الخاصة التى كانت تشد بها
كل أجزاء جسمها ، - ويمكننى أن أطلعك على تلك المشدات فى
صندوق ملابسها - ، حسنا ، لم أستطع أن أمنع نفسى من أن ألمس
ظهرها ، لكن كان ذلك فى غاية الرقة ، أنت تعرف ، مجرد لمسة

خفيفة ، وانه لامر فظيع بالطبع ان يلمس متسول سيده ثرية ، ولقد كنت فقط قد لمستها لمسة خفيفة عارضة ، الا اننى كنت قد لمستها بالفعل فى نهاية الامر ، ومن يدري ماذا كانت النهاية التى كان من الممكن أن ينتهى اليها ذلك الحدث ، لولم يلطمنى ديلامارش لحظتها على اذنى ، ثم اتبعها بتلك الصفعة العنيفة التى ارتفعت لها يداى الى وجهى ! ..

قال كارل : « ياللامر العجيب ! » ، كان قد استغرق تماما فى الاستماع الى القصة ، وجلس على ارضية الشرفة : « اذن فقد كانت هذه هى برونيلدا ! »

قال روبنسون : « نعم ، لقد كانت هى برونيلدا ! »

فتساءل كارل قائلا : « هل قلت مرة انها كانت مغنية ؟ » اجابه روبنسون قائلا : « بالتأكيد ، انها مغنية ، ومغنية كبيرة » وكان يلوك قطعة كبيرة من الحلوى فى فمه ، وراح يدفع بين الحين والاخر ، بقاياها التى كانت تخرج من فمه الى الداخل ، قائلا : لم نعرف ذلك بالطبع وقتها ، كنا قد ادركنا فقط انها كانت سيده ثرية ورائعة للغاية ، ولقد تصرفت وكان شيئا لم يحدث ، وربما لم تكن قد شعرت بأى شئ عندما لمستها ، لاننى كنت قد لمستها بالفعل بأطراف اصابعى ، الا انها ظلت تتطلع الى ديلامارش ، الذى حلق فى حينها مباشرة ، كعادته ، ثم قالت له : « تعال معى الى الداخل قليلا » وأشارت له بمظلتها الى داخل الشقة ، وكان على ديلامارش ان يتقدمها ، ودخلا ، واغلق الخدم الباب خلفهما ، ونسيانى فى الخارج ، ولما كنت أظن أن الامر لن يستغرق وقتا طويلا ، فقد جلست على الدرج فى انتظار ديلامارش ، لكن الساقى خرج الى ، بدلا من ديلامارش ، وهو يحمل لى وعاء ممتلئا بالشوربة ، قلت فى نفسى : « انه تحية من ديلامارش ! » ، ووقف الرجل الى جانبنى بعض الوقت ، بينما كنت أتناول تلك الشوربة ، واخبرنى ببعض الاشياء عن برونيلدا ، وعندها ادركت مدى أهمية تلك الزيادة بالنسبة لنا ، ذلك أن برونيلدا كانت قد طلقت زوجها ، وكانت بالغة الثراء ، ومنطلقة تماما على سجيته ! ، كان زوجها السابق ، وهو صاحب مصنع للكاكاو ، - وللعلم ، فهو لا يزال يحبها - الا انها رفضت العودة اليه بالمرّة ، رغم ذلك . وكان غالبا ما ينادى عليها امام الشقة ، وهو يرتدى دائما افخر الثياب ، كما لو كان متأهبا للذهاب الى حفلة زفاف - هذا صدق ، بكل كلمة فيه ، ولقد عرفت الرجل بنفسى -

لكن رغم المنح الضخمة التى كان يحصل عليها الساقى منه ، فانه لم يكن يجروء على أن يخبر برونيلا ، بأنه كان يلتقى بزوجها ، لانه كان قد سألها مرة أو مرتين من قبل ان كان له أن يستقبله ، فكانت تلتقط أى شىء تقع عليه يدها ، وتقذفه به على رأسه ، ولقد صبت فوقه ذات مرة وعاء الماء الساخن الضخم الذى كان يجهز دائما من أجلها ، وتسببت فى تحطيم أحد أسنانه الامامية ، نعم ياروسمان ، يمكنك أن تحقق فى ما شاء لك التحديق ! »

وتساءل كارل قائلا : « وكيف تمكنت من أن تتعرف بزوجها ؟ »
فقال روبنسون : « انه يأتى الى هنا غالبا ! »
— هنا ! وضرب كارل أرضية الشرفة بيده ، ضربة خفيفة ،
لدهشته .

ومضى روبنسون فى حديثه قائلا : « قد تصيبك الدهشة ، ولقد دهشت أنا نفسى عندما كان الساقى يقف بجوارى خارج الشقة ، وهو يحكى لى عن هذا كله ، فكر فى هذا فقط ، فعندما تكون برونيلا فى الخارج ، كان الزوج يرجو الساقى دائما أن يدخله الى حجرتها ، وكان يأخذ منها دائما شيئا نافعا أو آخر ، كندكار ، ويترك لها بدلا منه شيئا نادرا ، وغاليا ، وكان يحذر الساقى تحذيرا مشددا من أن يذكر لها شيئا عن شخصية من ترك لها تلك الاشياء ، لكن عندما ترك لها ذات مرة — وقد أقسم لى الساقى بصدق ذلك ، وقد صدقته — قطعة نادرة من الخزف ، لا تقدر بثمن ، ولا بد أن برونيلا كانت قد تحققت منها بصورة ما ، الا انها قد طوحت بها الى الارض فى الحال ، ودامتها بقدمها ، وبصقت فوقها ، وفعلت فوقها أشياء أخرى أيضا ، حتى ان الخادم ، لم يتمكن من أن يرفع حطامها من على الأرض الا بصعوبة بالغة لشدة قرفه ! »

فتساءل كارل قائلا : « وماذا فعل زوجها بعد هذا الحادث ! »

فقال روبنسون : « لست أدري فى الحقيقة ، الا اننى لا اظن انه فعل شيئا ذا بال ، فربما لم يكن قد علم بهذا الامر وقتها فى الحقيقة مطلقا ، ولقد تحدثت معه كثيرا عن هذا الحادث ، وكنت ألتقى به كل يوم فى أحد أركان الشارع ، لو استطعت أن أخرج لمقابلته ، وكان على دائما أن أنهى اليه بآخر الاخبار ، واذا لم أتمكن من الخروج اليه ، فقد كان ينتظر حوالى نصف الساعة ، ثم ينصرف بعد ذلك من حيث اتى ، وقد كانت فى هذه اللقاءات فائدة

كبيرة لى فى البداية ، لانه كان يدفع كسيد ، ثلنا لكل ما كنت اوافيه به من الاخبار ، لكن بعد أن علم ديلا مارش بالامر ، كان على أن اسلم له النقود التى كنت احصل عليها من ذلك الرجل ، وعلى هذا فلم اعد احرص على الخروج كثيرا الآن ! »

تساءل كارل : « لكن ما الذى يسمى اليه هذا الرجل ؟ ما الذى يسمى اليه بحق الجحيم ، انه يعلم بلا شك انها لا تريد ! » تنهد روبنسون قائلا ، وهو يشعل سيجارة ، وينفث دخانها هاليا فى الهواء ، ويمبث بيده فى دخانها المتطاير : « نعم ! » ، ثم تحول عن رايه قائلا : « وماذا يعنى هذا الامر بالنسبة لى ؟ كل ما اعرفه هو انه على اتم استعداد لان يدفع مبلغا هائلا من المال ، لكى يتمكن من أن يستلقى هنا فى هذه الشرفة مثلنا ! »

نهض كارل ، ومال الى الدرابزين ، وتطلع نحو الشارع ، كان القمر واضحا الآن ، الا أن ضوءه لم يكن قد نفل بعد الى أعماق الشارع ، ومع أن الشارع كان خاليا تماما اثناء النهار ، الا انه كان مزدحما الآن بالناس ، وخاصة امام ابواب المنازل ، وقد كانوا يتدافعون جميعا الى الامام فى بطء وتشاقل ، وكانت قمصان الرجال ، وملابس النساء الخفيفة ، تبدو خافتة وسط الظلام ، وكانوا جميعا حاسرى الرؤوس . وكانت مختلف الشرفات التى كانت تطل على الشارع ، تمتلئ الآن بالناس ، كانت العائلات باكملها تجلس فيها ، تحت ضوء المصابيح الكهربائية ، وحول مناوئد صغيرة ، اذا كانت الشرفة فسيحة بدرجة كافية ، أو فى صف من المقاعد المتجاورة ، ذات الدراعين ، أو تبرز رؤوسهم فقط من خارج نوافذ الحجرات ، وكان الرجال يجلسون فى ارياح ، وقد مددوا سيقانهم ، ودرسوا اقدامهم بين قضبان الدرابزين ، وهم مستغرقون فى قراءة الصحف التى كانت تمتد حتى تبلغ ارضية الشرفات ، أو يلعبون الورق ، دون أن يتكلموا على ما يبدو ، وكان لعبهم يصحبه خبطات عنيفة فوق المنضدة ، وكانت حجور النساء تمتلئ بكثير من أعمال التطريز ، ولم يكن يفعلن شيئا سوى أن يوجهن نظرات مقتضية بين الحين والآخر على ما يحيط بهن ، أو الى الشارع تحتهن ، وكانت ثمة امرأة رقيقة ، جميلة فى الشرفة المجاورة ، قد راحت تتشأب ، وهى تدبر عينيها الى أعلى ، وترفع الى فمها قطعة من الملابس الداخلية ، كانت ترتقها ، وحتى فى الشرفات البالغة الصغر ، تمكن الاطفال من مطاردة بعضهم بعضا ،

وكانوا يشيرون صخباً يزعج والديهم ، وفي داخل الكثير من الحجرات ، كان يمكن سماع أصوات الجراموفونات ، وهي تطلق الاغنيات ، أو الموسيقى الأركستراية ، فيما عدا أن رب الأسرة كان يعطى إشارة ما بين الحين والآخر ، فيهرع شخص ما الى داخل الحجرة لكي يضع اسطوانة أخرى ، وعند بعض النوافذ كان من الممكن رؤية الأزواج العشاق يقفون بلا حراك ، وكان ثمة عاشقان من بين هؤلاء العشاق ، يقفان أمام نافذة مواجهة ، وكان الشاب يلف ذراعه حول الفتاة ، ويمتصر خصرها .

سأل كارل روبنسون الذي كان قد نهض هو أيضاً واقفاً على قدميه ، وقد التف في دثار برونيلا ، عندما شعر بالبرد بالإضافة الى بطانيته :

— هل تعرف احداً من جيرائك هنا ؟ ! ..

فقال روبنسون : « لا أكاد أعرف احداً منهم ! » وجذب كارل نحوه حتى التصق به ، لكي يهمس اليه قائلاً : « والا ما كان امامي ما اشكو منه الآن ، لقد باعت برونيلا كل ما لديها لكي ترضى ديلامارش ، وانتقلت الى هذه الشقة في هذه الضاحية بكل ما تبقى لديها ، لكي تهب نفسها كلية له ، دون أن يعكر صفوها أحد ، وبالإضافة الى ذلك ، فإن هذا هو ما كان يريده ديلامارش ايضاً ! »

تسائل كارل : « وهل طردت خدمها ؟ »

فقال روبنسون : « أجل لقد طردتهم ، ومن أين لها ما تنفقه على هؤلاء الخدم هنا ؟ ! أن امثال هؤلاء الخدم يتوقعون وجود كل أنواع الخير بلا حساب ، ولقد ركل ديلامارش ذات مرة ، في شقة برونيلا القديمة ، واحداً من هذه المخلوقات المرفهة ، خارج الحجرة ، وظل يركله امامه حتى أصبح الرجل خارج الشقة كلها ، وقد انضم بقية الخدم بالطبع الى جانب زميلهم ، واناروا شغباً امام الباب ، ثم خرج اليهم ديلامارش « لم أكن انا قد أصبحت خادماً حينئذ ، لكنني كنت صديقاً للأسرة فقط ، الا انني طردت معهم الى الخارج على الرغم من ذلك » وسألهم ديلامارش قائلاً :

« ماذا تريدون ؟ ! »

واجابه اكبر الخدم سناً ، وهو رجل يدعى ايزيدور : « لا شأن لك بنا ، اننا نعمل في خدمة السيدة ! » واعتقد انك تدرك من هذا انهم كانوا يحترمون برونيلا غاية الاحترام ، الا ان برونيلا لم تلق بالا اليهم ، وانطلقت نحو ديلامارش — لم تكن على تلك

السمنة ، وثقل الحركة عندئذ ، كما هو حالها الآن - واحتضنته ، وقبلته أمامهم جميعا ، ونادته قائلة : « عزيزي ديلامارش ! » ثم قالت : « والآن اطرده هؤلاء الحمقى من هنا ! » - الحمقى ! ذلك هو ما دعت به خدمها ، ولك أن تتخيل التعبير الذي ارتسم على وجوههم ، ثم أمسكت برونيلا يد ديلامارش وسحبته نحو كيس نقودها ، ! الذي كانت تعلقه في حزامها ، ووضع ديلامارش يده في داخل الكيس ، وراح ينقد الخدم أجورهم ، ولم تفعل برونيلا شيئا ، لكنها بقيت واقفة في مكانها هنالك الى جواره ، والكيس مفتوح في وسطها ، وكان على ديلامارش أن يضع يده في داخل الكيس المرة بعد المرة ، لانه كان يوزع النقود دون أن يحصيها ، ودون أن يستمع الى شكواهم ، وفي النهاية قال ديلامارش : « بما انكم لا شأن لكم بي ، فاني اقول لكم باسم السيدة ، اخرجوا في هذه اللحظة ! » ، وهكذا فصلوا ، وقد كانت ثمة عواقب قانونية فيما بعد ، وكان على ديلامارش أن يذهب الى المحكمة في إحدى المرات ، الا اننى لم اعلم عن هذا الامر أكثر من ذلك ، فيما عدا ان ديلامارش قد قال لبرونيلا ، بعد طرد الخدم : « وهكذا فليس لك خدم الآن ؟ ! » ، لكنها قالت له : « ولكن روبنسون لا يزال موجودا ! » ، وعندها لطمنى ديلامارش على كتفى ، وقال : « حسن جدا ، اذن ، فسوف تصبح خادمتنا ! » ، وعندئذ ربت برونيلا على خدي ، فلو اتبحت لك الفرصة ، فقط ، يا روسمان ، فلعلها أن تربت على خدك في يوم ما ، وسوف يدهشك كم يبدو ذلك ممثما ! »

فقال كارل ، ملخصا الامر : « وهكذا فقد تحولت الى خادم لديلامارش ، اليس كذلك ؟ ! »

ولاحظ روبنسون الاسف في صوت كارل ، فاجابه قائلا : « قد اكون خادما الا أن قليلا من الناس هم الذين يعلمون بذلك ، وهانت ذا ترى ، فلم تكن تعلم أنت نفسك ، على الرغم من أنك قد قضيت هنا بعض الوقت . لماذا ؟ لانك ترى فخامة الثياب التي كنت ارتديها الليلة الماضية في الفندق ، لقد كنت ارتدى أفخر الملابس ، فهل يرتدى الخدم مثل تلك الملابس ؟ ان الشيء الوحيد الذي يضايقنى هو فقط اننى لا اتمكن من مغادرة هذا المكان الا نادرا ، فيجب أن اكون دائما تحت أمرهما ، ويوجد دائما الكثير مما يجب على أن افعله هنا في الشقة ، ان رجلا واحدا لا يكفي في

الحقيقة لكي يقوم بكل العمل ، ولعلك قد لاحظت ان لدينا أشياء كثيرة تتراكم في الحجرة ، فما لم نستطع ان نبيعه عند انتقالنا الى هذه الشقة ، أحضرناه معنا الى هنا ، وقد كان من الممكن بالطبع القاؤه بعيدا ، الا ان برونيلا لا تلقى بأى شيء ، ويمكنك ان تتخيل معنى ان تحمل هذه الأشياء على السلالم الى هنا ! »

صباح كارل قائلا : « روبنسون ، هل حملت بنفسك كل تلك الأشياء ، وصعدت بها السلالم الى هنا ؟ ! »

فقال روبنسون : « ماذا ؟ وأى شخص آخر غيرى كان هنا لكي يحملها ، لقد كان ثمة رجل لمساعدتي في ذلك ، الا انه كان وغدا كسولا ، وكان على أن أقوم بكل العبء وحدى ، ووقفت برونيلا بجوار عربة نقل العفش ، وكان ديلامارش هنا لكي يقرر فى أى الاماكن توضع الأشياء المختلفة ، وكان على أن اظل مندفعاً الى أعلى وإلى أسفل . وقد استمر هذا العمل لمدة يومين كاملين ، وقت طويل ، اليس كذلك ، لكنك لا تعلم شيئاً عن الأشياء العديدة التى تحتويها تلك الحجرة ، ان كل الصناديق الخاصة بالملابس ، تمتلئ بملابس برونيلا ، وخلف الصناديق تتكوم مختلف الأشياء فى أنحاء الحجرة حتى تبلغ السقف ، فلو كانا قد استأجرا عددا قليلا من الرجال لنقل تلك الأشياء ، لكان كل شيء قد انتهى بغاية السرعة ، الا ان برونيلا لم تكن تطمئن الى غيرى فى حمل حاجياتها ، ولقد كان هذا تملقا لى بالطبع ، الا اننى قد أهدرت قواى تماما خلال هذين اليومين الى الابد ، وماذا تفيدنى صحتى فى غير ذلك ؟ ! ان اقل شيء أحاول أن أقوم بأدائه هنا الآن بسبب لى ألما هنا وهناك ، وهنا . هل تتذكر هؤلاء الصبية اللذين فى الفندق ، تلك الآلات النطاطة - ذلك انهم ليسوا سوى مجرد آلات تقفز بغير معنى - انهم لم يكونوا ليتمكنوا منى لو اننى كنت فى كامل صحتى ! لكن لما كنت محطما بحالتى الراهنة ، فلن أستطيع ان أقول كلمة واحدة لديلامارش او برونيلا ، وسوف استمر فى العمل طالما كان فى مقدورى أن أعمل ، وعندما لا أصبح قادرا على العمل ، فسوف استلقى أرضا ، وأموت ، وعندئذ سوف تكتشف ، متأخرة جدا ، اننى كنت مريضا بالفصل ، ولكننى رغم ذلك واصلت العمل ، وأهلكت نفسى حتى الموت فى خدمتهما ، أوه ، يا روسمان » ، وانتهى من حديثه مجففا دموعه فى كم قميص كارل ، ثم قال بعد برهة : « الا تشعر بالبرد ، وانت تقف هنا فى قميصك هذا فقط ؟ ! »

قال كارل : « استمر في حديثك يا روبنسون ، انك تبكى دائما ، وانا لا اعتقد انك مريض الى هذا الحد ، انك تبدو صحيحا الى درجة كافية ، لكنك باستلقاتك في الشرفة طول الوقت فانك تتوهم مختلف الاوهام ، وربما كنت تشعر بالمرارة في صدرك ، وهذا ما اشعر به انا ايضا ، ويشعر به كل شخص ، فلو بكى كل الناس مثلك لانتفخ الامور ، فلن يكون هناك اى شيء سوى البكاء في كل تلك الشرفات ! »

قال روبنسون ، وهو يمسح دموعه بطرف بطانيته : « اننى اعلم جيدا اننى مريض ، ان الطالب الذى يقيم بجوارنا مع صاحبة المنزل التى تطهو طعامنا ، قد قال لى منذ فترة قصيرة مضت ، عندما كنت احضر الاطباء : « انتبه يا روبنسون ، انك مريض ، الست مريضا ؟ ! » ، لم يكن لى ان اتحدث مع هؤلاء الناس ، وهكذا فقد وضعت الاطباء فى بساطة ، وغادرت المكان ، لكنه تبعننى فى الحال ، وقال : « استمع الى يارجل ، لا تدفع الامور الى مداها ، انك رجل عليل ! » فسأله : « حسنا اذن ، وماذا افعل فى هذا ؟ ! » ، فقال وهو يستدير مبتعدا عنى : « هذا شأنك ! » ، وضحك الآخرون فحسب ، ضحك هؤلاء الذين كانوا يجلسون لحظتها الى المائدة . انهم جميعا اعداؤنا ، كل من يحيطون بنا ، وهكذا فكرت فى انه من الافضل لى ان اصمت ! »
- وعلى هذا فانت تصدق اى شخص يحاول ان يستغفلك ، بينما لا تصدق شخصا يرجو لك الخير ؟ ! »
فقال روبنسون متعجبا : « ولكننى اعرف شعورى بالتاكيد ! »
وشرع فى الصراخ ، ساخطا مرة اخرى .

- انك لا تدري فى الحقيقة ما يضرك ، ولا بد لك من ان تبحث لنفسك عن عمل شريف ، بدلا من ان تعمل خادما لديلامارش هنا ، واننى اقول لك استنادا الى ما قلته انت نفسك ، والى ما اراه هنا الآن ، انها ليست خدمة تلك التى تقوم بها ، ولكنها استعباد ، ولا يمكن ان يتحمل ذلك احد ، واننى اصدقك فى كل ما قلته ، الا انك تعتقد انك لا تستطيع ان تترك ديلامارش ، لانك صديقه ، ان هذا هراء ، فلو لم يكن يرى اية حياة حقيرة تحياها ، فليس عليك ان تحمل له اقل شعور ودى ! »

- « اذن فانت تعتقد ياروسمان اننى من الممكن ان استرد صحتى ، لو تركت العمل هنا ؟ ! »

قال كارل : « بالتأكيد ! »

وتساءل روبنسون ثانية : « بالتأكيد ؟ ! »

فقال كارل مبتسما : « بالتأكيد تماما ! »

فقال روبنسون وهو يتطلع الى كارل : « اذن فأننى من الممكن ان ابدأ فى محاولة استرداد صحتى فى الحال ! »

فتساءل كارل : « وكيف ذلك ؟ ! »

واجابه روبنسون قائلا : « ماذا ؟ لان عليك ان تقوم بعملى هنا ! »

فتساءل كارل قائلا : « من الذى اخبرك بهذا ، بحق الجحيم ؟ ! »

- اوه .. انها خطة قديمة ، وقد بحثت هذه الخطة أياما طويلة ، وقد بدأت عندما عنفتنى برونيلدا لعدم قيامى بتنظيف الشقة على الوجه الاكمل ، وقد وعدتها بالطبع بان اقوم بعمل كل شيء على الوجه الاكمل ، فى الحال ، لكن .. حسنا ، لقد كان هذا صعبا للغاية ، فلم يكن فى مقدورى ، مثلا ، فى حالتى الصحية الراهنة ان ازحف الى كل الاركان لكى اكسب الاتربة ، اننى اتحرك بغاية الصعوبة فى وسط الحجرة ، ولا اكاد اتمكن من ان اصل الى ما خلف الاثاث ، واكوام الامتعة ، ولو كان للحجرة ان تنظف تنظيفا شاملا ، فلا بد من نقل الاثاث كله من مكانه ، وكيف لى ان افعل ذلك بمفردى ؟ وبالإضافة الى ذلك ، فيجب ان يتم هذا كله بغاية الهدوء ، حتى لا تتضايق برونيلدا ، وهى نادرا ما تغادر الحجرة ، وعلى هذا فقد وعدت بان انظف كل شيء ، الا اننى لم استطع بالفعل ان انظف كل شيء ، ولما لاحظت برونيلدا ذلك ، اخبرت ديلامارش ان الحال لا يمكن ان يستمر على هذا المنوال ، وان عليه ان يستخدم مساعدا ، يساعدنى فى اكمال الشقة » ، قالت له : « لا اريدك يا ديلامارش ان تلومنى فى اى وقت من الاوقات. على عدم استطاعتى ادارة شئون البيت كما ينبغي ، فلا يمكننى ان اجهد نفسى مطلقا ، وانت تعلم ذلك تمام العلم ، ولم يعد روبنسون كافيا للقيام وحده بأعباء العمل ، لقد كان نشيطا فى البداية ، وكان يقوم بأداء كل شيء على خير وجه ، لكنه الآن متعب دائما ، ويجلس أغلب الوقت فى احد الاركان ، لكن حجرة مكتظة بالاشياء كحجرتنا هذه ، فى حاجة الى ان تكون منظممة باستمرار ! » ، وعلى هذا فقد اهتم ديلامارش بأمر ترتيبها ، لانه لا يمكن بالطبع ان نسمح بدخول اى شخص ، مهما كان الى منزلنا ، ولا حتى كمجرد تجربة ، طالما ان الناس جميعا من حولنا ،

يتجسسون علينا ، لكنى لما كنت صديقا مخلصا لك ، وكنت قد سمعت من رينيل عن العبودية التى كان عملك فى الفندق قد كبلك بأغلالها ، فقد رشحت اسمك ، ووافق ديلامارش فى الحال ، على الرغم من انك كنت وقحا معه غاية الوقاحة من قبل ، ولقد سررت بالطبع غاية السرور ، عندما تمكنت من ان اكون نافعا لك ، ذلك لان هذه الوظيفة تبدو كأنها قد خلقت لك ، فانت صغير ، وقوى ، وسريع ، بينما لا نفع فى لاحد ، لكن لا بد لى من ان اخبرك بانك لم تقبل كخادم هنا بصورة نهائية ، فلو لم ترض برونيلا هناك ، فمعنى هذا ان لا مكان لك هنا ، وعليك لهذا ان تبدل كل جهدك حتى ترضى عنك ، وسادبر انا امر ما يبقى بعد ذلك ! »

فتساءل كارل قائلا : « وما الذى ستفعله ، لو قبلت هذا العمل ؟ ! » .

وكان كارل قد أحس بالحيرة التامة بعد أن تخطى الصدمة الاولى التى سببها له تصريح روبنسون ، وعلى هذا فلم يكن ديلامارش ينوى به شرا أكثر من أن يحوله الى خادم له ، ولو كانت لديه أية نوايا أخرى شريرة ، فلا شك ان روبنسون الثرثار كان سيثرثر بها حتما ، لكن لو كانت هذه هى نية ديلامارش حقيقة ، فقد رأى كارل عندئذ ان عليه ان يغادر المكان فى تلك الليلة نفسها ، ولا يمكن أن يجبره احد على قبول عمل لا يريده ، وعلى الرغم من انه كان يخشى فى بداية الامر أن يعوقه فصله من الفندق ، عن الحصول على وظيفة مناسبة ، ومحترمة لو أمكن ، بسرعة تحفظه من التضور جوعا ، فقد بدت له الان كل الاعمال محترمة لغاية الاحترام اذا قورنت بهذا العرض ، الذى اثار اشمئزازه ، ولو لم يجد عملا ، فليبق جائعا ، ومعدما ، ولكنه لن يقبل هذا العمل ، الا أنه لم يحاول أن يصرح بهذا لروبنسون ، خاصة ان عقل روبنسون كان مشغولا الان بأمل التخلص من أعبائه ، ونقلها الى كاهل كارل .

وقال روبنسون ، وهو يؤكد كلماته ، بإشارة من يده تصاحب كل كلمة يتفوه بها : « لكى تبدأ العمل - وكان قد اعتمد بمرفقيه على الدرازين - فسوف أشرح لك كل شيء ، وأريك كل ما لدينا من أشياء ، ولقد تلقيت تعليما جيدا ، وأنا متأكد من أن يمكنك من الكتابة مسألة لا جدال فيها ، وعلى هذا ففى وسعك ان تمد فى الحال قائمة بكل ما لدينا فى الشقة من أشياء . ولو كان الطقس صافيا غدا ، فسوف نسال برونيلا ان تجلس فى الشرفة ، ويمكننا

هندلند ان نتابع عملنا بداخل الحجرة في هدوء ، دون ان نسبب لها
ازعاجا ، ذلك ان هذا الامر هو ما يجب ان يكون موضع اهتمامك
الاول ، يا روسمان ، لا يجب ازعاج برونيلا ، ان سمعها حاد
جدا ، وربما كان هذا لانها مغنية . ان اذنيها بالغتا الحساسية ،
ولنقل مثلا ، انك تدحرج برميلا صغيرا ممتلئا بالبراندي ، وهو
يوضع عادة خلف صناديق الملابس ، انه يسبب كثيرا من الضوضاء
لانه ثقيل ، ولان كل مختلف الاشياء تتراكم حوله على الارض ،
ولهذا لا يجب عليك ان تدحرجه لكي تخرجه من مكانه ، ان
برونيلا ، ولنقل ذلك ايضا ، تستلقي على الاركة تطارد اللباب ،
الذي يسبب لها ضيقا شديدا ، وتظن انت انها لا تلقى انتباها
اليك ، وتدحرج هذا البرميل ، بينما تظل هي مستلقية هناك في
هدوء تام ، لكنها فجأة ، ودون ان تتوقع ذلك منها ، وبينما
لا تصدر بسببك ادنى ضجة ، تجدها قد وقفت فجأة ، وراحت
تضرب الاركة بيديها ، حتى لايمكنك ان تراها ، لكثرة الاتربة - فمعد
ان جئنا الى هنا ، لم انفض الاتربة عن تلك الاركة ، لم استطع
ان افعل ذلك ، فهي تستلقي فوقها دائما في الحقيقة - وبدأ في
الصراخ بشراسة ، وكأنها رجل ، وتواصل صراخها لعدة ساعات ،
ولقد منعها الجيران من الفناء ، الا ان احدا لم يستطع ان يمنعها
من الصراخ ، فلا بد لها ان تصرخ ، مع ان هذا لم يعد يحدث
كثيرا الآن ، ذلك لاننا قد أصبحنا الآن - انا وديلامارش - اكثر
حذرا ، وقد ساءها هذا للغاية كذلك ، وقد اغمى عليها ذات مرة -
وكان ديلامارش في الخارج عندئذ - وكان على ان ابحت عن الطالب
الذي يسكن بجوارنا ، وقد رش عليها سائلا ما من زجاجة كبيرة ،
اعادها الى وعيها في الحال ، الا ان هذا السائل كانت له رائحة
مخيفة ، ويمكنك الآن ان تشم اثر هذا السائل ، لو وضعت انفك
على الاركة ، ولا شك ان هذا الطالب ، هو عدو من أعدائنا ،
مثله مثل الجميع هنا ، ويجب عليك ان تحذره هو ايضا ، والا
تحاول ان تختلط بأى منهم » .

فقال كارل : « لكنني اقول لك يا روبنسون ان هذا برنامج
حافل جدا ، وانها لوظيفة رائعة تلك التي تنصحني بقبولها ! »

فقال روبنسون وهو يفلق هنيهة ، ويهز رأسه ، كما لو كان
يحاول طرد كل مخاوف كارل : « لا تخش شيئا ، ان هذه الوظيفة
بعض الميزات ايضا ، وهي ميزات لايمكنك ان تجدها في أية وظيفة

اخرى ، فسوف تكون دائما في حضرة سيدة مثل برونيلا ، وقد تنام أحيانا في نفس الحجرة التي تنام هي فيها ، ونعمة كثير من المتعة في ذلك ، كما يمكنك ان تتخيل ، وسوف تحصل على اجر مجز ، ان النقود هنا كثيرة ، واننى لا احصل على اجر لاننى صديق ديلامارش ، لكننى فى كل مرة أخرج فيها من المنزل ، اتلقى دائما شيئا من النقود ، تعطيها لى برونيلا ، لكنك ستحصل بالطبع على اجر ككاي خادم آخر . هذا هو وضعك في نهاية الامر ، الا ان اهم هذه الاشياء جميعا هو اننى سأحاول ان اجعل وظيفتك هذه سهلة جدا عليك ، ولن افعل أى شئ بالطبع في البداية ، لكى اعطى لنفسى فرصة لاسترداد صحتى ، لكننى ما ان اتمائل للشفاء ، حتى يمكنك ان تعتمد على ، وعلى أية حال فسوف اقوم بكل خدمات برونيلا في أثناء تناول طعامها ، وساقوم كذلك بتصفيف شعرها ، واساعدها على ارتداء ملابسها ، وافعل ما لا يفعله لها ديلامارش من قبيل هذه الخدمات ، ولن يكون عليك فقط سوى ، ان تهتم بأمر نظافة الحجرة ، وتحضر لنا ما نحتاج اليه من الخارج ، وتقوم بالاعمال المنزلية التي تتطلب مجهودا .

قال كارل : « لا ياروبنسون ، ان هذا كله لايفرئنى بالبقاء ! » .

فقال روبنسون وهو يدنى وجهه من وجه كارل : « لا تكن أحمق يا روسمان ، لا تلق بهذه الفرصة الرائعة ! أين ستجد وظيفة أخرى بمثل هذه السرعة ؟ من يعرفك ؟ ومن تعرف أنت من الناس ؟ أنا وديلامارش ، وكلانا رجل ناضج ذو خبرة عملية وتجسرية ، قد تجولنا لمدة أسابيع أربعة دون أن نجد عملا ، ان الحصول على العمل ليس أمرا سهلا ، بل هو صعب في الحقيقة صعبة شيطانية ! »

أطرق كارل وهو يتعجب لان روبنسون يتحدث بهذا الإدراك ، وان كانت نصيحته تلك أبعد من أن تجد لديه قبولاً ، فلم يكن يمكنه البقاء ، ولابد من أن يجد لنفسه مكانا في المدينة الكبيرة . أنه يعرف الليل جيدا ، وكل الفنادق الممتلئة بالنزلاء لدرجة الانفجار ، هؤلاء النزلاء الذين يحتاجون الى الخدمة ، ولديه بعض الخبرة في هذا الشأن ، ولابد من أن يجد بسرعة وبكل ترحاب وظيفة أو أخرى ، فعبر الشارع مباشرة كان ثمة مطعم في الطابق الارضى ، كانت تنبعث منه الموسيقى ، وكان مدخله الرئيسى تغطيه فقط ستارة كبيرة صفراء ، كانت تظير في الشارع من حين لآخر ، عندما

كان يلعب بها الهواء ، وفيما عدا ذلك فقد كان كل شيء هادئا نهاية الهدوء في الشارع كله .

وكانت أغلب الشرفات مظلمة ، وعلى البعد ، فحسب ، كان ثمة ضوء ينبعث من هنا ، ومن هناك ، لكن ما ان يركز المرء عينيه عليه ، حتى ينهض الناس الذين يجلسون تحت هذا الضوء ، ويتدافعون الى داخل مساكنهم ، بينما مد الرجل الذي بقى في الخارج وحده ، يده اخيرا الى مفتاح النور ، وأطفاه بعد نظرة قصيرة الى الشارع .

قال كارل في نفسه : « لقد تقدم الليل بالفعل ، ولو بقيت هنا اكثر من هذا ، فسوف اصبح واحدا منهم ! » .

واستدار لكي يجذب الستارة جانبا عن باب الشرفة ، فقال روبنسون وهو يعترض طريق كارل ، ويحول بينه وبين الستارة : « ما الذي تفعله ؟ ! »

قال كارل : « اننى راحل ، دعنى ، دعنى ! » .

فصاح روبنسون : « لكنك بالتأكيد لن تحاول ان تزعجها ، ماذا تظن ، وألقى ذراعيه حول عنق كارل ، وتعلق به بكل ثقله ، ولف ساقيه حول ساقى كارل ، وهبط به في لمحة فوق ارضية الشرفة ، الا ان كارل كان قد تعلم شيئا من فنون العراك بين صبية المصاعد ، وهكذا فقد سدد قبضته الى ذقن روبنسون ، دون ان يضغط عليها بكل قوته ، حتى لا يؤذى روبنسون ، وبسرعة وبلا ادنى تردد لكمه روبنسون في بطنه بركبته ، قبل ان يبدأ في تدليك ذقنه براحيته ، وأطلق صيحة مرتفعة ، حتى ان رجلا في الشرفة المجاورة ، قد صفق بيديه غاضبا ، وصاح قائلا : « اصمت ! » واستلقى كارل ساكنا ، وعاجزا عن الحركة امام الحجرة الفارقة في الظلام ! كان يبدو وكأن احدا لم يكن بداخلها الآن ، ولعل ديلا مارش ان يكون قد خرج بصحبة برونيلدا ، ولعل الطريق خال الآن ، ذلك لان روبنسون الذي كان يسلك ككلب الحراسة تماما ، كان قد تراخى أخيرا .

ثم ارتفعت من اقصى نهاية الشارع في انفجارات واضحة ، أصوات الطبول والابواق ، وصيحات بعض الافراد ، في وسط الجموع ، وسرعان ما تحولت الى هدير شامل ، وحول كارل رأسه ثانية ليرى ان كل الشرفات قد عادت اليها الحياة مرة أخرى ، نهض ببطء ، ولم يتمكن من أن يقف معتدلا تماما ، وكان عليه أن

ينحنى بتناقل الى الدرايزين ، وعلى الرصيف ، كان الصبية الصغار في الشارع يلوحون بقبعاتهم على امتداد اذرعهم ، وينظرون الى الخلف من فوق اكتافهم ، وكان وسط الشارع لا يزال خاليا ، وكان البعض يرفعون قضباناً طويلة ثبتت بأعلاها الفوانيس التي كان يحيطها دخان أصفر اللون ، وكان قارعو الطبول ، ونافخو الإبواق ينتظمون في صفوف عريضة ، وكانوا قد بلغوا الجانب المضيء من الشارع في حشود هائلة ، حتى لقد دهش كارل عندما سمع أصواتاً تأتي من خلفه أيضاً ، فاستدار ليجد ديلامارش يرفع الستارة الثقيلة ، وبرونيلدا تخطو خارج ظلام الحجرة في رداؤها الاحمر ، وحول كتفيها وشاخ من الدانتلة ، وقلنسوة سوداء فوق شعرها ، الذي لعلها لم تكن قد رتبته بعد ، كانت فقط قد جمعتها في عجلة ، ذلك ان اطراف خصلاته الطليقة كانت تتطاير هنا وهناك ، وكانت تحمل في يدها مروحة صغيرة ، كانت قد فتحتها الا انها لم تستعملها ، وكانت تضغطها على صدرها .

وتحرك كارل جانبا ملتصقا بالدرايزين ، لكي يفسح مكانا لهما . لن يجبره احد بلا شك على البقاء هنا ، وحتى لو حاول ديلامارش أن يستبقه ، فان برونيلدا ستسمح له بالذهاب في الحال ، لو طلب منها ذلك ، فهي لا تحتمله فوق كل شيء ، وعيناه ترعبانها ، الا انه عندما تقدم خطوة نحو الباب ، لاحظته برونيلدا في الحال ، وتساءلت : « الى اين أنت ذاهب أيها الصبي ؟ ! »

وجمدت نظرة ديلامارش القاسية حركة كارل للحظة ، وجذبت برونيلدا نحوها .

قالت له : « ألا تريد أن تشاهد الموكب الذي في الشارع ؟ ! » ودفعته أمامها نحو الدرايزين ، وهي تقول : « هل تعرف ما هو هذا الموكب ؟ ! »

وسمعا كارل تتساءل خلفه ، وتفزع في محاولة تلقائية فاشلة لكي يتخلص من ضغط جسدها ، وتطلع الى اسفل في حزن ، كما لو كان سبب حزنه يكمن هناك في الشارع !

ووقف ديلامارش لحظة خلف برونيلدا ، عاقدا ذراعيه ، ثم هرول داخلا الحجرة ، واحضر لها نظارة من نظارات الاوبرا ، وفي الشارع كان الموكب قد وضع للرؤية ، تتقدمه جوقة الموسيقى ، وفوق كتفي رجل هائل الحجم ، جلس سيد ، لم يكن يظهر منه على هذا الارتفاع الشاهق سوى البريق الخافت لتساج بسيط ،

وكان يرفع فوقه قبة عالية يحى بها الجماهير ، تحيات متصلة ، وحوله كانت لافتات خشبية ترتفع عالية في الهواء ، كانت تبدو من الشرفة بيضاء تماما ، وكانت الجموع تنوى فيما يبدو أن تقيم متراسا بشريا مستديرا ، ينحدر بانحدار الشارع ، حول الشخصية الشهيرة ، التى كانوا يناصرونها فيما يبدو ، لكن لما كان حاملو تلك اللافتات يتحركون الى الامام طوال الوقت ، فان حاجز اللافتات ظل يهبط ويرتفع لادخال بعض الاصلاحات على تلك اللافتات ، ثم يعود ذلك الحاجز الذى تكونه تلك اللافتات المتراصة ثانية ، الى نظامه السابق ، وخلف حاجز اللافتات ، بقدر ما كان يمكن للمرء ان يرى في الظلام ، كان عرض الشارع كله ، على الرغم من ان الحشد كان يشغل جزءا عارضا من امتداده ، يمتلىء بأعوان ذلك السيد ، الذين كانوا يصفقون بأيديهم في ايقاع ، ويهتفون في نغم غنائى شيئا ربما كان هو اسم ذلك السيد . وقد كان اسما قصيرا جدا ، لكنه لم يكن مفهوما ، وكان الاعوان قد انتشروا وسط الحشد في براعة ، وكانوا يحملون مصابيح قوية كمصابيح السيارات راحوا يسلطونها الى أعلى ، والى أسفل واجهات المنازل على جانبي الشارع ، ولم يكن ذلك الضوء محتملا على الارتفاع الذى كان يقف عنده كارل ، لكن في الشرفات السفلى ، كان يمكنه ان يرى الناس وهم يرفعون أيديهم فوق عيونهم ، كلما سُلط ذلك الضوء على وجوههم

وتلبية لطلب برونيلا استفسر ديلامارش الناس الذين كانوا يقفون في الشرفة المجاورة ، عن غرض تلك المظاهرة ، وكان كارل شغوبا بملاحظة الطريقة التى كانوا سيجيبون بها على سؤاله ، وكان على ديلامارش بالفعل ان يكرر سؤاله ثلاث مرات قبل ان يتلقى اجابة ، كان قد انحنى على الدرابزين في وضع استفزازي ، وكانت برونيلا قد راحت تدق بقدمها لحقتها على جيرانها ، فقد احس كارل بحركة ركبته ، وأخيرا سمعوا ردا غامضا ، وانطلق كل الناس الذين كانوا في الشرفة المجاورة لحظتها في الضحك بأعلى أصواتهم . وعند هذا صرخ ديلامارش بأعلى صوته ردا على اهانتهم له ، حتى ان الشارع لو لم يكن ممتلئا بكل تلك الحشود لحظتها ، فان كل الناس الذين يسكنون تلك المنطقة لابد كانوا سيرهفون أسماعهم في دهشة ، وعلى أية حال فقد كان لتلك الصيحة اثر حاسم في إنهاء ذلك الضحك فجأة .

وقال ديلامارش في هدوء تام وهو يستدير نحو برونيلا : « أن قاضيا سينتخب غدا في حيننا ، والرجل الذي يجلس فوق الاكتاف هو أحد المرشحين ! واضاف قائلا وهو يحتضن كتفي برونيلا : « أوه ، لقد فقدنا كل فكرة ، مما يجري في العالم ! »

وقالت برونيلا وهي تعود الى سلوك جيرانها مرة أخرى : « ديلامارش ، كم اكون سعيدة لو تمكنت من أن أنتقل من هنا ، لو لم يكن ذلك يكلف مجهودا كبيرا ، لكنني لسوء الحظ لا أستطيع مواجهة هذا الانتقال الى مسكن آخر ! » ، وراحت ، وهي تنهد في صمق ، تجذب في قلق وشروذ قميص ديلامارش ، وعلى الرغم منه ، ظل يدفع يدها الصغيرة المثلثة بعيدا عنه المرة بعد المرة ، وقد كان ذلك أمرا سهلا ، ذلك لان برونيلا ، لم تكن تنتبه اليه ، وانما كانت تشغلها أمور أخرى مختلفة تماما .

الا ان كارل كان قد انشغل عنها في الحال ، واحس بثقل ذراعيها فوق كتفيه ، ذلك لان الموكب كان قد استولى على كل اهتمامه ، وكانت ثمة مجموعات صغيرة العدد من الرجال يهتفون ويتقدمون الموكب امام المرشح ، وبدا ان آراءهم كانت لها أهمية خاصة ، فقد كان في امكان المرء ان يلاحظ وجوها عديدة منتبهة تتجه نحوهم من كل الجهات ، وقد أعلن أفراد هذه المجموعات قرارهم بالوقوف امام المطعم الصغير ، وأشار أحد أفراد تلك المجموعات اشارة ما ، بيده المرفوعة الى اعلى ، فبدت تلك الاشارة وكأنها كانت موجهة الى الحشد والى المرشح ايضا . وخيم الصمت على الجماهير ، وحاول المرشح عددا من المرات ان يقف على قدميه ، وسقط عدة مرات فوق الاكتاف التي كانت تحمله ، والقي خطبة مقتضبة ، وهو يلوح بقبضته العالية الى الامام ، والى الخلف ، بسرعة خاطفة . كان من الممكن رؤيته في وضوح تام ، ذلك لان كل اللبسات الضخمة كانت مسلطة عليه ، وهو يلقي خطبته ، حتى اصبح في مركز حلقة مشعة من الضوء الساطع .

وكان في استطاعة المرء ان يتحقق الآن ايضا من الاهتمام الذي بدا على الشارع كله ، بهذا الحدث ، ففي الشرفات التي امتلأت بانصار المرشح اشترك الناس في الترنم باسمه ، وهم يفردون أذرعهم على امتدادها خارج الدرابزين ، ويصفقون في انتظام آلى ، وفي الشرفات المواجهة التي كانت تكتظ بالفعل بالجماهير ، ارتفعت صيحات تردد التهافت باسم المرشح ، تلك الصيحات التي

لم تكن واضحة منسجمة ، لأنها كانت تصدر عن انصار متنافسين
لمعدد من المرشحين ، إلا ان كل اعداء ذلك المرشح الموجود في الشارع
فوق الاكتاف ، كانوا قد اشتركوا في صفيح استهجان واحد مرتفع
وكان كثير من الجراموفونات قد بدأت ثانية في اذاعة الاغاني ، وبين
الشرفات المختلفة كانت النزاعات السياسية قد قامت على اشدها ،
وقد اكد عنفها سكون ذلك الوقت المتأخر من الليل ، وكان اغلب
الناس يرتدون بالفعل ثياب نومهم ، وقد ارتدوا المعاطف فوقها ،
وكانت النساء تتشح بأوشحة داكنة ، هائلة الحجم ، وكان الاطفال
الذين لم يكن ينتبه اليهم احد قد صعدوا فوق اسوار الشرفات
على نحو يندري بالخطر ، وكانوا يخرجون من داخل الحجرات المظلمة
التي كانوا ينامون فيها في اعداد تتزايد وتزايد ، وكانت تنطابح
هنا وهناك أشياء لا يمكن تمييزها ، كان يلقيها خاصة أولئك الاتباع
المتحمسون نحو خصومهم ، وكانت هذه الأشياء تبلغ هدفها أحيانا
لكن أكثرها يسقط في الشارع ، حيث ترتفع بسببها صيحات
الغضب من وسط الجمهور ، وعندما ازدادت الضجة حتى لم يعد
يحتملها قائد المظاهرة ، أصدر هذا الرجل أوامره الى الطبول
والابواق لكي تتدخل ، فانطلق دويها المتصل عاليا ، حتى غطى
على كل الاصوات البشرية ، حتى ما كان يصدر منها من شرفات
الادوار العليا ، ثم فجأة توقف ذلك الدوي الهائل ، على غير توقع ،
فبدأت الجماهير التي كانت تملأ الشارع ، والتي كانت تنتظر ، على
ما يبدو ، ان تنتهي تلك الضجة المفاجئة ، في الهاتف بالاناشيد
المختلفة ، خلال ذلك الصمت المؤقت - وكان في امكان المرء ان يرى
الافواه المفتوحة على اتساعها في ضوء اللهب القوية الشبيهة
بمصابيح السيارات ، وظلوا على ذلك الصخب ، حتى ناب خصومهم
ثانية الى وعيهم ، فانطلقوا في الهاتف عشر مرات متتابة بأقصى
طاقة حناجرهم ، من كل الشرفات والنوافذ ، وبدأ وكان الصمت
كان قد اطبق على اتباعهم المنتشرين في الشارع ، بعد هذا الانتصار
المؤقت مباشرة ، او هكذا بدا الامر لمن كان يقف على الارتفاع
الذي كان يقف عنده كارل .

تساءلت برونيلا التي كانت تستدير وتتلوى خلف كارل ، لكي
تحاول ان ترى الموكب جيدا من خلال منظارها : « هل يروق لك
هذا المشهد ايها الصبي ؟ ! »

واجابها كارل فقط بإيماءة من رأسه ، وقد لاحظ بنظرة من

جانب عينه ان روبنسون كان منهمكا في الحديث الى ديلا مارش على انفراد ، ويبدو ان حديثه كان يدور حول نوآيا كارل ، لكن بدا ان ديلا مارش لم يهتم اهتماما ملحوظا بما قاله له روبنسون ، لانه ظل يدفع روبنسون جانبا بيده اليسرى ، وكان قد لف ذراعه اليمنى حول خصر برونيلا .

وتساءلت برونيلا ، وهي تضرب كارل على صدره ، لكي توضح له انها تعنيه بقولها : «الا تريد ان تنظر من خلال النظارة ؟» قال كارل : « اننى ارى جيدا ! »

فقالت : « حاول ان تنظر من خلالها ، فسوف ترى في وضوح أكثر ! »

فاجابها كارل قائلا : « ان لى عينين قويتين ، ويمكننى ان ارى بهما جيدا ! » ولم ير كارل فى عرضها هذا شيئا من الاهتمام بامرءه ، بل اعتبره ازعاجا ثقيلًا ، عندما وضعت النظارة امام عينيه ، وهي تقول له :

— هنا ، انت ! الا ان كارل لم يستطع ان يرى شيئا مطلقا من خلالها .

قال : « لا يمكننى ان ارى اى شىء ! » وحاول ان يبعد النظارة عن عينيه ، الا انها قبضت عليه بشدة ، وكان رأسه مضغوطا الى صدرها ، ولم يستطع ان يحركه الى الخلف ، او الى أى من الجانبين . قالت وهي تحرك المسمار : « قد يمكنك ان ترى الآن ! » .

فقال كارل : « لا ، لا ارى اى شىء ! » ، وظن انه قد اراح على الرغم منه — فى نهاية الامر — روبنسون من أعبائه ، لان نزوات برونيلا التى لا تطاق كانت قد تركزت الآن عليه .

قالت : « متى ، بحق الجحيم ، سترى اذن ! » وادارت المسمار ثانية ، وكان وجه كارل معرضا لتنفسها الثقيل ، وتساءلت : — الآن ؟

فصاح كارل : « لا .. لا . لا ! » ، مع انه كان قد تمكن من أن يميز كل شىء من خلال النظارة لحظتها بالفعل ، وان يكن فى شىء من الغموض ، وفكرت برونيلا ، عندئذ فى شىء تقوله لديلا مارش ، فرفعت المنظار بخلاعة أمام وجه كارل الذى تمكن دون ان تلاحظه من أن يختلس النظرات الى الشارع من تحت المنظار ، ولم تستمر فى اصرارها على أن تحمله على النظر من خلال المنظار بعد ذلك ، وراحت

هى تتطلع الى الشارع من خلاله .

وخرج من المطعم أحد السفرجية ، وكان يندفع فى مجلة الى الداخل والخارج ، وهو يتلقى الاوامر من قادة المظاهرة ، وكان فى امكان المرء ان يراه ، وهو يقف على اطراف اصابعه ، لى يتطلع الى داخل المطعم ، ويستدعى من يجده من سفرجية المطعم ليعاونه فى اعداد ما كان يبدو حفلة شراب بالمجان ، ولم يتوقف المرشح من الكلام ، وظل الرجل الذى كان يحمله يدور حول نفسه قليلا قليلا ، بين الحين والآخر ، حتى يبدو المرشح وكأنه يوجه خطابه مباشرة الى كل انحاء الحشد ، وظل المرشح جالسا القرفصاء اغلب الوقت ، وحاول بتلويح يده الطليقة الى الخلف ، وبتحريك قبعته العالية بيده الاخرى ، ان يؤكد كلماته على نحو ما ، لكن انطلاقه فى الخطابة كان يزداد بعد فترات منتظمة تقريبا ، فكان ينهض فاردا ذراعيه على امتدادهما ، ولا يوجه خطابه عندئذ الى مجموعة واحدة من الناس ، بل الى الجماهير المحتشدة جميعا ، تحدث الى كل الناس الذين فى مساكنهم ، حتى اعلى الطوابق كان يوجه حديثه الى من يسكنونها ، لكن كان يبدو فى وضوح ان احدا لم يكن يسمعه ، حتى سكان الطوابق السفلى ، وحتى لو كان فى امكانهم سماعه ، فان احدا لم يكن فى حاجة الى الاستماع اليه ، ذلك ان كل نافذة ، وكل شرفة ، كان يحتلها خطيب واحد على الاقل ، يتدفق فى الصباح ، وكان عدد من السفرجية قد حملوا مائدة كبيرة ، وضعوها خارج المطعم ، وكانت هذه الترابيزة مغطاة بكتوس مترعة لا حصر لها ، كانت تلك المائدة فى حجم مائدة البلياردو . ونظم قائد المظاهرة عملية توزيع الشراب على الجمهور ، فكان الناس يسرون امام المطعم فى طابور ، يمر بتلك المائدة ، وعلى الرغم من ان كل تلك الكتوس كانت تملا ثانية المرة بعد المرة ، الا انها لم تكن تكفى الغوغاء الذين كانوا يملأون الشارع ، وكان على فرقتين من السقا ، ان تندسا وسط الحشد على كلا الجانبين لى توزعا المشروبات على اكبر عدد ممكن ، كان المرشح قد توقف بالطبع عن الخطابة ، وكان قد استغل السكون الذى ساد المكان فى استعادة نشاطه ، وتقدم الرجل الذى يحمله ببطء الى الامام ، والى الخلف مبتعدا به قليلا عن الزحام ، ومن الضوء الشديد ، وكان يلتف حوله ، ويتبعه جيشا ذهب عدد قليل من مساعديه المقربين ، ويشيرون اليه بتعليماتهم .

قالت برونيلا : « انظر الى الصبي ، انه مستغرق في الفرجة ، حتى لقد نسي تماما اين هو ! » ، وادارت وجه كارل فجأة بكلمة يديها ، الى ناحيتها ، حتى تتمكن من ان تحديق في عينيه ، لكن لم يستمر ذلك سوى لحظة قصيرة فقط ، فقد أبعد كارل يدها في الحال ، في ضيق ، لانهم لا يتركونه في سلام ، ولقلقه ايضا ، وتطلعه الى الهبوط الى الشارع ، ومشاهدة المظاهرة من كثب ، وحاول بكل جهده ان يخلص نفسه من قبضة برونيلا ، قائلا : « أرجوك ، دعيني أرحل ! » .

قال ديلامارش : « انك سوف تبقى هنا ! » دون أن يحول عينيه من الشارع ، بينما مد ذراعه فقط لكي يحول بين كارل وبين الخروج .

فقالت برونيلا ، وهي تبعد يد ديلامارش : « اتركه وشأنه ، انه سيبقى بالفعل ! » ، وضغطت كارل بشدة الى الدرابزين حتى اضطر الى أن يجاهد طويلا لكي يخلص نفسه من ضغطها ، وحتى لو تمكن من أن يتخلص منها فما الذي سيجنيه من ذلك ، لقد كان ديلامارش يقف الى يساره ، وكان روبنسون قد تحرك الآن الى يمينه ، وكان هو سجيننا بالفعل بينهم .

قال روبنسون ، وهو يربت على كارل بيده التي دسها تحت ذراع برونيلا : « عليك أن تعد نفسك محظوظا ، لان احدا لم يلق بك الى الشارع ! »

فقال ديلامارش : « يلقي به الى الشارع ؟ ! لا يمكنك ان تلتقي بلص هارب الى الشارع ، وانما عليك أن تسلمه الى البوليس وقد يحدث له هذا بالفعل في صباح الغد ، ان لم يلزم الهدوء ! »

لم تعد ثمة متعة يمكن ان يجنيها كارل من التطلع الى المشهد الذي يشغل الشارع بعد ذلك ، لانه لم يعد يحتمل التطلع اليه ، على حين تضغط عليه برونيلا ، ولم يتمكن من أن يقف منتصبا ، ولذا مال الى الامام قليلا نحو الدرابزين ، وراح يتطلع في شرود الى الناس الذين في الشارع ، لاستغراقه في همومه الخاصة ، وكان الناس يتقدمون نحو المائدة التي امام المطعم ، في جماعات تتألف من نحو عشرين شخصا ، فيتناولون الكئوس ، ويستديرون حول أنفسهم ويلوحون بها في اتجاه المرشح الذي كان يستريح وقتها من الجهود الذي قام به ، ويهتفون بالشعارات الحزبية ، ومن ثم يفرغون الكئوس في جوفهم ، ويضعونها فارغة فوق المائدة في صليل كان

يحدث عن تصادم الكنوس ببعضها البعض ، الا أنه لم يكن مسموعا بالطبع ، عند هذا الارتفاع ، ثم يفسحون في الحال مكانا للمجموعة التالية الصاخبة الفارغة الصبر ، وخرجت الفرقة الموسيقية تلبية لرغبة قادة الحزب ، من داخل المطعم ، الى الشارع ، وكانت آلات النفخ تلمع في الظلام وسط الحشود ، الا ان الموسيقى التي عزفتها تلك الفرقة ضاعت وسط الضوضاء التي كانت تسود الشارع كله ، وكان الشارع الآن ، في الجانب الذي يقع فيه المطعم على الاقل مزدحما ازدهاما شديدا بالجماهير ، وكان الناس يتدفقون من اعلى التل ، حيث جاء التاكسي الذي استقله كارل هذا الصباح ، الى اسفل الشارع ، ومن اقصى منحدر الشارع ، من القنطرة التي كان ينتهى الشارع عندها ، كان الناس يصعدون المنحدر نحو المطعم ، وحتى الناس الذين كانوا في بيوتهم وقتها لم يتمكنوا من ان يقاوموا اغراء المشاركة الشخصية في ذلك الحدث . وفي الشرفات ، وفي النوافذ لم يكن قد تبقى احد تقريبا ، فيما عدا النساء والاطفال على حين كان الرجال يتدفقون من ابواب المنازل الى الشارع ، وكانت الموسيقى والشراب المجاني قد حققا الآن غايتهما ، فقد كان الاجتماع هائلا جدا الآن ، وأشجار واحد من قادة المظاهرة كانت تحيط به اللهب الشديدة الضوء على كلا جانبيه ، الى الفرقة الموسيقية بان تتوقف عن العزف ، واطلق صغفيرا ، واستدار في الحال الرجل الذي كان يحمل المرشح ، مسرعا ، وامكن رؤيته وهو يتقدم خلال ممر مهده له المساعدون وسط الجماهير .

وكان المرشح قد بلغ باب المطعم تقريبا ، عندما شرع في القاء خطبة جديدة في ضوء اللهب الرئيسية ، التي ركزت الاضواء عليه الآن في حلقة ضيقة ، الا أنه لم يكن مرتاحا في وضعه كما كان من قبل ، وكان الرجل الهائل الجسم الذي كان يحمله ، يكاد يكون عاجزا عن الحركة الحرة ، امام ضغط الزحام البالغ الشدة ، ولم يكن في امكان مساعديه المقربين الذين بذلوا اقصى طاقتهم من قبل في محاولة تعظيم اثر كلماته في الجماهير ، ان يبقوا بالقرب منه الا بصعوبة بالغة ، كان عشرون منهم فقط قد تمكنوا من الاحتفاظ بامكانهم حول المرشح . اما الرجل الضخم الهيئة الذي يحمل ذلك المرشح فلم يكن يخطو الآن خطوة واحدة بكامل ارادته ، وكان من المستحيل ان يفكر في محاولة السيطرة على تلك الحشود المتدفقة ، ولم يتمكن من ان يستدير ليوافق هذا الجانب او ذاك ،

ولم يكن له ان يتقدم اذا شاء ، او يتراجع ، كان الحشد الغوغائي يندفع فقط الى الامام والى الخلف بلا خطة ، او هدف واضح ، وكان كل شخص يدفع جاره ، ولم يكن في مقدور اى شخص مطلقا ان يثبت لحظة واحدة على قدميه ، وبدا كما لو كان الحزب المعارض قد حاز عددا من الانصار الجدد ، كان الرجل الذى يحمل المرشح ، قد ترك نفسه ينجر فى كلا اتجاهى الشارع ، دون ان يبذل ادنى مقاومة ، بعد ان كان قد قاوم للحظة حركة المد والجزر امام باب المطعم ، وكان المرشح لا يزال يلقي بكلماته ، الا انها لم تعد واضحة ، فهل كان يسرد الخطوط الاساسية لبرنامج ، او كان يصيح طالبا النجدة ؟ ! وما لم يكن كارل مخطئا ، فقد رأى مرشحا منافسا قد ظهر ، او عددا من المرشحين المتنافسين فيما يبدو ، ذلك لان بعض الاشخاص كانوا يرتقون فوق اكتاف الجماهير ، هنا وهناك ، عندما كان الضوء يسطع فجأة ، فليقون الخطب بوجوههم الشاحبة ، وقبضاتهم المضمومة ، وكان الجمهور يهلل مبتهجا لخطبهم التى كانوا يلقونها بلا استثناء .

تساءل كارل قائلا : « ما الذى يحدث فى الشارع بحق الجحيم ؟ » واستدار فى حيرة الى حراسه ، متقطع الانفاس . فقالت برونيلا لديلامارش ، وهى تتناول ذقن كارل لكى تدبر وجهه ناحيتها :

— كم يشير ذلك اهتمام الصبى ! ؟
الا ان كارل لم يقبل ذلك ، وقد دفعه ما كان يجرى امامه فى الشارع ، الى شئ من الطيش ، فأتى بحركة مفاجئة ، حتى ان برونيلا لم تتركه فقط بل تراجعت عنه مبتعدة ، وتركته فى حاله .

قالت له ، وقد اغضبها سلوكه على ما يبدو : « لقد رايت ما يكفيك الآن من هذا المشهد ، فادخل الى الحجرة ، ورتب الفراش وجهاز كل شئ لليلة ! » ، وأشارت له نحو الحجرة ، وقد كان هذا هو الاتجاه الذى كان يتوق الى ان يتجه اليه منذ ساعات ، فلم يبد اعتراضا على الاطلاق .

ثم ارتفع من الشارع صوت تحطم زجاج ، فلم يستطع كارل ان يمنع نفسه من العودة ، وقفز قفزة سريعة الى الدرابزين ، لكى يلقي نظرة اخيرة الى الشارع . كان صدام هائل قد وقع بين الجوانب المتعارضة ، ولا بد انه كان صداما حاسما ، وكانت مصابيح العربات

الامامية التي كانت مع اعوان المرشح ، والتي كانت تلقى ضوءا شديدا على الشخصيات الرئيسية على الاقل ، وتتيح بالاضافة الى ذلك نوعا ما من الاضاءة العامة التي تسيطر على الموكب كله بصورة ما ، قد تهشمت جميعا في وقت معا ، وكان المرشح ، والرجل الذي يحمله قد غابا الآن في اضاءة الشارع العمومي الخافتة ، التي كان لها فجأة تأثير الظلام الحالك ، بعد اختفاء ضوء اللهب الساطعة الاضاءة ، ولم يستطع اى شخص أن يدرك ، ولو على وجه التقريب مكان المرشح ، وكان قد زاد في وطأة الظلام ارتفاع اصوات فرقة كانت تنشد في تآلف نشيدا ما ، وكانت اصوات تلك الفرقة قد ارتفعت فجأة وأخذت تقترب ، صاعدة المنحدر، من ناحية القنطرة .

قالت برونيلدا : « ألم اقل لك ما يجب عليك أن تفعله » ، واضافت قائلة ، وهي تمد ذراعيها فوق رأسها ، حتى برز صدرها الى الامام اكثر مما كان عليه بروزه من قبل : « هيا ، أسرع ، فاني متعبة ! » ، وسحبها ديلا مارش الذي كانت ذراعه لا تزال تلتف حولها الى أحد أركان الشرفة ، وتبعهما روبنسون لكي يخلو طريقهما من بقايا عشائه الذي كان يتناثر فوق أرضية الشرفة .

ولم يكن له أن يدع تلك الفرصة المواتية تغتلب منه ، ولم يعد الآن أمام كارل أن يتطلع الى الشارع ، فسوف يرى الكثير مما يجري فيه عندما يهبط اليه الآن ، وسوف يرى تلك المظاهرة بصورة أوضح مما يراها عليه الآن من هذا الارتفاع ، وفي قفزين كان كارل قد عبر الحجرة بضوئها الاحمر القاتم ، لكن كان الباب مغلقا ، ولم يكن المفتاح موجودا فيه . لابد اذن من أن يجد المفتاح في الحال ، لكن مندا الذي يتوقع أن يجده وسط هذه الفوضى ، وفي فسحة ضئيلة من الوقت الثمين فوق ذلك ، وقت ربما كان يمكن لكارل أن يدبر فيه أمره كما يحلو له . كان عليه الآن أن يكون فوق درجات السلم ، يجري ويجرى ، لكنه يبحث الآن عن ذلك المفتاح بدلا من هذا ! بحث في كل الادراج التي كان يمكن فتحها ، وفتش فوق المائدة ، حيث كانت تتراكم أطباق عديدة ، وفوط سفرة ، وقطع من القماش قد بدء في تطريزها ، ثم بعد ذلك أغراه البحث في تلك الكومة المضطربة المشوشة من الملابس القديمة التي كانت تتكوى فوق المقعد ذى المساند ، فلعل المفتاح أن يكون في طياتها ، الا انه لم يجد له أثرا ، فاندفع أخيرا نحو الأريكة ، التي كانت تفوح منها بالفعل رائحة كريهة ، لكي يتحسس كل زواياها واركانها بحثا عن

المفتاح ، ثم توقف عن البحث في وسط الحجرة ! وقال لنفسه :
لاشك ان برونيلدا تحتفظ بذلك المفتاح في حزامها ، وعلى هذا فمن
العيب البحث عنه في كل تلك الاشياء الملقاة هنا .

واختطف كارل سكينين ، دفعهما بين مصراعى الباب ، احدهما
الى اعلى ، والاخرى الى اسفل ، لكى يضغط على اللسان باقصى
ما يمكنه من القوة من مكانين مختلفين ، لكنه ما كاد يضغط على
السكينين ، حتى انكسر نصلاهما ، ولم يكن كارل يامل فى شىء افضل
من هذا ، فقد كانت بقية النصلين اللذين يمكنه بهما ان يضغط عن
قرب ، فوق لسان الكالون ، تضغطان الآن على ذلك اللسان بقوة ،
ولواهما الآن فى عنف ، وكانت ذراعا مفرودتين ، وقدماء متباعدتين ،
وكان يلهث من المجهود ، لكنه كان يرقب الباب فى الوقت نفسه
بغاية الاهتمام . لن يتحمل ذلك اللسان طويلا هذا الضغط ، وقد
أدرك كارل ذلك فى فرح من خلال تحرك اللسان بصوت مسموع فى
داخل الكالون ، لكن من الافضل ان يتحرك ببطء ، فلا يجب ان
يتحرك مرة واحدة ، والا سمعوا من الشرفة صوت انفتاحه ، يجب
ان يفتح بالتدريج ، واستمر كارل فى محاولته بغاية الحذر ، حتى
يتم له ذلك ، وهو يقترب بوجهه من الكالون أكثر فأكثر .

وسمع صوت ديلامارش يقول : « انظر الى هذا ! » ، كان
ثلاثتهم يقفون فى داخل الحجرة ، وكانت الستارة قد اسدلت
بالفعل خلفهم ، ولم يكن كارل قد أحس بهم عندما دخلوا الى
الحجرة ، وترك السكينين عندما وقع نظره عليهم ، الا انه لم يكذب
يجد وقتا لكى يتفوه بكلمة واحدة على سبيل التفسير او الاعتذار ،
فقد اندفع ديلامارش نحوه فى هياج اشد مما يتطلبه الموقف ، وكان
رباط رداءه الليل المفكوك قد طار فى الهواء ، وزاغ منه كارل فى
اللحظة المناسبة متجنباً هذا الهجوم ، وكان فى مقدوره ان ينتزع
السكينين من بين مصراعى الباب ويحتمى بهما ، الا انه لم يفعل ،
وغطس بدلا من ذلك الى اسفل ، ثم قفز الى اعلى ممسكا ببقية
رداء ديلامارش العريضة ، وجذبها ، وراح يجذبها أكثر الى الأمام ،
وكان الرداء واسعا على ديلامارش للغاية ، فاستطاع كارل عندئذ
لحسن الحظ ، ان يمسك برأس ديلامارش ، الذى فوجئ ، وراح
يتخبط بيديه فى الهواء ، فى البداية ، ثم بعد دقيقة أو دقيقتين
راح يضرب كارل بقبضته ، فوق ظهره ، لكنه لم يكن يملك فى
وضعه عندئذ ان يضرب بكل قوته ، بينما اندفع كارل الى صدر

ديلامارش لكي يحمي وجهه من تلك الضربات ، وتحمل كارل تلك الضربات التي كانت تجعله يتلوى من الألم ، والتي كانت تزداد عنفا ، ومع ذلك فقد كان في مقدوره أن يحتملها عندما ظن أن النصر كان يلوح له .

وبسببه حول رأس ديلامارش ، وإبهاميه فوق العينين ، دفع ديلامارش إلى طرف الحجرة المزدحم بالاثاث ، وحاول في نفس الوقت إبطرف حذائه أن يلف الحبل الذي كان يتدلى من رداء ديلامارش حول ساقيه حتى يتعثر فيه .

ولما كان عليه أن يركز كل انتباهه على ديلامارش ، الذي بدأ يشعر بمقاومته له تزداد شيئا فشيئا ، وكان جسده القوى يرمى عليه في عنف متزايد ، كان قد نسي بالفعل انه لم يكن وحيدا في الحجرة مع ديلامارش ، فسرعان ما حدث له ما ذكره بهذه الحقيقة عندما طارت قدماه فجأة من تحته ، وانزاح جانبا عندما دفعه روبنسون الذي كان مستلقيا يصرخ خلفه ، فوق الأرض ، وخفف كارل قبضته التي كانت تقبض بشدة على ديلامارش ، فراجع هذا وهو يلهث ، وكانت برونيلا ، بساقيهما المنفرجتين ، وركبتيهما المخلختين تقف بكيانهما الضخم في وسط الحجرة ، وهي تنابع المعركة بعينيهما المتألفتين ، كما لو كانت تشترك هي أيضا فيها ، فقد راحت تنفّس في عمق ، وهي تسدد نظراتها ، وتمد قبضتيها في بطنه ، وأطاح ديلامارش بياقة رداءه إلى الخلف ، فاستطاع أن يرى الآن جيدا ، ولم تعد المسألة عندئذ تبدو في شكل معركة ، لكن ببساطة في شكل عقاب ، فقد أمسك ديلامارش بصدر قميص كارل ، ورفع من على الأرض ، ودون أن ينظر إليه ، لاستخفافه به ، قذفه بغاية العنف نحو صندوق كان على بعد بضعة خطوات ، حتى لقد ظن كارل في البداية ، أن الآلام التي كان يشعر بها في ظهره ورأسه من اثر لكمة ديلامارش ، كانت هي النتيجة المباشرة لارتطامه بالصندوق : « أيها السافل » ، كان يمكنه سماع صيحات ديلامارش هذه في الظلام ، فقد ارتفعت تلك الصيحة أمام عينيه اللتين تهتز نظراتهما ، وبينما كان يتهاوى فاقد الوعي بجوار الصندوق كان لا يزال يسمع هذه الكلمات : « انتظر فقط قليلا ! » وظلت هذه الكلمات تتردد في أذنيه في غموض .

وعندما عاد إليه وعيه ، كان الظلام يغطي كل شيء حوله ، ويبدو أن الوقت كان وقتا متأخرا جدا من الليل ، ومن الشرفة كان لمعان

ضوء القمر الخافت يدخل الحجرة من خلال الستارة ، وكان يسمع
تنفس النائمين الثلاثة بانتظام ، وكانت أعلى أصوات تنفسهم ارتفاعا ،
هو صوت برونيلا ، التي كانت تشخر في نومها ، كما كانت تفعل
أحيانا في حديثها ، لكن لم يمكنه أن يحدد أين كان هؤلاء الأشخاص
الثلاثة يستلقون ، فقد كانت الحجرة كلها تردد أصوات تنفسهم ،
ولم يفكر كارل في نفسه إلا عندما تفحص ما حوله للحظة قصيرة ،
ثم فوجيء بشيء انزعج له انزعاجا بالغا ، مع انه كان عاجزا تماما ،
وقد تجمد في مكانه من الألم ، إلا انه لم يكن قد تخيل انه قد
أصيب بمثل تلك الجراح التي سالت منها تلك الدماء ، ثم أحس
الآن بثقل في رأسه ، وفي وجهه كله ، وعنقه ، وصدره تحت القميص
بدا كما لو كان مبللا بالدم ، لهذا يجب عليه أن يذهب الى الضوء
لكي يتفحص حالته تماما ، فربما كانوا قد أصابوه بالعجز التام ،
وسوف يكون ديلا مارش سعيدا في هذه الحالة عندما يسمح له
بالرحيل ، لكن ما الذي يأمل فيه لو اتضح ان الامر كان كذلك ،
انه لن يطعم الى أي شيء على الإطلاق ، وتراعى له الصبي ذو الانف
المتآكل ، فدفن وجهه للحظة بين راحتيه .

ثم استدار رغما عنه الى الباب الخارجى ، وشق طريقه اليه على
اطرافه الاربعة ، ثم وقعت أصابعه على حذاء ، ثم ساق ، لابد ان
هذا هو روبنسون ، فمن غيره ينام منتعلا حذاءه ؟ ولابد انهما قد
امراه بان ينام امام الباب لكي يمنع كارل من الهرب . لكن ألم
يلحظا عندئذ الحالة التي كان عليها كارل ؟ لم يكن كارل يفكر الآن في
الهرب ، كان يريد فقط ان يصل الى الضوء ، فان لم يستطع لهذا
أن يخرج من الباب ، فعليه أن يتجه نحو الشرفة .

وفي طريقه وجد ان مائدة الطعام كانت تستقر في مكان مختلف
تماما عن مكانها في الليلة السابقة ، وكانت الأريكة التي اقترب منها
بغاية الحذر ، خالية لدهشته ، لكنه كان قد بلغ كومة عالية من
الملابس المضغوطة رغم ارتفاعها ، والبطاطين ، والستائر ، والوسائد ،
والسجاجيد ، وقد ظنها في البداية مجرد كومة صغيرة ، كذلك
الكومة التي وجدها عند طرف الأريكة في الليلة السابقة ، كومة
ربما تكون قد سقطت الى الأرض ، إلا انه اكتشف لدهشته عندما
تقدم في زحفه ان حمولة عربة نقل كاملة كانت قد وضعت هنالك ،
ويحتمل أن تكون قد وضعت لاستخدامها كقراش في أثناء الليل ،
ولا بد انها كانت قد أخرجت من الصناديق التي توضع بداخلها

في انشاء النهار ، وزحف كارل من يمين تلك الكومة ، وسرهان ما تحقق من ان تلك الكومة كانت تكون فراشا ، فوقه ، كما تحسس في حذر ، كان ينال ديلامارش وبرونيلدا .

وهكذا ادرك الآن اين كان الثلاثة ينامون ، فاسرع الى الشرفة . كانت الشرفة عالما مختلفا تمام الاختلاف ، في الجانب الآخر من الستارة . ونهض كارل في الحال على قدميه .

وتمشى في الهواء الليلي المنعش عدة مرات في الشرفة ذهابا وجيئة في ضوء القمر الساطع ، وتطلع الى الشارع ، كان هادئا تماما ، وكانت الموسيقى لا تزال تنبعث من المطعم . لكنها كانت الآن أشد تأثيرا .

وكان ثمة رجل يفصل الرصيف امام باب المنزل ، وفي الشارع الذي كانت الضجة الهائلة تغطيه منذ ساعات قليلة ، حتى ان صيحات المرشح ، لم تكن مسموعة وسط ضجيج آلاف الاصوات الاخرى ، كان يسمع الآن في وضوح خفيف الكنسة فوق البلاطات الحجرية .

وكان الصوت الذي أحدثته أرجل المنضدة في الشرفة المجاورة ، قد نبه كارل الى ان شخصا كان يجلس في تلك الشرفة ، مستغرقا في القراءة . كان شابا له ذقن صغيرة مدببة ، راح يفتلها دائما وهو يقرأ ، وكانت شفاته تتحركان بسرعة في أثناء ذلك ، كان يواجه كارل في جلسته الى تلك المنضدة الصغيرة ، المغطاة بالكتب ، وكان قد تناول المصباح الكهربائي ، الذي كان قد وضعه فوق السور ، وأسندته بين كتابين ضخمين ، وهكذا كان يجلس الآن في ضوء شديد يبههر النظر .

قال كارل ، الذي ظن ان الشاب كان ينظر اليه : « مساء الخير ! » لكن لعله كان مخطئا في ظنه هذا ، فقد بدا ان ذلك الشاب لم يكن يدرك وجوده ، فقد وضع يديه فوق عينيه ، ليظللهما من الضوء ، وراح يبحث عن تحدث اليه فجأة ، ثم رفع المصباح الكهربائي الى أعلى لكي يلقي بعض الضوء على الشرفة المجاورة ، وكان لا يستطيع ان يرى أي شيء .

ثم قال عندئذ بدوره ، في نظرة فاحصة ، مقتضبة : « مساء الخير ! » ، ثم اضاف قائلا : « وماذا تريد ؟ » .

تساءل كارل قائلا : « هل أزعجتك ؟ ! » .

فقال الشاب : « بالطبع ، بالطبع ! » ، وهو يعيد المصباح ثانية

الى مكانه السابق .
ولاشك ان هذه الكلمات لم تشجع كارل على ان يحاول مواصلة الحديث ، الا ان كارل لم يفادر في الوقت نفسه ذلك الركن من الشرفة القريب من الشاب ، وراح يرقبه في صمت وهو يقرأ ، ويقلب الصفحات ، او يتطلع من حين لآخر الى شيء ما في كتاب آخر ، كان يختطفه دائما في سرعة البرق . وكان غالبا ما يكتب بعض المذكرات في مفكرة ، كان يكتبها ووجهه ملتصق بالورقة الى حد يثير الدهشة .

هل يمكن ان يكون هذا الشاب طالبا ؟ كان يبدو طالبا بلا شك ، وكان كارل - وان يكن قد انقضى الآن وقت طويل على هذا - يجلس بهذه الصورة تقريبا في منزله ، الى مائدة كتابة والديه ، لكي يكتب واجباته المدرسية ، بينما يقرأ والده الصحيفة ، او يؤدي أعماله التجارية ، او مراسلاته الخاصة بالمؤسسة التي يعمل بها ، وتنشغل امه بالتطريز ، وهي تسحب الخيط من القماش بيدها الى اعلى ، ولكي يتجنب ازعاج والده ، اعتاد كارل ان يضع كراسي التمرينات المدرسية فقط ، وأدواته الكتابية على المنضدة ، بينما يربب بقية كتبه على المقاعد عن يمينه ويساره ، فكم كان كل شيء هادئا هناك ! وكان كارل وهو طفل صغير يسر دائما سرورا زائدا ، عندما كان يرى امه وهي تدبر المفتاح في الباب الخارجى لتفتحه احيانا ، لاشك انها لا تدري الآن شيئا عن ان كارل قد بلغ به الامر حدا حاول معه فتح ابواب القرباء بالقوة باستخدام السكاكين .

وماذا كانت نتيجة استذكاره ؟ لقد نسي كل شيء ، فلو كانت قد اتاحت له فرصة مواصلة دراسته هنا ، فلا بد انه كان سيجدها عبثا شاقا . وقد تذكر الآن انه كان قد مرض ذات مرة ، في منزله ، مرضا استمر شهرا كاملا ، وتذكر كم كلفه انقطاعه عن دراسته في اثناء ذلك الشهر ، لقد كلفه مجهودا مرهقا حتى تمكن من متابعة دراسته التي انقطعت ، مرة اخرى ، والآن فما هو ذا لم يقرأ كتابا واحدا منذ تلك المدة الطويلة ، فيما عدا كتاب المعاملات التجارية الذي كان مكتوبا بالانجليزية .

وسمع كارل فجأة صوتا يقول له : « ايها الفتى ، الا يمكنك ان تقف في مكان آخر ؟ انك تزعجني ، غاية الازعاج ، وانت تحدد في على هذا النحو ، فبعد الساعة الثانية صباحا ، لاشك ان المرء يتوقع ان يتمكن من العمل في الشرفة ، في هدوء ، هل تريد شيئا

منى ؟ ! » .
فسأله كارل قائلا : « هل تدرس ؟ ! » .
فقال الشاب ، وهو يحاول الاستفادة بهذه اللحظات الضائعة في
إعادة ترتيب كتبه :
- نعم .. نعم !
فقال كارل : « اذن ، فلن اعطلك ، وسادخل ثانية الى الحجرة ،
وطابت ليلتك ، على أية حال ! » .
ولم يرد الشاب مطلقا ، وعاد ثانية الى كتابه في همة ، بعد ان
تخلص من ذلك الازعاج ، وكان رأسه يستند بكل ثقله الى يده
اليمنى .

لكن قبل ان يبلغ كارل الستارة ، تذكر ما كان قد خرج من
أجله ، فلم يكن يعلم مدى اصابته ، ولم يكن يدري ما الذى كان
يحس به ثقيلًا الى حد ما فوق رأسه ، ووضع يده الى أعلى
رأسه ، وحملق في دهشة . لم يكن هناك جرح يدمى كما تصور
عندما كان في الظلام داخل الحجرة ، لكن فقط عصابة تشبه
العمامة كانت لا تزال مبتلة ، وتبين من الاهذاب الصغيرة التى كانت
تدلى هنا وهناك ، والتى اتضح أنها كانت طرف قطعة من الدانتلا،
تبين كارل انها كانت خرقة قد مزقت من أحد قمصان نوم برونيلدا
القديمة ، ولا بد ان روبنسون كان قد لفها في سرعة حول رأسه ،
الا أنه كان قد نسي ان يمتصرها ، فبينما كان كارل فاقدًا وعيه ،
كان الماء يقطر فوق وجهه ، ويتسرب تحت قميصه ، وكان ذلك هو
ما سبب له تلك الصدمة .

تساءل الشاب ، وهو يحملق فيه عبر الشرفة : « هل ما زلت
هنا ؟ ! » .

فقال كارل : « اننى ذاهب الآن بالفعل ، لقد كنت أريد فقط
ان أتفحص شيئًا ما ! » ، ان الظلام شديد جدا فى الداخل ! ،
فقال الشاب ، وهو يضع قلمه فوق الكتاب المفتوح أمامه ،
ويتقدم نحو الدرابزين : « لكن من أنت ؟ ما هو اسمك ؟ وكيف
جئت الى هؤلاء الناس ؟ وهل لك وقت طويل هنا ؟ وما الذى
كنت تريد أن تتفحصه ؟ افتح النور الكهربائى هنالك ، الا تريد ،
افتحه حتى أتمكن جيدا من رؤيتك ! » .

ونفذ كارل ما طلبه منه ، لكنه قبل ذلك ، سحب الستارة ،
واحكم اغلاقها لكي يمنع من بالداخل من ملاحظة أي شيء ، وقال

هامسا : « اعذرني ، لاننى لايمكننى ان ارفع صوتى اكثر من ذلك ، لانهم لو سمعوني ، فسوف تحدث ضجة اخرى ! »

تساءل الشاب قائلا : « اخرى ؟ »

فقال كارل : « نعم ! لقد حدثت بينى وبينهم معركة شديدة هذا المساء ، ولا بد اننى قد اصببت بضربة شديدة للغاية فوق راسى ، وتحسس مؤخرة راسه .

وتساءل الشاب قائلا : « وما سبب تلك المعركة ؟ ! » ، وعندما لم يجبه كارل فى الحال ، قال له الشاب : « يمكنك ان تصرح لى فى اطمئنان ، بكل ما لديك ضد هؤلاء الناس ، فانا امقتهم جميعا ، وخاصة السيدة ، وبلاضافة الى ذلك ، فما يدهشنى هو ان اجدهم قد حذروك بالفعل منى ، ان اسمى هو « جوزيف مندل » ، وانا طالب قال كارل : « حسنا ، لقد تحدثوا الى عنك بالفعل ، لكنهم لم يقولوا شيئا سيئا عنك ، فانت قد عالجت برونيلا ذات مرة ، ألم تفعل ؟ ! »

قال الطالب ضاحكا : « هذا حق ! وهل تفوح الاريكة بنتن تلك الرائحة حتى الآن ؟ ! » .

فقال كارل : « نعم لا تزال ! »

وقال الطالب : « ان هذا يسعدنى على كل حال ! » ومر بأصابعه فوق شعره ، ثم اضاف قائلا : « ولماذا وجهوا اليك تلك الضربات فوق راسك ؟ ! »

قال كارل : « لقد نشبت مشاجرة بيننا ! » ، واحترار فى كيفية تفسير الامر كله له ، ثم عاد ، فالح مرة اخرى متسائلا : « لكن الا اسبب لك ازعاجا الآن ؟ ! »

قال الطالب : « أولا ، لقد تسببت بالفعل الان فى ازعاجى ، واننى لسوء الحظ شخص عصبي جدا ، حتى اننى استغرق وقتا طويلا جدا لكى اعود الى حالتى التى كنت عليها من قبل ، فممنند ان رحت تتمشى فى الشرفة ، لم اتمكن من متابعة قراءتى ، ومن ناحية اخرى ، فاننى دائما استريح ، حوالى الساعة الثالثة صباحا ، وعلى هذا فليس لك ان تتردد فى اخبارى بما سالتك عنه ، وبلاضافة الى ذلك ، فاننى مهتم بهذا الامر ! »

قال كارل : « انه امر غاية فى البساطة ، فديلامارش يريدنى ان ابقى لكى اعمل خادما له ، لكننى لا اريد ذلك ، وكنت اريد مغادرة هذا المكان الليلة ، الا انه لم يسمح لى بالرحيل ، ولقد

أغلق الباب ، وحاولت أن أفتحه بالقوة ، ثم حدثت المشاجرة ،
وما زلت هنا لسوء الحظ ! »
فتساءل الطالب قائلاً : « ولماذا ترحل ، هل عثرت على عمل
آخر ؟ ! »

فقال كارل : « لا ، إلا أن هذا لا يهمني مطلقاً ، لو أمكنني فقط
أن أغادر هذا المكان ! »
فقال الطالب : « ماذا ؟ لا يهكم هذا مطلقاً ؟ ألا يهكم ؟ ! »
وصمت كلاهما لحظة ، ثم قال الطالب متسائلاً في النهاية : « ولماذا
لا تريد أن تبقى مع هؤلاء الناس ؟ »

وأجاب كارل قائلاً : « أن ديلا مارش رجل شرير ، ولقد اصطدمت
به من قبل ، فقد تجولت معه يوماً كاملاً ذات مرة ، ثم أسعدني
أن أتخلص من صحبته ، فهل يمكنني أن أصبح خادمه الآن ؟ ! »
فقال الطالب ، وبدأ وكأنه كان يبتسم : « لو كان كل الخدم
مثلك يدققون طويلاً في اختيار ساداتهم ! ، استمع إلي ، انني
أعمل بالنهار كبائع ، وهي وظيفة بائسة أقوم فيها بتسليم البضائع
إلى المشترين ، وهي لا تكاد تفرق في شيء عن وظيفة ساع ، في مخزن
(منتلى) الكبير ، أن منتلى هذا هو شخص سافل ، لاشك
في هذا ، إلا أن هذا لا يثيرني ، أن ما يهمني بالفعل هو الأجر ،
وهو أجر حقير مع هذا ، فلتضع هذا في اعتبارك ! »
فقال كارل : « ماذا ؟ هل تعمل في أثناء النهار كبائع ، وتستدكر
طوال الليل ؟ »

قال الطالب : « نعم ، لا يمكنك أن تفعل شيئاً آخر ، ولقد حاولت
أن أعمل كل ما يمكن عمله ، إلا أنني وجدت أن هذا هو أفضل الطرق
جميعاً ، انني لا أفعل شيئاً سوى الدراسة ليلاً ونهاراً منذ هذه
سنوات ، وغالباً لا أستطيع الانتظام في المحاضرات ، فالجراحة لا توائمني
بالذهاب في هذه الملابس التي أملكها ، إلا أنني انتهيت من هذا
كله الآن ! »

فقال كارل وهو ينظر إلى الطالب في حيرة : « لكن متى تنام ؟ ! »
قال الطالب : « أوه .. النوم ! » ، انني أحصل على قليل من
النوم عندما أنتهى من مذاكرتي ، وانني أعمل على أن أبقى مستيقظاً
بتناول القهوة السوداء ! » ، واستدار حوله ، وتناول زجاجة
كبيرة من تحت المنضدة ، وصب القهوة السوداء من الزجاجة في قديم
صغير ، وصبه في جوفه ، كما لو كانت تلك القهوة دواء يتجرعه

حتى يمكنه ان يتجنب مرارة طعمه .
قال الطالب : « رائعة تلك القهوة السوداء ! » ، ومن سوء
الحظ ، انك تبعد عنى كثيرا ، والا كنت قد اعطيتك بعضا منها
الآن ! » .

قال كارل : « اننى لا احب القهوة السوداء ! »
ورد عليه الطالب ضاحكا : « ولا انا ، الا اننى بدونها ، ماذا
عساي ان افعل ؟ فلو لم اتناول تلك القهوة السوداء ، لما رآنى منتلى
دقيقة واحدة ، واقول منتلى ، على الرغم من انه بالطبع لا يكاد
يشعر بوجودى ، اننى لا استطيع ببساطة ان ادخل المحل دون
ان احمل معى زجاجة كبيرة كهذه ، اضعها تحت الطاولة ، ذلك اننى
لا اجرؤ مطلقا على المغامرة بالاقلاع عن تناول القهوة ، وصدقنى ،
فلو اننى فعلت ذلك لتدحرجت تحت الطاولة فى نوم كانه الموت ،
ولقد فطن الآخرون لسوء الحظ ، الى ذلك ، فاطلقوا على لقب
(القهوة السوداء) ، نكتة سخيفة ، الا اننى واثق من انها قد دمرت
حياتى العملية بالفعل .

وتساءل كارل : « ومتى ستنتهى من دراستك ؟ ! »
فقال الطالب مطرقا براسه : « اننى اتقدم فيها ببطء ! » ، ثم
ترك الدرايزين ، وجلس ثانية الى المنضدة ، ووضع مرفقيه فوق
الكتاب المفتوح ، ومر بأصابعه خلال شعره ، ثم قال : « قد
تستمر سنة أخرى ، أو سنتين ! »

قال كارل : « اننى أريد أن أدرس انا أيضا ! » ، قالها وكان
مجرد تصريحه بهذه الرغبة كان يعطيه الحق فى أن يتساوى تماما
مع الطالب ، الذى صمت الآن ، عندما تبين انه قد أصبح قدوة .

قال الطالب : « حقا ؟ ! » ، ولم يكن واضحا تماما لكارل
لحظتها ، هل كان يعيد قراءة دروسه ، أم كان ينظر فحسب اليه
فى شرود ! ثم عاد يقول : « لعلك أن تكون سعيدا لانك قد تركت
دراستك بالفعل ، ولقد واصلت انا دراستى هذه حتى الآن ، فقط
لمجرد الرغبة فى المواصلة ، اننى اشعر أحيانا بشيء من الرضا ،
ويغعم نفسى فى أحيان أخرى أمل واه فى المستقبل ، فما هو الشيء
الذى يمكننى أن أطمع اليه ؟ ان أمريكا تمتلئ بالطباء الدجالين ! »

فقال كارل مسرعا ، عندما بدا الطالب وكأنه يفقد اهتمامه بكل
شيء : « لقد طمحت الى أن أكون مهندسا ميكانيكيا ! »
فقال الطالب ، وهو يتطلع لحظة الى أعلى : « والآن يتعين عليك

أن تصبح خادما لهؤلاء الناس ، وإن هذا يضايقك بالفعل ! »
توصل الطالب الى هذه النتيجة لانه لم يفهم تماما ما كان كارل يقصده ، الا أن كارل أحس لحظتها بأن في امكانه أن يحول هذه الفكرة لصالحه ، ولهذا فقد تساءل قائلا : « لعلنى أجد وظيفة في المخزن أنا ايضا ! »

وانتزع هذا التساؤل الطالب بعيدا عن كتابه تماما ، كانت فكرة مساعدته لكارل في الحصول على وظيفة كتلك أبعد ما تكون عن باله ، فقال : « حاول أن تحصل على هذه الوظيفة ، أو لا تحاول ، أن حصولى على وظيفة عند منتلى هو أعظم نجاح أحرزته في حياتى ، فلو كان لى أن أختار احدهما ، فسأختار الوظيفة بالطبع ، ويمكننى أن أتخلى في الحال عن دراستى ، لقد أنفقت طاقتى كلها في محاولة حسم التردد في هذا الاختيار ! »

قال كارل محدثا نفسه ، قبل أن يوجه حديثه الى الطالب : « اذن فمن الصعب الى هذا الحد أن يجد المرء وظيفة عند منتلى ! » قال الطالب : « لماذا ، ماذا تظن ؟ أنه من الأسهل أن يتم تعيينك هنا قاضيا للحى ، من أن تعين بوابا عند منتلى ! »

وصمت كارل ، ان هذا الطالب الذى يتمتع بهذا القدر الهائل من الخبرة ، والذى يكره ديلا مارش لسبب غير معروف ، والذى لا يحفل له بلأرباب أبة ضغينة ، لا يستطيع أن يشير له بكلمة واحدة تحمل أى معنى من معانى التشجيع على مغادرة ديلا مارش ، وهو لا يعلم مع ذلك أى شىء عن الخطر الذى يتهدد كارل من البوليس ، هذا الخطر الذى لا يستطيع أن يحميه منه الآن سوى ديلا مارش وحده .

لقد رايت المظاهرة في الشارع هذه الليلة ، ألم ترها ؟ ان أى شخص لا يعرف ما هى الحال ، يمكنه بسهولة أن يتخيل ، الا يمكنه أن يتخيل ان المرشح لوبستر ، وهذا هو اسمه ، من الممكن أن يأمل الى حد ما في النجاح ، أو على الأقل في النظر اليه كمرشح جدير بالاعتبار ! »

قال كارل : « لا أفهم في السياسة ! »

فقال الطالب : « هذا خطأ ، لان لك عينين فى رأسك ، واذنين ، ليست لك عينان ؟ ان الرجل له أصدقاء وله خصوم ، وهذا واضح غاية الوضوح ، ولا يمكن أن يكون قد فاتك أن ترى هذا ، حسنا ، ان هذا الشخص ليس له في رأى اقل أمل في التراجع ، فقد تصادف اننى أعرف كل شىء عنه ، ويوجد رجل يقيم هنا ،

وهو واحد من معارفه . انه رجل لا تنقصه الكفاية ، اما اذا نظرنا الى آرائه السياسية ، وماضيه السياسى ، فانه يبدو لنا بالفعل افضل شخص يناسب وظيفة قاضى الحى ، الا ان احدا لا يمكن ان يتصور انه سيحصل عليها ، وسوف يسقط على ام راسه ، كما قد يحدث لاي شخص آخر ، وسوف تضيق دولاراته في الحملة الانتخابية ، وسيكون هذا هو كل ما في الامر ! »

وحقق كارل والطالب في بعضهما البعض ، للحظات قليلة ، في صمت . واطرق الطالب بابتسامة ، وضغط راحتيه على عينيه المرهقتين .

ثم تساءل قائلا : « حسنا ، ان تذهب الى الفراش الآن ، يجب على ان استأنف قراءتى ، انظر ، كم من الصفحات على ان اقراها ! » وقلب ما يزيد على نصف صفحات الكتاب ، لكي يوضح لكارل ضخامة العمل الذى لا يزال ينتظره !

فقال كارل ، بانحناءة : « حسنا ، اذن ، طابت ليلتك ! »

وقال الطالب الذى جلس ثانية الى المنضدة : « تعال لزيارتنا في وقت ما ، لو راق لك ذلك بالطبع ، وسنجد دائما جمعا من الصحاب هنا ، ولدى دائما وقت لاستقبالك من التاسعة الى العاشرة مساء ! »

فتساءل كارل : « وعلى هذا فانت تنصحنى بالبقاء مع ديلامارش ! ؟ » .

فقال الطالب الذى كان راسه قد انحنى بالفعل فوق الكتاب : « قطعاً ! » ، وبدا وكأنه لم يكن هو ، بل شخص آخر غيره هو الذى قالها ، فلقد تردد صداها في اذنى كارل ، كما لو كانت قد قيلت بصوت فارغ اجوف لا يكاد يشبه صوت ذلك الطالب .

ومضى كارل ببطء نحو الستارة ، وتطلع مرة اخرى الى الطالب ، الذى جلس الآن بلا حراك ، تماما تحت دائرة الضوء الذى يفرقه فيها مصباحه الكهربائى ، محاطا بالظلام الحالك ، ودخل كارل الحجره ، فاستقبلته انفاس النائمين الثلاثة ، وتحسن طريقه بطول الحائط الى الاربكة ، وعندما بلغها ، تمدد فوقها في هدوء كما لو كانت هى فراشه الذى اعتاده ، ولما كان الطالب الذى يعرف كل شيء عن ديلامارش ، وعن الظروف الغريبة التى تحيط به ، والذى كان بالاضافة الى ذلك شخصا متعلما ، قد نصحه بالبقاء هنا ، فليس لديه الآن اى اثر للشعور بتأنيب الضمير ! ليست له مثل ما لهذا الطالب من

الاهداف السامية ، ولعله لم يكن ليبلغ النهاية في تعليمه ، حتى في وطنه ، واذا كان صعبا بالنسبة اليه ان ينهى تعليمه في وطنه ، فليس لاحد ان يتوقع منه ان يفلح في بلوغ هذا الهدف هنا في بلد غريب الا ان طموحه في الحصول على وظيفة يمكنه ان يحقق من خلالها شيئا ، يبعث فيه بعض الرضا ، سوف يزداد ، لو انه قبل الات وظيفة خادما لديلا مارش ، ويمكنه من هذا المكان الامن ان يترقب الفرصة المناسبة ، ففي هذا الشارع نفسه يبدو ان هناك عددا من مكاتب الوسطاء ، والمكاتب التي تطلب عمالا للامال المختلفة ، وهي عند الحاجة لا يصعب عليها ان تعثر على بعيتها ، وسوف يسره ان يقبل وظيفة بواب ، عند الضرورة ، لكن ليس من المستحيل تماما ، رغم كل شيء ، الا يتفق له ان يجد عملا في وظيفة مكتبية ، وقد يجلس في المستقبل الى مكتبه الخاص ، ككاتب نظامي ، ويحقد من حين لآخر من خلال النافذة المفتوحة في سعادة ، كما كان يفعل ذلك الكاتب الذي رآه هذا الصباح في اثناء رحلته عبر الافنية ، وعندما اغلق عينيه كان مستريحا الى فكرة انه لا يزال مستقرا ، وانه سيتمكن يوما ما من ان يفارق ديلا مارش ، فلا شك ان هذا المنزل لم يكن قد اقيم الى الابد . وعندما يتفق له الحصول في وقت من الاوقات على عمل في احد المكاتب ، فسوف يركز اهتمامه في عمله المكتبي ، ولن يشتت طاقته ، كما يفعل ذلك الطالب ، واذا لزم الامر فسوف ينلر ليا ليه ايضا بالاضافة الى ايامه لعمله المكتبي ، وقد يطلب منه هذا في البداية بالفعل ، نظرا لقللة معلوماته عن شئون هذا العمل ، ولسوف يقصر تفكيره فقط فيما يفيد المؤسسة التي سيعمل بها ، وسيضطلع بكل ما يعهد به اليه من اعمال ، وبالاهمال التي قد يهملها الكتبة الآخرون ، ولزاحمت النوايا للطبيسة في رأسه ، وكان صاحب العمل الذي سيستخدمه في المستقبل ، كان يقف لحظتها امام الاريكة ، ويستطيع ان يقرأ هذه الافكار على وجهه بمثل هذه الافكار ، استغرق كارل في النوم ، وازعجته في لحظات استغراقه الاولى في النوم ، تنهيدة عميقة صعدتها برويلدا ، التي كانت على ما يبدو قد ازعجتها بعض الاحلام السيئة ، فتمطت ، وتقلبت في فراشها .

مسرح أو كلاهوما الطبيعي

في ركن من أركان أحد الشوارع رأي كارل لافتة كتب فوقها الاعلان التالي : « يقبل مسرح أو كلاهوما أعضاء جددا للانضمام الى هيئته اليوم ، في ميدان سباق كلايتون ، من السادسة صباحا ، حتى منتصف الليل . ان مسرح أو كلاهوما العظيم يناديك ! اليوم فقط هو آخر فرصة ! فلو فقدت الآن هذه الفرصة ، فقد فقدتها الى الابد ! ولو فكرت في مستقبلك ، فان عليك ان تحرص على الانضمام اليانا ! مرحبا بالجميع ! لو اردت ان تكون فنانا فانضم الى جماعتنا ! ان مسرحنا يمكنه ان يوفر عملا لكل شخص ، ومكانا لكل شخص ! فلو قررت الانضمام اليانا ، فنحن نرحب بك هنا الآن ! فأسرع ، حتى يمكنك ان تبلغ المكان قبل منتصف الليل ! وستفلق الابواب في الساعة الثانية عشرة مساء ، ولن تفتح ثانية ! وليسقط كل الذين لا يشقون بنا ، فهيا الى كلايتون ! »

ولا شك ان عددا كبيرا من الناس قد توقفوا امام هذه اللافتة ، لكن يبدو ان الكثيرين لم يصدقوا ما تقوله . كان هناك دائما الكثير من اللافات ، ولم يعد أحد يصدق تلك اللافات ، وكانت هذه اللافتة ، اكثرها جميعا بعدا عن التصديق ، وفوق هذا ، فقد اغفلت هذه اللافتة أمرا هاما ، وجوهريا ، فهي لم تذكر شيئا عن الاجر ، فلو كان الاجر جديرا بالذكر لكانت تلك اللافتة قد ذكرته بالفعل ، ولقد كان هذا الامر هو اكثر ما اثار الانتباه في كل المناقشات التي تناولت ما جاء بتلك اللافتة ، وهي مناقشات لا تنسى ، فلا أحد يريد ان يصبح فنانا ، لكن كل شخص يريد ان يحصل على اجر في مقابل ما يؤديه من اعمال .

لكن كان ثمة ما يلفت نظر كارل بشدة في تلك اللافتة ، فهي تقول : « مرحبا بالجميع ! » ، الجميع ! ان هذا يعني كارل أيضا . ان هذه اللافتة تتجاهل كل ما فعله كارل حتى الآن ، ويبدو ان احدا لن يلومه على شيء ! فهي تبيع له الحق في الحصول على وظيفة ، لاثير شيئا من الخجل ، بل هي على العكس من ذلك ، وظيفة يعلن عنها على الملأ ، وكان الوعد بأنه سيجد هو أيضا قبولاً

من اصحاب العمل ، يبدو كذلك ، وعدا عاما ، وهو لا يطلب شيئا
اكثر من هذا ، انه يريد ان يجد سبيلا ما الى بداية حياة نظيفة
على الاقل ، وربما كانت هذه هي فرصته .

وحتى لو كانت كل التقارير التي تتصف بالمبالغة ، والتي
تضمنتها اللافتة ، ليست سوى مجرد كذبة ، وحتى لو كان مسرح
او كلاهما العظيم هذا ليس سوى مجرد سيرك بسيط متجول ،
يريد ان يضم اليه اعضاء جددا ، ففي هذا ما يكفي . ولم يقرأ
كارل اللافتة كلها مرة اخرى ، لكنه التقط ثانية تلك الجملة :
« مرحبا بالجميع ! » ، وفكر في البداية في ان يذهب الى كلايتون
سيرا على الاقدام ، الا ان هذا كان معناه ، ثلاث ساعات من السير
المرهق المتواصل . وربما يصل على كافة الاحتمالات ، في الموعد
تماما ، وربما يكتشف ايضا انه قد تم شغل جميع الاماكن بالفعل .
لاشك ان اللافتة تشير الى انه لا احد لمن يمكن قبولهم من الاعضاء
الجدد ، الا ان كل الاعلانات التي من هذا القبيل تحدث دائما
على هذا النحو ، وراى كارل انه اما ان ينبذ تلك الفكرة كلية ،
واما ان يذهب بالقطار ، واحصى نقوده ، التي كان من الممكن ان
تكفيه لمدة ثمانية ايام ، ان لم يتم بهذه الرحلة بالقطار ، وطوح بقطع
العملة القليلة في راحة يده الى الخلف والى الامام ، وربت سيد ما
كان يرقبه بيده على كتف كارل قائلا : « ارجو لك رحلة طيبة الى
كلايتون ! » ، واطرق كارل في صمت ، واحصى نقوده ثانية ، ثم
سرعا ما اتخذ قراره ، وتناول النقود التي تلزم لاجر السفر ،
واندفع نحو محطة النفق ! وعندما خرج من المحطة في كلايتون سمع
في الحال اصوات ابواق عديدة ، كانت تلك الاصوات ، عبارة عن
ضوضاء مشوشة ، ولم يكن النفخ فيها ينسجم مع بعضه البعض ،
الا ان كارل لم يهتم بهذا ، بل لقد اعتبر هذا تأكيدا لحقيقة ان
مسرح او كلاهما كان مسرحا هائلا ، لكنه عندما خرج من المحطة ،
واستعرض ذلك العرض بنظراته ، تحقق في الحال مما رآه امامه ، ولم
ان ذلك المسرح كان اكبر بكثير جدا مما كان قد تصوره ، ولم
يستطع ان يفهم كيف يتسنى لاية هيئة ان تضطلع بهذا التنظيم
الكامل لمجرد ان تستوعب اعضاء جددا .

وامام مدخل حلبة السباق ، كان قد اقيم ثمة رصيف طويل
منخفض ، وقفت فوقه مئات من النساء اللاتي يرتدين ملابس
الملائكة ، وهى اثواب بيضاء ، لها اجنحة هائلة على اكتافهن ، وكن

ينفخن في ابواق طويلة كانت تتألق كالذهب ، ولم يكن بالفعل يقفن فوق الرصيف ، لكنهن كن يعتلين قواعد منفصلة عن بعضها البعض ، ولم يكن من السهل رؤية تلك القواعد مع ذلك ، لأنها كانت تختفى تحت الاقمشة الطويلة المزهرة التي كانت تنسدل الى اسفل ، والتي لم تكن سوى اذيال اثواب الملائكة . ولما كانت تلك القواعد ، بالغة الارتفاع - كان يبلغ ارتفاع بعضها ستة أقدام - فان النساء كن يظهرن ، عملاقات ، لولا ان صغر رموسهن هو ما كان يبعد الايهام بهذا الحجم الهائل ، وكان شعرهن المفكوك ، يبدو بالغ القصر ، ومتدليا بطريقة سخيصة بين الجناحين الهائلين ، ويحدد وجوههن ، وكانت القواعد تختلف في أحجامها ، ومقاييسها ، تجنباً للتكرار ، وكانت توجد نساء لا يكدن يرتفعن كثيرا عن ارتفاع الشخص العادي ، لكن كانت هناك أخريات بجوارهن ، كن يقفن على ارتفاع شاهق ، حتى ان المرء كان يشعر بأن أقل لفحة من الهواء يمكنها ان تقلبهن ، وكانت النساء جميعهن ينفخن في أبواقهن .

ولم يكن يوجد كثير من المستمعين ، كان هناك فقط حوالى عشرة من الصبية ، كانوا يتمشون امام الرصيف ، وقد مسخت أحجامهم بالمقارنة بأحجام أولئك النساء ، وكانوا يلفتون أنظار بعضهم البعض الى هذه أو تلك ، لكن لم تكن تبدو عليهم أدنى نية للدخول ، وعرض خدماتهم . وكان هناك رجل واحد فقط ، كان قد توقف قليلا في جانب من الجوانب ، وكان يصطحب زوجته معه ، وطفله في حربة اطفال . كانت الزوجة تمسك حربة الطفل باحدى يديها ، وتعتمد بيدها الاخرى على كتف زوجها . وكان واضحا انهما كانا معجبين بالمشهد ، الا ان المرء كان في امكانه ان يتبين في الوقت نفسه ، ان املهما كان قد خاب ، وكان يبدو عليهما وكأنهما كانا يتوقعان ما يشير الى نوع من أنواع العمل ، ولقد أثار هذا النفخ في الابواق سخطهما . وكان كارل يشعر بنفس ما كانا يشعران به ، واتجه كارل الى حيث كان يقف الرجل ، واستمع قليلا الى صوت الابواق ، ثم قال بعد ذلك : « اليس هذا هو المكان الذى يطلبون فيه اناسا للانضمام الى مسرح أو كلاهما ؟ ! » .

قال الرجل : « اننى اظن هذا ايضا ! الا اننا ننتظر هنا منذ ساعة ، ولم نسمع شيئا سوى أصوات هذه الابواق ، ولا يوجد هنا لافتات يمكننا أن نعرف عن طريقها أى شيء ، ولا يوجد منادون ولا شخص واحد يمكنه أن يدللك على مايجب عليك أن تفعله ! » .

فقال كارل : « ربما كانوا ينتظرون حتى يصل أناس كثيرون ، ان من وصل الى هنا حتى الآن ، هم في الحقيقة بضعة أفراد قلائل ! » قال الرجل : « قد يكون الامر كذلك ! » ، ثم صمتا ثانية ، كما انه لم يكن من السهل أن تسمع شيئا من خلال الضوضاء التي كانت تحدثها أصوات الأبواق ، ثم همست المرأة بشيء ما لزوجها ، فأطرق هذا ، ونادت المرأة كارل في الحال وقالت له : « الا يمكنك ان تذهب الى حلبة السباق ، وتسال اين يتم استقبال طالبي العمل ؟ » فقال كارل : « نعم ، ان على ان أخترق الرصيف ، وسط كل الملائكة ! » فتساءلت المرأة قائلة : « وهل يصعب عليك هذا ، الى هذه الدرجة ؟ » وتبدو انها كانت تظن المكان ممرا سهلا لكارل ، لكنها لا تريد زوجها ان يذهب ليسال بنفسه .

قالت المرأة لكارل : « من السهل عليك انت ان تذهب ! » ، وتناولت هي وزوجها يد كارل ، وضغطاها .

واندفع الضيفة جميعا ، ينظرون الى كارل من قرب ، عندما صعد الرصيف ، ويبدو ان النساء قد ضاعفن من شدة نفخهن في الأبواق كتحية لأول شخص يرغب في الانضمام الى هيئة المسرح ، وكانت النسوة اللاتي كن يقفن فوق القواعد التي مر بها كارل ، قد أبعدن الأبواق عن أفواههن ، وانحنين يتتبعنه بأنظارهن ، وعند الجانب الآخر من الرصيف ، اكتشف كارل وجود رجل كان يتمشى في قلق ، ذهابا وجيئة ، ويبدو انه كان ينتظر الناس الذين يطلبون الانضمام ، لكي يعطيهم التعليمات التي يرغبون في الحصول عليها ، وكان كارل على وشك أن يبدأ بالحديث ، عندما سمع صوتا يناديه من أعلى صاحت إحدى الملائكة قائلة : « كارل ! » .

وتطلع كارل الى أعلى وفي دهشة منشرة ، انطلق في الضحك فقد كانت (فاني) ، صاح قائلا في دهشة ، وهو يلوح لها بيده : « فاني ! »

صاحت فاني قائلة : « اقترب ، لا يمكن أن تمر بي حقا هكذا ! » ، وازاحت طرف ثوبها جانبا ، فأتضحت القاعدة التي كانت تقف فوقها ، وسلم صغير كذلك كان يؤدي الى أعلى تلك القاعدة تساءل كارل قائلا : « هل يسمح للمرء بأن يصعد هذا السلم ؟ »

فهمت فاني قائلة : « ومنذا الذي يمنعنا من أن نتصافح ! » ، وتطلعت حولها في غضب ، استعدادا لمواجهة من قد يتدخل ، الا ان كارل كان يصعد السلم لحظتها بالفعل .

وصاحت فاني قائلة : « ليس بهذه السرعة ! والا انقلبنا ، والسلم ايضا ، الى الارض ! » الا ان شيئا من هذا لم يحدث ، وبلغ كارل قمة السلم في سلام .

قالت فاني : « انظر ! » ، وكان كل منهما قد صافح الآخر :

« انظر اي وظيفة هذه التي حصلت عليها هنا ! » .
فقال كارل وهو يتطلع حوله : « انها وظيفة رائعة ! » ، وراحت باقى النساء ، اللاتي كن يلاحظنه يضحكن ساخرات ، وقال كارل :
« انك اكثر ارتفاقا منهن جميعا ! » وفرد ذراعه محاولا ان يقيس الفرق في الارتفاع بين مكانها ، ومكان الاخريات .

وقالت له فاني : « لقد رايتك في الحال ، فور خروجك من المحطة ، لكننى في الصف الاخير هنا ، لسوء الحظ ، ولا يمكن لاحد ان يرانى ، كما لايمكننى ان الوح لاحد بدورى ، ولقد نفخت في البوق بغاية جهدى ، الا انك لم تتعرف على رغم ذلك ! » .

وقال كارل : « انكن تنفخن جميعكن بصورة سيئة للغاية ! » ،
دعيني انفخ مرة في هذا البوق ! ..

فقالت فاني : « كما تشاء ! » ، وهى تناوله البوق : « لكن لا تحاول ان تفسد العرض ، والا تسببت في طردى ! »

وبدا كارل ينفخ في البوق ، وكان قد تصوره بوقا قديما الطراز ، لا ينفع الا في اصدار الضوضاء فقط ، ولكنه اكتشف الآن انه كان آلة قادرة على احداث اي صوت دقيق ، فلو كانت كل الابواق هنا بهذا المستوى ، فلا بد انها كانت تستعمل اذن استعمالا بالغ السوء ، ودون ان يلقى انتباها الى نفخ الاخريات ، نفخ بكل طاقة رثيته لحنا كان قد سمعه ذات مرة في احدى الحانات ، واحس بالسعادة لعثوره على صديقة قديمة ، ولسماحها له بالنفخ في البوق بصورة ودية ، وسعد كذلك لفكرة احتمال عثوره هنا على وظيفة حسنة بغاية السرعة ، وتوقفت كثيرات من النساء عن النفخ لكى يستمعن ، وعندما توقف هو فجأة عن النفخ في البوق ، كانت نصف الابواق تقريبا هى التى تصدر عنها الاصوات ، واستمر الحال بعض الوقت على هذا ، الى ان عادت الضوضاء كما كانت من قبل ، الى كامل عنفها .

قالت فاني عندما سلمها البوق ثانية : « ولكنك فنان فعلا ! فاطلب منهم ان ياخذوك كنافخ بوق ! » .

وقال كارل : « وهل يقبلون الرجال في هذه الوظيفة ايضا ! ؟ »

فقالت فاني : « نعم ، اننا ننفخ لمدة ساعتين ، ثم نستريح ، ويحل الرجال الذين يرتدون ملابس الشياطين محلنا ، نصفهم ينفخون في الابواق ، ويقرع نصفهم الآخر الطبول . انه مشهد رائع ، كما ان المعدات تتوفر جميعها في سخاء ، الا تعتقد ان ثيابنا جميلة ؟ ! والاجنحة ؟ ! » ، وتطلعت الى اسفل ، وراحت تنفخ نفسها .

تساءل كارل : « هل تعتقدين اننى سأجد وظيفة هنا ؟ »
فقالت فاني : « بكل تأكيد ! انه أضخم مسرح في العالم ، ياله من حظ ، ان يجمعنا ثانية مكان واحد ، الا أن الامر يعتمد على نوع الوظيفة التى سوف تسند اليك ، لانه من الممكن ألا نرى بعضنا ثانية على الإطلاق ، على الرغم من انضمامنا هنا . »

فتساءل كارل قائلاً : « هل المكان واسع بالفعل الى هذا الحد ؟ »
فقالت فاني : « انه اكبر مسرح في العالم ، اننى لم أره بعد بنفسى ، اننى اعترف بهذا ، الا ان بعض الفتيات الاخريات هنا ، أولئك اللاتي كن قد انضممن قبلى الى مسرح أو كلاهما ، يقلن ان هذا المسرح لا حدود له على الاغلب ! »

فقال كارل ، مشيراً الى اسفل نحو الصبية ، والاسرة الصغيرة .
- لكن لا يوجد كثير من الناس هنا !

قالت فاني : « هذا حق ، لكن عليك أن تلاحظ اننا نضم اليها اعضاء جددا من كل المدن ، وان جهاز تجنيد الاعضاء للعمل في المسرح ، يتجول دائماً في الطرق ، ويوجد الكثير من فرق تجنيد الاعضاء الجدد للمسرح ! »

وقال كارل : « لماذا ؟ ألم يفتتح المسرح بعد ؟ ! »
قالت فاني : « اوه . . نعم ، انه مسرح قديم ، الا انه يوسع دائماً ! »
فقال كارل : « انه ليدهشنى ان اناسا اكثر من هؤلاء لم يتزاحموا للانضمام اليه ! »

قالت فاني : « نعم ، انه امر غير عادى ! »
قال كارل : « ربما كان هذا العرض الذى يقوم به الملائكة والشياطين ، ينفر الناس ، بدلا من أن يجتذبهم ! »
قالت فاني : « ما الذى يجعلك تظن هذا ؟ الا انك قد تكون على حق ، فقل هذا لقائدنا ، فقد يهمله سماع ذلك ! »
فتساءل كارل قائلاً : « وأين هو ؟ ! » .

قالت فاني : « فى حلبة السباق ، فوق رصيف التحكيم ! »

قال كارل : « ان هذا يدهشنى ايضا ، فلماذا حلبة السباق لاستقبال الراغبين فى الانضمام الى المسرح ؟ ! »
قالت فانى : « اوه .. اننا نعمل دائما استعدادا هائلا لاستقبال كثير من الناس ، ويوجد متسع للكثيرين فى حلبة السباق ، وفى كل الاكشاك التى تقبل المراهات فى الايام العادية ، تقام الآن المكاتب لتسجيل اسماء المرشحين للوظائف ، ولا بد ان هناك حوالى المائتين من هذه المكاتب هناك ! »
فصاح كارل قائلا : « وهل لمسرح او كلاهما ، مثل هذا الدخل الضخم ، الذى يسمح له بجمع الناس ، واقامة المنشآت على هذه الصورة ؟ ! »

قالت فانى : « وما الذى يهمنا نحن من ذلك ، من الافضل لك ان تذهب الآن ، يا كارل ، حتى لا يفوتك اى شئ ، ويجب على ان اواصل الآن النفخ فى البوق ، فابدل كل جهدك لكى تحصل على وظيفة هنا ، فى هذا القسم ، وتعال واخبرنى بذلك فى الحال ، وتذكر اننى سانتظر بغاية القلق حتى تعود الى بهذه الاخبار ! »

وضغطت على يده ، ونبهته الى أن يحترس عند هبوطه السلم ، ووضعت البوق على شفيتها ثانية ، الا انها لم تنفخ فيه حتى رأت ان كارل قد هبط الى الارض بسلام ، ورتب كارل الثوب ثانية ، فغطى به السلم ، كما كان من قبل ، وأومات فانى الى كارل بتحياتها ، واقترب كارل ، وهو لا يزال يفكر فيما سمعه الآن ، اقترب من الرجل الذى كان قد رآه وهو فوق القاعدة التى تقف عليها فانى ، فاقرب من تلك القاعدة منتظرا هبوطه !

تسائل الرجل قائلا : « هل تريد الانضمام الينا ؟ » ، اننى مديون المستخدمين ، فى هذه الفرقة ، واننى ارحب بك ! كانت له انحناء دائمة ، كما لو كانت بدافع الادب ، وكانت ساقاه تتململان ، دون أن يتحرك من مكانه ، وكان يعبت طول الوقت بسلسلة ساعته .

قال كارل : « أشكرك ! لقد قرأت الالفة التى وضعتها فرقتك وقد حضرت الى هنا ، كما جاء بها ! »

فقال الرجل موافقا على ما قال كارل : « هذا صحيح تماما ، ولسوء الحظ لا يوجد كثيرون قد فعلوا كما فعلت ! » ، وطرا على بال كارل أن يقول للرجل ، انهم ربما يكونون قد اخفقوا فى جمع الكثيرين بسبب فخامة ذلك الاستعراض ، الا انه لم يقل شيئا لان هذا الرجل لم يكن قائد الفرقة ، وبالإضافة الى ذلك ،

فليس من المستحسن له أن يبدأ بتوجيه الاقتراحات التي تستهدف تحسين حال جهاز تجنيد الأعضاء الجدد ، من قبل أن يقبل هو نفسه بالفعل كمضو ، وعلى هذا فقد قال فقط :

- ثمة رجل ينتظر هناك في الخارج ، ويرغب في تسجيل اسمه هنا أيضا ، وقد أرسلنى لكى استطلع الامر أولا ، فهل لى أن أبحث عنه الآن ؟

قال الرجل : « بالطبع ، من المستحسن هذا ! »

- ان له زوجة معه هى ايضا ، وطفل صغير فى عربة أطفال ، فهل لهما ان يحضرا ايضا ؟

فقال الرجل ، وبدأ وكأنه كان يتسهم من تردد كارل : « بالطبع ، يمكننا أن نقبلهم جميعا ! »

فقال كارل : « سوف أعود فى الحال ! » ، وانطلق يجرى نحو حافة الرصيف ، ولوح بيده للزوجين ، وصاح قائلا : « ان بإمكان كل شخص ان يحضر ايضا ، وعاون الرجل فى حمل عربة الطفل الى الرصيف ، ثم تقدما معا . وعندما رأى الصبية ذلك تشاوروا مع بعضهم البعض ، وترددوا الى اللحظة الأخيرة ، وأيديهم فى داخل جيوبهم ، ثم صعدوا الرصيف ببطء ، وتبعوا كارل والأسرة . ثم ظهر عندئذ عدد من الوافدين الجدد خرجوا من المحطة التحتية ، ورفعوا سواعدهم فى دهشة عندما شاهدوا الرصيف والملائكة ، وبدأ مع ذلك ان المنافسة من أجل الحصول على الوظائف ستزداد الآن ، وأحس كارل بالسعادة البالغة لوصوله مبكرا على هذه الصورة ، ولعله كان أولهم جميعا ، وكان الزوجان يتوجسان شرا ، وتساءلا عديدا من التساؤلات ، عما قد يطلب منهما ، وقال لهما كارل انه لا يعرف شيئا محددا بعد ، إلا انه قد أحس بأن كل شخص بلا استثناء سوف يقبل . وظن انهما سيشعرون براحة البال عندئذ . وتقدم مدير المستخدمين نحوهم ، والرضا يبدو عليه لوجود مثل ذلك العدد ممن حضروا يطلبون الانضمام الى هيئة المسرح ، وفرك يديه ، وحييا كل واحد من الموجودين بانحناء خفيفة ، ورتبهم جميعا فى صف واحد ، وكان كارل على رأس الصف ، يليه الزوج ، وزوجته ، ويليهما الآخرون ، وعندما اصطفوا جميعا - ظل الصبية يتدافعون فى البداية ، واستغرق الامر بعض الوقت لكى يتم تنظيمهم فى الصف - وقال مدير المستخدمين ، بينما صممت الأبواق :

- اننى احبيكم باسم مسرح او كلاهما ، ولقد وصلتم مبكرين (كان الوقت ظهرا لحظتها) ، ولم يحدث زحام شديد بعد حتى الآن ، وعلى هذا فان الشكليات الضرورية التى تلزم لانضمامكم سوف تتم فى الحال ، انكم تحملون معكم بالطبع الاوراق التى تثبت شخصياتكم !

وجذب الصبية فى الحال اوراقا من جيوبهم ، وفردوها نحو مدير المستخدمين ، ولكز الزوج زوجته ، فأخرجت حزمة كبيرة من الاوراق من تحت البطاطين التى كانت فى عربة الطفل . الا ان كارل لم يكن يحمل اية اوراق . فهمل يحول ذلك بينه وبين الانضمام ؟ انه يعلم جيدا من خلال خبرته انه سيسهل عليه ان يتغلب بحل من الحلول البسيطة ، على تلك التعليمات ، ويبدو انه سينجح فى ذلك ، وتطلع مدير المستخدمين الى الصف كله ، وتأكد من ان الجميع يحملون تلك الاوراق ، ولما كان كارل يقف بيديه مرفوعتين ، مع انهما كانتا خاليتين من تلك الاوراق ، فقد تأكد الرجل من ان كل شئ على ما يرام بالنسبة لكارل هو ايضا ! «

قال مدير المستخدمين : « حسن جدا ! » ، مؤكدا ذلك للصبية بتلويح يده لهم ، وكان هؤلاء يريدون ان تفحص اوراقهم فى الحال : « سوف تفحص اوراقكم فى مكاتب الاستقبال ، وكما قد لاحظتم بالفعل من لافتتنا ، ففى امكاننا ان نجد وظيفة لكل شخص ، لكننا يجب بالطبع ان نعرف ما هى الوظائف التى كنتم تشغلونها حتى الآن ، وعلى هذا يمكننا ان نضع كلا منكم فى مكانه الصحيح ، لكى نستفيد بخبراتكم ! »

وفكر كارل فى نفسه مرتابا : « ولكنه مسرح ! » ، ثم استمع فى انتباه شديد .

ومضى مدير المستخدمين فى حديثه قائلا : « ولهذا فقد اقمنا مكاتب للاستقبال والتسجيل فى اكشاك المراهنات على خيل السباق ، لكل تجارة او مهنة مكتب خاص ، وعلى هذا فسوف يخبرنى كل منكم بوظيفته ، وتسجل الاسرة عادة فى مكتب توظيف الأزواج ، وسوف اصحبكم اذن الى هذه المكاتب ، حيث يراجع المختصون اوراقكم أولا ، ثم صلاحيتكم ، وسوف يكون فحصا قصيرا للغاية ، فلا تخشوا شيئا ، وسوف تسجل اسماءكم فى الحال ، بعد ذلك . ثم تتلقون التعليمات اللازمة ، فلنبدا الآن اذن . هذا المكتب الاول خاص بالمهندسين الميكانيكيين ، كما يتضح من الكتابة التى كتبت

فوقه ، فهل يوجد مهندس هنا بينكم ؟

فتقدم كارل الى الامام ، كان قد ظن ان افتقاره الى الاوراق يتيح له ان يتخطى تلك الشكليات بأقصى سرعة ممكنة ، وكان لديه كذلك ما يبرر تقدمه الى الامام بعض التبرير ، فلقد كان قد رغب ذات مرة في ان يصبح مهندسا ميكانيكيا . الا ان الصبية عندما شاهدوا كارل وهو يتقدم الى الامام ، ثار الحسد في نفوسهم ، ورفعوا أيديهم جميعا ، فنهض مدير المستخدمين على قدميه وقال للصبية : « هل أنتم مهندسون ؟ ! » فتدبلبت أذرعهم ، ثم انخفضت الى جانبهم ، لكن كارل بقي ثابتا على قراره الاول ، ولقد نظر اليه مدير المستخدمين بالطبع في ارتياب ، فقد كان كارل يبدو في ثياب خلقة وكان صغيرا أيضا حتى يكون مهندسا ، الا انه لم يقل شيئا ، ربما كنوع من الامتنان لكارل ، لانه كان قد تسبب في رأيه على الاقل ، في دخول هؤلاء الذين يرغبون في الانضمام الى المسرح ، وأشار في مجاملة نحو المكتب ، واتجه اليه كارل ، بينما استدار مدير المستخدمين نحو الآخرين .

وفي المكتب المخصص للمهندسين ، كان يجلس سيدان الى طرفي طاولة مستطيلة ، وهما يقارنان قائمتين طويلتين كانتا موضوعتين امامهما ، وكان احدهما يقرأ ، بينما كان الآخر يضع علامة امام كل اسم في القائمة ، وعندما دخل كارل وحياهما ، تركا القائمة في الحال ، وتناولوا دفترين هائلين ، وفتحاهما .

وقال احدهما ، وكان يبدو واضحا ، انه كاتب : « من فضلك اعطني اوراق اثبات شخصيتك ! »

فقال كارل : « اننى آسف لاننى لم احضرها معى ! »

قال الكاتب للسيد الآخر : « انه لم يحضرها معه ! » بينما كان يكتب في الوقت نفسه تلك الاجابة التى اجاب بها كارل في دفتره وعندئذ سأل الرجل الآخر ، الذى بدا انه رئيس المكتب : « هل انت مهندس ؟ »

قال كارل مسرعا : « اننى لم اصبح مهندسا بعد ، ولكننى... »

فقال السيد في سرعة تفوق سرعته : « يكفى هذا ، فانت لا تتبعنا في هذه الحالة ، وعلى هذا فارجو ان تتكرم بملاحظة ما كتب على واجهة الكشك ! » ، وصر كارل على أسنانه ، ولا بد ان السيد كان قد لاحظ ذلك ، لانه قال : « لا حاجة بك الى ان تخشى

شيئا ، ففي امكاننا ان نقبل كل شخص ! ، وأشار لواحد من
المساعدين ، كان يتسكع متكاسلا بين الاسوار ، قائلا له : « قد
ذلك السيد الى مكتب الفنيين ! »

وفسر المساعد ذلك الامر حرفيا ، فأخذ كارل من يده ، ومرا
بعدد من الاكشاك على كلا الجانبين ، في أحد هذه الاكشاك رأى كارل
أحد الصبية ، كان قد انتهى تسجيله بالفعل ، فكان هذا الصبي
يشد على يد السيد الذى كان يراس المكتب في امتنان ، وفي المكتب
الذى اقتيد اليه كارل الآن ، كانت الاجراءات شبيهة بتلك الاجراءات
التي جرت في المكتب الاول كما كان كارل قد توقع ، فيما عدا
انهما قد أرسلاه الآن الى المكتب الخاص بطلبة المدارس المتوسطة ،
عندما سمعا انه كان قد التحق بمدرسة متوسطة ، لكن عندما
صرح كارل هناك بانها كانت مدرسة اوروبية ، تلك التي كان قد
التحق بها ، رفض الموظفان قبوله ، وأرسلاه معه من اقتاده الى
المكتب الخاص بطلبة المدارس الاوروبية المتوسطة ، وقد كان كشكا
في الطرف الخارجى من الحلبة ، ولم يكن كشكا أصغر فقط ، بل
اكثر تواضعا ايضا من باقى الاكشاك الأخرى ، وكان المساعد الذى
اقتاده الى هناك غاضبا غاية الغضب ، للمشوار الطويل والرجوع
المتكرر الذى كان السبب فى حدوثهما فى رأيه هو كارل وحده ، ولم ينتظر
المساعد حتى تبدأ الاسئلة التي سيوجهها أعضاء المكتب الى كارل ،
بل رجع في الحال ، فلعل هذا المكتب اذن أن يكون هو فرصة كارل
الاخيرة ! وعندما لمح كارل رئيس المكتب فوجيء للغاية بالشبه
الشديد بينه وبين مدرس ، ربما كان لا يزال يدرس فى المدرسة
التي كان يدرس بها فى بلده ، ومع ذلك ، فقد بدا الشبه فى الحال
مقصورا على بعض التفاصيل المعينة ، الا ان النظارات التي كانت
ترتكز فوق انف الرجل العريض ، واللحية الجميلة ، وهى تنحدر
كجائزة معروضة ، والظهر المنحنى قليلا ، والصوت المرتفع المفاجيء
الذى يصدر فجأة ، كلها جمعت كارل من الدهشة لبعض الوقت ،
ولحسن الحظ لم يكن عليه أن ينتبه انتباها شديدا ، ذلك ان
الاجراءات هنا كانت أبسط كثيرا منها فى المكاتب الأخرى . ولاشك
ان مذكرة ما كانت قد تضمنت ان أوراقه لم تقدم ، وقد اعتبر
رئيس المكتب عدم وجود تلك الاوراق « شيئا من الاهمال غير
المفهوم ! » ، الا ان الكاتب الذى بدا ، وكأنه هو الذى يسيطر
على هذا المكتب سرعان ما علق على ذلك ، وصرح ذلك الكاتب ،

بعد عدد من الاسئلة التى وجهها رئيسه الى كارل ، وبينما كان السيد يستعد لتوجيه مزيد من الاسئلة الهامة ، صرح بأن كارل قد قبل ، واستدار رئيس المكتب مغمور الفم نحو كاتبه ، الا ان الكاتب اتى بحركة حاسمة من يده قائلا : « قبل ! » ، ودون فى الحال هذا القرار فى دفتره ، ويبدو ان الكاتب كان ينظر الى « طالب اوروبى بالمدارس المتوسطة » ، نظرته الى شخص غاية فى الوضاعة ، لدرجة لا يصح معها الارتياح فى أى كلام يصدر عنه ، او مناقشته فيه ، ولم يكن لدى كارل من ناحيته أدنى اعتراض على هذا ، ومضى رأسا نحو الكاتب ، وهو ينوى أن يشكره على ذلك ، لكن كان هناك ثمة تاخير آخر ، فبينما كانا يسالانه عن اسمه ، لم يجب كارل فى الحال ، فقد أحس بالخجل من ذكر اسمه الحقيقى ، والسماح لهما بتدوينه ، ومادام قد وجد مكانا هنيئا ، مهنا كان ضئيلا ، وقبل أن يشغله ، راضيا ، فيمكنهما أن يحصلوا على اسمه ، لكن ليس الآن ! كان قد أخفى اسمه الحقيقى طويلا ، بحيث يصعب عليه أن يصرح به الآن ! ولما لم يطرا على باله أى أسم آخر فى تلك اللحظة ، فقد ادلى لهما باسمه المستعار الذى كان يلقب به فى عمله الاخير ، (الزنجى !)

قال رئيس المكتب : « الزنجى ؟ ! » ، وهو يدير رأسه ، ويأتى بحركة ما ، كما لو كان قد بلغ الآن أقصى حدود الريبة ، وحتى الكاتب هو ايضا ، نظر الى كارل ، وتفحصه ، للحظة ، الا انه قال بعدئذ : « الزنجى ! » ، ودون الاسم .
وصاح به رئيسه قائلا : « لكنك لايمكن ان تكون قد كتبت بالفعل كلمة (الزنجى !) »

ورفع الكاتب حاجبيه ، ونهض بدوره ، وقال : « اذن ، فان من واجبى انا ، ان أقول لك ، انك قد قبلت ضمن هيئة مسرح أو كلاهما ، وان علينا الآن ان نقدمك الى قائدنا ! »
واستدعى مساعدا آخر ، اقتاد كارل الى منصة التحكيم .

وعند اقدام الدرج ، لمح كارل عربة الطفل ، وهبط عندئذ الاب والام ، وكانت الام تحمل الطفل على ذراعاها .

سأله الرجل قائلا : « هل قبلت ؟ ! » . كان اكثر نشاطا من ذي قبل ، وابتسمت زوجته لكارل من فوق كتفها . وعندما اجاب كارل بأنه كان قد قبل لتوه ، وانه كان فى طريقه لكي يقدم الى القائد ، قال الرجل : « اذن فاننى اهنتك ، فلقد قبلنا نحن ايضا ، ويبدو انه شئ طيب أن ننضم الى المسرح على الرقم من

انه لا يمكنك ان تعتمد على شيء مرة واحدة وفي الحال ، الا ان الامور تسير دائما على هذا النحو في كل مكان ! »

وقالا لبعضهما : « الى اللقاء مرة اخرى » ، وصعد كارل الى المنصة ، واتخذ دوره ، ذلك ان تلك المساحة الضيقة في أعلى المنصة ، كانت تزدهم فيما يبدو بالناس ، ولم يكن كارل يرغب في المراحة والالاحاح ، ولهذا توقف لحظة ، وتطلع الى حلبة السباق الهائلة التي كانت تمتد في كل اتجاه نحو الغابات البعيدة ، وكانت تملؤه الرغبة في رؤية سباق الخيل ، ولم يكن قد اتاحت له الفرصة من قبل لمشاهدة أى سباق للخيل منذ ان جاء الى امريكا . وفي اوروبا ، كان قد ذهب الى سباق للخيل ذات مرة ، عندما كان طفلا صغيرا الا ان كل ما كان يمكنه ان يتذكره ، هو ان امه كانت قد سحبتة خلال الزحام ، ولم يرغب الناس في ان يفسحوا له طريقا لكي يمر . وعلى هذا فلم يكن بالفعل قد رأى قط من قبل سباقا للخيل ، وكانت خلفه آلة من نوع ما ، كانت قد بدأت تطن ، واستدار حوله وراي فوق اللافتة ، حيث تظهر أسماء الفائزين من المتسابقين ، هذه الكلمات : « التاجر كاللا ، وزوجته ، وطفله ! » ، وعلى هذا فان أسماء هؤلاء الذين تم قبولهم كانت توزع على مختلف المكاتب من هنا .

وعندئذ هبط بعض السادة الدرج مسرعين ، وبايديهم اقلام رصاص ، ومفكرات ، وكانوا يتحدثون الى بعضهم البعض باهتمام ، والتصق كارل بالسور ، لكي يفسح مكانا لمرورهم ، ثم صعد بعد ذلك الى أعلى المنصة ، حيث أفسح له الآن مكانا فوقها ، وفي أحد اركان المنصة ، بسورها الخشبي - وكانت المنصة كلها تبدو أشبه ما تكون بسطح منبسط لبرج صغير - كان يجلس أحد السادة ، وذراعا مفرودتان أمامه فوق السور ، ووشاح عريض من الحرير يتدلى على صدره بميل ، وعليه هذه الكتابة : « قائد فرقة التجنيد العاشرة ، لمسرح أو كلاهما » ، وكان فوق المنصة تليفون ، قد وضع لاشك للاستعمال في اثناء مباريات سباق الخيل ، ولكنه يستخدم الآن فيما يبدو ، لابلاغ المعلومات الهامة التي تتعلق بمختلف المتقدمين الى شغل الوظائف ، الى القائد قبل ان يقدموا اليه ، لانه لم يبدأ بتوجيه الاسئلة الى كارل ، بل قال لسيد كان يجلس بجواره ، وسباقاه معقودتان ، وذقننه بين يديه : « الزنجي ، تلميذ بالمدارس الأوروبية المتوسطة ! » ، وكأنما لم

يكن امامه اي شيء آخر يمكن ان يقوله ، بعد ذلك لكارل ، الذي انحنى له انحناء شديدة ، وتطلع القائد الى اسفل الدرج ليرى ان كان ثمة قادم آخر ، ولما لم يجد اي قادم آخر ، اصاخ السمع الى الحديث الذي دار بين السيد الآخر وبين كارل ، لكنه ظل صامتا طوال الجزء الاغلب من ذلك الحديث ، وراح يتطلع الى حلبة السباق ، وهو يربت باصابعه فوق السور ، وقد جذبت هذه الاصابع الرقيقة ، الطويلة ، القوية ، انتباه كارل من حين لآخر ، مع انه كان قد اعار كل انتباهه بالفعل الى السيد الآخر .

وكان هذا قد بدا حديثه الى كارل متسانلا : « هل كنت قد فصلت من عملك ؟ ! » ، كان السؤال ككل الاسئلة الاخرى التي وجهت الى كارل ، بسيطة ، ومباشرة ، ولم يكن هذا السيد يراجع كارل في اجاباته ، ولم يحاول استدراجه الى شيء بسؤال غير مباشر مطلقا ، الا ان الطريقة التي كان يدير بها عينيه بينما كان يوجه الى كارل اسئلته ، او الطريقة التي ينحني بها الى الامام لكي يرى اثر تلك الاسئلة ، وطريقته كذلك في خفض رأسه فوق صدره في اثناء استماعه الى الاجابات ، وترديده احيانا لهذه الاجابات بصوت مرتفع ، وتمعنه في اسئلته بصورة لها مغزاها الذي قد لا يدركه المرء ، لكنه لا يرتاح رغم ذلك الى الارتياح فيها . ولقد احس كارل عددا من المرات بشيء كان يدفعه الى ان يتراجع في اجابته بعد ان يكون قد ادلى بها ، وان يجيب باجابة أخرى ، لعلها تجد قبولا أكثر ، الا انه تمكن دائما من ان يضبط نفسه ، فلم يفعل ذلك ، لانه كان يعلم اي انطباع سييء قد يعكسه مثل هذا التذبذب ، كما لم يمكنه في الحقيقة ان يدرك اثر أغلب اجاباته . وبالإضافة الى ذلك فان قبوله في هذه الوظيفة ، بدا وكأنه قد تقرر بالفعل ، وقد شجعه ادراكه لهذه الحقيقة .

وقد اجاب ببساطة عن السؤال الذي وجه اليه ، عما اذا كان قد فصل من عمله ؟ قائلا : « نعم ! » .
ثم سأل السيد ثانية : « أين كنت تعمل اخيرا ؟ ! » .
وهم كارل بالاجابة ، عندما رفع السيد أصبعه السبابة ، وكرر قائلا : « اخيرا ! » .

ولما كان كارل قد فهم السؤال جيدا ، فقد هز رأسه رغما عنه ، لكي يتحاشى الملاحظة الاضافية المزعجة ، واجاب قائلا : « في أحد المكاتب ! » كانت هذه هي الحقيقة ، لكن ، لو ان ذلك السيد طلب منه

تحديدا اكثر عما يتعلق بنوع ذلك المكتب ، فقد كان سيكذب عليه عندئذ بلا شك . ومع ذلك ، فلم تبد ثمة ضرورة لمثل هذا الطلب ، لان السيد وجه سؤالاً ، كان من السهل تماما الاجابة عليه ، اجابة صادقة : « هل كنت راضيا في عملك ذاك ؟ ! » .

فصاح كارل قائلا في انفعال : « لا ! » ، حتى قبل ان ينتهى السؤال ومن طرف عينه ، كان يمكنه ان يلاحظ ان القائد كان يتسم في وهن ، واسف لشدة انفعاله ، الا ان السؤال كان مغريا للغاية ، حتى لقد اندفع قائلا : « لا ! » ، دون ان يدري ، ذلك انه كان يحلم طوال الفترة الماضية من خدمته ، بصاحب عمل قد يلتقى به . ويوجه اليه هذا السؤال نفسه . الا ان هذا النفي كان من الممكن ان يشير امامه مشكلة اخرى ، لو ان السيد واصل سؤاله ، طالبا منه ان يوضح له ، لماذا لم يكن راضيا في عمله ذاك ؟ الا ان ذلك السيد تساءل بدلا من ذلك قائلا : « ما هو نوع العمل الذى تشعر بأنه يناسبك ؟ ! » ، من الممكن ان يخفى مثل هذا السؤال فحا حقيقيا ، فلماذا يوجه اليه سؤال كهذا ، اذا كان قد قبل بالفعل كممثل ؟ ومع انه قد احس بصعوبة الاجابة على هذا السؤال ، فانه لم يستطع ان يقول انه يشعر بأن مهنة التمثيل ، على وجه الخصوص ، هى المهنة التى تناسبه ، وعلى هذا فقد تهرب من الاجابة على هذا السؤال ، وقال مجازفا بأنه قد يبدو ممتنعا عن الاجابة : « لقد قرأت اللافتة فى المدينة ، ولما كانت تقول بأن فى امكانكم ان توفرنا عملا لكل شخص ، فقد جئت الى هنا ! » .

قال السيد : « نحن نعلم هذا ! » ، موضحا بصمته المتعمد انه لا يزال ينتظر اجابة سؤاله .

فقال كارل فى تردد (لىكى يتيح للسيد ان يلاحظ انه قد وجد نفسه فى ورطة) : « لقد قبلت كممثل ! » .

قال السيد : « هكذا اذن ! » ، ثم لجأ ثانية الى الصمت . فقال كارل : « لا ! » ، وابتدأت كل آماله فى الحصول على وظيفة تهتز : « لست ادرى ، ما اذا كنت استطيع ان اكون ممثلا ، الا اننى سأبدل كل جهدي ، وسأحاول ان انفذ التعليمات التى توجه الى ! » .

واستدار السيد الى القائد ، واطرق كلاهما ، وبدا لكارل انه قد اجاب الاجابة الصحيحة ، لهذا فقد تشجع ثانية ، وانتصب فى وقفته ، فى انتظار السؤال التالى ، وكان كما يلى :

— ما الذى كنت تريد أن تدرسه أساسا ؟
ولكى يحدد السؤال فى دقة أكثر — ويبدو أن هذا السيد كان
يلقى أهمية كبيرة على دقة السؤال — أضاف قائلا : « أعنى فى
أوروبا ! » ، وهو يبعد يده عن ذقنه ، فى الوقت نفسه ، ويلوح
بها ، كما لو كان ليعين كم هى نائية أوروبا تلك ، ومدى عمق أبة
خطة قد تكون وضعت هناك .

وقال كارل : « كنت أريد أن أصبح مهندسا ميكانيكيا ! » ،
لقد التصقت هذه الإجابة فى حلقه ، كان سخيفا منه وهو يعلم
جيدا نوع الحياة التى عاشها فى أمريكا ، أن يحيا حلم البقطة
القديم ، برغبته فى أن يكون مهندسا ميكانيكيا ، فهل أمكنه أن يصبح
مهندسا ميكانيكيا ، حتى فى وطنه ، أوروبا ؟ — إلا أنه لم يدر
بأى جواب آخر يمكنه أن يجيب ، وعلى هذا فقد أدلى بهذا الجواب !
إلا أن السيد قد تقبل هذه الإجابة فى جدية ، فقد كان يأخذ كل
شئ مأخذ الجد ، وقال : « حسنا ، لا يمكنك أن تتحول الى
مهندس ، فجأة ! لكن ربما يناسبك الآن أن تضطلع بنوع من العمل
الميكانيكى البسيط ! » .

قال كارل : « بلا شك ! » ، كان راضيا تماما ، حقا لو أنه
قبل هذا العرض ، فسيتحول من مهنة التمثيل الى الوضع الذى
يقبل عنه على نحو ما ، وهو وضع العامل الفنى ، لكنه كان مقتنعا
بالفعل من أنه سيتمكن من أن يكون صادقا مع نفسه ، بقبوله
تلك الوظيفة الميكانيكية ، وبالإضافة الى ذلك ، فقد ظل يقول
لنفسه ، أن الأمر ليس هو نوع العمل ، بقدر ما هو ضرورة . أن
يؤكد المرء وجوده فى مكان ما ، بصرف النظر عن العمل الذى يؤديه
وتسأل السيد قائلا : « هل أنت قوى البنية بدرجة كافية
للعمل الجسمانى ؟ ! » .

فقال كارل : « أوه .. نعم ! »

وعند ذلك أمر السيد كارل بأن يقترب منه ، وتحسس ذراعه .
ثم قال عندئذ : « أنه فتى قوى » وهو يجذب كارل من ذراعه
نحو القائد ، وأطرق القائد مبتسما ، وهو يمد يده لكارل ، دون
أن يغير وضعه المتكاسل ، وقال : « إذن ، فقد تم إقرار هذا كله ،
وفى أو كلاهما سننظر فى هذا الأمر ثانية . فاعلم بأنك قد شرفت
جماعتنا المجتدة ! » .

وانحنى كارل ، واستدار أيضا ، ليقول وداعا للسيد الآخر ، إلا

انه كان قد نهض ، وراح يتمشى ذهابا وجيئة ، فوق المنصة ، كما لو كانت اعباءه كلها قد انزاحت الآن عن كاهله ، وكان يتطلع نحو السماء ، وعندما هبط كارل الدرجات ، كانت لوحة الاعلانات الى جواره ، تبدو فوقها هذه الكلمات : « الزنجي ، عامل فنى ! » . ولما كان كل شئ يسير هنا بمثل هذا النظام ، فقد احس كارل بأنه لن يهتم لو رأى اسمه الحقيقي فوق تلك اللوحة ، لقد كانت هيئة المسرح ، هيئة دقيقة النظام بالفعل الى حد لا يكاد يصدق ، فعند اقdam الدرج وجد كارل مساعدا ينتظره ، وثبت حول ذراعه شريطا ، وعندما مد كارل ذراعه ليرى ما كتب فوق هذا الشريط ، وجد عليه فى خط واضح هذه الكلمات : « عامل فنى ! »

لكن مهما كان المكان الذى سيوجهونه اليه الآن ، فيجب عليه أولا ان يبلغ فانى بما آلت اليه الامور . وسمع لأسفه الشديد أن الملائكة والشياطين كانوا قد رحلوا الآن الى المدينة المجاورة ، مع فرق التجنيد المتجولة ، ولكى يقوموا بدور الطلائع المتقدمة لوصول الفريق بأكمله فى اليوم التالى . قال كارل : « يا للأسف ! » وكانت هذه هى أول خيبة أمل يصاب بها فى هذه المهنة : « ان لى صديقة بين الملائكة ! »

قال المساعد : « سوف تراها ثانية فى أو كلاهما ، لكن هيا الآن ، فانك الاخير ! » .

واقتراد كارل بطول الجانب الداخلى للرصيف ، الذى كانت الملائكة يقفن فوقه ، ولم يكن هناك سوى القواعد الخالية . وقد ثبت الآن توهم كارل بأن النفخ فى الابواق لو كان قد توقف ، لكان كثير من الناس قد تقدموا طالبين الانضمام الى المسرح ، ذلك ان احدا لم يكن يقف الآن امام الرصيف ، فقط بضعة اطفال قلائل يتعاركون مع بعضهم البعض ، وريشة بيضاء كانت قد طارت بلا شك من جناح احدى الملائكة ، وكان صبي يمسكها فى الهواء الى اعلى ، بينما كان باقى الاطفال يحاولون انزال ذراعه التى كانت تمسك بتلك الريشة الى اسفل ، على حين كانوا يمدون ايديهم الاخرى الى الريشة وصرف كارل الاطفال بعيدا ، الا أن المساعد ، قال له دون أن ينظر ناحيته : « هيا ، اسرع ، لقد تطلب قبورك وقتا طويلا ، واظن انهم لم يكونوا واثقين منك ! » .

قال كارل فى دهشة : « لست أدري ! » ، الا انه لم يصدق ذلك مطلقا ، ومهما كانت الظروف ، فلا بد من وجود شخص يحاول

ان يسىء انى زملائه ، لكن نظرا للبشاشة التى بدت بها المنصة الرئيسية التى كانا يقتربان الان منها ، سرعان ما نسى كارل ملاحظة المساعد . فقد كان يوجد فوق تلك المنصة مائدة طويلة عريضة ، قد غطيت بقماش ابيض ، وكان كل من قبلوا يجلسون الى تلك المائدة ، بظهورهم الى حلبة السباق ، يأكلون . كانوا سعداء جميعا ، وفى غاية التأثير ، وعندما وصل كارل اخيرا ، واتخذ مكانه فى هدوء ، نهض عدد منهم ، وبايديهم الكئوس التى رفعوها الى اعلى ، وشرب اأدهم نخب قائد فرقة التجنيد العاشرة ، الذى دعاه باسم « ابو العاطلين جميعا ! » ، وقال شخص آخر ، ان القائد يمكن رؤيته من هنا ، وبالفعل كانت منصة التحكيم واضحة على مسافة ليست بالغة البعد ، وفوقها السيدان ، ورفع الجميع كئوسهم الان فى ذلك الاتجاه ، وتناول كارل أيضا الكأس الموضوعة امامه ، وهتفوا بأعلى اصواتهم ، الا انهم لم يفلحوا فى لفت أنظار من كانا يجلسان فوق منصة التحكيم ، فلم يكن ثمة ما يدل على انهما قد لاحظا شيئا من هذا الحماس ، ولا كانت هناك على الأقل اذنى رغبة فى ملاحظته ، واضطجع القائد جالسا فى ركنه كما كان يجلس من قبل ، ووقف السيد الآخر الى جواره ، وهو يضع ذقنه على راحة يده ، وتبدو عليه خيبة الامل الى حد ما ، وجلسوا جميعهم ثانية ، وكان يستدير شخص هنا ، أو شخص هناك نحو منصة التحكيم ، الا انهم سرعان ما انهمكوا فى تناول الطعام الوفير ، وكانت طيور ضخمة ، لم ير كارل مثلاً من قبيل ، تحمل الى المائدة ، وقد انغrust فى لحمها المحمر ، شوك عديدة ، وكان المساعدون لا يتوقفون عن ملء الكئوس بالنبيذ - ويصعب عليك ان تلاحظ ذلك ، فبينما تكون مشغولا تماما بطبقك ، تجد النبيذ يتدفق فجأة ببساطة فى كأسك - وهؤلاء الذين لم يكونوا يرغبون فى المشاركة فى الحديث ، كان فى امكانهم ان يتفرجوا على صور من مسرح او كلاهما كانت توجد فى كومة عند طرف المائدة ، وكانت بعض الصور تنتقل من يد الى اخرى ، الا ان القلائل هم الذين اهتموا بهذه الصور ، وهكذا لم تصل منها سوى واحدة فقط الى يد كارل الذى كان يجلس فى آخر الصف ، ورأى كارل عندما بلغته تلك الصورة ان باقى الصور كانت جذيرة هى أيضا بالرؤية ، كانت هذه الصورة توضح الشرفة المخصصة فى المسرح لرئيس الولايات المتحدة ، وربما ظن المرء عند النظرة الاولى اليها ، انها لم تكن

مجرد شرفة ، بل المسرح نفسه ، وكان سور الشرفة يمتد الى مسافة كبيرة ، وكان مصنوعا من الذهب حتى ادق تفاصيله ، وبين اعمدته الرشيقة ، التى نحتت فى رقة ، وكانما بمقصد بارع ، كانت الاوسمة المهداة من الرؤساء السابقين ، تصطف الى جانب بعضها البعض ، وكانت لاحدى الحليات انف يمتد بصورة ملحوظة وشفتان وعين مغطاة بجفن كامل مستدير ، وتنظر الى اسفل ، وكانت اشعة الضوء تسقط على الشرفة من كل الجهات ، ومن السقف ، وكانت المقدمة غارقة كلها فى الضوء ، وارضيتها بيضاء ناعمة ، بينما تبدو الخلوة الى الخلف كمفارة معتمة متوهجة ، تغطيها الستائر الدمشقية الحمراء التى تهدل فى طيات مختلفة من السقف الى الارض ، وتنمقد طياتها بالحبال . ولم يكن فى استطاعة المرء ان يتخيل وجود بشر فى تلك الشرفة ، بصورتها تلك الملكية ، ولم يكن كارل قد انصرف تماما عن تناول طعامه ، لكنه كان قد وضع تلك الصورة ، بجانب طبقه ، وراح يتطلع اليها ، وكان يسره ان يتطلع الى صورة على الاقل من الصور الاخرى ، لكنه لم يكن يرغب فى النهوض لكى يلتقط احداها بنفسه ، فقد كان ثمة مساعد يضع يده فوق تلك الكومة من الصور ، ويبدو انه كان يحاول ان يحافظ على عدم اضطراب تسلسل ترتيبها ، وعلى هذا فقد رفع كارل عنقه فقط ، لكى يتطلع عبر المائدة ، محاولا ان يرى ان كانت ثمة صورة اخرى تتداولها الابدى ! ولدهشته العظمى - ولقد بدا له ذلك شيئا لا يمكن تصديقه فى البداية - تعرف وسط هؤلاء الذين كانوا يميلون فوق أطباقهم ، باستغراق ، على وجه يعرفه جيدا ، جياكومو ، فنهض فى الحال ، واسرع نحوه صائحا : « جياكومو ! » ، ونهض جياكومو من على مقعده ، خجلا كمادته ، عندما يفاجأ بشيء ، واستدار حول نفسه فى المساحة الضيقة بين المقاعد ، ومسح فمه بيده ، وتهلل جدا لرؤية كارل ، واقترح على كارل ان يأتى لكى يجلس الى جواره ، او يغير هو مكانه بدلا من ذلك ، وكان لديهما الكثير ليخبرا به احدهما الآخر ، وعليهما لهذا ان يلتصقا ببعضهما طوال الوقت ، ولما لم يكن كارل يريد ان يزعم الآخرين ، فقد قال انه من الافضل لهما ان يحتفظا بمكانيهما الحاليين الآن ، فسرعان ما تنتهى الوجبة ، وبعد ذلك بالطبع ، سيلتصقان ببعضهما . الا ان كارل قد تمهل دقيقة او دقيقتين ، لمجرد ان يتطلع الى جياكومو ، كم من ذكريات الماضى قد طرات على ذاكرته ! ما الذى حدث

للمديرة ؟ وماذا تفعل تيريز ؟ لم يكن قد طرا على جياكومو نفسه تغيير يكاد يذكر ، ولم تتحقق نبوءة المدير ، بأنه سوف يتحول في خلال ستة شهور الى رجل أمريكي ناضج ، فقد كان رقيق المظهر كما كان من قبل ، وكانت وجنتاه بارزتين كما كانتا ، على الرغم من انتفاخهما الآن بقطعة كبيرة من اللحم ، كان يستخرج منها العظم ببطء ، ليضعه في طبقه . وكما استطاع كارل أن يرى من رباط ذراعه لم يكن قد قبل كمثمل هو أيضا ، لكن كصبي مصعد ، ويبدو ان مسرح او كلاهما ، كان لديه بالفعل مكان لكل شخص ! الا ان استفراق كارل في التطلع الى جياكومو ، كان قد أبعد طويلا عن مقعده ، وعندما فكر في العودة الى مكانه ، كان مدير المستخدمين قد وصل لحظتها ، وصعد فوق أحد المقاعد ، وصفق يديه ، وألقى كلمة قصيرة ، بينما نهض اغلب الموجودين على أقدامهم ، أما هؤلاء الذين ظلوا فوق مقاعدهم ، غير راغبين في ترك طعامهم ، فقد ظل الآخرون يلكزونهم حتى اضطروا هم أيضا الى النهوض .

قال مدير المستخدمين : « أرجو .. » ورجع كارل في تلك الانثناء الى مكانه على أطراف أصابعه : « أن تكونوا قد رضيتم عن استقبالاتنا لكم ، وأن يكون قد أعجبكم ما قدمناه لكم من الطعام ، أن الفرقة المجددة ، ينبغي لها دائما أن يكون لها مطعمها الجيد ، وآسف لاننا يجب أن نخلي المائدة الآن ، لان القطار الراحل الى او كلاهما ، سيتحرك في خلال خمس دقائق ، وانها لرحلة طويلة ، أعلم هذا ، الا انه سيوجد من يعني بشئونكم في خلالها ، عناية تامة ، واسمحوا لي الآن بأن أقدم لكم السادة الذين سيشفرون على اجراءات انتقالكم ، والذين نرجو أن تلتزموا بتنفيذ تعليماتهم »

وصعد رجل قصير نحيل الى أعلى المقعد ، بجوار رئيس المستخدمين ، وما كاد يجد الوقت لكي ينحني انحناءة سريعة ، حتى شرع يلوح بذرأيه في عصبية لكي يوجههم الى كيفية تنظيم انفسهم ، وتحركهم نحو المحطة . الا انهم قد تجاهلوه في بداية الامر ، فقد خبط الرجل الذي كان قد ألقى خطبته في بداية تناول الوجبة ، المائدة بيده ، وبدأ في توجيه الشكر في خطبة طويلة ، مع انه كان يعلم - ولم يكن كارل مرتاحا لتلك الخطبة - بأن القطار سيتحرك في خلال خمس دقائق ، بل ان لا مبالاة مدير المستخدمين الواضحة لم توقفه أيضا عن اتمام خطبته ، وكان مدير المستخدمين يلقي ببعض التعليمات الى الموظف المسئول عن الانتقال ، بينما كان

ذلك الشخص قد اقام خطبته على تمجيد الاخلاق العالية التي يتحلى بها موظفو مسرح او كلاهما ، وعلى وصف الاطباق التي قدمت على المائدة ، ثم راح يطلق احكامه على كل شخص اتفق له ان التقى به ، ثم انتهى الى هذا التصريح ، مشيراً الى الاطباق : « ايها السادة ، هذا هو الطريق الى قلوبنا ! » ، وضحك الجميع فيما عدا السيد الذي كان الحديث قد وجه اليه اسامياً ، ولقد كان في هذا التقرير ، كثير من الحقيقة ، بجانب ما كان يتضمنه في الوقت نفسه من الهزل .

وقد ترتب على تلك الخطبة نوع من العقاب ، فقد كان على الجميع ان يقطعوا الآن الطريق الى المحطة جرياً ، وان لم يكن ثمة صعوبة في هذا — كما لاحظ كارل الآن فقط — لان احداً لم يكن يحمل اية امتعة ، وكان الشيء الوحيد الذي كان يمكن تسميته بالامتعة هو عربة الطفل ، التي دفعها الاب امامه في مقدمة الراكب ، والتي كانت ترتفع مهتزة الى اعلى وإلى اسفل بعنف ، كما لو لم تكن هناك يد تضغط عليها . يا لهم من أشخاص معدمون ، بئسوا اجتماعوا هنا معا ، ثم باى طيبة استقبلوا هنا ، ووجدوا شيئاً من العناية ! ولا بد ان الموظف المشرف على الرحلة ، كان قد اوصى برعايتهم كحبة عينه ، فقد اخذ الآن دوره في دفع عربة الطفل ، ملوحاً باحدى يديه لكي يستحث الراكب على الاسراع ، وكان يستعجل الشاردين في مؤخرة الموكب ، ويتجول بين الصفوف وهو يرمى من يعجزون عن الجرى السريع ، محاولاً ان يوضح لهم بذراعيه اللتين كان يلوح بهما طوال الوقت ، كيف يمكنهم ان يسرعوا في الجرى بسهولة .

وعندما بلغوا المحطة كان القطار يتأهب للرحيل ، وأشار الناس في المحطة لبعضهم البعض الى هؤلاء القادمين ، وكان المرء يسمع صيحات التعجب ، من قبيل : « هل ينتمى كل هؤلاء الى مسرح او كلاهما ! » ، ويبدو ان المسرح كان معروفاً اكثر مما كان يتصور كارل ، فهو لم يكن يهتم اهتماماً كبيراً بشئون المسارح ، وكانت عربة كاملة قد تم حجزها لهم ، وبدل المشرف على الرحلة جهداً يفوق الجهد الذي بذله حارس القطار في ادخالهم الى تلك العربة ، ولم يجلس ذلك المشرف على مقعده قبل ان يفتش على كل ديوان ، ويقوم ببعض الترتيبات اللازمة ، وتصادف ان جلس كارل على مقعد يجاور النافذة ، وجلس جياكومو الى جواره .

وهكذا جلسا ملتصقين ببعضهما البعض ، متهللين من اعماق قلوبهما للرحلة ، تلك الرحلة المجهولة الى امريكا التى لا يعرفان عنها شيئا على الاطلاق .

وعندما بدا القطار فى التحرك ، خارجا من المحطة ، لوحا بايديهما من النافذة ، وقد تسلى الشبان الذين كانوا يجلسون قبالتهم بهذا المنظر ، ولكزوا بعضهم بعضا ، وضحكوا .

واستمرت الرحلة يومين وليلتين ، وادرك كارل الآن فقط كم كانت امريكا واسعة ، وتطلع بلا ملل من خلال النافذة ، وحرص جياكومو على التشبث بمكانه الى جوار كارل ، حتى ضاق به الآخرون الذين كانوا يشاركونهما نفس الديوان ، عندما ارادوا ان يلعبوا الورق ، وتنازلوا له طوعا عن المقعد الآخر المجاور للنافذة ، وشكرهم كارل - فقد كان من الصعب فهم انجليزية جياكومو - وبمرور الوقت ، كما يحدث دائما بين رفاق السفر ، أصبحوا جميعا اكثر ودا مع بعضهم البعض ، على الرغم من ان هذا الود كان احيانا عبارة عن مجرد ضوضاء وازعاج ، فكلما كانوا ينحنون ، مثلا ، لالتقاط ورقة انزلت الى ارضية الديوان ، لم يكن يمكنهم ان يقاوموا رغبتهم فى ان يقرصوا ساق كارل أو جياكومو بصورة مؤلمة ، وكان جياكومو يصرخ دائما فى دهشة متجددة ، كلما حدث ذلك ، ويرفع ساقه الى أعلى ، وحاول كارل فى احدى المرات ان يرفسهم ردا على ذلك ، الا انه قاسى بقية الوقت فى صمت . وكان كل شيء يحدث فى ذلك الديوان الصغير ، كان يتلاشى امام عظمة المناظر التى كانت تبدو من خلال النافذة .

وقد انطلق بهم القطار فى اليوم الاول عبر سلسلة مرتفعة من الجبال ، وكتل ضخمة من الصخور الزرقاء الضاربة الى السواد ، كانت تنحدر انحدارا يكاد يكون عموديا على الخط الحديدى، وحتى لو مد المرء عنقه من خلال النافذة ، فلم يكن يمكنه ان يرى قممها ، ووديان ، ضيقة ، كثيفة ، غير ممهدة ، كانت تمتد فى احيان اخرى ، حاول احدهم ان يتتبع باصبعه ، الاتجاه الذى كانت تنتهى عنده ، وتلاشى ، وكانت تظهر كذلك انهار عريضة جبلية ، تندفع فى امواج هائلة الى اعماق سفوح التلال ، وعلى سطحها تطفو آلاف من امواج الزبد ، كانت تغوص تحت القناطر ، التى كان القطار يندفع فوقها ، وقد كانت تلك الامواج قريبة غاية القرب منهما ، حتى ان الرذاذ البارد الذى كان يتناثر منها كان يصفع وجهيهما .

تعقيب

لم يكن مخطوط فرانز كافكا يحمل عنواناً ، وكان قد اعتاد في احاديثه أن يشير الى هذه الرواية ، على انها (روايته الامريكية) ، الا انه اطلق عليها ببساطة فيما بعد (العطشجي) ، وهو عنوان الفصل الاول الذي نشر منفصلاً عام ١٩١٣ . وكان كافكا يكتب هذه الرواية في سعادة لا حد لها ، في الامسيات ، ثم بعد ذلك كانت تستفرقه الكتابة فيها حتى اوقات متأخرة من الليل .

ولم تكن صفحات المخطوط تحتوي ، مما يشير الدهشة ، الا على القليل جداً من التصحيحات ، او الحذف ، وكان كافكا يدرك تماماً ، ان هذه الرواية كانت اكثر كتاباته جميعاً ، تفاؤلاً ، وأبسطها من حيث التركيب والمزاج الذي كتبت به ، وقد تحدث الى الكثيرين حول هذه الحقيقة .

وربما كان لي أن أقول في هذا الصدد ان فرانز كافكا ، كان مغرماً بقراءة كتب الرحلات ، والمذكرات ، وان سيرة حياة فرانكلين ، كانت أحد كتبه المفضلة ، وكان يحب أن يقرأ منه بعض المقطوعات في صوت مرتفع ، وانه كان يحن دائماً الى المساحات الشاسعة ، والبلاد النائية ، وهو لم يرحل بالفعل الى أبعد من فرنسا ، وإيطاليا ، ولهذا فان براءة خياله ، تضيف على هذه الرواية التي تصور مغامرة (كارل روسمان في أمريكا) لوناً غريباً .

وقد انقطع كافكا فجأة عن مواصلة كتابة هذه الرواية ، فظلت ناقصة . وقد عرفت مما ذكره لي ان الفصل الناقص عن (مسرح أو كلاهما الطبيعي) ، وهو فصل كانت بدايته بصفة خاصة تمتع كافكا ، حتى لقد اعتاد على أن يقرأه بصوت مرتفع في تأثر بالغ . . كان كافكا ينوي أن يجعله خاتمة للرواية ، وكان سينتهي بنوع من التوافق الشعري الحزين مع الحياة .

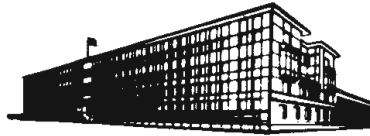
وقد اعتاد كافكا أن يشير في غموض الى انه في اطار ذلك المسرح (الذي لا حدود له) ، كان بطله الصغير سيجد مرة أخرى وظيفة ، وسندا ، وسيجد حريته ، وبيته ، ووالديه ، كأنما بشيء من السحر العلوي .

وان الاجزاء التى تسبق مباشرة هذا الفصل الختامى من الرواية (نهاية الفصل السابع) هى ايضا ناقصة .
وتوجد قطعتان كبيرتان تتعرضان لخدمة كارل فى شقة برونيلا ،
الا انهما لا تطلان السياق . . وقد كانت الفصول الستة الاولى هى
نقط الفصول التى قسمها كافكا ، ووضع عناوينها بنفسه .

ماكس برود

**** معرفتي ****

me3refaty.blogspot.com



الطبعة : مؤسسة دار الهلال - القاهرة

طبعة خاصة بمكتبة الأسرة ٢٠٠٧

